



# حِمْيَاءُ الْوَطَنِ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

مَقْصِدٌ شَرْعِيٌّ وَضُرُورَةٌ مُجْتَمَعِيَّةٌ

الندوة العلمية الدولية التاسعة

٤-٦ رجب ١٤٤٠ هـ

١٢-١٤/٣/٢٠١٩ م

بحوث الندوة محكمة

(الجزء الثالث)

الكتاب: حِمَايَةُ الْوَطَنِ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ مَقْصِدٌ شَرْعِيٌّ وَضُرُورَةٌ مُجْتَمَعِيَّةٌ

الرقم الدولي للكتاب: ISBN 978-9948-35-065-1

اللغة: العربية

التصنيف العمري: E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

رقم إذن الطباعة: MF-01-1103844

تمت الطباعة في مطبعة دبي، دبي - أ.ع.م.

جميع الحقوق محفوظة

يُمنع نشر أو نقل هذا الكتاب أو أي جزء منه، بأي وسيلة من الوسائل الورقية أو الإلكترونية إلا بإذن خطي





# السنة وحماية الوطن من خلال تأمين النشاط الاقتصادي للمجتمع

الدكتور / عزالدين بن زغبية  
رئيس قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية  
مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث - دبي





## المقدمة

تعد حماية الوطن من كل ما يؤدي إلى اختلال أمنه وانهيار اقتصاده وتفكك نسيج مجتمعه من أوكّد ضروريات الحياة وأعظمها خطراً، وبخاصة أمنه الاقتصادي منها، فهو ركنها الركين، وأسهما المتين، وهو مطلب فطري، يسعى الناس لتحقيقه وإقامته أفراداً وجماعات وأممًا، لأن به تطمئن النفوس، وتنشط به الهمم، ويمكن فيه البريء، ويأنس فيه الضعيف.

وتتأكد هذه الحماية للوطن بتوفير الأمن لأبنائه والمقيمين فيه لأنه إذا فقد الأمن حل محل الخوف الذي يقبض الناس عن مصالحهم، ويحجزهم عن تصرفهم، ويكفهم عن أسباب المواد التي بها قيام نفوسهم، وانتظام جمعهم، واستمرار حياتهم، فتضيق سبل معاشهم، وتسوء بذلك حالهم، ما يفضي إلى تبدل طبائعهم، فيكونون بذلك إلى الفتنة أقرب، وعن السلامة أبعد.

وتبلغ حماية الوطن تمامها عندما يستولي حبه على قلوب الناس فتصير نفوسهم رخيصة من أجل سلامته، فيبدلون لها وما يملكون دون تردد.

إلا أن الإنسان لا يدرك نعمة الأمن وقيمته التي يوفرها له وطنه وخصوصاً إذا كان محمياً من كل اعتداء خارجي أو فتنة داخلية إلا إذا مسه خوف أو فتنة انعدام الأمن، كما أنه لا يعرف قدر الصحة إلا إذا مسه المرض، لأن قدر أي نعمة مهما كانت طبيعتها لا تعرف إلا بمقاساة ضدها وفي هذا المعنى قال أبو تمام:

والحادثات وإن أصابك بؤسها فهو الذي أنباك كيف نعيمها

ولما كان نماء الأموال وإصلاحها بالتجار والاستثمار، وتنقلها بين الأمصار، ورواجها في الأسواق، مرهونا بمدى تحقق الأمن في تلك الأمصار والأسواق والطرق الموصلة إليها، كان الأمن شرطاً أساسياً لنجاح أي نشاط اقتصادي، مهما كان نوعه، وعنصرًا ضروريًا لازدهار البلدان وتطورها، فأصبح بذلك الأمن والاقتصاد أمران متلازمان فلا تنمية اقتصادية بدون أمن، ولا أمن

بدون رخاء اقتصادي.

وسنسى في هذا البحث لإثبات هذا التلازم بين (الأمن والاقتصاد)، من خلال نصوص السنة النبوية المطهرة

## أولاً: أهمية إقامة الأمن ودوره في حماية الوطن

إن لإقامة الأمن في حياة الأمم والشعوب أهمية بالغة ومكانة خطيرة، لما له من أثر حاسم في حماية الأوطان واستقرارها من كل يد عادية أو عابثة خارجية كانت أم داخلية، فلذلك جعله الله تعالى وصفاً لبيته الحرام وخاصة من خصائصه، فقال: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ۗ﴾<sup>(١)</sup>، ولما أقسم سبحانه بمكة المكرمة وصفها بالأمن، فقال: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۗ﴾<sup>(٢)</sup>؛ لأنها موضع البيت الحرام الذي جعل أمناً للناس، كما أنه تعالى جعل جزاء الذين أخلصوا في إيمانهم ولم يخلطوه بظلم أن يمنحهم الأمن في الحياة الدنيا، فقال: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ۗ﴾<sup>(٣)</sup> وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۗ﴾<sup>(٤)</sup>.

بل جعل الأمن صفة من صفات المؤمن، وعلامة مميزة له، فقال ﷺ: (ألا أخبركم بالمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم)<sup>(٥)</sup>.

وقد أثنى الله تعالى على المتصددين للتجارة والمتلقبين بأموالهم في الأسفار، ورفع من منزلتهم وقدرهم، حتى قرن بينهم وبين المقاتلين في سبيل الله، فقال: ﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ

١- البقرة: ١٢٥.

٢- التين: ٣.

٣- الأنعام: ٨٢.

٤- النور: ٥٥.

٥- أخرجه ابن ماجه كتاب الفتن" باب (حرمة دم المؤمن و ماله)، حديث رقم: ٣٩٣٤. ١٧٩٨/٢ - صححه الألباني في سلسلته: حديث رقم ٥٤٩: ٨١/٢

يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿٢٠﴾ ﴿١﴾.

وروي عن عبد الله بن عمر أنه قال: " ما موت أحب إليّ بعد الشهادة في سبيل الله من أن أموت متجراً؛ لأن الله قرن بين التجارة والجهاد في قوله تعالى: (وآخرون يضربون في الأرض...) (٢)، واعتماداً على المعنى الذي يجعل من إقامة التجارة - التي هي عمود الاقتصاد في كل حضارة - وتحقيق الأمن لها أمرين متلازمين.

ويدلنا على صحة ما سبق أنه سبحانه وتعالى قد جمع بين الأمن وعناصر النشاط الاقتصادي في آيات عديدة، فقال سبحانه مذكراً قريشاً بنعمته: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ ﴾ (٣)، وقال: ﴿ وَقَالُوا إِن تَبِيعَ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُخَخِّطُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمْكِن لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (٤).

وقد جعل الله الأمن والمال معاً وسيلة من وسائل الابتلاء التي يتم بها اختبار المؤمنين؛ ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه فقال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ (٥). والسر في الابتلاء بنقصها وفقدائها راجع إلى سرعة ظهور أثر ذلك في الأفراد والمجتمع (٦).

ونظراً لأهمية الأمن والاقتصاد في حياة الناس، واستقرار البلدان وأمن الأوطان، أن جعلها إبراهيم عليه السلام مضمون دعائه لمكة المكرمة؛ حيث قال: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ (٧)، وبمثل ذلك دعا رسول الله ﷺ

١- المزمّل: ٢٠.

٢- ابن عاشور: مقاصد: ١٧٥-١٧٦.

٣- قريش: ٣-٤.

٤- القصص: ٥٧.

٥- البقرة: ١٥٥.

٦- انظر: ابن كثير: تفسير القرآن، ١/١٨٧.

٧- البقرة: ١٢٦.

للمدينة، فقال: " اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك وإني عبدك ونبيك، وإنه دعاك ملكة وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك ملكة ومثله معه"<sup>(١)</sup>.

والذي تبين لي من خلال الأدلة السابقة وغيرها من نظائرها أن قصد الشريعة منها إشاعة الأمن في الأمة وعده مقصدًا قطعيًا من مقاصدها.

ومن أهم العناصر التي يركز عليها مقصد الأمن هو تلبية حاجات الناس الضرورية والحاجية وتأمين أسواقهم وجميع مسالك نشاطاتهم الاقتصادية.

ولما كان النشاط الاقتصادي هو عصب الحياة، وسببًا من أسباب استمرار العمران، وأمن الأوطان، واستقرار المجتمعات ورفاهة الإنسان، حرصت الشريعة على ضبط كل التصرفات وأوجه المعاملات المتعلقة به بجملة من الأحكام والضوابط والشروط، تقيم بها مقصد الأمن للعباد والبلاد، وتحقق للناس مصالحهم الخاصة في إقامة المصلحة العامة، وتقطع بها بينهم مادة الخصومات والمنازعات والبغضاء والمشاحنات، وتقوي بها جهة التعاون على البر المطلوب طلبا حثيثا من قبل الشريعة، وتتصدى بها بصرامة لكل عمل ينقض هذه المقصد أو يعود عليه بالإبطال، ولذلك كان تطهير الأرض من المحاربن والمفسدين وتأمين البلاد والسبل والطرق من القتل للأنفس والأخذ للأموال وإخافة الناس من أعظم الحسنات وأجل الطاعات ويعد هذا العمل إصلاحا في الأرض، كما أن الحراية إفساد فيها، ولأجل هذا عد "مالك" وأصحابه قتال المحاربن جهاد<sup>(٢)</sup>، ونقل أشهب عنه أنه أفضل الجهاد وأعظمه أجرا<sup>(٣)</sup>، والأدلة على ذلك كثيرة.

## ثانيا: حماية ثروة الأمة والمال العام والخاص وأثرها في حماية الوطن.

إن صيانة الأوطان وازدهارها وتحقيق رغد العيش في أكنافها للمقيمين بها وزائرها مرهون بتأمين ثروة الأمة وحماية المال العام والخاص وصيانتته عن الأيدي العادية والعاثية، فقد ورد في ذلك

١- أخرجه مسلم: كتاب، الحج باب (الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوتها)، حديث رقم: ٤٧٠، ١١٠٠١.

٢- ابن شاس: عقد الجواهر، ٣/٣٤١ - المكناسي: مجالس القضاة والحكام، ٥٨٧/٢.

٣- المكناسي: مجالس القضاة والحكام، ٥٨٧/٢.

أحاديث كثيرة، منها ما هو بصيغة العموم فيتناول الأموال عموماً، ومنها ما هو خاص، فيتناول نوعاً منها بعينه فقط.

لقد دعت السنة المطهرة المسلمين إلى الاقتصاد في إنفاق المال وحسن تديره وإصلاحه والقيام عليه؛ لأن في ذلك وقاية من العالة والفاقة وحفظاً للمجتمع من ضيق العيش المؤدي إلى اختلال النظام وانحرام العمران، فقال ﷺ: "لا عال من اقتصد"<sup>(١)</sup>، وقبل: (حسن التدبير مع الكفاف خير من الكثير مع الإسراف)،<sup>(٢)</sup> قال الإمام المقرئ في قواعده: "من مقاصد الشريعة صون الأموال عن الناس، فمن ثم نهي عن إضاعتها، وعن بيع الغرر والمجهول"<sup>(٣)</sup>.

وكان عمر بن الخطاب يحذر أصحابه من الإسراف، ويدعوهم إلى إصلاح المال ولو كان قليلاً؛ لأنه في رأيه أن القليل مع الإصلاح لا ينقص، لكن الكثير مع السرف لا يبقى منه شيء، حيث قال: "الخرق في المعيشة أخوف عندي عليكم من العوز، لا يقل شيء مع الإصلاح ولا يبقى شيء مع الفساد"<sup>(٤)</sup>؛ لأن تسلل الفساد إلى الموكلين بإدارة النشاط الاقتصادي للمجتمع والمشرفين على تسيير ثروته، يؤدي حتماً إلى سوء توزيع الثروة، وانحصار عدد المستفيدين بها، مما يؤدي بدوره إلى ثورة الفاقدين على الواجد، والتي تنعكس بشكل مباشر على انتظام المجتمع واختلال أمن البلاد والعباد وتعطل عجلة التنمية وانحسارها وركود النشاط الاقتصادي وتراجعها، مما يورث في نفوس المواطنين الإحباط وفقدان الأمل والخوف من المستقبل مما يؤدي إلى تناقص الروح الوطنية المؤدية إلى تعاضم المخاطر المحدقة بالوطن.

وفي الجملة فإن المقصد الشرعي من النهي عن إضاعة ثروة الأمة، واستفحال الفساد في تسييرها، وغياب الأمانة في إدارة التصرفات المالية والنشاطات الاقتصادية المتعلقة بها، هو أن تكون ثروة الأمة عدة لها وقوة لا ببناء أساس مجدها والحفاظ على مكانتها، حتى تكون مرهوبة الجانب،

١- أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٤٤٧/١، بلفظ (لا عال من اقتصد) - أخرجه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال: بلفظ « ما عال مقتصد»، ٣٠٩.

٢- ابن أبي الدنيا: إصلاح المال، ٢٣٧.

٣- القواعد، مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ١٤٦٨٢ ورقة ١١١.

٤- أبو بكر الخلال: الحث على التجارة والصناعة، ٣٣ - ابن رشد: البيان والتحصيل، ١٧ / ٥٩٨.

مرموقة بعين الاعتبار، غير محتاجة إلى من قد يستغل حاجتها فيبتز منافعها ويدخلها تحت نير سلطانه<sup>(١)</sup>.

ولذلك لما كان أخذ أموال الناس بغير حق وبغير رضاهم من أعظم الظلم والمحرمات، كان جزاء مرتكبه عقاب دنيوي وعذاب أخروي، فقد جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه حيث قال: " أن ناسا من عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فاجتووها، فقال لهم صلى الله عليه وسلم: (إن شئتم أن تخرجوا إلى إبل الصدقة فتشربوا من ألبانها وأبوالها... ففعلوا فصحوا ثم مالوا على الرعاة فقتلوهم وارتدوا عن الاسلام، وساقوا ذود رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث في أثرهم، فأتي بهم، فقتع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركهم في الحر حتى ماتوا)<sup>(٢)</sup>.

والمقصود من هذا الحديث هو حماية الأنفس والأموال وتأمين حركة الأشخاص ورؤوس الأموال والسلع، وتأمين مسالك التجارة وطرق المواصلات؛ لأن في قطع الطريق تهديدا للناس في أسفارهم وكسادا لتجارهم، وتعطيلا لمصالحهم، ما يعود على الوطن والرعية بفقدان الأمن واختلال النظام، ومن ثم كانت مفسدة الحرابة<sup>(٣)</sup> أعظم من السرقة؛ لأن أهل الأموال بإمكانهم حفظ أموالهم من السراق ولا يتمكن أهل الطريق من التمتع من قطاع الطرق، ولا يتيسر لولاة الأمور وجماعة المسلمين نصرتهم في ذلك المكان والزمان ولأن داعية الفعل من قطاع الطرق أشد وأغلظ<sup>(٤)</sup>، ولهذا لم يراع مالك في المال الذي يأخذه المحارب نصاب السرقة، وإنما حكم على أخذه بحكم المحارب، وذهب أصحاب الرأي والشافعية والحنابلة إلى أنه لا يقطع منهم إلا من أخذ ما يقطع السارق في مثله<sup>(٥)</sup>.

١- انظر ابن عاشور: التحرير والتنوير: ١٥ / ٧٩.

٢- أخرجه مسلم: كتاب القسامة والمحاربين، باب (حكم المحاربين والمرتدين)، حديث رقم: ١٦٧١، ١٣٩٦/٢.

٣- الحرابة: قال ابن عرفة: هي الخروج لإخافة سبيل لأخذ محترم بمكابرة قتال: أو خوفه أو لذهاب عقل أو قتل خفية، أو لمجرد الطريق، لا لإمرة ولا نائرة ولا عداوة. الرصاع: شرح الحدود، ٢ / ٦٥٤.

٤- انظر: الدهوي: حجة الله البالغة، ٢ / ٤٣٦.

٥- انظر: ابن قدامه المقنع، ٣ / ٥٠٣، -، ١٠ / ٣١٢ - ٣١٣ محمد الغمراوي، السراج الوهاج، ٥٣٢ - القرطبي: الجامع للأحكام، ٦ / ١٥٤.

وبناء عليه ذهب ابن شاس من المالكية إلى عد كل من أشهر السلاح قصد السلب، محاربا، كان ذلك في مصر أو قفر صدر من ذي شوكة، أم من لا شوكة له، ولا تشتط الذكورة ولا آلة مخصوصه<sup>(١)</sup>.

وقد ضمن المقري هذا المعنى إحدى قواعده فقال: "كل فعل يقصد به أخذ المال المعصوم من فاعله، على وجه تتعذر فيه الاستغاثة غالبًا، فهو حراة"<sup>(٢)</sup>.

ولا خلاف بين الأئمة في أن الحراة يقتل فيها من قتل، وإن لم يكن المقتول مكافئا للقاتل؛ لأن القتل هنا ليس على القتل فقط وإنما على الفساد العام الذي يلحق البلاد والعباد بسبب اختلال مقصد الأمن وجراء التخويف وسلب المال<sup>(٣)</sup>، ولذلك تصدت له السنة النبوية بأقصى أنواع الصرامة في اتخاذ العقوبات ضد مرتكبيه.

ولما كانت هذه الجريمة على قدر كبير من الخطورة، كان تطهير الأرض من المحاربين والمفسدين وتأمين البلاد والسبل والطرق من القتل للأنفس والأخذ للأموال وإخافة الناس من أعظم الحسنات وأجل الطاعات ويعد هذا العمل إصلاحا في الأرض، كما أن الحراة إفساد فيها، ولأجل هذا عد مالك وأصحابه قتال المحاربين جهاد<sup>(٤)</sup>، ونقل أشهب عنه أنه أفضل الجهاد وأعظمه أجرا<sup>(٥)</sup>.

ولم تكتف الشريعة بما شرعته من النواهي الكثيرة والمتكررة عن الاعتداء على أموال الغير، لأن ذلك قد لا يكون له أثر في نفوس كثيرة، ضعف فيها الوازع الديني، أو فقد تمامًا، ومن ثم طالبت من المالكين حماية أموالهم من أطماع تلك النفوس وعدم تسليمها لهم، مهما كانت الوسائل المستعملة في ترهيبهم وتخويفهم، ودعتهم إلى المقاتلة من أجل صيانتها إن لزم الأمر ذلك، ولو قدر أن مات المالك دفاعا عن ماله فهو شهيد عند الله عز وجل، ويكون المعتدي إذا قتل في

١- عقد الجواهر: ٣/٣٤١ - ابن قدامة: المقنع، ٣/٥٠٠، ٥٠١ - ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٦/١٨١.

٢- عمل من طب لم حب: مخطوط، ورقه رقم: ٤٩ وجه.

٣- المصدر نفسه: ٦/١٥٤.

٤- ابن شاس: عقد الجواهر، ٣/٣٤١ - المكناسي: مجالس القضاة والحكام، ٢/٥٨٧.

٥- المكناسي: مجالس القضاة والحكام: ٢/٥٨٧.

النار جزاء ظلمه وعدوانه، قال ﷺ: (من قُتل دون ماله فهو شهيد)<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: لما جاءه رجل، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي قال: (فلا تعطه مالك)، قال: أرأيت إن قاتلني، قال: (قاتله)، قال: أرأيت إن قتلني، قال: (فأنت شهيد) قال: أرأيت إن قتلته، قال: (هو في النار)<sup>(٢)</sup>، وقد ذكر الإمام النووي في ترجمة الباب من صحيح مسلم بقوله: باب (الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم)، والذي ينبغي الإشارة إليه هنا أن مالك المال أو الدافع عنه لا يقصد القتل ابتداءً، وإنما ينبغي أن يقصد الدفع، فإن أدى إلى القتل فذلك، إلا أن يعلم أنه لا يندفع عنه إلا بقتله فجائز له أن يقصد القتل ابتداءً، ولا شيء عليه وإن قتل كان شهيداً<sup>(٣)</sup>.

بل إن الشريعة الغراء قد ترخص في إباحة الممنوع، إذا ما توقعته انحرافاً في أمن الأموال والتصرفات المتعلقة بها، إذا ما التزم ذلك الممنوع، ومن ثم أبيض الكذب في ستر مال مسلم أو عرضه ولو لنفسه إذا سئل عن مال أريد غضبه منه، أو من غيره، لأن مفسدة الصدق أعظم من مفسدة الكذب<sup>(٤)</sup>.

ولا يتعلق هذا الأمر بأموال الأفراد فحسب بل يسري على الأموال العامة أيضاً، فلا يحل لأي شخص أن يأخذ شيئاً إلا بإذن إمامه؛ لأن أمر حفظها وصيانتها والتصرف فيها وإدارتها وتوزيعها على الرعية بالعدل راجع إليه نيابة عن الأمة في ذلك، قال ﷺ: (ليس لأحد إلا ما طابت به نفس إمامه). ومن ثم كان نهب الأموال أمراً ممنوعاً في الشريعة سواء كانت هذه الاموال عامة أو خاصة، ولولي الأمر أن يتخذ كافة الإجراءات التي يراها رادعة وكفيلة بحفظ المال العام والخاص، كما أن هذه التصرفات قد تؤدي بصاحبها إلى الخروج عن الأمة وملتها، قال ﷺ:

١- أخرجه البخاري: كتاب المظالم، باب (من قاتل دون ماله)، ١٠٨/٣.

٢- أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب (الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم)، حديث رقم: ٢٢٥، ١٢٤/١.

٣- ابن سريج: الودائع، ٥٩٤/٢ - ابن شاس: عقد الجواهر، ٣٥٤/٣ - ابن قدامة: المقنع، ٥٠٥/٣ - الشعراني: الميزان، ٣٦٢/٣.

٤- ابن القيم: إعلام الموقعين، ٢٣٥/٣ - زروق: قواعد التصوف، ٥٧.

(....) وَلَا يَنْتَهَبُ نُهْبَةً يُرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارُهُمْ حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ<sup>(١)</sup>.

وفي مقابل هذا عدت السنة المسؤول الأمين، الذي يؤدي ما كلفه به إمامه أو من هو دونه في الولاية كما طلب منه من غير زيادة ولا نقصان، أحد المتصدقين، قال عليه السلام: (الخازن الأمين الذي يؤدي ما أمر به طيبة نفسه أحد المتصدقين)<sup>(٢)</sup> وفي هذا الحديث ترغيب للمؤمنين في أداء أماناتهم وتحمل مسؤولياتهم بصدق وإخلاص.

ومن تمام عدل الشريعة في هذا الباب أنها كما حمت وصانت أموال المسلمين حفظت أموال الدمييين وأوجبت الضمان على من أتلّفها من المسلمين، حتى لو كان المتلف مما لا يجوز امتلاكه في شريعتنا، قال ابن حارث الخشني: من تعدى على ذمي فكسر له خمرا، أو قتل له خنزيرا وجب عليه قيمة ذلك.<sup>(٣)</sup>

بل ذهب الشريعة أبعد من ذلك عندما لم تجعل نقض أهل الذمة لعهدهم سببا في استباحة غنم أموالهم أو مسها بسوء ما لم يقاتلوا، وألزمت المسلمين أن يخرجوهم من بلاد الإسلام مع تأمين أنفسهم وأموالهم وأولادهم طول طريق خروجهم حتى يبلغوا مأمنهم من أدنى بلاد الكفر، قال الماوردي: "وإذا نقض أهل الذمة عهدهم لم يستبح بذلك قتلهم ولا غنم أموالهم ولا سبي ذرارهم ما لم يقاتلوا، ووجب إخراجهم من بلاد المؤمنين آمنين، حتى يلحقوا مأمنهم من أدنى بلاد الشرك فإن لم يخرجوا طوعا أخرجوا كرها"<sup>(٤)</sup>.

ونظرا إلى أن مقصد تأمين الأموال مقصد قطعي في الشريعة اتخذه العلماء مسلّكا في فهم النصوص والآثار وتفسيرها، من ذلك قوله عليه السلام في ضالة الإبل: (مالك ولها معها غذاؤها وسقاؤها ترد الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها)<sup>(٥)</sup>.

١- أخرجه البخاري: كتاب المظالم، باب (النهي بغير إذن صاحبه)، ١٠٧/٣.

٢- أخرجه البخاري: كتاب الإجارة، باب (في الإجارة واستجار الرجل الصالح وقول الله تعالى: «إن خير من استأجرت القوي الأمين»)، ٤٧/٣ - ٤٨.

٣- ابن حارث: أصول الفتيا، ٤٣٢.

٤- الأحكام السلطانية: ١٨٦.

٥- أخرجه مسلم: كتاب اللقطة، (مقدمة الكتاب) حديث رقم: ١٧٢٢، ١٣٤٦/٢.

إن هذا النص من الرسول ﷺ يدلنا على الدرجة التي بلغها الأمن على الأنفس والأموال وتحركها في البلاد دون عوائق أمنية في عهده ﷺ، وبناء عليه فإن مناخ الأمن كان هو سبب تغير حكم التقاط الضوال بين الخليفين عمر وعثمان (رضي الله عنهما) والأئمة من بعدهم.

فقد جاء عن عمر رضي الله عنه في تفسير هذا الحديث: أنه لا تأخذ ضوال الإبل وإن أخذت عرفت، فإن لم تعرف ردت حيث وجدت<sup>(١)</sup>، وجاء عن عثمان رضي الله عنه: أنها تؤخذ وتعرف، فإن لم تعرف بيعت ووقف ثمنها لصاحبها، فإن لم يأت وآيس منه تصدق به عنه<sup>(٢)</sup>.

والظاهر أن ما وقع من التباين بين التفسيرين للحديث لا يرجع لذاته ولا لطرق روايته، وإنما يستند إلى الوضع العام في زمان كل منهما من حيث الأمن على الأموال، وفساد الذمم، قال ابن رشد: "وإنما اختلف الحكم في ذلك بين عمر وعثمان (رضي الله عنهما)، لاختلاف الأزمان، وفساد الناس، فكان الحكم فيها في زمن النبي ﷺ وخلافة عمر رضي الله عنه: أن لا تؤخذ، فإن أخذت عرفت فإن لم تعرف ردت حيث وجدت، ثم كان الحكم فيها في زمن عثمان رضي الله عنه لما ظهر من فساد الناس أن تؤخذ وتعرف، فإن لم تعرف بيعت ووقفت أثمانها، وكذلك ينبغي أن يكون الحكم فيها اليوم"<sup>(٣)</sup>.

والمأمل في الشريعة يجدها لم تكتف في إقامة مقصدها في تأمين الأموال بالاعتماد على الوازع الديني فقط، وذلك بتشريع جملة من القوانين والأحكام، التي تنظم علاقات التعامل والتعاون بين الناس، وتضبط المسالك والوسائل، التي ينبغي أن يتم وفقها ذلك التعاون والتعامل، وإنما عمدت

١- ابن رشد: البيان والتحصيل: ١٢/١٨.

٢- المصدر نفسه: ١٢/١٨ - ١٣.

٣- المصدر نفسه: ١٣/١٨.

على تعزيره بالوازع السلطاني<sup>(١)</sup>، وذلك بتشريع جملة من العقوبات والتعزيرات<sup>(٢)</sup> الزجرية والردعية لكل من سولت له نفسه خرق تلك القوانين والأحكام والاعتداء عليها، قال: الخليفة عثمان رضي الله عنه: "إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن"<sup>(٣)</sup>.

لكن الشريعة الإسلامية تسعى دائما إلى تمكين الوازع الديني من النفوس، وتهدف إلى قطع كل الأسباب المؤدية إلى استدعاء الوازع السلطاني - إلا في حالة الضرورة - وذلك يحفظ للمكلفين حريتهم وكرامتهم، لأن الوازع السلطاني عند استخدامه وتدخله يكون من توابعه إهدار بعض الحريات ومصادرتها، وإهانة بعض الكرامات وإسقاطها، وذلك تحت ضغوط ظروف الحال وما استدعته الواقعة من الاحتياط حفاظا على المصلحة العامة فتفتت في جانبها بعض المصالح الخاصة، وإن كانت سليمة من حيث المشروعية.

وحتى لا تحيد هذه العقوبات عن غايتها، وتنحرف عن غرضها، فتتقلب ضد مقصود الشريعة منها، فتصير وسيلة للفتنة بعدما أريد بها أن تكون وسيلة للأمن، جعلت تلك العقوبات مفتقرة إلى حكم الحاكم وإن كانت مقاديرها معلومة، لأن تفويضها لجميع الناس يؤدي إلى الفتن والشحناء والإقتتال وفساد في الأنفس والأموال<sup>(٤)</sup>.

ولعل من أعظم المهددات خطرا على حمى البلاد، وأكثرها تدميرا لثروة الأمة ونشاطها الاقتصادي وعلى النظام العام للمجتمع عموما هو تزوير النقود، ولذلك نجد العلماء يشددون

١- الوازع في معناه الاصطلاحي لا يخرج عن معناه اللغوي، بل مطابق له تماما، إلا ما يقيد به الشرع، طبيعة الكف التي يجب أن تتجه إلى أعمال السوء فقط، وهذا ما عبر عنه الشيخ ابن عاشور عند تعريفه للوازع: «الوازع: اسم غلب إطلاقه على ما يزع من عمل السوء»، أصول النظام الاجتماعي: ٨٠.

إن هذا الوازع تستدعي الحاجة إليه عند ضعف الوازع الديني في النفوس، وذلك إذا حلت ظروف، ووقعت وقائع، يظن الناس أنه لا بد من مسابرتها بمنكراتها وحرامها ومكروها بحجة أنها أقوى على النفوس من الوازع الديني، هنا يصر إلى الوازع السلطاني لإلزام المكلفين بتنفيذ الأحكام الشرعية بعد إخفاق الوازع الديني في التمكّن من نفوسهم.

٢- التعزير: قال الأنصاري: هو تأديب على ذنب لا حد فيه ولا كفارة غالبا - انظر: سعيد أبو جيب: القاموس الفقهي، ٨٨.

٣- الماوردي: أدب الدنيا والدين، ١٣٧ - انظر: ابن عاشور: مقاصد، ١٢٨.

٤- ابن فرحون: تبصرة الحكام، ١١٢/١.

في عقوبتها، وبطالون الحكام والولاة بالتغليط على مرتكبيها، والمداومة في تفقد الأسواق ومراقبة النقود.

وقد سئل يحيى بن عمر بن لبابة<sup>(١)</sup> عما يجب على الوالي أن يفعله إزاء مرتكبي جريمة التزوير في النقود:

فأجاب: لا يغفل النظر في سوقهم إن ظهرت فيها دراهم مبهرجة ومخلوطة بالنحاس، بأن يشتد فيها، ويبحث عن أحدثها، فإذا ظفر به أناله من شدة العقوبة، وأمر أن يطاف به في الأسواق، لينكله ويشرد به من خلفه، لعلهم يتقون عظيم ما نزل به من العقوبة، ويجبسه بعد ذلك على قدر ما يرى، ويأمر أوثق من يجد بتعهد ذلك من السوق حتى تطيب دراهمهم ودنانيرهم، ويجرزوا نقودهم، فإن هذا أفضل ما يحوط رعيته فيه، ويعمهم نفعه في دينهم ودنياهم، ويرتحي لهم الزلفى عند ربهم والقربة إليه إن شاء الله<sup>(٢)</sup>.

والذي تنبغي الإشارة إليه أن تحقيق الأمن للنشاط الاقتصادي والمساهمة في استقرار النظام العام لا يتحقق إلا بتوافر ثلاثة عناصر هي:

أولاً: شريعة متبعة تصرف النفوس عن شهواتها، وتعطف القلوب عن إرادتها حتى يصير الالتزام بها والتقيّد بمقتضاها قاهرًا للسرائر، وزاجرًا للضمائر، ورفيقًا على النفوس في خلواتها، وهذه الأمور لا يوصل إليها غير شريعة متبعة، وقانون محكم ومحترم، لا يصلح الناس إلا عليه، فيكون الالتزام بتلك الشريعة وأحكامها أقوى قاعدة في سلامة التصرفات واستقامة المعاملات، وأم الأمور نفعًا في انتظامها.

ثانيًا: سلطان قاهر، تتألف برهبتة الأهواء المختلفة، وتجتمع بهيبته القلوب المتفرقة، وتنكف بسطوته الأيدي المتعالية عن غمط حقوق غيرها، وأكلها بالباطل، وتنقمع من خوفه النفوس العادية عن ظلمها وبطشها، والإضرار بأموال غيرها، وإتلافها وتضييعها، لأن في طباع الناس

١- يحيى بن عمر بن لبابة: هو محمد أبو عبد الله مولى آل عبيد الله القرطبي، دارت عليه الأحكام نحو ستين سنة، قال الباجي: أبو لبابة فقيه الأندلس، وأعرف أهلها باختلاف أصحاب مالك، توفي رحمه الله سنة: ٣١٤ هـ - انظر: الديباج: ١٨٩/٢ - الفكر السامي: ١٠٤/٢.

٢- الونشريسي: المعيار، ٤٠٧/٦.

المغالبة والمنافسة على ما آثروه، والقهر لمن عاندوه، ما لا ينفك عنه إلا مانع قوي، وراذع ملي، وقد أفصح المتنبي بذلك عندما قال:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى      حتى يراق على جوانبه الدم  
والظلم من شيم النفوس فإن تجد      ذا عفة فلعلة لا يظلم<sup>(١)</sup>

ثالثاً: عدل شامل يدعو إلى الألفة، ويبعث على الطاعة، وتعمر به البلاد، وتنمو به الأموال وتضان به أملاك الناس، ويأمن السلطان على حكمه، وتأمين الرعية على حقوقها، ولا يخاف فيه الضعيف من ضياع حقه، ولا يجروء القوي على ملك غيره، وقد قال الهرمزان لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه، حين رآه قد نام مبتذلاً: "حكمت فعدلت فأمنت، فمنت"<sup>(٢)</sup>، ولا شيء أسرع في خراب العمران ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً: السنة وتأمين النشاط الاقتصادي وأثرها في حماية الوطن

إن تحقيق الأمن للنشاط الاقتصادي في أي أمة يعزز في أفرادها روح المبادرة والابتكار، ويزيد في قوة الفاعلية والأداء لديهم ويكسبهم القدرة على التحمل، كما انه يعزز في الوقت نفسه النمو والتنمية.

ولا يمكن أن يتصف أي اقتصاد بالفاعلية وبالإنسانية ما لم تتوفر فيه تدابير وإجراءات كافية لتأمين نشاطات الفاعلين فيه والمحركين له؛ حيث يكون بمقدور الناس أن يستجيبوا لتحديات الحياة، ويتكيفوا مع التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي تحيط بهم، ويدبروا عن أنفسهم خطر الكوارث والآفات، ويتمكنوا من تنمية إمكاناتهم البشرية لتوفير حياة أفضل وسبل معيشة أكثر أماناً، ويدعم الاستقرار الاجتماعي الذي يكسب الوطن حصناً منيعاً من أي خطر داخلي أو تهديد خارجي.

١- ديوان المتنبي: ٥٧١.

٢- الماوردي: أدب الدنيا والدين، ١٤١.

٣- انظر: الماوردي: أدب الدنيا والدين، ١٤٧-١٤٦ - صبحي المحمصاني، الدعائم الخلقية، ٣٣٥ -

وبناء عليه كان لمقصد الأمن في النشاط الاقتصادي أثرٌ بالغٌ في سلاسة ذلك النشاط وسيورته ببسر وسهولة؛ سواء من جهة رواج السلع والخدمات وانتعاش الأسواق وازدهارها أو حركة رأس المال بكامل حريته دون خوف من أمر واقع، أو هاجس من أمر متوقع، أو صحة تصرفات المكلفين الاقتصادية وفسادها، وذلك لدخول معنى الأمن في شروطها، وعللها، وأوصافها، فهو شرط في صحة بعض التصرفات ونفاذها، وعلّة في تشريع بعض الأحكام، كما أنه صفة لازمة للأشخاص حتى تصح أفعالهم وأقوالهم في بعض الحالات.

وتحصل هذه الحماية للاقتصاد الوطني بأمرين مهمين:

١ - حسم كل العوائق المعطلة لمسالك الرواج الاقتصادي.

٢ - تقييد تصرفات المكلفين لتأمين النشاط الاقتصادي.

وسأتعرض فيما هو آت لهذين العنصرين بالشرح والتفصيل.

١ - حسم كل العوائق المعطلة لمسالك الرواج الاقتصادي.

والمقصود بالرواج ليس نقل السلع من سوق، إلى سوق أو من مصر إلى مصر فحسب، وإنما الرواج الحقيقي هو إنتاج تلك السلع وإيجادها سواء بطريق الزراعة أو بطريق الصناعة؛ لأنه إذا انعدم الإنتاج فلن تكون هناك سلع، وإذا انعدمت السلع فليس هناك ما يتم ترويجه، حينها تكون البلاد عالة على غيرها من البلدان، وتكون سيادتها مرهونة بيد الدول المزودة لها باحتياجاتها، ما يؤدي إلى انخراط عنصر الحماية واستقلال القرار الوطني، ومن أجل ذلك حثّت السنة المسلمین على الاهتمام بالإنتاج والعناية بمسالكه؛ حيث قال ﷺ: "ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فبأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة"<sup>(١)</sup>، وجاء في الصحيح قوله صلى الله عليه وسل: "ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق منه له صدقة وما أكل السبع منه فهو له صدقة وما أكلت الطير فهو له صدقة ولا يزرؤه أحد إلا كان له صدقة"<sup>(٢)</sup>، وقال

١- أخرجه البخاري: كتاب المزارعة: باب (فضل الزرع والغرس إذا أكل منه) ٤٥/٢ - مسلم: كتاب المساقاة:

باب (فضل الزرع والغرس): ١١٨٨/٣

٢- أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساقاة، الحديث رقم: ٧، ١٨٨/٣.

أيضا: " إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، واستطاع ألا تقوم حتى يغرستها فليغرستها"<sup>(١)</sup>، ولما كان زمن عمر، فكثرت المال، وحدثت الأغطية، فكف الناس عن طلب المعيشة وإصلاح أموالهم، وتعطل إنتاجهم شعر عمر رضي الله عنه بخطر هذا التصرف من أصحابه، وأن مارج بأيديهم من أموال غير دائم، وإنما الذي يدوم إنتاجهم واصطناعهم في أموالهم، فدعاهم لذلك، فقال: " أيها الناس أصلحوا معاشكم؛ فإن فيها صلاحكم وصلة لغيركم"<sup>(٢)</sup>.

ولقد فقه الصحابة، رضي الله عنهم، والتابعون، وأئمة الإسلام من بعدهم، هذا المعنى من الشريعة، فجعلوه أساسا لأحكامهم وتصرفاتهم، فقد كان عمر رضي الله عنه يسقط نصف العشر عن بعض السلع؛ لكي يكثر رواجها في أسواق المدينة، فعن عبد الله ابن عمر قال: " كان عمر يأخذ من النبط من الزيت والحنطة نصف العشر لكي يكثر الحمل إلى المدينة، ويأخذ، ومن القطينة العشر"<sup>(٣)</sup>، وهذا الحط من العشر في الحنطة والزيت، حتى يتمكن من تأمين قوت أهل المدينة، وذكر ابن العربي؛ أن كل من جلب من المعاهدين إلى بلاد الإسلام أخذ منه العشر إلا أن يجلب إلى مكة، فإنه يؤخذ منه نصف العشر مصلحة سببها التحريض والتحضيض على جلب الأقوات إليها، وفائدته كثرته فيها.<sup>(٤)</sup>

واعتبارا لهذا المعنى، ولفعل عمر رضي الله عنه ذهب ابن عبد السلام إلى منع زيادة على العشر في أموال الكفار، وأن لا تؤخذ في السنة إلا مرة واحدة، معللا ذلك بأنه لو خالفنا ذلك لزهدوا في التجارة إلى بلادنا، وانقطع ارتفاق المسلمين بالعشور وبما يجلبونه، مما يحتاج إليه من أموال التجارة والأقوات وغير ذلك<sup>(٥)</sup>.

إن تخفيض عمر رضي الله عنه ما كان يأخذه من النبط من العشر إلى نصف العشر، وكذلك ما قام به أئمة الإسلام من بعد في هذا السياق، فالمقصود به هو تحقيق المصلحة العليا التي تعني الجميع

١- أخرجه البخاري: كتاب المزارعة: باب (فضل الزرع والغرس إذا أكل منه) ٤٥/٢ - مسلم: كتاب المساقاة:

باب (فضل الزرع والغرس): ١١٨٨/٣

٢- ابن أبي الدنيا: إصلاح المال، ١٧٥.

٣- أبو عبيد: الأموال، ٥٦٦ - وانظر ابن عربي: القبس، ٢ / ٨٣٨.

٤- انظر ابن العربي: القبس، ٢ / ٨٣٨.

٥- ابن عبد السلام: قواعد الأحكام، ٢ / ١٥١.

والمتمثلة في الحفاظ على النشاط الاقتصادي متنعشا ومزدهرا، وإقامة حاجات الناس، وتحقيق ارتفاق المسلمين بالعشور، مما يؤدي إلى الاستقرار الاقتصادي والسلم الاجتماعي.

ولإقامة مقصد الرواج والتداول منعت الشريعة أن يكون المال دولة بين فئة قليلة من الناس، يتلقاه الفرع عن الأصل قال تعالى: "كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم"<sup>(١)</sup>؛ لأن انحصار حركة الأموال في دائرة أيادي معينة لا يخدم المصلحة العامة المرجوة من وراء ذلك التداول، ولا يتماشى ومقاصد التشريع ومبادئها لما فيه من حقوق الضرر بالفقراء والمحتاجين، وإفضائه إلى الاختلال الاقتصادي بانحصار ثروة في أيدي محدودة من الناس، والتفكك الاجتماعي بظهور الطبقة الصارخة التي تؤدي إلى الفساد الأخلاقي ما ينعكس على اختلال أمن البلاد والعباد، لنقمة الأغلبية الساحقة المسحوقة على الأقلية المكثرة المتغولة، وهذا ما يحاربه الإسلام بكل الوسائل؛ لأنه مضاد لمصالح الدين ومنافع الأمة، ويهدم كيانها ومقوماتها، ومن هنا جاء تحريم الربا؛ لكونه يؤدي إلى جعل الأموال دولة بين فئة قليلة من الناس وعائقا في وجه التداول الشامل والعام الذي تنشده الشريعة.

وحرصا من الشريعة على إقامة مقصد الرواج وتأمينه في النشاط الاقتصادي عمدت إلى قطع كل الأسباب المفضية إلى انحرامه أو تعطيله، ولعل من أقوى تلك الأسباب حصول الخصومات والمنازعات بين المتعاملين الاقتصاديين والتجار وأرباب السلع والمنتجين لها، وبناء عليه جاء إقرار الشريعة لجملة من الشروط والإجراءات قصد قطع أسبابها وحسم مادتها، بالأمر بتوثيق المعاملات وتخصيص الديون بالذكر في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ)<sup>(٢)</sup>، راجع لكونها من أعظم صور المعاملات، ومن أقوى أسباب رواج الأموال وتداولها بين الأشخاص، ومن هذا القبيل ما جاء عن زيد بن ثابت أنه قال: كان الناس في عهد رسول الله ﷺ يتاعون الثمار، فإذا جذ الناس وحضر تقاضيههم، قال المبتاع إنه أصاب الثمر الدمان، أصابه مرض، أصابه قشام، عاهات يحتاجون بها فقال رسول الله ﷺ، لما كثرت عنده الخصومة (... فلا تتبايعوا حتى يبدو صلاح الثمر)

١- الحشر: ٧.

٢- البقرة: ٢٨٢.

قال زيد بن ثابت كالمشورة يشير بها عليهم لكثرة خصوماتهم<sup>(١)</sup>.

فهذا الحديث يبين لنا أن الرسول ﷺ لما بدأت الخصومات تتزايد عنده وتعاظم، شعر بأن هذا النوع من التعامل قد يؤدي إلى اختلال مقصد رواج الأموال وتداولها.

ونظراً لأهمية مقصد الرواج في تحقيق الأمن الاقتصادي للدولة والمجتمع لم تحصر الشريعة التعامل بالبيع والشراء وغيره من عقود المعاوضات في دائرة المسلمين فقط، مثل ما فعلت في النكاح، بل سمحت للمسلمين بالتعامل مع غيرهم من أهل الديانات الأخرى ومتاجرهم إذا قدموا بأمان<sup>(٢)</sup>، فقد روي عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال: "بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل مشرك مشعار طويل بغنم يسوقها فقال له رسول الله ﷺ: "أبيعا أم عطيه أم هبة" فقال: بل بيع، فاشتري ﷺ شاه<sup>(٣)</sup>، وبوب البخاري رحمه الله تعالى على هذا الحديث باب (البيع والشراء مع المشركين وأهل الحرب).

## ٢ - منع الاحتكار.

إن جريمة الاحتكار هي من أكثر الجرائم قدمًا وأبعدها إيغالاً في تاريخ التبادل التجاري البشري، نظراً لارتباطها بالمعاملات اليومية للناس كافة والمتعلقة بالبيع والشراء للسلع الضرورية والكمالية.

والمقصود بالاحتكار اختزان السلعة وحبسها عن طلابها، والترصص بها حتى يتحكم المختزن في رفع سعرها؛ لقلة المعروض منها وانعدامه فيتسنى له أن يغييها كيفما شاء<sup>(٤)</sup>.

١- أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب (بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها)، ٣٣/٣ - مسلم: كتاب البيوع،

باب (النهي عن بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها)، حديث رقم ١٥٣٤، ١١٦٥/٢.

٢- ابن رشد: المقدمات، ١٥٤-١٥٦ - الونشريسي: المعيار، ٤٣٣/٦ - بدران: العلاقات الاجتماعية،

٢٣٢٢- ابن عبد السلام: قواعد الأحكام، ١٥١ / ٢ - ابن المنذر: الإشراف، ٧٠/١.

٣- أخرجه البخاري: (باب البيع والشراء مع المشركين وأهل الحرب)، ٣٨/٣.

٤- النووي: المجموع: ٤٦ / ١٣.

والاحتكار بهذا المعنى منع السلع الضرورية لحياة الناس، وما يحتاجون إليه، من الوصول إلى أسواق الاستهلاك، كما أنه عمل مضاد لتحقيق مقصد رواج الأموال وتداولها ودورانها بين أيدي الناس، فالاحتكار إذاً أمر يهدد أمن المجتمع وسلامتها إلى حد كبير، وله تأثيرات سلبية على النشاط الاقتصادي وكذلك على الناحية الاجتماعية برمتها، بل إن بعض الدول الكبرى أصبحت تستخدم أسلوب الاحتكار من أجل التحكم في الشؤون السياسية والاقتصادية بل الاجتماعية، في كثير من الحالات للدول الأخرى، ما يؤدي إلى انخراط سيادة الوطنية أو تلاشيها

ومن هنا جاءت النصوص الشرعية ناهية عن هذا التصرف ومحدرة من عواقبه الأخرى؛ حيث قال ﷺ: "لا يحتكر إلا خاطئ"<sup>(١)</sup>، وقال: "الجالب مرزوق والمحتكر ملعون"<sup>(٢)</sup>، وجاء عن مالك، أنه بلغه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "لا حكرة في سوقنا، لا يعتمد رجال بأيديهم فضول من إذهاب إلى رزق من رزق الله نزل بساحتنا فيحتكرونه علينا ولكن أيما جالب جلب على عمود كبده في الشتاء والصيف فذلك ضيف عمر، فليبع كيف شاء الله، وليمسك كيف شاء الله"<sup>(٣)</sup>، وعن مالك أنه بلغه أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان ينهى عن الحكرة<sup>(٤)</sup>.

وفي سلم هذه المعاني يندرج ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى المسجد، فرأى طعاماً منشوراً فقال: ما هذا؟ فقالوا: طعام جلب إلينا، قال: بارك الله فيه وفيمن جلبه، قالوا: قد احتكره فلان وفلان، فدعاها، فقالا له: نشترى بأموالنا ونبيع، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بإفلاس أو الجذام"<sup>(٥)</sup>.  
فقول الصحابيyan: نشترى بأموالنا ونبيع؛ لأنهما كانا يريان أن هذا العمل مما تقتضيه حرية

١- أخرجه مسلم: كتاب المساقاة، باب (تحريم الاحتكار في الأقوات)، ١٢٢٨/٣ - الإمام أحمد: المسند، ٣٥٣/٣.

٢- أخرجه الدارمي: كتاب البيوع، (باب في النهي عن الاحتكار)، ٢ / ٢٤٩ - سنن ابن ماجه: كتاب التجارات، (باب الحكرة والجلب)، ٧٢٨/٢ - أخرجه الحاكم: المستدرک، كتاب البيوع، ١١/٢.

٣- كتاب الموطأ: كتاب البيوع، باب، (الحكرة والتريص)، ٦٥١/٢.

٤- كتاب الموطأ: كتاب البيوع، باب، (الحكرة والتريص)، ٦٥١/٢.

٥- أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٢١/١ - سنن ابن ماجه: كتاب التجارات، باب، (الحكرة والجلب)، ٧٢٩/٢.

التصرف في أموالهما، وليس لأحد تقييدها، حتى ولو كان ولي الأمر، فرد عليهما عمر رضي الله عنه بقوله رضي الله عنه السابق الذكر.

وانطلاقاً من هذه النصوص وأمثالها، اتفق علماء الأمة على منع الاحتكار في الأقوات وما يحتاج إليه الناس من الطعام ما أضر ذلك بهم، ووجه ذلك عندهم أن هذا مما تدعو الحاجة إليه لمصالح الناس، فوجب أن يمنع من إدخال المضرة عليهم باحتكاره.<sup>(١)</sup>

بل أجازت الشريعة لولي الأمر أن يكره المحتكرين على بيع ما عندهم بقيمة المثل عند ضرورة الناس إليه، مثل من عنده طعام زائد عن كفايته وكفاية من يعولهم، فهو لا يحتاج إليه والناس في مخمصة.<sup>(٢)</sup>

ووسع المالكية والظاهرية وأبو يوسف من الحنفية والثوري من سلطة ولي الأمر في تقييد حرية التصرف في هذا الباب، وذهبوا إلى أن الحكرة إذا أضرت بأهل البلد ممنوعة في كل ما لهم حاجة إليه، وضرورة إلى شرائه وكثرته، سواء كان طعاماً أو ثياباً أو أي شيء كان من أنواع الأموال.<sup>(٣)</sup>

وإما أن يكون جالبا للسوق من غير أهل البلد فهذا لا يتعرض له ولا يجبر على بيعه، ولا يمنع من اختزانه وحركته؛ لأنه لم يضر الناس ولا رفع عليهم سعراً، ولا استبد بشيء كان لابد أن يساويهم فيه، بل في منعه من ذلك إضرار به وافتيات عليه؛ لأنه إنما تكلف جلبه وسافر في تخليصه ليبقيه لنفسه فليس لأحد الاعتراض عليه، ومستند هذا قول عمر رضي الله عنه: "ولكن أيما جالب

١- انظر: المعونة: القاضي عبد الوهاب، ١٠٣٥/٢ - المنتقى: الباجي، ١٦/٥ - البيان والتحصيل: ابن رشد، ٢٧٥/١٧ - عارضة الأحوذى: ابن العربي، ٢٢/٦، ٢٣ - المغني: ابن قدامة، ٧٤/٤ - المجموع: النووي، ٤٦/١٣ - شرح مسلم: النووي، ٤٣/١١ - إعلام الموقعين: ابن القيم، ١٥٤/٣ - تحرير الكلام في مسائل الالتزام: الحطاب، ١٤٧، ١٤٨ - إكمال إكمال المعلم: الأبي، ٣٠٥/٤ - مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ١٩٢/٢٩ - نيل الأوطار: الشوكاني، ٢٥١/٥.

٢- انظر: الموافقات: الشاطبي، ٢٦٠/٢ - الطرق الحكمية: ابن القيم، ٢٤٣ - غمز عيون البصائر: الحموي، ٢٨٢/١ - الأموال: العابدي، ٧ - أحكام السوق: أحمد الدريوش، ١٥٧ - مقاصد الشريعة الخاصة بالتصرفات المالية: عز الدين بن زغبة، ٢٦٧.

٣- انظر: المعونة: القاضي عبد الوهاب، ١٠٣٥/٢ - المنتقى: الباجي، ١٦/٥ - عارضة الأحوذى: ابن العربي، ٢٢/٦، ٢٣ - نيل الأوطار: الشوكاني، ٢٥١/٥.

جلب على عمود كبدته في الشتاء والصيف، فذلك ضيف عمر، فليبع كيف شاء الله وليمسك كيف شاء الله<sup>(١)</sup>.

ويرى ابن العربي: أن هذا الحكم الخاص بالجالب مبني على قاعدة المصلحة (مصلحة رواج الأموال والسلع اللازمة لحاجة الناس)، فإن الجالب لو قيل له كما يقال للرجل من أهل السوق إما أن تبيع بسعرنا، وإما أن تقوم من سوقنا، لانقطع الجلب واستضر الناس وعلى هذا انبت مسألة التسعير، ولما لاحظ ابن حبيب من أصحابنا هذه المصلحة وفهم المقصود قال: إن الجالب للطعام لا يمكن أن يبيع إلا بسعر الناس ما خلا القمح والشعير، فانه يكون فيه بحكم نفسه للحاجة ولتمام المصلحة بهما<sup>(٢)</sup>.

فتحريم الاحتكار ومنعه من قبل الشريعة لأنه يؤدي إلى أمور لا تحمد عقباها من تضخم ورداءة السلع وإهدار صحة المستهلكين وضرر مباشر على النشاط الاقتصادي للناس وفيه حد من حرية تدفق المنتجات إلى الأسواق وعرقلة أصحاب القدرات الذين يريدون المنافسة في المجالات المختلفة، ناهيك عن الفساد الاجتماعي الذي يتسبب فيه من انتشار الرشوة وذلك بما يبذلونه من أموال طائلة كي لا يدخل غيرهم في السوق مما يؤدي إلى ظهر الطبقة في المجتمع وشيوع الكراهية المفضية للاختلال الأمن الاجتماعي.

### ٣ - تقييد تصرفات المكلفين لتأمين النشاط الاقتصادي.

ومما يدخل في هذا الباب تقييد الشريعة لحرية التصرف بقيود راجعة إلى حفظ مقاصد الشريعة في الأمة، إما لدرء مفسدة عامة أو مضرة خاصة، ويحصل هذا عندما يكون التصرف نفسه فيه إضرار بالغير، ودليل هذا قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا يمنع فضل الماء ليمنع به فضل الكلاء)<sup>(٣)</sup>، فمنع فضل الماء المملوك جائز؛ لأنه تصرف في المملوك بناء على عدم وجوب المعروف، وهو قول المالكية، ولكن لما اتخذ حيلة لمنع الكلاء الذي حوله، صار منع الماء منهياً عنه؛ لأن الرعاة لا يراعون

١- الإمام مالك: الموطأ، كتاب الحكرة والتريص، ٦٥١/٢.

٢- انظر ابن العربي: القبس، ٨٣٨/٢.

٣- أخرجه مسلم: كتاب المساقاة، باب (تحريم فضل بيع الماء)، ٤٠٨٩، ٢٠٨/١٠.

مكاناً لا ماءً فيه لسقي ماشيتهم.<sup>(١)</sup>

ومما يدخل في هذا الباب؛ رفع التاجر سعر سلعته في السوق فوق سعر عامة تجار السوق، أو الحط من سعرها دون سعرهم، مما يضر بمصالح أهل السوق، فهذا من حق ولي الأمر تقييد حرите في البيع، ويأمره بالبيع بسعر السوق أو الرفع منه، قال ابن رشد: "إن جالب السلع لا خلاف أنه لا يسعر عليه شيء مما جلب للبيع، وإنما يقال لمن اشترى منهم وباع بأعلى مما يبيع به عامة من يجلب، بع بما تبيع به العامة أو ارتفع من السوق، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحاطب بن أبي بلتعة، إذ مر به وهو يبيع زيبيا له في السوق، فقال له: (إما أن تزيد في السعر، وإما أن ترفع من سوقنا) <sup>(٢)</sup>؛ لأنه كان يبيع بدرهم أقل مما كان يبيع به أهل السوق، <sup>(٣)</sup> وبناء على هذا قال مالك رضي الله عنه: "لا خير في التسعير على الناس، ومن حط من سعر الناس أقيم".<sup>(٤)</sup>

والذي يتضح لنا من خلال هذه النازلة أنه ليس لولي الأمر الإقدام على تقييد حرية تصرف الخاصة في أموالهم بالمنع وإكراههم على بذلها لصالح العامة إلا بعد استنفاد الوسائل الممكنة كافة، لبلوغ تلك المصلحة العامة من غير إكراه لأحد، فإن تعذر ذلك صار إلى تقييد حرية الامتناع وإكراه من تقوم المصلحة العامة بما أكره عليه، مع تعويضه عن حقه، وجبر ضرره ما أمكن.

وهذا المعنى مستفاد من حديثه رضي الله عنه المتعلق بصاحب النخلة الموجودة في أرض غيره، وكان غيره يتضرر بدخوله إليها، فأمره رضي الله عنه أن يبيع فأبي، فأمره أن ينافل فأبي، فأمره أن يهب فأبي، فقال: (أنت مضار، اذهب فاقلع نخله)،<sup>(٥)</sup> وعلق الإمام أحمد على هذا الحديث فقال: "كل ما كان من هذه الجهة، وفيه ضرر يمنع من ذلك، فإن أجاب وإلا أجبره السلطان، ولا يضر بأخيه إذا كان ذلك فيه مرفق له".<sup>(٦)</sup>

ومما يندرج من النصوص في هذا السياق وينتظم في عقده ما أخرجه مالك في الموطأ أن

١- انظر: مقاصد الشريعة: ابن عاشور، ٢٩٥.

٢- المعيار: الونشريسي، ٨٤/٥.

٣- المصدر نفسه: ٨٤/٥.

٤- المصدر نفسه: ٤٠٩/٦.

٥- أخرجه أبو داود: كتاب الأقضية، باب (أبواب القضاء)، حديث رقم: ٣٦٣٦: ٥٠/٤.

٦- القواعد: ابن رجب الحنبلي، ١٤٠ - انظر: معالم السنن: الخطابي، ٥٠/٤.

الضحاك بن خليفة ساق خليفًا له من العريض، فأراد أن يمر به في أرض محمد بن مسلمة فأبى محمد، فقال له الضحاك: لم تمنعني وهو لك منفعَةٌ تشرب به أولاً وآخرًا، ولا يضرك؟ فأبى محمد، فكلّم فيه الضحاك عمر بن الخطاب فدعا عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة، فأمره أن يخلي سبيله، فقال محمد: لا، فقال عمر: لم تمنع أخاك ما ينفعه وهو لك نافعٌ تسقي به أولاً وآخرًا وهو لا يضرك؟ فقال محمد: لا والله، فقال عمر: والله، ليمرن به ولو على بطنك، فأمره عمر أن يمر به، ففعل الضحاك<sup>(١)</sup>.

### الخاتمة

وفي الأخير أظن أنني قد أتيت على المقصود من الموضوع، وقد بذلت فيه غاية المجهود، وبهذا العمل آمل أن أكون قد أسهمت إسهامًا متواضعًا في تحقيق رسالة هذه الندوة وكذا المشاركة في إجاز بعض أهدافها.

ومن خلال المدة التي قضيتها في البحث مع هذا الموضوع أجمع شوارده، وأقيد أوابده، وألم أطرافه، وأستخرج أصوله وفروعه، وأحرر معانيه وأفكاره، خرجت بهذه الخلاصة التي اعتبرها نتيجة، وفي الوقت نفسه هي توصية لهذه الندوة الموقرة.

١ - يعد الأمن من أوكذ ضرورات الحياة وأعظمها خطرًا، ومطلبًا فطريًا يسعى الناس إلى تحقيقه وإقامته أفرادًا وجماعات؛ لأنه إذا فقد المجتمع الأمن حل محلّه الخوف الذي يقبض الناس عن مصالحهم، ويحجزهم عن تصرفاتهم، ويكفهم عن أسباب المواد التي بها قيام نفوسهم وانتظام جمعهم، ولما كان نماء الأموال وإصلاحها بالاتجار والاستثمار وانتقالها بين أسواق الأقطار والأمصار مرهون بمدى تحقق الأمن في تلك البقاع والطرق الموصلة إليها كان الأمن شرطًا أساسيًا لنجاح أي نشاط اقتصادي مهما كان نوعه، وعنصرًا ضروريًا لتطور البلدان وازدهارها، فأصبح بذلك الأمن والاقتصاد أمرين متلازمين؛ فلا تنمية اقتصادية دون أمن ولا أمن دون رخاء اقتصادي.

٢ - وللأمن الاقتصادي أهمية عظمى تتعدى أهمية الأمن الصحي والثقافي والغذائي في حماية الوطن وهو ما حرصت عليه السنة النبوية كما بيناه في البحث.

١-الموطأ: كتاب الأفضية، باب (القضاء في المرفق) الأثر رقم: ١٤٦٨.

## فهرس المصادر والمراجع

### أولاً: المخطوطات.

- ١ - عمل من طب لمن حب: مخطوط، (تونس: مكتبة الدكتور محمد أبو الأجنان عليه رحمة الله).
- ٢ - القواعد: مخطوط، (تونس: دار الكتب الوطنية تحت رقم: ١٤٦٨٢).
- ٣ - المقرئ: أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد، (ت: ٧٥٨هـ).

### ثانياً: المطبوعات.

- الإمام أحمد بن حنبل، (ت: ٢٤١ هـ): المسند، سلسلة الكتب الستة، (إسطنبول: دار الدعوة).
- الآبي: عبد الله بن محمد خلفه، (ت: ٨٢٧ هـ): إكمال المعلم، (مصر: مطبعة السعادة، ط. ١، ١٣٢٨هـ).
- الباجي: أبو الوليد سليمان بن خلف، (ت: ٤٧٤ هـ): المنتقى في شرح الموطأ: (بيروت: دار الكتاب العربي، ط. ١، ١٣٣٢ هـ - ١٩٥٢ م).
- البخاري: محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، سلسلة الكتب الستة، (إسطنبول: دار الدعوة).
- الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى: السنن، سلسلة الكتب الستة، (إسطنبول: دار الدعوة).
- ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس، (ت: ٧٢٨هـ).
- مجموع الفتاوى: جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المغرب، مكتبة المعارف.
- رسالة المظالم المشتركة. السعودية: الادارة العامة للطبع والترجمة بالرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط(١)، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- الحجوي: محمد بن الحسن الثعالبي الفاسي، (ت: ١٣٧٦هـ): الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي القاهرة: دار التراث، ط(١)، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.
- الخطاب: محمد بن محمد، (ت: ٩٥٤هـ): تحرير الكلام في مسائل الالتزام، تحقيق عبد السلام محمد الشريف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط: ١، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ ك).

- الخشني: ابن حارث: محمد، (ت: ٣٦١هـ): أصول الفتيا في الفقه على مذهب مالك حقيقه وعلق عليه محمد المجدوب وأبو الأحناف وعثمان بطيخ. تونس: الدار العربية للكتاب، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط(١) ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م
- الخطابي: حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، (ت: ٣٨٨ هـ): معالم السنن مع سنن أبي داود، (إستنبول: دار الدعوة).
- الخلال: أبو بكر أحمد بن محمد البغدادي الخنبلي (ت: ٣١١هـ): الحث على التجارة والصناعة والعمل، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة. حلب سوريا: مكتبة المطبوعات الاسلامية، ط(١) ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- أبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ).
- مسائل الامام أحمد، قدم له وعرف بن رشيد رضا. بيروت: نشر محمد أمين دمج، ط(٢)
- السنن، سلسلة الكتب الستة، (إسطنبول: دار الدعوة).
- الدريوش: أحمد بن يوسف بن أحمد: أحكام السوق، (الرياض: دار العالم الكتب، ط: ١، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م).
- الدمشقي: أبو الفضل مسلم بن علي (ت: في القرن الخامس الهجري): الفروق الفقهية، تحقيق أبو الأحناف وحمزة أبو فارس. بيروت: دار الغرب الاسلامي. ط(١) ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- ابن أبي الدنيا: أبو بكر القرشي البغدادي (ت: ٢٨١هـ): في إصلاح المال، تحقيق ودراسة مصطفى مفلح القضاة. المنصورة: مصر: دار الوفاء للطباعة. ط(١)، ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م
- الدهلوي: ولي الله أحمد شاه، (ت: ١١٧٦ هـ): حجة الله البالغة، قدم له وشرحه وعلق عليه محمد شريف سكر، (بيروت: دار إحياء العلوم، ط. ١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م).
- الرازي: محمد بن عمر بن الحسن أبو عبد الله فخر الدين، (ت: ٦٠٦هـ): التفسير الكبير المعروف بمفاتيح الغيب. مصر: المطبعة البهية: ط(١)، ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م.
- ابن رجب: أبو الفرج عبد الرحمن الخنبلي، (ت: ٧٩٥ هـ): القواعد في الفقه الإسلامي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط. ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م).

## السنة وحماية الوطن من خلال تأمين النشاط الاقتصادي للمجتمع

- ابن رشد: الحفيد/ محمد بن أحمد بن محمد أبو الوليد، (ت: ٥٩٥هـ): بداية المجتهد ونهاية المقتصد، مراجعة الاستاذ محمد شاکر. القاهرة: مطبعة محمد علي صبيح: ط (١).
- ابن رشد: أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي، (ت: ٥٢٠هـ).
- البيان والتحصيل، تحقيق مجموعة من الأساتذة. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط (١)، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- المقدمات الممهدة: تحقيق محمد حاجي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ١).
- الرصاع:، شرح حدود ابن عرفة، تحقيق محمد أبو الأحفان، ومحمد الطاهر المعموري، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط: ١).
- زروق: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد البرنسي، (ت: ٨٩٩هـ): قواعد التصوف، تحقيق عثمان الحويدي (تونس: المطابع الموحدة، ط. ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- ابن سريج: أبو العباس أحمد بن عمر، (ت: ٣٠٦هـ): الودائع لمنصوص الشرائع، دراسة وتحقيق صالح بن عبد الله بن إبراهيم الدويش. نسخة مصورة توجد في المركز الثقافي السعودي بتونس.
- السعدي: عبد الرحمن بن ناصر: القواعد والأصول الجامعة، سلسلة مؤلفات السعدي رقم: ٤، (السعودية: مركز صالح بن صالح الثقافي، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م).
- سعيد أبو حبيب: القاموس الفقهي لغة واصطلاحا. دمشق: دار الفكر، ط (١)، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م
- ابن سلام: أبو عبيد القاسم، (ت: ٢٢٤هـ): كتاب الأموال، تحقيق وتعليق محمد خليل هراس قطر: مطبعة الدوحة الحديثة.
- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن، (ت: ٩١١هـ): الأشباه والنظائر، (مصر: مطبعة مصطفى محمد، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م).
- ابن شاس: جلال الدين عبد الله ابن نجم: عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، تحقيق محمد أبو الأحفان، عبد الحفيظ منصور، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط / ١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م).
- الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، (ت: ٧٩٠هـ): الموافقات في أصول الشريعة: شرح وتحقيق عبد الله دراز، (بيروت: دار المعرفة).

- الشعراي: عبد الوهاب: الميزان: تحقيق وتعليق عبد الرحمن عميرة، (بيروت: دار عالم الكتب، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م).
- العابدي: محمد العلوي: الأموال في الفقه المالكي، (المغرب: دار إفريقيا الشرق، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م).
- ابن عاشور: محمد الطاهر، (ت: ١٣٩٤ هـ).
- التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للتوزيع، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط(١)، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- مقاصد الشريعة الإسلامية، (تونس: الشركة التونسية للتوزيع، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط. ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).
- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ط: ٢، (الشركة التونسية للتوزيع: تونس، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).
- ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي، (ت: ٤٦٣ هـ): الكافي في فقه أهل المدينة، تحقيق وتعليق وتقديم محمد أحمد ولد ساريك الموريتاني. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ط(١)، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ابن عبد الرفيع: أبو إسحاق إبراهيم بن حسن، (ت: ٧٣٣ هـ): معين الحكام على القضايا والأحكام: تحقيق محمد بن قاسم بن عياد، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط: ١، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م).
- عبد الوهاب: القاضي أبو محمد بن علي بن ناصر البغدادي: المعونة على مذهب عالم المدينة، تحقيق حميش عبد الحق، (مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط. ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).
- ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبد الله المالكي الإشبيلي، (ت: ٥٤٣ هـ):
- عارضة الأحوذى شرح صحيح الترمذي، (بيروت: دار العلم للجميع).
- القبس في شرح موطأ مالك بن أنس: دراسة وتحقيق: محمد عبد الله ولد كريم، ط: ١، (دار الغرب الإسلامي: بيروت - لبنان، ٢١٤١ هـ - ١٩٩٢ م).
- عز الدين بن زغبية:
- مقاصد الشريعة الخاصة بالتصرفات المالية، (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ط / ١ / ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م).

## السنة وحماية الوطن من خلال تأمين النشاط الاقتصادي للمجتمع

- تبرع غير المسلمين في مصالح المسلمين التأصيل الشرعي: ط: ١ (دي: دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م).
- عز الدين بن عبد السلام، (ت: ٦٦٠هـ): قواعد الأحكام في مصالح الأنام:، (بيروت: دار الكتب العلمية).
- الغمراوي: محمد: السراج الوهاج، (بيروت: دار الجيل، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)،
- عياض: أبو موسى اليحصبي، (ت: ٥٤٤هـ): ترتيب المدارك، تحقيق أحمد بكير، بيروت: دار مكتبة الحياة، طرابلس: دار مكتبة الفكر.
- ابن فرحون: القاضي برهان الدين إبراهيم بن علي بن أبي القاسم، (ت: ٧٩٩هـ): تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، راجعه وقدم له طه عبد الرؤوف سعد. مصر: مكتبة الكليات الأزهرية، ط (١)، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م وكذلك الطبعة الموجودة على هامش كتاب فتح العلي المالك محمد عيش.
- ابن قدامة: شمس الدين أبو الفرج أبو عبد الرحمن المقدسي، (ت: ٦٨٢هـ): الشرح الكبير على متن المقنع، (بيروت: دار الكتاب العربية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م).
- ابن قدامة: موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسي، (ت: ٦٣٠هـ).
- المقنع في الفقه: طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، (ط: ١)، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م).
- المغني مع الشرح الكبير: (بيروت: دار الكتاب العربية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م).
- القرافي شهاب الدين بن أحمد بن إدريس، (ت: ٦٨٤هـ):
- الذخيرة في الفقه، تحقيق مجموعة من الأساتذة، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط: ١)، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).
- الفروق، قدم له وحققه وعلق عليه عمر حسن القيام، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط: ١)، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنساري: الجامع لأحكام القرآن، (القاهرة: دار الكتب العربية، ١٣٨٧هـ - ١٩١٢م).

- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن الجوزية (ت: ٥١٧هـ):
- إعلام الموقعين، حققه محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار الفكر، ط. ١، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م).
- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: تحقيق محمد حامد الفقي، (بيروت: دار الكتب العلمية).
- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء اسماعيل ابن عمر (ت: ٧٧٤هـ): تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار الجليل).
- ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: السنن، سلسلة الكتب الستة، (إسطنبول: دار الدعوة).
- الإمام مالك بن أنس: الموطأ، برواية يحيى بن يحيى الليثي، صححه ورقمه وخرج أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي. (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م).
- الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد البصري: (ت: ٤٥٠هـ): أدب الدنيا والدين، حققه وعلق عليه مصطفى السقا، بيروت: المكتبة الثقافية.
- محمد علي بن حسين: تهذيب الفروق، مطبوع على حاشية الفروق، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٤٦هـ)،
- المحمضاني: الدعائم الخلقية للقوانين الشرعية (بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الثانية ١٩٧٩
- مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم، سلسلة الكتب الستة، (إسطنبول: دار الدعوة).
- المقرئ: أبو عبد الله: القواعد، تحقيق أحمد بن عبد الله بن حميد، ط: ١، (مكة المكرمة: معهد البحوث العلمية وحياء التراث).
- المكناسي: أبو عبد الله محمد بن عبد الله: مجالس القضاة والحكام والتنبيه والإعلام فيما أفناه المفتون وحكم به القضاة من الأوهام، تحقيق نعيم سالم الكثيري، (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ط / ١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م).
- ابن المناصف: محمد بن عيسى، أعده للنشر عبد الحفيظ منصور: تنبيه الحكام على مآخذ الأحكام، (تونس: دار التركي للنشر، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).

## السنة وحماية الوطن من خلال تأمين النشاط الاقتصادي للمجتمع

- ابن المنذر: محمد بن إبراهيم النيسابوري، (ت: ٣١٨هـ): الاشراف على مذاهب أهل العلم، تحقيق محمد نجيب سراج الدين. قطر: طبع إدارة إحياء التراث الاسلامي، ط(١)، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م
- النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب: السنن، سلسلة الكتب الستة، (إسطنبول: دار الدعوة).
- النووي: يحيى بن شرف، محيي الدين، (ت: ٦٦٧هـ):
  - شرح مسلم (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م).
  - المجموع شرح التهذيب للشيرازي: طبع بمصر.
- الونشريسي: أبو العباس أحمد بن يحيى، (ت: ٩١٤هـ): المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حاجي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط. ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- أبو يعلى: القاضي محمد بن الحسن الفراء، (ت: ٤٥٨هـ): الأحكام السلطانية، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).



"حماية الدخل القومي في السنة النبوية  
وأثر ذلك في حماية الوطن"

الدكتور / محمود فهد أحمد مهيدات  
مدير مكتب إفتاء الكورة/ الأردن





## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين، سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

مما لا شك فيه أن دراسة سنة النبي - ﷺ - وسيرته هي الطريق الذي ينير لنا معالم الحياة بجميع جوانبها، وتحتدي بها إلى أرشد أمورنا، قال تعالى ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ (٥٤) (النور). ويُعدّ الجانب الاقتصادي من الجوانب التي رعتها السنّة، هذا الجانب الذي ينظم حياة الناس الاقتصادية معيشتهم؛ ليحقق لهم حياة كريمة وطيبة، توصل المسلم إلى القناعة، والرضا، والسعادة، والفلاح، والحياة الطيبة في الدنيا وفي الآخرة. قال ﷺ: "قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه"<sup>(١)</sup> وبالتالي تجعل صاحبها يُعِفُّ نفسه ويده عن العبث بمدخرات الوطن، التي تعدُّ من مقومات حماية أمن الوطن والمواطن والمحافظة عليهما.

وبما أن الدخل القومي هو جزء من مدخرات الوطن، فذلك يعني أنّه يدخل تحت الجانب الاقتصادي الذي رعته السنة النبوية الشريفة، وسيوضح ذلك من خلال ما جاء في السنة النبوية من نصوص تكفل المحافظة عليه من العبث به، أو الاعتداء عليه، وبالتالي حماية الوطن من أي انحراف في سلوك الأفراد، الذي قد يؤثر سلبيًا على زعزعة الوطن وأمنه.

وإضافة إلى ما سبق، فإننا نلاحظ أنّ هناك ارتباطاً بين ما جاءت به السنة من نصوص تحافظ بها على دخول الأفراد "أموالهم" وبين حماية الوطن، بمعنى أنّ حماية السنة لدخل الأفراد من الاعتداء عليها والعبث بها وأخذها بغير حق هو حماية للوطن من الاعتداء عليه سواء على أمنه أو مدخراته أو مواطنيه.

وتأتي هذه الورقة لبيان دور السنة النبوية في حماية الدخل القومي، من خلال ما جاء فيها

١- مسلم، كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة، حديث رقم ١٠٥٤.

لحماية دخول الأفراد . التي تشكل مجموعها الدخل القومي . من الاعتداء عليها، وأثر ذلك في توفير الحياة الطيبة التي من شأنها أن تجعل الفرد المسلم مستقيمًا في أخلاقه ومحافظًا على وطنه.

**مشكلة الدراسة:** جاءت هذه الدراسة للإجابة على الأسئلة الآتية:

١ . هل كفلت السنة النبوية حماية دخول الأفراد من الاعتداء عليها؟

٢ . هل كفلت السنة النبوية حماية الدخل القومي؟

٣ . هل حماية السنة النبوية للدخل الوطني حماية للوطن؟

**أهداف الدراسة:** تهدف هذه الدراسة إلى:

١ . بيان النصوص النبوية الشريفة التي تكفل حماية دخول الأفراد من الاعتداء عليها.

٢ . توضيح أثر السنة النبوية في حماية الدخل القومي والمحافظة عليه.

٣ . بيان أنّ حماية الدخل الوطني حماية للوطن.

**أهمية الدراسة:** تبرز أهمية الدراسة من خلال الوقوف على أثر السنة النبوية في حماية الدخل القومي للدولة من خلال بيان النصوص النبوية التي من شأنها حماية دخول الأفراد من الاعتداء عليها، وأنّ حماية الدخل الوطني هو حماية للوطن، وذلك من خلال تحليل تلك النصوص لبيان دورها في حماية الوطن.

**منهج البحث:** تقتضي طبيعة البحث من حيث أهدافه وأهميته اتباع المنهج الاستقرائي أولاً؛ للوقوف على النصوص النبوية ذات العلاقة في موضوع الدراسة. وكذلك اتباع المنهج التحليلي؛ لبيان وجه الارتباط بين حماية دخول الأفراد و حماية الدخل الوطني، وأن حماية دخول الأفراد هي حماية للدخل الوطني.

**الدراسات السابقة:** في حدود بحثي واطلاعي، لم أجد دراسة تناولت هذا الموضوع، وجلّ ما اطلعت عليه من دراسات ومقالات وأبحاث، كانت في حب الوطن، وما يتعلق بذلك من أحكام. لذلك سيكون السبق لهذه الدراسة التي تتناول هذا الموضوع من خلال استقراء للنصوص النبوية ذات الصلة والعلاقة المباشرة، وتحليلها اقتصاديًا دون تكلف أو ربط بما ليس له صلة فيها.

## المبحث الأول: الدخل القومي: مفهومه وأهميته ومصادر دخل الأفراد

يتناول الباحث مفهوم الدخل القومي وأهميته للوطن، ومصادر دخل الأفراد وعلاقتها بالدخل القومي؛ فهو دياحة لمفردات موضوع البحث، وذلك ضمن المطالب الآتية:  
المطلب الأول: مفهوم الدخل القومي وأهميته للوطن:

يُعرف الدخل القومي (national Income) NI لأي اقتصاد على أنه "مجموع الدخول التي يحصل عليها أفراد المجتمع مقابل مساهمتهم في عملية الإنتاج خلال فترة زمنية معينة غالبًا ما تكون سنة. أو بعبارة أخرى، أنه يمثل مجموع دخول الأفراد أو عوائد أصحاب عناصر الإنتاج متمثلة في الربح، والأجور، والفوائد، والأرباح"<sup>(١)</sup>.

والمقصود بأفراد الوطن هم الذين يتمتعون بصفة المواطنة، ويحملون جنسية الوطن من غير الأفراد الأجانب المقيمين داخل الوطن، فدخول هؤلاء الأجانب غير محسوبة في الدخل القومي. وأما الأفراد فهم جميع أفراد الوطن بصفتهم الطبيعية والاعتبارية، مثل: الشركات الخاصة أو لمشروعات العامة نتيجة إسهامهم في العمليات الإنتاجية داخل الوطن.

والدخل القومي نوعان:

أولاً: الدخل القومي النقدي (money national Income) MNI، وهو مقدار ما يكسبه الفرد من دخل مُقاسًا بوحدة نقدية كالدرهم الإماراتي مثلاً.

ثانيًا: الدخل القومي الحقيقي (real national Income) RNI، وهو مقدار ما يحصل عليه الفرد من خدمات و سلع بدخله النقدي<sup>(٢)</sup>.

وبناء على ذلك، فإنّ الأهمية تكمن في ما يمكن أن يحصل عليه الفرد- بوساطة دخله النقدي- من سلع وخدمات، و ليس ما يكسبه من دخله النقدي. ومثال على ذلك، نفترض أن

١- . حسين، مجيد علي، سعيد، عفاف عبد الجبار، مقدمة في التحليل الاقتصادي الكلي، دار وائل،

عمان، ط ١ ٢٠٠٤م، ص ٩٣.

٢- . المرجع السابق، ص ٩٤.

ثمن الشاة الواحدة ١٠٠ دينار، فإنّ الفرد سينفق ١٠٠ دينار من دخله لشراء شاة واحدة. فإذا ارتفع ثمن الشاة، وأصبح ١٢٠ ديناراً؛ فإنّه سيضطر إلى إنفاق ٢٠ ديناراً إضافية لشراء الشاة. فالسلعة ثابتة لم تتغير، ولكن القيمة السوقية ارتفعت بمقدار ٢٠ ديناراً، وهذا يعني أنّ دخله النقدي قد انخفضت قيمته الشرائية، وإن زاد دخله؛ فالعبرة في إشباع الحاجات هي بالدخل الحقيقي، وليس بمقدار الدخل النقدي.

### المطلب الثاني: أهمية الدخل القومي للوطن

تكمن أهمية الدخل القومي لأي دولة في المحاور الآتية:

١. إنه مؤشر لقياس مدى التطور والنمو والتقدم الاقتصادي في أيّ وطن، وقياس ذلك يكون من خلال المقارنة بين حجم النمو الاقتصادي في البلد من سنة لأخرى. وبهذا تستطيع الدولة أن تتبين مدى الزيادة أو النقصان في نموها الاقتصادي.

٢. إنه يوفر قاعدة بيانات تستخدمها الجهات التخطيطية والحكومية؛ لتطبيق سياساتها الاقتصادية المستقبلية وذلك من خلال: تقديرات الدخل القومي، وتحليلها، ودراسة العوامل المؤثرة فيها<sup>(١)</sup>. بمعنى أنّ الدولة التي تهتم بسياساتها الاقتصادية المستقبلية: السياسة المالية، والسياسة النقدية، وسياسة الموارد الطبيعية. الخ لتعزز الأنشطة الاقتصادية في مجتمعها، ودعمها وتوجيهها نحو تحقيق الأهداف الاقتصادية المطلوبة "كالنمية الاقتصادية مثلاً أو علاج التضخم أو تحقيق العمالة الكاملة" - لا بد أن يتوفر لديها البيانات المتعلقة بالدخل القومي من حيث: إجمالي قيمة الدخل القومي، وقيمة الدخل الكلي للدولة، وقيمة الاستهلاك، ومقدار التغير الإيجابي أو السلبي، وكذلك معرفة معدل التغير في الأسعار بين السنة الماضية والحاضرة؛ لمعرفة حجم الدخل القومي الحقيقي. وعلى ضوء تلك البيانات يمكن للدولة تعديل سياساتها الاقتصادية بما يحقق مصالح المجتمع.

٣. له مدلولات اقتصادية هامة في مجالات الرفاهية الاقتصادية<sup>(٢)</sup>، بمعنى أنه مقياس لمستوى

١- صالح، تومي، مبادئ التحليل الاقتصادي الكلي، (د، ت) (د، ط)، ص، ٤٥ بتصرف.

٢- المرجع السابق، ص ٤٥.

رفاهية الأفراد، وذلك من خلال معرفة معدل نمو متوسط دخل الفرد الحقيقي، الذي هو عبارة عن خارج قسمة الدخل الوطني على عدد السكان، باعتبار أن متوسط الدخل الحقيقي للفرد يَبِّن الصورة الأدق للتغيرات التي طرأت على مستوى المعيشة<sup>(١)</sup>، فالعلاقة بينهما علاقة طردية: يرتفع مستوى الرفاهية والمعيشية للأفراد بارتفاع مستوى الدخل القومي، وهذا من شأنه أن يسد منافذ الشهوات والتطلعات الضارة للاستهلاك.

٤. إنه يساعد على تحقيق عدالة التوزيع، وذلك من خلال استعانة الدولة بإحصاءات الدخل القومي وبياناته، وبخاصة الأجور والأرباح، أي النصيب الذي يعود لعوامل الإنتاج نتيجة لمساهمتها في الناتج الوطني المتمثل في العوائد التي تتلقها من رواتب وفوائد وريع وأرباح<sup>(٢)</sup>. وهذا مما يساعد الدولة على اتخاذ التدابير المناسبة لمعالجة عدم المساواة في توزيع الدخل.

### المطلب الثالث: مصادر دخل الأفراد وعلاقتها بالدخل القومي

أشرنا سابقاً إلى أن الدخل القومي هو "مجموع الدخول التي يحصل عليها أفراد المجتمع مقابل مساهمتهم في عملية الإنتاج خلال فترة زمنية معينة سنة في الغالب. أو بعبارة أخرى، أنه يمثل مجموع دخول الأفراد أو عوائد أصحاب عناصر الإنتاج متمثلة في الربح والأجور والفوائد والأرباح"<sup>(٣)</sup>.

من خلال هذا التعريف، يتبين أن مصادر دخل الفرد أو الأفراد في أي مجتمع هي بمقدار مساهمته في عناصر الإنتاج، وهذا ما يسمى بالتوزيع الوظيفي الذي يقصد به تحديد عناصر الإنتاج في الدخل القومي على أساس الوظيفة التي أداها كل عنصر في تحقيق هذا الدخل<sup>(٤)</sup>، أي عملية قسمة قيمة الناتج المتحقق بين المساهمين في العملية الإنتاجية كل بحسب إسهامه "وظيفته"<sup>(٥)</sup>.

١- صخري عمر، التحليل الاقتصادي الكلي ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط ٥، ٢٠٠٥، ص ٣١.

٢- المرجع السابق، ص ٣١.

٣- حسين، مجيد علي، وسعيد، عفاف عبد الجبار، مرجع سابق، ص ٩٣.

٤- الشباني، محمد عبد الله، المشكلة الاقتصادية وعلاجها من المنظور الإسلامي ٣، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي عدد ٧٩٥، ص ٣٤.

٥- الشباني، عبد الجبار، الاقتصاد الإسلامي: التوزيع، الموقع الشخصي، al-sabhany.com

ص (١).

وبهذا يتّضح لنا أنّ عوائد عناصر الإنتاج تعدّ من مكونات الدخل القومي، وقد حصر اقتصاد السوق عناصر الإنتاج بالعمل، ورأس المال، والأرض، والتنظيم والإدارة. وبالطبع لكل منها عائد يعود على كل من يساهم في عملية الإنتاج، كل بحسب مساهمته في العملية الإنتاجية، وهذا لا خلاف عليه بين النظرية الاقتصادية الإسلامية والنظرية الاقتصادية التقليدية من حيث الكم والنوع أي أنّها أربع ومحددة بالعمل، والأرض، ورأس المال، والتنظيم والإدارة. ولكن النظرية الاقتصادية الإسلامية ضبطتها بضوابط شرعية؛ تحقيقاً لعدالة التوزيع الوظيفي بين دخول الأفراد، ومن ثمّ أضافت عليها "التوزيع الابتدائي، وهو نشأة حق التملك أو الاختصاص بالموارد قبل عملية الإنتاج كنظام الإقطاع، وإحياء الموات. ويقصد بإعادة التوزيع هو عملية سحب جزء من الدخل الموزعة وظيفياً، وإعادة دفعها إلى مستحقين آخرين وفق اعتبارات غير وظيفية: اجتماعية أو إنسانية مثل الزكاة والصدقات. . الخ<sup>(١)</sup>.

**وخلاصة القول:** إنّ مصادر دخل الأفراد في الاقتصاد الإسلامي غير محصورة في عوائد عناصر الإنتاج "التوزيع الوظيفي" إنّما في عوائد عمليات التوزيع كلها: الابتدائي، والوظيفي، وإعادة التوزيع، والتي تشكل مجموعها حجم الدخل القومي للدولة.

**أما العلاقة** بين حماية مصادر دخول الأفراد، وحماية الدخل الوطني فيمكن توضيحها على النحو الآتي:

الدخل القومي هو "مجموع الدخول التي يحصل عليها أفراد المجتمع مقابل مساهمتهم في عملية الإنتاج خلال فترة زمنية معينة سنة في الغالب. أو بعبارة أخرى، أنه يمثل مجموع دخول الأفراد أو عوائد أصحاب عناصر الإنتاج متمثلة في الربح، والأجور، والفوائد والأرباح"<sup>(٢)</sup>، وأنّ مصادر دخل الأفراد في الاقتصاد الإسلامي ليس منحصراً فقط في عوائد عناصر الإنتاج "التوزيع الوظيفي" إنّما في عوائد عمليات التوزيع كلها: الابتدائي، والوظيفي و إعادة التوزيع. وأنّ السنة النبوية قد شرعت لها أحكاماً تحافظ عليها، وتضبطها، فإنه يتبين لنا أنّ حماية السنة لمصادر دخول الأفراد هي حماية للدخول نفسها. وعليه يمكن القول: إنّ حماية السنة النبوية لمصادر دخول الأفراد هي حماية للدخل القومي. وسيأتي تفصيل ذلك لاحقاً.

١- المرجع السابق، ص ٢.

٢- حسين، مجيد علي، سعيد، عفاف عبد الجبار، مقدمة في التحليل الاقتصادي الكلي، مرجع سابق، ص ٩٣.

## المبحث الثاني:

### حماية السنة النبوية لمصادر دخول الأفراد من جانبي الوجود والعدم

بعد بيان ما يتعلق بالدخل القومي من حيث: مفهومه، وأهميته للوطن، ومصادر دخل الأفراد وعلاقتها بالدخل القومي، سنتناول في هذا المبحث دور السنة النبوية في حماية مصادر دخول الأفراد من جانبي الوجود والعدم، وذلك من خلال استقراء مصادر السنة ومظاهرها، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

#### المطلب الأول: حماية السنة النبوية لدخول الأفراد من جانب الوجود:

حماية السنة النبوية لدخول الأفراد من جانب الوجود يكون بفعل ما به قيامها وثباتها<sup>(١)</sup>، أي أنّ السنة النبوية شرعت أحكاماً من شأنها أن تحافظ على بقاء مصالح العباد وثباتها التي دخول الأفراد جزءاً منها، وذلك من خلال ما جاءت به السنة النبوية من نصوص نبوية كفلت هذا المقصد، وهي ما يلي:

١. ثبوت الحق للفقراء في أموال الأغنياء؛ فقد أثبتت السنة النبوية للفقراء حقاً مالياً في مال الأغنياء عبر آلية الزكاة، وجاء ذلك على لسان النبي - ﷺ - حينما بعث معاذاً - رضي الله عنه - إلى اليمن قائلاً له: "فأعلمهم أنّ الله افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم، وترد على فقرائهم"<sup>(٢)</sup>. فإثبات هذا الحق للفقراء في مال الأغنياء، هو حفظ السنة لدخول الفقراء من جهة الوجود.

٢. كفالة حق العامل "الموظف العام" لمقومات الحياة؛ قال عليه الصلاة والسلام: "من كان لنا عاملاً، فلم يكن له زوجة فليكتسب زوجة، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادماً، فإن لم يكن له مسكن، فليكتسب مسكناً، ومن اتخذ غير ذلك فهو غالٍ وسارق"<sup>(٣)</sup>.

١- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، دار عفان، ط ١، ١٩٩٧م، ج ٢، ص ١٨.  
٢- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ج ٢، ص ١٠٤، حديث رقم ١٤٩٩.  
٣- ابن خزيمة أبو بكر محمد بن إسحاق، صحيح ابن خزيمة، كتاب الزكاة، باب إذن الإمام للعامل بالتزويج واتخاذ الخادم والمسكن ج ٤، ص ٧٠، رقم الحديث ٢٣٧٠، تحقيق الأعظمي، وقال: حديث صحيح.

مقومات الحياة هي: الزوجة، والمسكن، والمركب، والخدام. ولا شك أنّ لهذه المقومات تكلفة مالية تكون على حساب دخل العمال. وعليه فحينما تكفل الدولة هذه المقومات لعمالها، فإنّ تلك التكلفة التي كان سيدفعها العمال من دخلوهم - في حال عدم توفيرها من قبل الدولة لهم - هي حفظ لجزء من دخلوهم، وبالتالي حفظ لجزء من مصادر الدخل القومي.

٣. وضع الجائحة؛ قال عليه الصلاة والسلام: " لو بعث من أخيك ثمراً فأصابته جائحة، فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئاً، بم تأخذ مال أخيك بغير حق؟<sup>(١)</sup>. و(الجائحة) هي تلف الثمر أو الزرع قبل موعد الجذاذ بأفة سماوية كالبرد الشديد ونحوه. وفي هذه الحالة أوجبت السنة النبوية على البائع - في حال باع الثمر قبل بدو صلاحه فأصابه تلف قبل الجذاذ- أن يرد الثمن إلى المشتري، وهذا يعني أنّه استرد جزءاً من دخله الذي سبق أن دفعه إلى البائع، وهذا الاسترداد حفظ للدخل، وبالتالي لمصادر الدخل القومي.

٤. الحث على العمل؛ قال عليه الصلاة والسلام: " ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإنّ نبي الله داود - عليه السلام - كان يأكل من يده"<sup>(٢)</sup>. ويعدّ العمل من أهم عناصر الإنتاج، الذي هو مصدر رئيس من مصادر دخول الأفراد. لذلك نجد السنة النبوية قد جعلت ريعه من أفضل الكسب للإنسان؛ فحثت عليه، ورغبت به، ورفعت مكانته، وعظمت من شأنه. وهذا الترغيب هو توجيه لكل فرد من أفراد المجتمع أن يعمل وينتج؛ ليأكل من كسب يده. ويؤكد هذا قوله عليه الصلاة والسلام: "لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو- أحسبه قال إلى الجبل - فيحتطب، فيبيع، فيأكل، ويتصدق خير من أن يسأل الناس"<sup>(٣)</sup>. وكل هذا من شأنه زيادة الدخل للفرد، الذي هو مصدر من مصادر الدخل.

٥. الحث على استغلال الأرض واستثمارها؛ قال عليه الصلاة والسلام: " من كانت له أرض

١- مسلم، صحيح مسلم، كتاب البيوع، باب فضل الغرس والزرع، ج٢، ص١٩٩٠، حديث رقم ١٥٥٤.

٢- البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، ج٣، ص٥٧، حديث رقم ٢٠٧٢.

٣- البخاري، صحيح البخار، كتاب الزكاة، باب في قول الله تعالى «لا يسألون الناس إلحافاً» ج٢، ص١٢٣، حديث رقم ١٤٨٠.

فليزرعها أو ليمنحها أخاه، فإن لم يفعل فليمسك أرضه"<sup>(١)</sup>. تعدّ الأرض -كذلك- عنصراً من عناصر الإنتاج، وبالتالي فإن ريعها مصدر من مصادر الدخل للفرد. ومن هنا نجد السنة قد وجّهت أصحاب الأراضي إلى استغلال الأرض واستثمارها بالزراعة، سواءً بنفسه أو من خلال أخيه في حال عجزه عن استثمارها، وذلك للبقاء على استمرار ريع الأرض بالتدفق على صاحبها أو على أخيه، وليس هذا فحسب، بل إنّ السنة حثت على إحياء الأرض الموات، قال عليه الصلاة والسلام: "من أعمار أرضاً ليست لأحدٍ فهو أحقُّ" (البخاري، صحيح البخاري، كتاب المزارعة باب من أحيا أرضاً مواتاً، ج ٣، ص ١٠٦، حديث رقم ٢٣٣٥). وإحياء الموات هو استصلاح الأراضي الموات، التي لم يجر عليها ملك سابق لأحد، وجعلها أرضاً صالحة للزراعة. وفي هذا الإحياء إيجاد مصدر دخل جديد لمن ليس له رأس مال؛ لأنّ بالإحياء استعادة قدرة الأرض على الإنتاج، ولإنتاج ريع آخر لأفراد المجتمع. وفي كل الأحوال تشجيع للإنسان على العمل والكسب، وهما من مصادر الدخل. وبذلك زيادة وحماية لمصادر دخول الأفراد.

٦. تحريم الكنز؛ قال عليه الصلاة والسلام: "يكون كنز أحدكم يوم القيامة شجاعاً أقرع"<sup>(٢)</sup>. وكنز المال هو المال الذي يؤدي زكاته الواجبة، وهو منافٍ للحكمة التي خلق الله تعالى المال لأجلها؛ ولأجل هذا حرمت السنة كنز المال إلا إذا أدى زكاته. وفي هذا زيادة لدخول الأفراد من ناحيتين:

- الأولى: أنّ صاحب المال سيدفع الزكاة لمستحقيها، وهم بدورهم سيضخونها في الأسواق؛ مما سيكون له دور في زيادة الدخل من خلال زيادة الطلب الفعال على السلع والخدمات، وبالتالي يزيد الإنتاج. . الخ.
- الثانية: أنّ دفع الزكاة ستدفع أصحاب الأموال إلى استثمار أموالهم حتى لا تستهلكها الزكاة، وبالطبع سيكون للاستثمار ريع يعود على كل من ساهم في عمليات الاستثمار من الأفراد. وكل هذا يصب في وعاء دخولهم، وبالتالي في وعاء الدخل القومي.

---

١- البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كراء الأرض، ج ٣، ص ١٠٧، حديث رقم ٢٣٤١.  
٢- البخاري، صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن، باب قول الله والذين يكنزون الذهب، ج ٦، ص ٦٥، حديث رقم ٤٦٥٩.

## المطلب الثاني: حماية السنة لدخول الأفراد من جانب العدم

حماية السنة النبوية لدخول الأفراد من جانب العدم، يكون بترك ما به تنعدم، أي بما يدرأ عنها الإخلال الواقع عليها أو المتوقع فيها<sup>(١)</sup>. بمعنى أنه جاء في السنة نصوص من شأنها حماية دخول الأفراد من انعدامها وتلاشيها، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

١. تحريم الاعتداء على أموال الناس؛ قال عليه الصلاة والسلام: "إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا"<sup>(٢)</sup>. ولأهمية المال في حياة الناس، حذر النبي - عليه الصلاة والسلام - من الاعتداء عليه؛ فلا يحل لأحد أن يأخذ من مال أخيه المسلم شيئاً دون حق بغض النظر عن نوع المال أو قيمته. وما هذا التحريم إلا حماية لأموال الناس "دخولهم" من الاعتداء عليها.

٢. وجوب الوفاء بالأجر؛ عن أبي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرّاً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره"<sup>(٣)</sup>. الإجارة من أنواع ما يكون على عمل معلوم بعوض معلوم، فهي مصدر من مصادر دخول الأفراد؛ لذلك فالله تعالى يعلن الحرب على أي مستأجر استوفى من الأجير ولم يعطه أجرته؛ وذلك حماية لأجور المُستأجرين "العمال" من الاعتداء عليها.

٣. تحريم الغش والتدليس ولو من غير قصد؛ مرّ النبي ﷺ على صبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنال أصابعه بللاً فقال: "ما هذا يا صاحب الطعام؟ فقال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: أفلا جعلته فوق الطعام؛ كي يراه الناس. من غش فليس مني"<sup>(٤)</sup>. حينما يحذر النبي - عليه السلام - من الغش والتدليس في عمليات البيع، فذلك لأنّ الغش سيكون سبباً من أسباب ضياع لجزءٍ من دخول الأفراد، ويتمثل ذلك بعدم مساواة البضاعة للثمن الذي دفعة؛ مما قد

١- الشاطبي، الموافقات، ج ٢، ص ١٨.

٢- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، ج ٢، ص ١٧٦، حديث رقم ١٤٧١.

٣- البخاري، كتاب الإجارة، باب إثم من منع أجر الأجير، ج ٣، ص ٨٩، حديث رقم ٢٢٧٠.

٤- مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي: من غشنا فليس منا، ج ١، ص ٩٩، رقم ١٠٢.

يضطر إلى شراء كمية أخرى لسد حاجته من تلك البضاعة، والتمن الذي دفعه مرة ثانية هو نقص من دخله. وعليه فانتهاء الغش من جميع عمليات البيع هو وسيلة من وسائل حماية دخول الأفراد من الاعتداء عليها. ومما يؤكد هذا كذلك إرشاده - ﷺ - للذي يرغب بالبيع أن يشترط عدم الخديعة عند البيع، فعن ابن عمر - ﷺ - أن رجلاً ذكر للنبي - ﷺ - أنه يخدع في البيوع، فقال: "إذا بايعت فقل: لا خلافة"<sup>(١)</sup>. والخلافة: الخديعة، والمقصود أن النبي ﷺ أرشد الرجل الذي يخدع في البيع، وغالبًا في الثمن، إلى التحوط من المخادعة في البيع، وهذا يعني أنه سيشتري حاجاته بسعر المثل دون زيادة. وبهذا التحوط حماية لدخله الحقيقي، وهو مقدار ما يستطيع أن يحصل عليه من خدمات وسلع بدخله النقدي.

٤. النهي عن مماطلة الدائن؛ قال ﷺ: "مطل الغني ظلم، وإذا أتبع أحدكم على مليّ فليتبع"<sup>(٢)</sup>. المماطلة في سداد الدين هو التأخر بالسداد من غير عذر. لذلك اعتبرت السنة مماطلة الدائن، وإن كان غنيًا، ظلمًا من المدين للدائن؛ لأنّ المماطلة تعني تجميد أموال الدائن، ومن ثم تعطيله عن الاستثمار، فضلًا عن تحميل الدائن تكاليف باهظة بسبب قلة الربحية من جهة، وعدم قدرته عن التوسع بتجارته لقلّة السيولة، وكلتا الحالتين فيهما إضاعة لفرص استثمارية للدائن، وبالتالي يفوت عليه جزء كبير من العوائد؛ لذا منعت السنة المماطلة؛ حماية لدخول الدائنين، ومحافظة عليها من انعدامها وضياعها.

٥. قطع يد السارق؛ قال ﷺ: "تقطع يد السارق في ربع دينار"<sup>(٣)</sup>. يد الإنسان فيها نصف الدية، ولكنها تقطع بربع دينار إذا سرقه صاحبها، فالعاقل يعفُّ يده عن أموال الناس؛ محافظة على يده من القطع، وحينما يصبح هذا الخوف عند أفراد المجتمع خوفًا من القطع تحفظ الأموال من الاعتداء عليها.

١- البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب ما يكره من الخداع في البيع، ج ٣ ص ٦٥، حديث رقم ٢١١٧.

٢- البخاري، صحيح البخاري كتاب الحوالات، باب الحوالة، ج ٣، ص ٩٤، حديث رقم ٢٢٨٧.

٣- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب قول الله تعالى «والسارق والسارقة» ج ٨، ص ١٦٠، حديث رقم ٦٧٩١.

٦. تحريم الاحتكار؛ قال ﷺ: "لا يحتكر إلا خاطئ"<sup>(١)</sup>. والاحتكار شرعاً هو إمساك الطعام عن البيع، وانتظار الغلاء مع الاستغناء عنه وحاجة الناس إليه<sup>(٢)</sup>. فالاحتكار إذاً سبب في ارتفاع الأسعار، وارتفاع الأسعار يعني انخفاض القوة الشرائية للنقود، وبالتالي انخفاض حجم الدخل الحقيقي للأفراد؛ لذا فمنع الاحتكار والتحذير منه حماية للقوة الشرائية للنقود، وبالتالي حماية دخول الأفراد من الانعدام.

٧. النهي عن تلقي الركبان وعن بيع الحاضر لباد؛ عن ابن عمر رضي الله عنهما "أن رسول الله ﷺ نهي أن تتلقى السلع حتى تبلغ الأسواق"<sup>(٣)</sup>. الركبان هم من يأتون بالسلع إلى سوق البلد من غير أهله، ويتلقاهم بعض التجار قبل وصولهم إلى السوق، فيشترون منه سلعتهم، دون أن يعلموهم بسعر السوق الحقيقي غالباً، وفي هذا ضرر من ناحيتين: الأولى يقع على "الركبان"، وهو حرمانهم من جزء من الثمن الحقيقي لسلعتهم، والثاني يقع على أهل السوق لاحتمالية أن يحتكر المشتري السلع، فيمنع غيره ممن يريد الشراء فيضره، ومن ثم يتحكم بالسعر الذي يريد، وهذا ضرر على عامة الناس. لذا، فالسنة راعت هذه المصلحة؛ فمنعت هذا النشاط، وذلك حماية لدخول الفرد وصيانتها من الانعدام، وكذلك الحال بالنسبة لبيع الحاضر للبادي، قال ﷺ: "لا يبيع حاضر لباد"<sup>(٤)</sup>. لما سُئِلَ ابن عباس عن بيع الحاضر لباد قال: لا يكون له سمساراً<sup>(٥)</sup>، فكما أنه يمكن أن يخدع الجالب بالثمن، يمكن السمسار أن يخدع البادي بالثمن، وبهذا يقع الضرر عليه، وعلى أهل السوق، وعلى عامة الناس، كما بينا في مسألة تلقي الركبان، لذا فهذا النهي من شأنه حماية دخول الأفراد من الاعتداء عليها، والأخذ منها بغير حق.

١- مسلم، صحيح مسلم، كتاب البيوع، باب تحريم الاحتكار في الأقوات، ج ٣، ص ١٢٢٧، حديث رقم ١٦٠٥.

٢- ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب ما يذكر في بيع الطعام والحكرة، ج ٤، ص ٢٤٨.

٣- مسلم، صحيح مسلم، كتاب البيوع، باب تحريم تلقي الجلب، ج ٣، ص ١١٥٦، رقم الحديث ١٥١٧.

٤- مسلم، صحيح مسلم، كتاب البيوع، باب تحريم بيع الحاضر للباد، ج ٣، ص ١١٥٧، حديث رقم ١٥٢٠.

٥- ابن بطلان، شرح صحيح البخاري، ج ٦، ص ٤٠٠.

٨. النهي عن الإسراف؛ قال النبي ﷺ: "كلوا، واشربوا، والبسوا، وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة"<sup>(١)</sup>، حقيقة الإسراف: "مجاوزه الحد في كل فعل أو قول وهو في الإنفاق أشهر. والحديث مأخوذ من قوله تعالى ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الاعراف ٣١)"<sup>(٢)</sup>، وعليه، فإن الفرد حينما يتجاوز الحد في مأكله وملبسه ومسكنه، فهو تكلفة زائدة، وهذه التكلفة هي في الأصل جزء من دخله، وبالتالي حينما ينفقها في غير محلها يكون قد هدر وأضاع جزءاً من دخله، فضلاً عن أنه قد يحتاج إلى الاقتراض ليسد حاجة طرأت له لا يملك ثمنها، فيصبح عندئذ عجزاً في دخله. فنهى السنة عن هذا السلوك في الإنفاق حماية وحفظ لدخله من الهدر والضياع.

### المبحث الثالث:

## دور التشريعات الاقتصادية لحماية الدخل القومي في حماية الوطن

بعد الانتهاء من استعراض النصوص النبوية الشريفة، ودورها في حماية مصادر دخول الأفراد من جانبي: الوجود والعدم؛ نتبين في هذا المبحث دور التشريعات النبوية الاقتصادية ذات العلاقة بحماية الدخل القومي وأثرها في حماية الوطن. ولكن قبل ذلك لا بد أن نتبين مفهوم كل من: الوطن، وحماية الوطن، والأمن الفكري، والأمن الاقتصادي؛ وذلك توطئة لفهم علاقة حماية السنة للدخل الوطني حماية لأمن الوطن. وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

### المطلب الأول: مفهوم حماية الوطن والمصطلحات المترادفة

الوطن هو المنزل الذي تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحلّه. والجمع أوطان، ومنه أوطن فلان أرض كذا وكذا أي اتخذها محلاً ومسكناً يقيم فيها.

أما المَواطن فكل مقام قام به الإنسان لأمر فهو موطن<sup>(٣)</sup>، فالوطن إذاً هو المكان الذي ينتمي إليه الإنسان، ويقيم فيه، ويعيش على ترابه، ويتربى فيه.

١- البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب قول الله تعالى: «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده»، ج٧، ص١٤٠.

٢- الصنعاني، محمد بن إسماعيل، سبل السلام، ج٢، ص٦٢١.

٣- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ج١٣، ص٤٥١.

حماية الوطن، فالحماية تعني إبعاد الخطر عن الوجود الإنساني أو عن شيء موضوع الحماية<sup>(١)</sup>. وعليه فحماية الوطن تعني إبعاد كافة الأخطار. الأمنية والسياسية والدينية "التطرف" والاقتصادية. التي تخل بأمن الوطن، وتُضيق على المواطنين معيشتهم.

أما الأمن الفكري فهو "الاطمئنان إلى سلامة الفكر من الانحراف الذي يشكل تهديداً للأمن الوطني، أو أحد مقوماته الفكرية، والعقدية، والثقافية، والأخلاقية، والأمنية"<sup>(٢)</sup> لذا "فصحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله تعالى التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطي عبد عطاءً بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما"<sup>(٣)</sup>.

الأمن الاقتصادي هو أن يتحقق للفرد المستوى المعيشي الملائم "حد الكفاية" بحيث يملك الوسائل التي تمكنه من إشباع حاجاته الأساسية، وتهيئ له حياة آمنة ومستقرة<sup>(٤)</sup>. وعرف كذلك بأنه "تأمين الموارد والاحتياجات والمستلزمات التي تعطي الأمن والاستقرار، وتحفظ النفس، وتأمين وسائلها وطرق وصولها"<sup>(٥)</sup>. وعليه، يمكن القول: إن الأمن الاقتصادي يعني توفر مستوى جيد من الرفاهية والعيش الكريم لأفراد الدولة، وطريق تحقيق هذا وجود حجم دخل قومي مرتفع ومستقر. فالأمن الاقتصادي مرتبط بدخل قومي حقيقي ومرتفع وجوداً وعدمًا؛ فالعلاقة عكسية بينهما، لذا فحينما نتكلم عن الأمن الاقتصادي، فإننا نتكلم عن دخل قومي حقيقي إيجابي.

١- وردا، باسكال، الحماية: السبب الأساسي في انعدام الحماية هو الأحزاب السياسية، مؤتمر الأمم المتحدة، حماية الأقليات، ٢٠١٤، ص ١.

٢- المالكي، عبدا لحفيظ، نحو مجتمع آمن فكريًا، المؤتمر الأول للأمن الفكري «شعار المفاهيم والمصطلحات»، جامعة الملك سعود، ١٤٣٠هـ، ص ٥٣.

٣- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩١، ج ١، ص ٦٨.

٤- الحارثي، جريية بن أحمد، العلاقة بين الأمن الاقتصادي والأمن الفكري «مدخل إسلامي» مجلة الاستراتيجية والتنمية، ٢٠١٦، ص ١٠٢.

٥- سقا، مرهف عبد الجبار، قراءة في مفهوم الأمن الاقتصادي في القرآن الكريم، مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية، ٢٠١٨، ص ٣.

## المطلب الثاني : دور حماية الدخل الوطني في حماية الوطن

بعد بيان مفهوم كل من الوطن، وحماية الوطن، والأمن الفكري، والأمن الاقتصادي؛ نتبين في هذا المطلب أثر حماية السنة للدخل القومي في حماية الوطن، وذلك على النحو الآتي:

إذا ما أمعنا النظر في الكتاب والسنة النبوية، سنجد ارتباطاً وثيقاً بين الأمن الاقتصادي - المتحقق بحجم واستقرار الدخل القومي - وبين الأمن من الخوف من أي خطر يهدد أمن الوطن والمواطن، قال تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۚ ﴾ (قریش ٤٣). ففي الآية جمع بين إطعامهم من جوع وآمنهم من خوف نعمة عظيمة؛ لأن الإنسان لا ينعم ولا يسعد إلا بتحصيل النعمتين معاً، إذ لا عيش مع الجوع، ولا أمن مع الخوف، وتكمل النعمة باجتماعهما<sup>(١)</sup>. وجاءت السنة النبوية تؤكد هذا الارتباط بقوله ﷺ: "من أصبح آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا"<sup>(٢)</sup>. وعليه فإن هذا الارتباط يبين لنا أن العلاقة بين تحقق الأمن الاقتصادي . توفر مستوى عيش كريم "حد الكفاية" وبين تحقق الأمن من الخوف . حماية الوطن من الأخطار . علاقة تكاملية بمعنى أن كلاً منهما شرط ضروري للآخر، فلا عيش كريم إلا بتوفر الأمن، ولا أمن إلا بتوفر العيش الكريم. وتفصيل ذلك من خلال تحليل النصوص النبوية التي كفلت حماية دخول الأفراد "الدخل القومي" من خلال حماية مصادرها التي سبق بيانها سابقاً، وبيان ذلك على النحو الآتي:

بيننا سابقاً أن أي دولة - حتى يتسنى لها وضع سياستها الاقتصادية المستقبلية "كالسياسة المالية، والسياسة النقدية، وسياسة الموارد الطبيعية. . الخ" لتؤثر في الأنشطة الاقتصادية في مجتمعها وتوجيهها؛ لتحقيق الأهداف الاقتصادية المطلوبة "كالتنمية الاقتصادية مثلاً أو علاج التضخم أو تحقيق العمالة الكاملة - لا بد من الاعتماد على البيانات التي تبين حجم الدخل القومي، وأنّ الدخل القومي هو مؤشر لقياس مدى التطور والنمو والتقدم الاقتصادي لأي دولة، وأنه مقياس مستوى رفاهية الأفراد من خلال معرفة معدل نمو متوسط دخل الفرد الحقيقي، وأنه يساعد على

١- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، (د)، ط ١٩٩٥، ج ٩، ص ١١٢.

٢- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، ج ٤، ص ٥٧٤.

تحقيق عدالة التوزيع- كل هذه الأهداف يعتمد تحقيقها على حجم الدخل القومي الحقيقي. وبالتالي، فكلما كان حجم الدخل القومي الحقيقي مرتفعاً كلما تحقق أعلى مستوى من رفاهية الأفراد، وتوفّر العيش الكريم لهم، ولا شك أنّ ذلك سينعكس أثره على فكر المواطنين، فيصلح فهمهم، ويحسن قصدهم، لأنّ من أهم الأخطار التي تخل بأمن الوطن والمواطن الخطر الاقتصادي الذي يتمثل بعدم توفر أسباب العيش الكريم. لكن حينما ينعدم هذا الخطر ويتلاشى بتوفر دخل حقيقي يفي بكافة ضرورتهم وحاجاتهم؛ فلا يوجد لديهم مسوغ للتفكير فيما فيه إخلال بأمن الوطن واستقراره، إنّما يتولد لديهم الرضا عن أداء دولتهم والولاء للوطن، فيحرصوا على أمنه واستقراره، وذلك محافظة منهم على أمنهم وحرصهم وعلى مستوى عيشهم الكريم ورفاهيتهم، التي هي مطمع كل مواطن. وطريق هذا من خلال التزام الدولة والأفراد من خلال النظام الاقتصادي الرباني، الذي جاء بأحكامه الشرعية لتحمي أموال الأمة والأفراد " الدخل القومي " كسبا وإنفاقاً وتحافظ عليها.

وتأكيداً لهذه النتيجة، وزيادة في التوضيح، نعمد إلى تحليل ما جاءت به السنة النبوية من التشريعات الاقتصادية؛ لحماية دخول الأفراد " الدخل القومي "، وذلك على النحو الآتي:

بالعودة إلى النصوص النبوية التي سبق بيانها في المبحث الثاني نجد أنّها تضمنت خمس وسائل رئيسة هي:

١. عدالة التوزيع، من خلال نظام إعادة التوزيع المتمثل في الزكاة.
٢. تشجيع الاستثمار والتحذير من الاكتناز.
٣. الحث على العمل.
٤. ضبط الإنفاق وضبط الاستهلاك نموذجاً.
٥. حماية الأموال من الاعتداء عليها من كل أنواع الاعتداء: سرقة وغش ومخادعة في البيع ومماثلة... الخ

هذه الوسائل كلها تصب في وعاء الدخل القومي حماية لمدخله وحماية لمخرجه، وتحليل ذلك علة النحو الآتي:

١. **عدالة التوزيع:** تتحقق عدالة التوزيع بإعطاء كل ذي حق حقه دون بحس ولا تأخير، ومنع الظلم بجميع صورته وأشكاله<sup>(١)</sup>. ومن وسائل تحقيق عدالة التوزيع نظام إعادة التوزيع وهو: عبارة عن سحب جزء من الدخل الموزعة وظيفياً، وإعادة دفعها إلى مستحقين آخرين حسب اعتبارات غير وظيفية اجتماعية أو إنسانية، من خلال آلية الزكاة التي تعيد توزيع الدخل وبعض الثروات حولياً "كل عام" على أساس الحاجة، وتترك الزكاة آثاراً اقتصادية بالغة في البناء الاقتصادي والاجتماعي لعل من أبرزها: زيادة في الطلب الاستهلاكي بسبب نقل الدخل إلى الشرائح ذات الميول الحدية العالية للاستهلاك، وهذا هو الأثر المباشر، وفيه إشباع لحاجات الفقراء. وبهذا تحقق الزكاة التجانس في التركيب الاجتماعي، وتقلل من الفوارق الطبقيّة بين أبنائه معززة بذلك التكافل الاجتماعي، ومستلّة دواعي الحسد والضغينة من نفوس الفقراء حين يرون خير الأغنياء موصولاً إليهم<sup>(٢)</sup>؛ فتنشأ بين الطرفين المحبة والألفة، وتُحد من أسباب التشاحن والتباغض، ويتحقق الأمن والاستقرار<sup>(٣)</sup>.

٢. **تشجيع الاستثمار والتحذير من الاكتناز:** الاستثمار هو: توظيف الفرد المسلم. أو الجماعة المسلمة. ماله الزائد عن حاجاته الضرورية بشكل مباشر أو غير مباشر في نشاط اقتصادي لا يتعارض مع مبادئ الشرع ومقاصده العامة؛ وذلك بغية الحصول على عائد منه يستعين به ذلك الفرد المستثمر. أو الجماعة المستثمرة. على القيام بمهمة خلافة الله، وعمارة الأرض<sup>(٤)</sup>. والاكتناز هو الاحتفاظ بالثروة بغير استثمار سواء كانت عينية أو نقدية<sup>(٥)</sup>، وبما أنّ من المقاصد الرئيسية للاستثمار تحقيق الرفاهية الشاملة للفرد والمجتمع، فإنّ مهمة الاستثمار لا تتوقف عند تنمية المال وتداوله فحسب، وإنما تتجاوز إلى دائرة تحقيق الرفاهية والسعادة للفرد والمجتمع، وتحقيق هذا من خلال تمكن ناتج الاستثمار من إشباع الحاجات الأساسية، وإزالة

١- الحارثي، جريبة بن أحمد، العلاقة بين الأمن الاقتصادي والأمن الفكري "مدخل إسلامي، ص ٩٩.

٢- السبهاني، عبد الجبار، الوجيز في الفكر الاقتصادي الوضعي والإسلامي، دار وائل، عمان، ط ١، ٢٠٠١، ص ٢٨٠ - ٢٨٤ "تصرف".

٣- الطاهر، عبد الله الشيخ محمود، مقدمة في اقتصاديات المالية العامة، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٨هـ، ص ٨٩ - ٩٠.

٤- سانو، قطب مصطفى، الاستثمار أحكامه وضوابطه في الفقه الإسلامي، ص ٢٤.

٥- المرجع نفسه، ص ٤٥.

كافة الأسباب الرئيسة للمتاعب وتحسين نوعية الحياة معنوياً ومادياً<sup>(١)</sup>. وأي مجتمع يتحقق له هذه النعم لن يفكر أبناؤه إلا بما يحمي وطنهم من كل خطر يتهدد أمنه، لذلك حذرت الشريعة من كثر المال وحجبه عن السوق؛ لأنّ الاكتناز يحول دون تحقيق استدامة تنمية المال، وبالتالي سيحرم المجتمع من مقصد الاستثمار، مما يعني حرمان أفراد من تلك النعم، وعندها سيتسلل إليهم فكر الإرهاب والتدمير، والعبث في أمن الوطن ومدخراته.

٣. **الحث على العمل والكسب:** العمل هو أحد عناصر التوزيع الوظيفي، وهو بذل الجهد البدني أو العقلي للحصول على عائد يستعين به الفرد على إشباع حاجاته وضرورياته، ومتطلبات حياته. لذلك اهتمت الشريعة بالعمل، ودعت إليه، بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ١٠)، ويقوله ﷺ: "لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بجزمة حطب على ظهره، فيبيعها، فيكفّ بها وجهه، خيرٌ له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه"<sup>(٢)</sup>. ولا شك أنّ بالعمل زيادة لدخول الأفراد، وزيادة للدخل القومي، ورفعاً للمستوى المعيشي لهم، وتحقيقاً للأمن الاجتماعي، وتقليلاً للجرمة بكل أنواعها، وبالتالي حماية للوطن من كل ما يهدد أمنه واستقراره.

٤. **ضبط الإنفاق (الاستهلاك) نموذجاً:** الاستهلاك في الاقتصاد الإسلامي هو "مجموعة التصرفات التي تشكل سلة السلع، والخدمات من الطيبات التي توجه إلى الوفاء بالحاجات والرغبات المتعلقة بأفراد المجتمع، التي تتحدد طبيعتها وأولوياتها باعتماد على القواعد والمبادئ الإسلامية، وذلك لغرض التمتع والاستعانة بها على طاعة الله تعالى<sup>(٣)</sup>. وما ينفقه المستهلك على السلع والخدمات؛ سعياً لتحقيق منفعة أو إشباع حاجة<sup>(٤)</sup>. وهو الشرط المادي لاستمرار حياة الإنسان. لذلك أوجبت الشريعة عليه أن يستهلك بالقدر الذي يكفل له هذا المقصد

١- شابرا، عمر، نحو نظام نقدي عادل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ٢، ١٩٩٠، ص ٤٧.

٢- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستغفار عن المسألة، ج ٢، ص ١٢٣.

٣- عبد الحميد، بوخاري، وزرفون محمد، دور الاقتصاد الإسلامي في ترشيد السلوك الاستهلاكي، بحث منشور في Iefpedia. com تاريخ ٢٠١١، ص ٩.

٤- مؤمن، أبو سليمان، المحتار بن العربي، الاستهلاك، شبكة الألوكة، ٢٠١٢.

دون إسراف ولا تجاوز في الحد. ومن هنا اعتنت الشريعة بتثقيف الاستهلاك، ودعت إلى الاعتدال في الإنفاق، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (٦٧) (الفرقان ٦٧). وقد أكدت السنة هذا المبدأ بقوله ﷺ: "كلوا، واشربوا، والبسوا، وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة"<sup>(١)</sup>. لذلك فالإنسان مأمور بالاعتدال، منهي عن الإسراف الذي هو تجاوز الحد في الكمية، فهو جهل بمقادير الحقوق<sup>(٢)</sup>، وبناءً على ما سبق فإن الزيادة في الاستهلاك فوق الحاجة سيكون له أثر على تدني دخله النقدي الحقيقي؛ لأنه أنفق جزءاً من دخله في حاجة أو ضرورة، هذا النقصان سيكون على حساب حاجات أخرى هو بحاجة لإشباعها؛ فيضطر عندها إلى سلوك تصرفات سلبية، كالسرقة أو الاحتيال أو الغش. . . الخ وغيرها من التصرفات التي فيها اعتداء على أموال الآخرين، فضلاً عن الأثر الصحي الذي سيكون سبباً في تدني مستواه الصحي، فيلحق الضرر بنفسه، لما سيصيبه من الأمراض<sup>(٣)</sup>، فيترتب عليه نفقات علاجية، ستكون على حساب مخصصات إنفاقه على حاجاته، وكلها في النهاية ستسبب في تدني مستوى الرفاهية ومستوى العيش الكريم، وبالتالي سيكون لها الأثر في الإخلال بأمن الوطن والمواطنين.

٥. **صيانة المال من الاعتداء عليه:** تتمثل صيانة المال من الاعتداء عليه بتحريم أي تصرف أو أسلوب أو طريقة - غير ما شرع الله تعالى - يأخذ بها الإنسان مال الغير، وجماع ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٨) (البقرة ١٨٨)، وبقوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (٢٩) (النساء ٢٩)، وبقوله ﷺ: "إنّ دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم

١- البخاري، صحيح البخاري، ج٧، ص ١٤٠.

٢- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٣، ج ١، ص ٢٤.

٣- انظر: للباحث السلوك الاستهلاكي ودوره في المحافظة على الصحة وتحقيق السعادة، بحث مقدم إلى منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي الرابع: الابتكار والسعادة في نمط الحياة الإسلامي. رؤية استشرافية، المنعقد في دبي: ٢٢-٢٣/٤/٢٠١٨، ص ٢٣.

هذا<sup>(١)</sup>. إذا فلا يجوز لأي شخص أن يأخذ من مال الغير بالباطل: سرقة، ماطلة في سداد الدين، رشوة، منع الأجرة، غش. . . الخ، إنما يحلُّ له بما شرع الله تعالى كما في قوله تعالى: "إِلَّا أَنْ تَكُونُ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ . . . الْآيَةَ" وكما في قوله ﷺ: "ولا يحل لإمرئ من مال أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس"<sup>(٢)</sup>. وكما سبق بيانه أن الشريعة أوجبت العقوبة على كل من يعتدي على مال الغير، كقطع يد السارق مثلاً؛ وما ذاك إلا صيانة للمال عن الاعتداء عليه بغير حق، ولا شك أن هذه الصيانة للأموال هي حماية لدخول الأفراد، وحماية للدخل القومي، وبالتالي زيادة في رفع مستوى الرفاهية للأفراد، فيشعر كل فرد بالطمأنينة على مصدر عيشه، فيتولد لديهم ثقافة الانتماء لوطنه، مما يدفعه إلى كف فكره وجوارحه عن كل ما من شأنه أن يخل بأمن وطنه.

خلاصة القول، إن من مستلزمات حماية الوطن: حماية الدخل الوطني، وذلك بتحسين الأوضاع الاقتصادية للمواطنين؛ وصولاً إلى تحقيق الاستقرار الاقتصادي، وذلك من خلال تنمية اقتصادية حقيقية في الدولة تؤدي إلى توفير الأمن الاقتصادي أي توفير كافة متطلبات رفاهيتهم ومعيشتهم من ضرورات وحاجيات. وهذا ما جاءت به السنة النبوية، وقررت في تشريعاتها كما تم بيانه آنفاً.

**النتائج والتوصيات:** بعد هذا المنع من الله تعالى علينا بالانتهاء من بيان مفردات هذه الدراسة نخلص إلى النتائج التالية:

١. ليس العبرة فيما يكسبه الفرد من عدد الوحدات النقدية، إنما العبرة في كمية السلع والخدمات التي يمكن الحصول عليها من إنفاق دخله النقدي.
٢. إن مستوى الدخل القومي وتوزيعه على الأفراد هو من يحدد مستوى المعيشية للأفراد إيجاباً أو سلباً.
٣. كفلت السنة النبوية حماية دخول الأفراد من جانب الوجود ومن جانب العدم.

١- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، ج ٢، ص ١٧٦، حديث رقم ١٤٧١.

٢- الحاكم، محمد بن عبدالله، المستدرک علی الصحیحین، ج ١، ص ١٧١، حديث رقم ٣١٨.

٤. حماية الوطن مرتبط بتحقيق الأمن الاقتصادي "حد الكفاية" وهو نوع من أنواع الأمن العام الذي يحفظ للوطن كيانه واستقراره وأمنه.
٥. العدالة الاجتماعية تتحقق بإعطاء كل ذي حق حقه دون بحس ولا تأخير، ومنع الظلم بجميع صوره وأشكاله.
٦. حماية الدخل الوطني من مستلزمات حماية الوطن، وذلك بتحسين الأوضاع الاقتصادية للمواطنين وصولاً إلى تحقيق الاستقرار الاقتصادي.
٧. الأمن الفكري هو أساس الأمن في كل مجالات الحياة، ولا يتحقق دون وجود الأمن الاقتصادي

#### التوصيات: يمكن للباحث أن يوصي بما يلي:

١. أن تسعى الدولة من خلال مؤسساتها التعليمية والتربوية إلى ترشيد السلوك الاقتصادي للأفراد من خلال تعليمهم الأحكام الشرعية للنشاط الاقتصادي: كسباً وإنتاجاً وإنفاقاً.
٢. العمل على نشر الوعي الفكري وأنّ من أسس حماية المجتمع توفر الأمن الفكري والفكر الاقتصادي، وهما مسؤولية الفرد والدولة.
٣. العمل على إدخال مقررات تعنى بالتربية الاقتصادية في المراحل التعليمية الأولية.

## المراجع

- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار طوق، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
- ابن بطال، علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، مكتبة الرشد. الرياض، ط ٢، ٢٠٠٣ م.
- ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة. بيروت، (د، ط) ١٣٧٩ هـ.
- ابن خزيمة أبو بكر محمد بن إسحاق، صحيح ابن خزيمة، تحقيق الأعظمي، المكتب الإسلامي. بيروت، (د، ط) (د، ت).
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية. بيروت، ط ١، ١٩٩١.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر. بيروت، ط ٣، ١٤١٤ هـ.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبو داود، المكتبة العصرية صيدا. بيروت، (د، ط) (د، ت).
- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر، ط ٢، ١٩٧٥ م.
- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١، ١٩٨٣ م.
- الحارثي، جريبة بن أحمد، العلاقة بين المن الاقتصادي والأمن الفكري "مدخل إسلامي، مجلة الاستراتيجية والتنمية، ٢٠١٦ م.
- الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد، المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفی عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١١ - ١٩٩٠.
- حسين، م جيد علي، سعيد، عفان عبد الجبار، مقدمة في التحليل الاقتصادي الكلي، دار وائل، عمان، ط ١، ٢٠٠٤ م.
- سانو، قطب، الاستثمار "أحكامه وضوابطه في الفقه الإسلامي"، دار النفائس، عمان، ط ١، ٢٠٠٠ م.
- السبهاني، عبد الجبار، الوجيز في الفكر الاقتصادي الوضعي والإسلامي، دار وائل للنشر، عمان ط ١، ٢٠٠١ م.
- السبهاني، عبد الجبار، الاقتصاد الإسلامي: التوزيع، الموقع الشخصي، al-sabhany. Com.

## "حماية الدخل القومي في السنة النبوية..."

- سقا، مرهف عبد الجبار، قراءة في مفهوم الأمن الاقتصادي في القرآن الكريم، مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية، ٢٠١٨.
- شابرا، عمر، نحو نظام نقدي عادل ترجمة: سيد سكر، مراجعة: رفيق المصري، واشنطن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٢، ١٩٩٩م.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، دار عفان، ط١، ١٩٩٧م.
- الشباني، محمد عبدالله، المشكلة الاقتصادية وعلاجها من المنظور الإسلامي ٣، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي عدد ٧٩.
- الشمري، حسين عباس، أهمية دراسة الدخل القومي في البلد، شبكة جامعة بابل، ٢٠١٧م.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر - بيروت، (د)، ط١ ١٩٩٥م.
- صالح، تومي، مبادئ تحليل الاقتصادي الكلي، (د، ت)، (د، ط) صخري عمر، التحليل الاقتصادي الكلي ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط٥، ٢٠٠٥.
- الصنعاني، محمد بن إسماعيل، سبل السلام، دار الحديث، (د، ت) (د، ط).
- الطاهر، عبد الله الشيخ محمود، مقدمة في اقتصاديات المالية العامة، نشر جامعة الملك سعود. الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.
- عبد الحميد، بوخاري، وزرفون محمد، دور الاقتصاد الإسلامي في ترشيد السلوك الاستهلاكي، بحث منشور في Iefpedia. com تاريخ ٢٠١١م.
- كاسو، هالة جريدة الوحدة، الاستثمار والتنمية، ٢٠١٦، عدد "٨٦٩٢".
- المالكي، عبد الحفيظ عبدالله، نحو مجتمع آمن فكرياً كنموذج مقترح لبناء استراتيجية وطنية شاملة لتحقيق الأمن الفكري، دراسة مقدمة للمؤتمر الأول للأمن الفكري، تحت شعار "المفاهيم والمصطلحات" بجامعة الملك سعود، ١٤٣٠هـ.
- محمد بن فتوح بن عبد الله، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: علي حسين البواب، دار ابن حزم - لبنان/ بيروت ط٢، ٢٠٠٢م.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي -

بيروت، (د)،(د، ط).

- مهيدات، محمود فهد، السلوك الاستهلاكي ودوره في المحافظة على الصحة وتحقيق السعادة، بحث مقدم إلى منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي الرابع: الابتكار والسعادة في نمط الحياة الإسلامي . رؤية استشرافية، المنعقد في دبي: ٢٣.٢٢ / ٤/ ٢٠١٨.
- مؤمن، أبو سليمان، المختار بن العربي، الاستهلاك، شبكة الألوكة، ٢٠١٢
- وردا، باسكال، الحماية: السبب الأساسي في انعدام الحماية هو الأحزاب السياسية، مؤتمر الأمم المتحدة عن حماية الأقليات، ٢٠١٤.
- uomustansiriyah. edu. iq ، الاستثمار المفهوم - الأهمية - الأصناف - المبادئ، ٢٠١٧م.

مكانة حماة الوطن والشهداء وحقوقهم في السنة  
النبوية وأثر ذلك في حماية الوطن

الدكتور / باسم حسن وردة  
وزارة الأوقاف - المملكة الأردنية الهاشمية





## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:

أوطاننا هي أرض الله التي استخلفنا فيها لعمارها بأفضل شكل ممكن وفق منهج الله عز وجل، وهذه الأوطان تحتاج إلى حماة يحمونها من كيد الأعداء الذين يخالفون شريعتنا ويتربصون بنا ويطمعون بثرواتنا، وما أكثرهم في هذا الزمان.

يجب على كل دولة إسلامية أن تهيئ حماة الوطن، وأن تحسن اختيارهم وإعدادهم وتدريبهم وإعطاءهم حقوقهم حتى يقوموا بواجبهم في حماية الوطن خير قيام، كما يجب على الدولة في حال استشهادهم أن تكرمهم وترعى أولادهم وأسراهم خير رعاية.

لقد اهتمت السنة النبوية المطهرة بهذا الموضوع وأولته عناية فائقة، ويهدف هذا البحث إلى بيان مدى اهتمام السنة النبوية المطهرة في إبراز مكانة حماة الوطن والمجاهدين والمرابطين، وصفات الجندي المسلم وواجباته وحقوقه التي تكفل له القيام بواجبه خير قيام في حماية الوطن، وكذلك يهدف البحث إلى إبراز مكانة الشهداء وميزاتهم وفضائلهم، وما أعده الله لهم من نعيم وكرامة، وكذلك بيان حقوق أولادهم وأسراهم التي تكفل لهم العيش الكريم بعد فقدان معيهم، وبيان أثر كل ذلك في حماية الوطن.

**الدراسات السابقة:** وجدت بعض الدراسات التي لها صلة بهذا الموضوع منها:

- (١) القيادة والجنودية في السنة النبوية) رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية بغزة للباحث طاهر النحال، منشورة على الشبكة العالمية.
- (٢) (التعبئة الجهادية في الإسلام) كتاب للكاتب أحمد المومني، دار الأرقم عمان.
- (٣) (أحكام الشهيد في الفقه الإسلامي) كتاب تأليف: عبدالرحمن بن غرمان بن عبدالله، دار البيان الحديثة، السعودية.

(٤) (إتحاف النبلاء بفضل الشهادة وأنواع الشهداء) كتاب للكاتب عبدالله الغماري، عالم الكتب، بيروت.

هذه الدراسات تطرقت إلى بعض جوانب البحث كصفات وواجبات الجندي المسلم، وحقوق الجندي ومكانة الشهداء وحقوقهم، لكن لم تتطرق إلى أثر كل ذلك في حماية الوطن، وهو ما أضافه هذا البحث.

## المبحث الأول: مكانة حماة الوطن وحقوقهم في السنة النبوية

### المطلب الأول: أهمية الجيش لحماية الوطن في ضوء السنة النبوية

الوطن هو: مكان إقامة الإنسان ومقره، وإليه انتماءه ولد فيه أم لم يولد<sup>(١)</sup>، وهو المكان الذي يعيش فيه جماعة من الناس لفترة تاريخية طويلة، وهو مستقر الآباء والأجداد، وفيه ترعرع الأبناء، وارتباط هويتهم به، وانتماءهم ومحبتهم له.

وقد عبر النبي ﷺ عن حبه لوطنه مكة بقوله: "مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكَ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكَ"<sup>(٢)</sup>.

والوطن بحاجة إلى حماة له من كل المخاطر التي تواجهه خارجيًا وداخليًا، فكل وطن له أعداء، وقد كان هذا الأمر في بداية العهد الإسلامي يقع على عاتق كل المسلمين، حيث كان الصحابة - رضوان الله عليهم - جميعًا تحت قيادة الرسول ﷺ إذا شعروا بأي خطر يهدد وطنهم يهبون جميعًا للدفاع عنه كما حصل في غزوات أحد والخندق وتبوك وغيرها، ويعد ذلك من أوجب واجبات الإسلام، لكن بعد أن توسعت الدولة الإسلامية توجه الخلفاء إلى تشكيل جيوش إسلامية متخصصة للدفاع عن دولة الإسلام من كيد الكائدين وتآمر المتآمرين.

وإن الصراع بين الحق والباطل قدس قدم البشرية، ولا بد لكل أمة تطمح في أن تعيش حياة عزيزة وكريمة أن يكون لها قوة تعتمد عليها وتحميها من أعدائها، وقوة الأمة تكون بجيشها المكون

١- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ١٠٤٢/٢.

٢- الترمذي، السنن، أبواب المناقب، باب فضل مكة، حديث رقم ٣٩٢٦. صححه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، ٢/٨٣٢، حديث رقم ٢٧٢٤.

من أبنائها الأشداء.

ويمكن بيان أهمية الجيش في حماية الوطن بما يأتي:

**أولاً: الجيش يحفظ للأمة هيبته:** إن وجود جيش قوي للدولة يجعل أعداءها يهابونها، ويحسبون لها ألف حساب، ويجعل للأمة القدرة على فرض إرادتها على الآخرين، وأن يكون قولها مسموعاً وأمرها مطاعاً، بينما الأمة إن كانت بلا جيش أو بجيش ضعيف تكون عرضة للعدوان والذل والهوان، ويطمع بها المعتدون، ولا يسمع لها قول، ولا يطاع لها أمر.

وقد اعتنى الرسول ﷺ بتكوين جيش إسلامي بعد الهجرة من مجموع الصحابة - رضوان الله عليهم - ليكون حارساً أميناً للدولة الإسلامية متمثلاً بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (٦٠) (١)، وحرص النبي ﷺ على أن يكون الجيش قوياً متدرّباً على أحدث فنون القتال، ولم يكتف بما عند العرب من فنون القتال فقد روي عنه ﷺ أنه أرسل خالد بن سعيد بن العاص ﷺ إلى مدينة جرش والتي كانت تحت حكم الرومان ليتعلم صناعة الدبابات (٢)، وما لبثوا أن أتقنوا هذا الفن من فنون القتال، واستخدموا الدبابات في حصار الطائف (٣).

وقد كان لهذا الجيش بالغ الأثر في المحافظة على الدولة الإسلامية الفتية، حيث ملأ أعداء المسلمين رعباً، وقطع عليهم سبل الاعتداء عليها والنيل منها، فلولا الله ثم هذا الجيش لانقض عليهم أعداؤهم من المشركين واليهود والمنافقين وقضوا على دولتهم الفتية، ولما أذعنت قبائل يهود قينقاع وقريظة وخيير إلى أمر الرسول ﷺ، ولما استسلم أهل مكة يوم فتحها وهم الذين أخرجوا الرسول ﷺ وصحابته منها.

**ثانياً: الجيش يوطد أركان الدولة ويحافظ على مقومات الأمة:** الجيش سياج الأمة

١ - سورة الأنفال، آية (٦٠).

٢ - الدبابة: الدبابة تتخذ من خشب يغشى بالجلد يحتمي بها الرجال ويتقدمون بها إلى الحصون لدق جدرانها ونقبها (المعجم الوسيط ١/٥٣٣).

٣ - الواقدي، المغازي، ٩٢٣-٩٢٧/٣. ومحمود شيت خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، ص ١٦٦.

وحصنها المنيع وحارسها الأمين، فهو يحفظ للأمة دينها ويهيئ لها حرية ممارسة عباداتها وتطبيق شريعتها، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهَادَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (٤٠).<sup>(١)</sup>

والجيش يحفظ للأمة أرضها من الاحتلال، وأموالها من السلب والنهب، وأعراضها من الانتهاك، وأبناءها من القتل والأسر، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ (٢١).<sup>(٢)</sup> وأمتنا مستهدفة من أعدائها عبر التاريخ الإسلامي، يتربصون بها الدوائر كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (٢٧).<sup>(٣)</sup>

والدليل على استهداف أمتنا من قبل أعدائها تلك الغزوات التي خاضها النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم دفاعاً عن هذه الأمة، وفي مقدمتها غزوات بدر وأحد والخندق وتبوك، وغزوات اليهود المتتالية، وتلك المعارك التي خاضها سلفنا الصالح بعد رسول الله ﷺ دفاعاً عن الإسلام والمسلمين، وفي طليعتها معركة عين جالوت التي تصدى فيها المسلمون للتتار الذين غزوا ديار المسلمين وأفسدوا فيها شر الفساد، فرد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً، وأعز الإسلام ونصر المسلمين<sup>(٤)</sup>.

ثالثاً: تحقيق فريضة الجهاد في سبيل الله: الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، شرع للذود عن الدين والدفاع عن الأوطان والحرمات وصد العدوان، وقد حث القرآن الكريم على الجهاد في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَحْرِيقِ نُجُومِكُمْ مِنْ عَذَابِ الْإِيمِ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ نَاعِمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

١- سورة الحج، آية (٤٠).

٢- سورة البقرة، آية (٢٥١).

٣- سورة البقرة، آية (٢١٧).

٤- انظر: أحمد سالم ملحم، دراسات إسلامية في الفكر والثقافة والسلوك، ص ٤٧٤.

﴿١٢﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرَ مَنْ آتَى اللَّهَ وَفَنَحْ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾<sup>(١)</sup>، وذكر ابن كثير في تفسير هذه الآيات أن الصحابة رضي الله عنهم أرادوا أن يسألوا رسول الله ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ليتعلموه، فأنزل الله تعالى هذه السورة، ومنها هذه الآية ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَجْرَقٍ يُجِيعُكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

كما وحث النبي ﷺ على الجهاد والرباط في أحاديث كثيرة، وبوبت كتب الحديث كتباً وأبواباً لأحاديث الجهاد، ومن هذه الأحاديث: حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: "سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: إِيمَانٌ بِاللَّهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ"<sup>(٣)</sup>. وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصَدِيقُ كَلِمَاتِهِ، بَأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يُرْجِعَهُ إِلَىٰ مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ"<sup>(٤)</sup>.

**رابعاً: الرباط وحراسة الحدود:** من أهم واجبات الجيش الرباط وحراسة الحدود من الأعداء، ومن المهربين المجرمين، الذين يقومون بتهريب مواد ضارة ومدمرة للمجتمع كالمخدرات وغيرها.

وقد حث النبي ﷺ على الرباط وحراسة الحدود في أحاديث كثيرة منها: حديث سلمان رضي الله عنه قال: "رِبَاطٌ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ"<sup>(٥)</sup>. وحديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "رِبَاطٌ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا"<sup>(٦)</sup>.

**خامساً: المحافظة على الأمن الداخلي:** فكما أن من مسؤوليات الجيش المحافظة على الدولة ودرء الأخطار الخارجية عنها، فإن من مسؤولياته أيضاً تأمين الأمن والعيش الكريم على الصعيد الداخلي، وفي حالة خروج فئة من المسلمين على النظام العام وهم (البغاة) كما أطلق عليهم الفقهاء، فالواجب حل هذا الخلاف بالطرق السلمية، أولاً بالحكمة والموعظة الحسنة

١- سورة الصف، الآيات (١٠-١٣).

٢- ابن كثير، التفسير، ٤/٣٦١.

٣- البخاري، الصحيح، كتاب العتق، باب أي الرقاب أفضل، حديث رقم ٢٥١٨.

٤- المصدر السابق، كتاب الإيمان، باب الجهاد من الإيمان، حديث رقم ٣٦. وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، حديث رقم ١٨٧٦.

٥- مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله، حديث رقم ١٩١٣.

٦- البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، حديث رقم ٢٨٩٢.

والمجادلة والتي هي أحسن، فإذا تعذر ذلك معهم فيجب قتال تلك الفئة حتى ترجع إلى الحق، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتِلُوا فَاصْصِلْهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَاصْصِلْهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (١).

وقال ابن عاشور في تفسير هذه الآية "وإنما جعل حكم قتال الباغية أن تكون طائفة لأن الجماعة يعسر الأخذ على أيدي ظلمهم بأفراد من الناس وأعوان الشرطة، فتعين أن يكون كفهم عن البغي بالجيش والسلاح، وهذا في التقاتل بين الجماعات والقبائل، فأما خروج فئة عن جماعة المسلمين فهو أشد وليس هو مورد هذه الآية ولكنها أصل له في التشريع". (٢)

وقد حذر النبي ﷺ من الخروج عن طاعة ولي الأمر ومخالفة جماعة المسلمين فقال ﷺ: "مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً" (٣).

مما سبق يتبين لنا أهمية الجيش في حماية أوطاننا في هذا الزمان الذي اشتدت فيه الخطوب، وكثر فيه الأعداء الذين يطمعون ببلادنا وثرواتنا ومقدساتنا، فيجب على بلداننا الإسلامية أن تكون جيوشها على مستوى عالٍ من الإعداد والتدريب والتسليح لمواجهة كل الأخطاء المحتملة، وللحفاظ على هيبة الأمة، وتوطيد أركان الدولة ومقومات الأمة، ويجب أن يكون الجيش قادراً على حراسة كل حدود الدولة البرية والجوية والبحرية، وحمايتها من الاختراق بأي شكل من الأشكال من الأعداء المتربصين بها.

ويجب على جيوشنا حماية أوطاننا من المهربين المجرمين الذي يهربون المخدرات والسلاح وجميع الممنوعات التي تضر بالمجتمع، وتؤثر في استقرار الوطن، وكذلك يجب على الجيش والأجهزة الأمنية المختلفة المحافظة على الأمن الداخلي والسلم المجتمعي، ومنع حدوث الفتن والصراعات بين عناصر المجتمع من جهة، وبين المجتمع والدولة من جهة أخرى.

١- سورة الحجرات، آية (٩).

٢- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ٢٤٠/٢٥.

٣- مسلم، الصحيح، كتاب الإمامة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، حديث رقم: ١٨٤٨.

خلاصة الأمر كلما كان الجيش قويا بمختلف فروع وأجهزته وأفراده تدريبا وتسليحا، كان قادرا على مواجهة كل الصعاب والخطوب التي تواجه الوطن، وكلما كان ضعيفا إعدادا وتدريباً وتسليحا تزداد المشاكلات التي تواجه الوطن، ويسهل على أعداء الخارج والداخل زعزعة استقرار الوطن ونشر الفوضى فيه، وربما التمكن من احتلال بعض أجزائه وسرقة ثرواته وإذلال أفراده.

### المطلب الثاني: صفات وواجبات الجندي في السنة النبوية

يجب أن يتصف الجندي المسلم بصفات كثيرة أهمها:

**أولاً: الولاء والإخلاص لله عز وجل:** الولاء هو "النصرة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطناً"<sup>(١)</sup>، وهي كلمة جامعة واسعة تجمع معاني التصور والفكر والعاطفة والشعور والعمل والسعي.

من أجل هذا كان الولاء من أوسع الأمور التي اهتم القرآن والسنة به، من جميع الجوانب الفكرية والنفسية والعملية، وربطها ربطاً موثقاً مع جميع قضايا الإيمان والتوحيد، وامتد عرض قضية الولاء في منهاج الله لتدخل كل ميادين الممارسة الإيمانية في واقع المؤمن الفرد وواقع الأمة المسلمة، حيث امتد هذا العرض من خطرات النفس إلى البيت والأسرة، إلى التجارة والمعاملات وإلى السياسة والحروب وميادين القتال<sup>(٢)</sup>.

والجندي المسلم يجب أن يكون ولاؤه خالصاً لله عز وجل وللمؤمنين ولا يجوز أن يعطي ولاءه لغير المسلمين أعداء أمته ووطنه، ويجب أن يكون هدفه الأسمى إرضاء الله عز وجل وإعلاء راية الحق، وأن تكون كلمة الله هي العليا، ففي الحديث الشريف الذي رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيرى مكانه فمن في سبيل الله قال: "مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةً لِلَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"<sup>(٣)</sup>.

١- محمد بن سعيد القحطاني، الولاء والبراء في الإسلام، ص ٨٩-٩٠.

٢- انظر: عدنان علي النحوي، الولاء بين منهاج الله والواقع، ص ١٠-١١.

٣- البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد السير، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، حديث رقم ١٩٠٤.

هذه الصفة؛ صفة الولاء والإخلاص لله عز وجل، تدفع الجندي إلى الالتزام بتقوى الله عز وجل في عمله وعدم الغفلة في أداء واجباته في حماية وطنه، وبذل قصارى جهده في ذلك بما يرضي الله عز وجل.

**ثانياً: الإكثار من الذكر والدعاء:** ينبغي للجندي المسلم خاصة عند لقاء العدو أن يكثر من الذكر والدعاء، كما قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤٥) .<sup>(١)</sup>

وقد كان النبي ﷺ القدوة بالإكثار من الذكر والدعاء عند لقاء العدو والأمثلة على ذلك كثيرة منها في غزوة بدر حيث كان يكثر من الدعاء ويقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أُنشِدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعَبِّدْ بَعْدَ الْيَوْمِ. فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْ أَحْحَتْ عَلَيَّ رَبِّكَ<sup>(٢)</sup>. وفي غزوة الأحزاب دعا على الأحزاب الذين جاؤوا لغزو المدينة وقال: (اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِي السَّحَابِ وَهَازِمِ الْأَحْزَابِ اهْزِمِهِمْ وَأَنْصُرْنَا عَلَيْهِمْ).<sup>(٣)</sup>

إن الدعاء الصادر من قلب مخلص من أقوى الأسلحة التي يمتلكها المسلم؛ لذا على الجندي أن يكثر من الدعاء بقلب مخلص - خاصة عندما تشتد الخطوب- بأن يحمي الله أوطاننا من كيد الأعداء، وأن يرد كيدهم إلى نحورهم، مع تحري الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء كجوف الليل وفي السجود ودبر الصلوات المكتوبات.

**ثالثاً: الصبر:** فقد كان الصبر من وصية النبي ﷺ لجنوده خاصة عند لقاء العدو، كما جاء في حديث عبدالله بن أبي أوفى (رضي الله عنه) "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا، أَنْتَظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ. ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَاقِبَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ الشُّيُوفِ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِي

١- سورة الأنفال، آية (٤٥).

٢- البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب، حديث رقم ٢٩١٥.

٣- المصدر السابق، كتاب الجهاد والسير، باب لا تتمنوا لقاء العدو، حديث رقم ٣٠٢٥. وأخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو، حديث رقم ١٧٤٢.

السَّحَابِ وَهَازِمِ الْأَحْزَابِ أَهْرَمُهُمْ وَأَنْصَرْنَا عَلَيْهِمْ"<sup>(١)</sup>.

وبشر النبي ﷺ الذي يقاتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر أن يكفر الله عن خطاياهم، وذلك ليؤكد لنا على أهمية الصبر في القتال، كما جاء في حديث أبي قتادة ﷺ "أن رسول الله ﷺ قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ لَهُمْ: أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُكْفَرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرٌ مُدْبِرٍ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَتُكْفَرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرٌ مُدْبِرٍ، إِلَّا الدِّينَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي ذَلِكَ"<sup>(٢)</sup>.

هذه الصفة العظيمة التي يجب أن يتصف بها جند الإسلام، لها بالغ الأثر في حماية الوطن، لأن الوطن ربما يتعرض في لحظة ما لخطر محقق، وهذا يتطلب من الجندي الصبر وعدم التخاذل والاستسلام، لأن النصر مع الصبر.

**رابعاً: الطاعة والانضباط العسكري:** وهو التزام الجندي بأوامر قيادته التزاماً دقيقاً، لأن عدم التزام الجنود بأوامر قيادتهم قد يحول النصر إلى هزيمة، كما حصل في غزوة أحد عندما أمر النبي ﷺ الرماة بأن لا يتركوا مكائهم مهما كان الأمر، وقال لهم: "لا تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا"<sup>(٣)</sup> لكنهم لما رأوا هزيمة المشركين تركوا مكائهم، إلا أميرهم عبدالله بن جبير مع عدد قليل منهم ﷺ، وشاهد ذلك خالد بن الوليد، وكان مع المشركين فالتف من ورائهم وقتل من تبقى من الرماة ﷺ، وباغت المسلمين من الخلف، وتحول نصر المسلمين إلى هزيمة نتيجة مخالفة الرماة<sup>(٤)</sup>.

١- تخريج الحديث: مثل الحديث السابق لأنه جزء منه.

(٤) مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياهم إلا الدين، حديث رقم

١٨٨٥.

٢- (٥) البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، حديث رقم ٤٠٤٣.

٣-

٤- انظر: محمد الخضري، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، ص ١٥٢-١٥٤.

ما حدث في غزوة أحد كان حالة نادرة، حيث كان الوضع الطبيعي لجند الصحابة رضوان الله عليهم قمة الانضباط والسمع والطاعة، والذي كان له بالغ الأثر في انتصار المسلمين في مواقع كثيرة، وأضرب مثلاً على الانضباط العسكري ما حصل في غزوة مؤتة حيث نظم النبي ﷺ الجيش، وأمر عليهم زيد بن حارثة رضي الله عنه وقال لهم: "إِنَّ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعَفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ"<sup>(١)</sup> فالتزم الجيش بأمر النبي ﷺ فكانت النتائج باهرة.

وقد أمر النبي ﷺ بالسمع والطاعة للقائد المسلم ما لم يأمر بمعصية بغض النظر عن أصله ولونه فقال: "اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيَّةٌ"<sup>(٢)</sup>.

واهتمت الأنظمة العسكرية الحديثة بهذه الصفة، ولكنها تستخدم القوة والقهر والقسوة في الحصول على الطاعة، وربما قتل الجندي إذا رفض الأمر وهو على العكس في الإسلام، فإن القائد يأمر جنده بالطاعة ضمن حدود الاستطاعة، والجنود يلبون أوامر القادة تنفيذاً لأمر الله عز وجل ورسوله ﷺ وبذلك تبقى الروح المعنوية عندهم عالية، وقد ظهر هذا جلياً في الغزوات والفتوحات الإسلامية<sup>(٣)</sup>.

إن الطاعة والانضباط العسكري من أهم الصفات التي يجب أن يتصف بها الجندي من أجل حماية الوطن، لأنه في حالة عدم انضباط الجنود بتنفيذ أوامر قيادتهم، فإن ذلك يؤدي إلى الفوضى في البلاد، وسهولة اختراق الأعداء للوطن، ويترتب على ذلك أخطار محدقة بالمجتمع والوطن.

**خامساً: أن يكون الجندي صاحب همة عالية:** ينبغي للجندي أن يكون صاحب همة عالية، لأنه بمقدار ما تكون همته عالية يستطيع القيام بالواجبات الموكلة له بشكل أفضل وأسرع، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى في الحديث "مَنْ خَيْرٍ مَعَاشٍ<sup>(٤)</sup> النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمَسِّكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً<sup>(٥)</sup> أَوْ فَرْعَةً طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ

١- البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، حديث رقم ٤٢٦١.

٢- المصدر السابق، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، حديث رقم ٧١٤٢.

٣- انظر: أحمد المومني، التعبئة الجهادية في الإسلام، ص ٦٩.

٤- معاش: أي من خير أحوال عيشهم (شرح النووي على مسلم، ١٣٧/١٣).

٥- هيعة: الصوت الذي تفرع منه وتخافه من عدو (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ص ١٠٠٤).

مَظَانَّةٌ<sup>(١)</sup>. قال النووي: "أي يطلب الموت في مواطنه التي يرجى فيها لشدة رغبته في الشهادة"<sup>(٢)</sup>.

وقد أرشد النبي ﷺ إلى أن المؤمن القوي بجسده وعزمته، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف فقال ﷺ: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ"<sup>(٣)</sup>، وقال النووي: " المراد بالقوة هنا عزيمة النفس، والقريحة في الأمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقدامًا على العدو في الجهاد، وأسرع خروجًا إليه، وذهابًا في طلبه"<sup>(٤)</sup>.

عندما يكون جند الوطن يتصفون بالهمم العالية، فإن هذا الأمر يدفعهم إلى التفاني في أداء واجباتهم، واليقظة لمؤامرات أعدائهم، والاستبسال في حماية وطنهم والدفاع عنه بشتى السبل الممكنة.

**سادسًا: الحرص على التدريب العسكري باستمرار:** يجب على الجندي التدرّب على الفنون العسكرية، خاصة التخصص الذي تم وضعه فيه، وذلك لا يكون إلا بالحرص على ممارسة التدريب باستمرار حتى يكون دائمًا على أهبة الاستعداد للقيام بواجبه إذا تم توكيل مهمة له من المهمات العسكرية، أو حصل اعتداء على وطنه.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم حريصين على التدريب العسكري على الفنون العسكرية المعروفة آنذاك، والتي كان من أهمها الرماية "رماية الرماح والسهام والنبل"، ومما يدل على ذلك حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: "مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ<sup>(٥)</sup> يَنْتَضِلُونَ<sup>(٦)</sup> فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلَانٍ" قَالَ: فَأَمْسَكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا لَكُمْ لَا تَرْمُونَ" قَالُوا: كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ

١- مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرياط، حديث رقم ١٨٨٩.

٢- النووي، شرح صحيح مسلم، ١٣/٣٨.

٣- مسلم، الصحيح، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير إلى الله، حديث رقم ٢٦٦٤.

٤- النووي، شرح صحيح مسلم، ١٦/٤٣١.

٥- أي من بني أسلم، قبيلة مشهورة (فتح الباري، ٦/١٨٨).

٦- انتضل القوم وتناضلوا: أي رموا للسبق (مختار الصحاح، ص ٦٦٥).

مَعَهُمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ"<sup>(١)</sup>.

فهذا الحديث يدل على أن الصحابة رضوان الله عليهم، كانوا حريصين على التدريب على الرماية، التي كانت من أهم الفنون العسكرية في ذلك الوقت.

إن التحديات الكثيرة والكبيرة، التي تواجهها الدول الإسلامية في هذا الزمان، تتطلب من حماة الوطن أن يكونوا دائماً على أهبة الاستعداد لمواجهة هذه التحديات، وهذا الأمر يستلزم التدريب العسكري باستمرار ليكونوا دائماً جاهزين للدفاع عن الوطن وحمايته من الأخطار التي قد يتعرض لها في أي لحظة.

**سابعاً: حماية القيادة:** من أهم واجبات الجنود حماية القيادة، وقد ضرب لنا الصحابة رضوان الله عليهم أروع الأمثلة في هذا الجانب، في مواقف كثيرة خاصة ما حصل في غزوة أحد حينما انقلب نصر المسلمين إلى هزيمة بسبب مخالفة الرماة، وحاول المشركون قتل النبي ﷺ، لكن استبسل الصحابة رضوان الله عليهم بالدفاع عن النبي ﷺ وقد ورد في ذلك أحاديث عديدة، منها:

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَهَقُوهُ<sup>(٢)</sup> قَالَ: مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ، أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ. فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهَقُوهُ أَيْضًا، فَقَالَ: مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ، أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ. فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ"<sup>(٣)</sup>.

- عَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِيٍّ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: " لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ

١- البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي، وقول الله عز وجل:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِمْ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾<sup>(٦٠)</sup>

الأنفال: ٦٠، حديث رقم ٢٨٩٩

٢- رهبوه: أي غشوه وقرّبوا منه (النووي، شرح صحيح مسلم، ١٢/٣٥٨).

٣- مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، حديث رقم ١٧٨٩.

يَدِي النَّبِيِّ ﷺ مُجَوَّبٌ<sup>(١)</sup> بِهِ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ<sup>(٢)</sup> لَهُ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ الْقَدِّ<sup>(٣)</sup>، يَكْسِرُ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الْجَعْبَةُ مِنَ النَّبْلِ، فَيَقُولُ: انْشُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ فَأَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَا تُشْرِفْ يُصَيْبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ، نُحْرِي دُونَ نَحْرِكَ<sup>(٤)</sup>.

- بقي طلحة بن عبيد الله ﷺ يدافع عن النبي ﷺ يوم أحد حتى شلت يده كما جاء في حديث قيس بن أبي حازم ﷺ قال: "رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ شَلَاءً، وَفَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ"<sup>(٥)</sup>.

إن القيادة بالنسبة إلى الجيش، وبالنسبة للوطن كالرأس للجسد، فهي العقل المدبر للجيش والوطن، وهي التي تضع الخطط والأهداف وتدير المعركة، لذا كان من أهم واجبات حماة الوطن هو حماية القيادة، لأنه إن أصيبت القيادة فإن ذلك يزعزع صفوف الجنود، وينشر الفوضى في البلاد، مما يسهل على الأعداء تنفيذ مؤامراتهم تجاه الوطن.

هذه الصفات العظيمة التي اتصف بها جند الإسلام في عصر النبوة وما بعدها، هي التي مكنتهم من الانتصار على أعدائهم في معظم المعارك التي خاضوها على الرغم أنهم كانوا في أغلب الأحيان أقل عددًا وعتادًا من أعدائهم، كما حدث في معارك بدر وتبوك ومؤتة واليرموك والقادسية وحطين وعين جالوت وغيرها.

### المطلب الثالث: حقوق الجندي في السنة النبوية

اهتمت السنة النبوية المطهرة ببيان حقوق الجندي، ولعل من أهم هذه الحقوق:

**أولاً: مراعاة أحوالهم والرفق بهم والحرص على سلامتهم:** القائد الناجح يجب أن يراعي أحوال جنوده، فيحافظ عليهم وعلى سلامتهم ويرفق بهم، كما كان يفعل النبي ﷺ حيث

١- محبوب: مترس عليه يقبه بها (ابن حجر، فتح الباري، ٧/٥٠٧).

٢- الححفة: الترس (فتح الباري، ٧/٥٠٧).

٣- القد: سير من جلد غير مدبوغ، ويريد أنه شديد وتر القوس (فتح الباري، ٧/٥٠٧).

٤- البخاري، الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب أبي طلحة رضي الله عنه، حديث رقم ٣٨١١.

٥- (٧) المصدر السابق، كتاب المغازي، باب ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ (١٤٣) آل عمران: ١٢٢، حديث رقم ٤٠٦٣.

روى جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَخَلَّفُ فِي الْمَسِيرِ، فَيُرْجَى <sup>(١)</sup> الضَّعِيفَ وَيُرْدَفُ <sup>(٢)</sup>، وَيَدْعُو لَهُمْ <sup>(٣)</sup>".

كما كان النبي ﷺ يعتني بالجنود المصابين، ويحرص على أن يكون قريباً منهم حتى يطمئن على أحوالهم باستمرار، كما فعل مع سعد بن معاذ رضي الله عنه يوم الخندق، حيث روت السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: "أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فِي الْأَكْحَلِ <sup>(٤)</sup>، فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْمَةً فِي الْمَسْجِدِ لِيُعَوِّدَهُ مِنْ قَرِيبٍ" <sup>(٥)</sup>.

وكذلك كان القادة بعد رسول الله ﷺ يراعون أحوال جندهم، ومثال على ذلك الكتاب الذي أرسله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى النعمان بن مقرن أمير الجيوش في معركة نهاوند وجاء فيه: "فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَسِرْ بِأَمْرِ اللَّهِ وَبِعَوْنِ اللَّهِ وَبِنَصْرِ اللَّهِ بِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُؤْطِئْهُمْ وَعَرًّا فَتُؤَدِّيَهُمْ، وَلَا تَمْنَعُهُمْ حَقَّهُمْ فَتُكْفِرَهُمْ، وَلَا تُدْخِلْهُمْ غِيْضَةً <sup>(٦)</sup>، فَإِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ" <sup>(٧)</sup>.

إن مراعاة القيادة لأحوال الجنود والرفق بهم تدفعهم إلى حب قيادتهم والإخلاص في طاعتهم وتنفيذ أواميرهم، وكل ذلك ينعكس إيجابياً لمصلحة حماية الوطن، بينما في حالة عدم مراعاة القيادة لأحوال الجنود وعدم الرفق بهم، فإن ذلك يشعرهم بالسخط والامتعاض وعدم احترام أوامر القيادة، وربما يدفعهم إلى الانقلاب على القيادة كما يحصل في بعض الانقلابات العسكرية في هذا الزمان، وكل ذلك ينعكس سلباً على حماية الوطن.

١- فيرجى الضعيف: أي يسوقه ليلحقه بالرفاق (النهاية في غريب الحديث، ٢/٧١٧).

٢- يردف: يركبه خلفه (المعجم الوسيط، ١/٣٣٩).

٣- أبو داود، السنن، كتاب الجهاد، باب في لزوم الساقة، حديث رقم ٢٦٣٩. سكت عنه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢/٥٢٧، ح ٢٢٩٨. وفي السلسلة الصحيحة، ٥/١٥٥، ح ٢١٢٠.

٤- الأكحل: عرق في وسط الذراع (النهاية في غريب الحديث، ص ٧٨١).

٥- البخاري، الصحيح، كتاب الصلاة، باب الخيمة في المسجد للمرضى وغيرهم، حديث رقم ٤٦٣.

٦- الغيضة: الشجر الملتف، (النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ٦٧٤).

٧- ابن كثير، البداية والنهاية، ٧/١٠٥.

**ثانياً: استشارتهم واحترام آرائهم:** القائد الناجح يحترم آراء جنده ويستشيرهم، ويشركهم في قراراته، ورسولنا ﷺ كان القدوة في ذلك، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك، منها ما حصل قبيل غزوة أحد بعد ما علم النبي ﷺ بخروج المشركين باتجاه المدينة لقتال المسلمين، فشاور النبي ﷺ أصحابه بالبقاء في المدينة والدفاع عنها، أم الخروج لملاقاة المشركين خارج المدينة، فكان رأي الأغلبية - وهم الشباب - الخروج خارج المدينة، فاحترم النبي ﷺ رأيهم وأخذ به، كما جاء الخبر في صحيح البخاري معلقاً "وشاور النبي ﷺ أصحابه يوم أُحُدٍ في المقام والخروج، فَرَأَوْا لَهُ الْخُرُوجَ، فَلَمَّا لَبَسَ لِأُمَّتِهِ<sup>(١)</sup> وَعَزَمَ قَالُوا: أَقِمْ، فَلَمْ يُجِبْ لَهُمْ بَعْدَ الْعَزْمِ وَقَالَ: لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ يَلْبَسُ لِأُمَّتِهِ فَيَضَعُهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ"<sup>(٢)</sup>.

وكان القادة بعد رسول الله ﷺ يشاورون جنودهم ويحترمون آراءهم، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها على سبيل المثال في معركة نهاوند التي كان قائدها النعمان بن مقرن، وبعد أن طال الحصار جمع النعمان أهل الرأي من الجيش فأشار عليه طلحة بن خويلد الأسدي وقال: "إني أرى أن تبعث سرية فتحدق بهم ويناوشوهم بالقتال ويحمسوهم، فإذا برزوا إليهم فليفروا إلينا هرباً، فإذا استطردوا وراءهم وانتموا إلينا عزمنا أيضاً على الفرار كلنا، فإنهم حينئذ لا يشكون في الهزيمة فيخرجون من حصونهم عن بكرة أبيهم، فإذا تكامل خروجهم رجعنا إليهم فجالدناهم حتى يقضي الله بيننا"<sup>(٣)</sup>، فاستحسن النعمان هذا الرأي وأمر بتنفيذه وتمكنوا من الانتصار على أعدائهم وهزيمتهم.

إن استشارة القيادة لجنده واحترام آرائهم يرفع من معنوياتهم، ويدفعهم لتنفيذ أوامرها بكل إخلاص، وهذا ينعكس إيجابياً في مصلحة حماية الوطن.

**ثالثاً: توفير العيش الكريم لهم:** في بداية العهد الإسلامي كان النبي ﷺ يوزع أربعة أخماس الغنائم على الجيش الذي شارك بتلك الغزوة، كما حصل في غزوة حنين<sup>(٤)</sup>، وغزوة الطائف<sup>(٥)</sup> وغيرها. وكان كل الصحابة رضوان الله عليهم جنداً للإسلام، فكان كل ما يأتي بيت المال من مال

١- الدرر وقيل الآلة من درع وبيضة وغيرها من السلاح (فتح الباري ٢٨٦/١٥).

٢- البخاري، الصحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله تعالى: ﴿وَأْمُرُهُمْ سُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.

٣- ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠٦-١٠٧/٧.

٤- ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٧٠-٢٧٢/٣.

٥- انظر: المصدر السابق، ١٠٣/٤.

يوزعه النبي ﷺ على صحابته حتى يؤمن العيش الكريم لهم.

وقد سار الخلفاء والقادة بعد النبي ﷺ على نهجه في توفير العيش الكريم للجند، وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب أنشأ (ديوان الجند) سجل فيه أسماء الجند، وفرض لهم العطايا بما يكفيهم ويؤمن لهم العيش الكريم، وقال ﷺ: "لئن كثر المال لأفرض لكل رجل أربعة آلاف درهم: ألفا لسفره، وألفا لسلاحه، وألفا يخلفه لأهله، وألفا لفرسه ونعله"<sup>(١)</sup>.

وقال عمر أيضا: "أربع من أمر الإسلام لست مضيعهن ولا تاركهن لشيء أبداً، وذكر من إحداهن: المهاجرون الذين تحت ظلال السيوف ألا يجسوا ولا يجمروا"<sup>(٢)</sup>، وأن يوفر فيء الله عليهم وعلى عيالاتهم، وأكون أنا للعيال حتى يقدموا"<sup>(٣)</sup>.

إن توفير العيش الكريم للجندي يشعره بالأمان والاستقرار، ويدفعه إلى الإخلاص في عمله والتفاني بأداء واجباته في حماية الوطن، بينما إذا شعر الجندي بالظلم وعدم توفير العيش الكريم له ولأهله فإن ذلك يؤثر في نفسيته وفي تنفيذه لواجباته وإخلاصه لقيادته وحماية وطنه.

**رابعاً: حماية أهلهم في غيابهم وعدم خيانتهم:** حث النبي ﷺ على العناية بأهل المجاهدين والغزاة أثناء غيابهم، والاعتناء بهم، ووعد كل من يفعل ذلك بالأجر العظيم كالغزاة فقال ﷺ: "مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ حَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا"<sup>(٤)</sup> وحذر تحذيراً شديداً من الاعتداء على حرمات نساء المجاهدين وحيانتهم فقال ﷺ: "حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ فَيَخُونُهُ فِيهِمْ، إِلَّا وَقَفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْخُذُ مِنْ عَمَلِهِ مَا شَاءَ"<sup>(٥)</sup>.

- ١- البلاذري، فتوح البلدان، ذكر العطاء في خلافة عمر، ص ٦٣٣.
- ٢- تجمير الجيش: جمعهم في الثغور وحبسهم عن العودة إلى أهلهم (النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ١٦١).
- ٣- الطبري، التاريخ، ٢/١٢٠٧.
- ٤- البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد، باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير، حديث رقم ٢٨٤٣. وأخرجه مسلم، كتاب الأمانة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير، حديث رقم ١٨٩٥، واللفظ له.
- ٥- مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب حرمة نساء المجاهدين وإثم من خانهم فيهن، حديث رقم ١٨٩٧.

وفي غزوة الخندق أمر النبي ﷺ بوضع ذراري المقاتلين ونسائهم في حصن بني حارثة ليكونوا في مأمن من خطر الأعداء، كما جاء في مجمع الزوائد: "لم يكن حصن أحسن من حصن بني حارثة فجعل النبي ﷺ النساء والصبيان والذراري فيه"<sup>(١)</sup>.

إن حماية أهل الجندي في غيابه سواء وهو في وحدته العسكرية، أو في ساحة القتال يشعره بالطمأنينة والأمن النفسي، ويدفعه إلى القيام بواجباته في حماية الوطن خير قيام، بينما إن كان الجندي لا يشعر بالطمأنينة على أهله في غيابه، فهذا يثير في نفسه القلق وشروذ الذهن، وينعكس ذلك سلباً على القيام بواجباته ومهامه في حماية الوطن.

خامساً: يجب على القيادة تدريب الجندي والارتقاء بمستواه العسكري: كان النبي ﷺ يحرص على أن يكون جند الصحابة رضوان الله عليهم على درجة عالية من الاستعداد العسكري، والإلمام بالفنون العسكرية والقتالية، وقد كانت أهم الوسائل آنذاك الرماية والفروسية، فكان ﷺ يحثهم على تعلم الرمي، وقد جاء ذلك في أحاديث كثيرة منها ما رواه عقبه بن عامر ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ يَقُولُ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِّيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِّيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِّيَّ"<sup>(٢)</sup>.

كما وكان ﷺ يحثهم على الفروسية، والاهتمام بالخيال الذي هو من أهم الأسلحة التي كانت في ذلك الوقت والاعتناء بها، وكان ﷺ يعمل لهم مسابقات للخيال، كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي أُضْمِرَتْ"<sup>(٣)</sup>، مِنَ الْحَفِيَاءِ<sup>(٤)</sup> وَأَمَدَهَا ثَنِيَّةُ الْوُدَاعِ<sup>(٥)</sup>، وَسَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي لَمْ تُضْمَرْ مِنَ الثَّنِيَّةِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ، وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ كَانَ

- ١- الهيثمي، مجمع الزوائد، باب غزوة الخندق وقریظة، ٦/١٣٦. وقال: رجاله ثقات.
- ٢- مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، حديث رقم ١٩١٧.
- ٣- الإضمار: أن تعلق الخيل حتى تسمن وتقوى ثم يقلل علفها بقدر القوت وتدخل بيتا وتغشى بالجلال حتى تحمي فتعرق فإذا جف عرقها خف لحمها وقويت على الجري، (فتح الباري، ٦/١٦٤).
- ٤- الحفيا: مكان خارج المدينة (فتح الباري، ٦/٦٣).
- ٥- ثنية الوداع عند المدينة؛ سميت بذلك لأن الخارج من المدينة يمشي معه المودعون إليها (شرح محمد فؤاد عبد الباقي، صحيح مسلم، شرح النووي، ١٣/١٨).

فِيمَنْ سَابَقَ بِهَا<sup>(١)</sup>.

من حق الجندي على قيادته أن تحرص على تدريبه على الفنون العسكرية، والارتقاء بمستواه العسكري باستمرار، حتى يتمكن من القيام بواجبه في حماية الوطن، وتنفيذ الواجبات الموكلة إليه خير قيام.

إن هذه الحقوق العظيمة التي أعطاها الإسلام لحماية الوطن؛ من مراعاة أحوالهم والرفق بهم، والحرص على سلامتهم، واستشارتهم واحترام آرائهم، وتوفير العيش الكريم لهم، وحماية أهلهم في غيابهم وعدم خيانتهم، والحرص على تدريبهم والارتقاء بمستواهم العسكري، هذه الحقوق لم يعطها أي مذهب من المذاهب الغربية والشرقية المعاصرة، وبهذا يكون للإسلام السبق الحضاري في احترام حماة الوطن وتكريمهم، وإعطائهم حقوقاً تدفعهم إلى الإبداع والاستبسال في حماية الوطن، وبذل الغالي والنفيس من أجله، والقيام بواجبهم خير قيام.

## المبحث الثاني: مكانة الشهداء وحقوقهم في السنة النبوية

### المطلب الأول: فضل الشهادة والشهداء في السنة النبوية

الشهادة في سبيل الله من أعظم الدرجات عند الله عز وجل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به. وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم: "أخبر سبحانه أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، وأعضاهم عليها الجنة، وأن هذا العقد والوعد قد أودعه أفضل كتبه المنزلة من السماء وهي التوراة والانجيل والقرآن، ثم أكد ذلك بإعلامهم أنه لا أحد أوفى بعهد منه تبارك وتعالى، ثم أكد ذلك بأن أمرهم بأن يستبشروا ببيعهم الذي عاقده عليه، ثم أعلمهم أن ذلك هو الفوز العظيم، فليتأمل

١- البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب السبق في الخيل، حديث رقم ٢٨٦٨. وأخرجه مسلم،

كتاب الجهاد والسير، باب المسابقة في الخيل وتضميرها، حديث رقم ١٨٧٠.

٢- سورة التوبة، آية (١١١).

العاقد مع ربه عقد هذا التبائع ما أعظم خطره وأجله، فإن الله عز وجل هو المشتري، والثمن جنات النعيم والفوز برضاه، والتمتع برؤيته هناك، والذي جرى على يده هذا العقد أشرف رسله وأكرمهم عليه من الملائكة والبشر، وإن سلعة هذا شأنها لقد هيئت لأمر عظيم وخطب جسيم<sup>(١)</sup>.

وقد بين لنا النبي ﷺ من هو الشهيد؛ كما جاء في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانَهُ فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ: مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"<sup>(٢)</sup>. وقد بينت السنة النبوية المطهرة أن للشهداء فضائل عظيمة كثيرة، منها:

**أولاً: الشهيد لا يجد ألم القتل:** الشهيد لا يشعر بآلام النزاع الشديدة عند الموت والتي يشعر بها بقية الناس كما جاء في حديث النبي ﷺ: "مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ الْقَرْصَةِ"<sup>(٣)</sup>.

**ثانياً: تمنى الشهيد أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما وجد من الكرامة:** كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُجِبُّ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكِرَامَةِ"<sup>(٤)</sup>.

**ثالثاً: الشهيد جزاؤه الجنة:** والأدلة على ذلك كثيرة من آيات وأحاديث منها الحديث الذي

- ١- ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ٢/٥٩.
- ٢- البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، حديث رقم ٢٨١٠. وأخرجه مسلم، كتاب الإمامة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، حديث رقم ١٩٠٤.
- ٣- الترمذي، السنن، كتاب الجهاد، باب فضل المرابط، حديث رقم ١٦٦٨. وأخرجه النسائي، كتاب الجهاد، باب ما يجد الشهيد، حديث رقم ٣١٦١. وأخرجه ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله، حديث رقم ٢٨٠٢. صححه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. و صححه الألباني في صحيح الترمذي، ٢/١٣٣.
- ٤- البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد، باب تمنى المجاهد أن يرجع إلى الدنيا، حديث رقم ٢٨١٧. وأخرجه مسلم، كتاب الإمامة، باب فضل الشهادة في سبيل الله، حديث رقم ١٨٧٧.

رواه أنس "أَنَّ أُمَّ حَارِثَةَ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَدَ هَلَكَ حَارِثُهُ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ غَرْبٌ سَهْمٌ<sup>(١)</sup>، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْتُ مَوْقِعَ حَارِثَةَ مِنْ قَلْبِي، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ لَمْ أَبْكِ عَلَيْهِ، وَإِلَّا سَوْفَ تَرَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ لَهَا: هَبِلْتِ، أَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ، إِنَّهَا جَنَّاتٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى"<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: الشهيد تكفر عنه كل خطاياهم إلا الدين: كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: "يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ"<sup>(٣)</sup>.

خامساً: الشهيد رائحة دمه مسك يوم القيامة: نحو ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكَلِّمُ<sup>(٤)</sup> أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللُّونُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمِسْكِ"<sup>(٥)</sup>.

سادساً: الشهيد تظلمه الملائكة بأجنحتها: ويؤكد هذا حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "أَصِيبَ أَبِي يَوْمَ أَحَدٍ فَجَعَلَتْ أَكْشِفُ الثُّوبَ عَنْ وَجْهِهِ وَأَبْكِي، وَجَعَلُوا يَنْهَوْنِي، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَنْهَانِي، قَالَ وَجَعَلَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرٍو تَبْكِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تَبْكِيهِ أَوْ لَا تَبْكِيهِ، مَا زَالَتْ الْمَلَائِكَةُ تَظْلُمُهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ"<sup>(٦)</sup>.

سابعاً: جسد الشهيد لا تأكله الأرض: روايات كثيرة من عهد الصحابة رضوان الله عليهم ومن مشاهدات الواقع المعاصر تؤكد أن أجساد الشهداء لا تأكلها الأرض وتبقى كما هي، ومن هذه الروايات حديث جابر بن عبد الله وهو يتحدث عن أبيه الذي استشهد يوم أحد، وجاء في

١- سهم غرب: أي لا يعرف راميهِ (النهاية في غريب الحديث، ص ٦٥٢).

٢- البخاري، الصحيح، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، حديث رقم ٦٥٦٧.

٣- مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياهم إلا الدين، حديث رقم ١٨٨٦.

٤- يكلم: أي يجرح (النهاية في غريب الحديث، ص ٨٠٠).

٥- البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد، باب من يجرح في سبيل الله، حديث رقم ٢٨٠٣. وأخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، حديث رقم ١٨٧٩.

٦- البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد، باب ظل الملائكة على الشهيد، حديث رقم ٢٨١٦. وأخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر رضي الله عنهما، حديث رقم ٢٤٧١، واللفظ له.

حديثه الطويل: "... فَأَصْبَحْنَا، فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ، وَدُفِنَ مَعَهُ آخَرٌ فِي قَبْرِ، ثُمَّ لَمْ تَطْبُ نَفْسِي أَنْ أَتْرَكُهُ مَعَ الْآخَرِ، فَاسْتَحْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَإِذَا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ هُنَيْئَةً<sup>(١)</sup>، غَيْرَ أُذُنِهِ"<sup>(٢)</sup>. وذكر ابن حجر في شرح الحديث أن المشركين مثلوا بأبيه وقطعوا بعض أذنه<sup>(٣)</sup>.

**ثامنًا: الشهيد ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويجاز من فتنة وعذاب القبر:** وقد جاء ذلك في الحديث الذي رواه فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ أنه قال: "كُلُّ مَيِّتٍ يُحْتَمُّ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنَمَّى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ"<sup>(٤)</sup>.

**تاسعًا: الشهيد يرى مقعده من الجنة، ويأمن من الفرع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار،** الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه. وكل ذلك جاء في حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ حِصَالٍ؛ يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشْفَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ"<sup>(٥)</sup>.

عندما يعلم الجندي بأنه إذا استشهد فإن له هذه الفضائل العظيمة، فهذا يدفعه للإقدام والاستبسال في حماية الوطن، فيكسب شرف الشهادة في سبيل الله.

- ١ - هنية: أي قليلا من الزمان وهو تصغير هنة (النهاية في غريب الحديث، ص ١٠٠٠).
- ٢ - البخاري، الصحيح، كتاب الجنائز، باب هل يخرج الميت من القبر والحد لعله؟، حديث رقم ١٣٥١.
- ٣ - انظر: ابن حجر (فتح الباري ٥٨٠-٥٨١/٣).
- ٤ - الترمذي، السنن، أبواب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل من مات مرابطا، حديث رقم ١٦٢١. وأخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في فضل الرباط، حديث رقم ٢٥٠٠.
- صحيحه الترمذي وقال: حديث فضالة بن عبيد حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٤٧٤).
- ٥ - الترمذي، السنن، أبواب فضائل الجهاد، باب في ثواب الشهيد، حديث رقم ١٦٦١. وأخرجه ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله، حديث رقم ٢٧٩٩. صححه الترمذي وقال: حديث صحيح غريب، وحسنه ابن حجر في فتح الباري (٦/٢٠) وصححه الألباني في أحكام الجنائز، ص ٣٦، وفي صحيح الترمذي (٢/١٣٢).

هذه الفضائل العظيمة للشهادة في سبيل الله، ينبغي في هذا الزمان أن تدفعنا لتكون نحن وأولادنا من حماة أوطاننا والدفاع عنها في زمن تكالبت فيه علينا الأمم كما تتكالب الأكلة على قصعتها، وكي نكسب شرف الشهادة في سبيل الله تعالى.

وينبغي لهذه الفضائل العظيمة للشهادة والشهداء أن تُبين للناس من قبل الخطباء والوعاظ في المساجد، والمعلمين في المدارس، والإعلاميين في مختلف وسائل الإعلام، حتى يتمنى كل المسلمين الشهادة في سبيل الله، ويسعوا إليها من خلال حماية الوطن والدفاع عنه بشتى السبل الممكنة، وكل في موقعه.

### المطلب الثاني: حقوق الشهداء وأسرههم في السنة النبوية

إن للشهداء وأسرههم حقوقاً يجب على القادة العسكريين وولاة الأمور مراعاتها، ومن أهم هذه الحقوق:

أولاً: دفنهم في ثيابهم ودمائهم دون غسل، ودفنهم مكان استشهادهم إن أمكن: من حق الشهداء أن يدفنوا في ثيابهم ودمائهم دون غسل، لتكون هذه الثياب والدماء شاهدة عليهم يوم القيامة، ولأن كل جرح ودم يفوح مسكا يوم القيامة.

ومما يؤكد هذا حديث جابر عن شهداء أحد أن النبي ﷺ قال: "ادْفِنُوهُمْ فِي دِمَائِهِمْ. وَمَلِّمْ يُغَسَّلُوهُمْ"<sup>(١)</sup>. وفي رواية أخرى: "لَا تُغَسَّلُوهُمْ، فَإِنَّ كُلَّ جُرْحٍ أَوْ كُلَّ دَمٍ، يَفُوحُ مِسْكَاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ"<sup>(٢)</sup>.

ويستحب أن يدفن الشهيد في مكان استشهاده لتشهد له الأرض التي استشهد عليها، حيث أمر النبي ﷺ بأن يدفن الشهداء في مكان استشهادهم، كما روى جابر بن عبد الله قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ جَاءَتْ عَمَّتِي بِأَبِي لِتَدْفِنَهُ فِي مَقَابِرِنَا فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "رُدُّوا الْقَتْلَى

١- البخاري، الصحيح، كتاب الجنائز، باب من لم ير غسل الشهداء، حديث رقم ١٣٤٦.

٢- أحمد، المسند، حديث رقم ١٤١٨٩. وحسنه ابن حجر في الفتح (٢/٣٣٦)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٣/١٦٤)، وفي أحكام الجنائز ص ٥٤. وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند (٢٢/٩٧).

إِلَى مَضَاجِعِهَا"<sup>(١)</sup>.

عندما يعلم الجندي بأنه إذا استشهد سيكرم هذا التكريم في الدنيا، بالإضافة إلى ما له من تكريم عظيم في الآخرة، فإن في ذلك حافزاً كبيراً له ليبدل قصارى جهده في حماية الوطن، والسعي لكسب شرف الشهادة في سبيل الله، وهذا الأمر له تأثير كبير في نفوس أسر الشهداء بل وفي نفوس المسلمين جميعاً، يدفعهم لبذل الجهد في حماية الوطن وتمني الشهادة في سبيل الله.

**ثانياً: زيارة أسر الشهداء وتفقد أحوالهم، وجبر خواطرهم وتبشيرهم:** فقد كان النبي ﷺ يزور أسر الشهداء ويواسيهم، ومما يدل على ذلك أحاديث كثيرة منها حديث أنس رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَدْخُلُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِ، إِلَّا أُمَّ سُلَيْمٍ فَإِنَّهُ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: "إِنِّي أَرْحُمُهَا قَتَلَ أَخُوهَا مَعِيَ"<sup>(٢)</sup>. وأخوها هو حرام بن ملحان استشهد في غزوة بئر معونة<sup>(٣)</sup>.

وروى عبد الله بن جفر بن أبي طالب "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَهَلَ آلَ جَعْفَرٍ ثَلَاثًا أَنْ يَأْتِيَهُمْ، ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَالَ: لَا تَبْكُوا عَلَيَّ أَحْيَى بَعْدَ الْيَوْمِ، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي بَنِي أَحْيَى. فَجِيءَ بِنَاكَاثًا أَفْرُخٌ فَقَالَ: ادْعُوا لِي الْحَلَّاقِ. فَأَمَرَهُ فَحَلَقَ رُؤُوسَنَا"<sup>(٤)</sup>.

١- الترمذي، السنن، أبواب الجهاد، باب ما جاء في دفن القتيل في مقتله، حديث رقم ١٧١٧ واللفظ له. وأخرجه أبو داود، كتاب الجنائز، باب في الميت يحمل من أرض إلى أرض وكرهة ذلك، حديث رقم ٣١٦٥. وأخرجه النسائي، كتاب الجنائز، باب أين يدفن الشهيد، حديث رقم ٢٠٤. صححه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/١٤٢)، حديث رقم ١٤٠١.

٢- البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد، باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير، حديث رقم ٢٨٤٤. وأخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أم سليم أم أنس بن مالك، حديث رقم ٢٤٥٥.

٣- ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/١٤٧.

٤- أبو داود، السنن، كتاب الترجل، باب في حلق الرأس، حديث رقم ٤١٩٢. وأخرجه النسائي، كتاب الزينة، باب حلق رؤوس الصبيان، حديث رقم ٥٢٣٧. وأخرجه أحمد في المسند، حديث رقم ١٧٥٠. صححه الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رجاله رجال الصحيح (٤/١٥٩). وصححه الألباني في أحكام الجنائز (ص ٢١)، وصححه أحمد شاكر في تحقيق المسند (٣/١٩٢)، وصححه شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند وقال: صحيح على شرط مسلم (٣/٢٧٨).

وكان النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم يجرون خواطر أهل الشهداء ويشروهم، ومن الأمثلة على ذلك ما رواه عبدالله بن جعفر (رضي الله عنه) قال: قال لي رسول الله ﷺ: "هَنِيئًا لَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَبُوكَ يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاءِ"<sup>(١)</sup>. وكان عبدالله بن عمر (رضي الله عنه) إذا سلم على ابنِ جَعْفَرٍ قَالَ: "السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ ذِي الْجَنَاحَيْنِ"<sup>(٢)</sup>.

حينما ينظر حماة الوطن إلى ما تبينه السنة النبوية لأبناء الشهداء وأسره من الرعاية والعناية، فإنهم يشعرون بالطمأنينة على أبنائهم وأسره من بعدهم، وهذا يدفعهم إلى بذل الغالي والنفيس من أجل حماية الوطن.

وهذه العناية والرعاية ترفع من معنويات أبناء الشهداء وأسره وتشعرهم بالأمن والأمان، وتدفعهم إلى لسير على خطى شهيدهم بالدفاع عن الوطن بشتى السبل الممكنة.

**ثالثاً: الإنفاق على أسر الشهداء، وتوفير العيش الكريم لهم، وقضاء ديونهم:** كان في بداية العهد الإسلامي إذا استشهد أحد الصحابة رضوان الله عليهم لا يتركون زوجته وأولاده، بل يسارعون إلى كفالتهم، من خلال الزواج من زوجة الشهيد ورعاية وكفالة أولاده، والأمثلة كثيرة منها ما فعله النبي ﷺ عندما استشهد الصحابي عبدة بن الحارث (رضي الله عنه) في غزوة بدر فقام النبي ﷺ بضم زوجته زينب بنت خزيمة للبيت النبوي بعد انقضاء عدتها وشرفها بلقب أم المؤمنين، ورعى ولدها<sup>(٣)</sup>.

وحدث النبي ﷺ على كفالة اليتامى وقال: "أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا"، وقال بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى<sup>(٤)</sup>.

١- الطبراني، المعجم الكبير، كما أكد ابن حجر بالفتح (٧/٤٤١) وكما أكد الهيثمي بمجمع الزوائد (٩/٢٧٣)، وبحثت عنه بالأجزاء المطبوعة فلم أجده ويبدو أنه بالأجزاء المفقودة. وأخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/١٩١).

حسنه ابن حجر بالفتح (٧/٤٤١)، وحسنه الهيثمي بمجمع الزوائد (٩/٢٧٣)، وحسنه المنذري بالترغيب (٢/١٩١).

٢- البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض بلاد الشام، حديث رقم ٤٢٦٤.

٣- انظر: تاريخ الطبري (٥٩٥-١١/٥٩٦). وانظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق (٣/٢٠٦).

٤- البخاري، الصحيح، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيماً، حديث رقم ٦٠٠٥.

كما حث ﷺ أيضا على مساعدة الأرمال وقال: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل"<sup>(١)</sup>، وكان النبي ﷺ ينفق على الأرمال واليتامى مما يأتيه من غنائم وزكاة وصدقات.

وبعد النبي ﷺ كان الخلفاء يهتمون بأسر الشهداء ويكرمونه؛ فعلى سبيل المثال كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يكرم أبناء الشهداء ويفضلهم على غيرهم في العطاء؛ فقد روى أنه "لَمَّا فَرَضَ لِلنَّاسِ فَرَضَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ الْعَسِيلِ"<sup>(٢)</sup> ألفي درهم فأتاه طلحة بائن أخ له ففرض له دون ذلك فقال له: يا أمير المؤمنين فضلت هذا الأنصاري على ابن أخي! فقال: نعم لأني رأيت أباه يستن<sup>(٣)</sup> يوم أحد بسيفه كما يستن الحمل<sup>(٤)</sup>.

وقد ذكر الفقهاء أن من مات أو قتل من جنود المسلمين، فإنه ينفق على امرأته حتى تتزوج، وعلى ابنته الصغيرة حتى تتزوج، وعلى ابنه الصغير حتى يبلغ، ثم يجعل من المقاتلة إن كان يصلح للقتال، لأن في ذلك تطيباً لقلوب المجاهدين، فإنهم متى علموا أن عيالهم يكفون المؤونة بعد موتهم تحمسوا للجهاد والقتال<sup>(٥)</sup>.

ويجب على ولاة الأمور قضاء ديون الشهداء من بيت مال المسلمين، كما بين النبي ﷺ في الحديث "أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفيت من المؤمنين فترك ديناً، فعلي فضاؤه، ومن ترك مالا فلورثته"<sup>(٦)</sup>.

- ١- المصدر السابق،، كتاب الأدب، باب الساعي على الأرملة، حديث رقم ٦٠٠٦ واللفظ له. وأخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، حديث رقم ٢٩٥٢.
- ٢- الصحابي حنظلة بن أبي عامر استشهد في غزوة أحد (انظر: سيرة ابن هشام، ٣/٦٠).
- ٣- يستن: أي يمرح ويخطر به- دلالة على الشجاعة- (النهاية في غريب الحديث، ص ٤٤٠).
- ٤- الحاكم، المستدرک، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب حنظلة بن عبد الله، حديث رقم ٤٩١٨. وأخرجه ابن المبارك في كتاب الجهاد، حديث رقم ٨٧، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، ١٢/١٢٦.
- ٥- انظر: ابن قدامة، الكافي في فقه ابن حنبل، (٣١٩-٤/٣٢٠)، وانظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١٤/٥٨٦).
- ٦- البخاري، الصحيح، كتاب النفقات، باب قول النبي ﷺ (من ترك كلا أو ضياعا فإلي)، حديث رقم ٥٣٧١.

وقال ابن حجر في شرح الحديث " وأراد المصنف بإدخاله في أبواب النفقات الإشارة إلى أن من مات وله أولاد ولم يترك لهم شيئاً، فإن نفقتهم تجب في بيت مال المسلمين"<sup>(١)</sup>.

حين تتحقق الرعاية والكفالة لأسر الشهداء بعد موت معيهم في الدفاع عن الوطن، فإن ذلك يحقق الأمن الاجتماعي لهم، لأنهم إن لم يجدوا الرعاية والكفالة فربما تدفعهم الحاجة لسلوك مسالك خاطئة لتحصيل حاجاتهم المادية.

إن شعور أبناء الشهداء وأسرههم بأن الدولة تنفق عليهم وتؤمن لهم العيش الكريم، فإن ذلك يدفعهم إلى السير على خطى شهيدهم والانخراط في سلك حماة الوطن، والدفاع عنه بشتى السبل الممكنة.

وإن هذه الحقوق العظيمة التي أعطاها الإسلام للشهداء وأسرههم، فيها حافز ودافع عظيم لأبناء الشهداء وأسرههم وللمسلمين جميعاً للاقتداء بهم، والسير على نهجهم في حماية الوطن والاستبسال في الدفاع عنه بشتى السبل الممكنة، كل في مكانه وموقعه وحسب إمكانياته.

وينبغي في هذا الزمان أن يكون في بلداننا الإسلامية مؤسسات رسمية وخيرية لرعاية أسر الشهداء، في مجالات متعددة:

١. في الجانب المادي: بتوفير كل ما يلزمهم من مال ومسكن وغذاء ولباس.
٢. في الجانب التعليمي: بالعناية بتعليم أبنائهم من المرحلة الأساسية إلى المرحلة الجامعية.
٣. في الجانب المعنوي والنفسي: بالمداومة على زيارتهم، ورفع معنوياتهم، وتفقد أحوالهم، وتقديم الإرشادات اللازمة لهم.

١- ابن حجر، فتح الباري (٩/٥١٦).

### نتائج البحث:

- ١- بينت السنة النبوية أهمية وجود جيش وحماة للوطن يدافعون عنه، ويصدون مؤامرات ومخططات الأعداء.
- ٢- الأمة التي لها جيش قوي تعيش بكرامة، وتكون كلمتها مسموعة، وأمرها مطاع، والأمة التي ليس لها جيش، أو جيشها ضعيف، تكون ذليلة ومهانة، ويطمع بها الأعداء من كل جانب.
- ٣- بينت السنة النبوية صفات الجندي المسلم التي ينبغي أن يتصف بها حتى يقوم بواجبه بحماية الوطن خير قيام.
- ٤- أكدت السنة النبوية حقوق الجنود وأسرهم وبينتها، حيث إن إعطاء الجنود حقوقهم يعينهم على أداء واجبهم خير قيام.
- ٥- بينت السنة النبوية مكانة الشهداء، وفضل الشهادة في سبيل الله، حيث أعطت الشريعة الإسلامية للشهداء ميزات عظيمة كثيرة لم يحظ بها غيرهم من الأموات غير الأنبياء والرسل.
- ٦- ضمنت السنة النبوية حقوق الشهداء وأسرهم وبينتها، هذه الحقوق التي تكفل لأسرهم حياة كريمة بعد استشهاد معيهم.
- ٧- سبق الحضاري للشريعة الإسلامية في الاهتمام بالجندي، وإعطاء الجنود وأسر الشهداء حقوقاً لم تصل إلى مستواها أي حضارة أخرى.
- ٨- الحقوق العظيمة التي أعطاها الإسلام للشهداء وأسرهم، فيها دافع عظيم لأبناء الشهداء للاقتداء بهم والسير على نهجهم في حماية الوطن، والاستبسال في الدفاع عنه.

## قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، استانبول، ط ٢، ١٩٧٢ م.
- أحمد بن تيمية الحراني، مجموعة الفتاوى، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ١٩٩٨ م.
- أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٩٥ م.
- أحمد سالم ملحم، دراسات إسلامية في الفكر والثقافة والسلوك، ط ١، ٢٠٠٥ م.
- أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي (المجتبى)، تحقيق صدقي العطار، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ٢٠٠١ م.
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق ابن باز، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
- أحمد المومني، التعبئة الجهادية في الإسلام، دار الأرقم، عمان، ط ١، ١٩٨٦ م.
- أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق عبدالله الطباع وعمر الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٧ م.
- إسماعيل بن كثير القرشي:
- البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٢ م.
- تفسير القرآن العظيم، دار الجليل، بيروت، ط بدون.
- سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، تحقيقي حمدي السلفي، مكتبة التوعية الإسلامية، العراق، ط ٢، ١٩٨٥ م.
- سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق مشهور حسن، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١.
- طاهر النحال، القيادة والجنودية في السنة النبوية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٧ م.
- عبدالرحمن بن غرمان العمري، أحكام الشهيد في الفقه الإسلامي، دار البيان الحديث، السعودية، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
- عبد العظيم المنذري، الترغيب والترهيب، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط بدون.
- عبدالله بن المبارك، الجهاد، تحقيق نزيه حماد، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط بدون.
- عدنان علي النحوي، الولاء بين منهاج الله والواقع، دار النحوي، الرياض، ط ١، ١٩٩٢ م.

## مكانة حماة الوطن والشهداء وحقوقهم في السنة النبوية...

- علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٢م.
- علي بن الحسين (ابن عساكر)، تاريخ دمشق، تحقيق عمر العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
- ابن قدامة المقدسي، الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢م.
- ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، إدارات البحوث العلمية، الرياض، ط بدون.
- المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق رائد صبري، بيت الأفكار الدولية، ط بدون.
- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار المعارف مصر، ط بدون.
- محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار السلام، الرياض، ط ٢، ١٩٩٩م.
- محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط ٦.
- محمد الخضري، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م.
- محمد بن سعيد القحطاني، الولاء والبراء في الإسلام، دار طيبة، السعودية، ط ٩، ١٤٢٠هـ.
- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، ١٩٨٤م.
- محمد بن عبدالله التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٧٩م.
- محمد بن عبدالله الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، دار الکتب العلمیة، ط بدون.
- محمد بن عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، دار الخير، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م.
- محمد بن عمر الواقدي، المغازي، عالم الكتب، بيروت، ط بدون.
- محمد بن عيسى الترمذي، جامع الترمذي، تحقيق عادل مرشد، دار الأعلام، عمان، ط ١، ٢٠٠١م.
- محمد ناصر الدين الألباني:
- أحكام الجنائز، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٨٨هـ.
- إرواء الغليل وتخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٥م.
- صحيح سنن أبي داود، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط ١، ١٩٨٩م.
- صحيح سنن الترمذي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط ١، ١٩٧٨م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٩٩٥م.

- محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق صدقي العطار، دار الفكر، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
- محمود شيت خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، رئاسة المحاكم الشرعية، قطر، ١٤٠٣هـ.
- مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار المغني، الرياض، ط ١، ١٩٩٨م.
- يحيى بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، تحقيق خليل شما، دار المعرفة، بيروت، ط ٦، ١٩٩٩م.

الرباط فضله وأثره في حماية الوطن  
في ضوء السنة النبوية

الأستاذ / عمران محمد المزوري  
باحث في مرحلة الدكتوراه في الحديث النبوي الشريف  
كلية العلوم الإسلامية - جامعة صلاح الدين / أربيل العراق





## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، أما بعد:

فإن الإسلام نظام شامل لجميع مناحي الحياة. لم يهمل في تشريعاته وقوانينه أي أمر يمس حياة الناس إلا وقد وضع له قواعد ضابطة له، ولم يترك غاية إلا بين لها وسائل كفيلة للوصول إليها.

فحماية الوطن - إذا - من شرّ الأشرار، وتوفير حياة آمنة ومريحة لأهله غاية سامية للشريعة الإسلامية، أكّدت على تحقيقها في نصوصها ولا سيما السنة النبوية الشريفة، وذلك بالترغيب في هذا العمل العظيم والحث على القيام به، وبيان فضل القائمين بهذه الوظيفة المباركة ومنزلتهم عند الله تعالى، ومن ثمّ وضع ضوابط ووسائل موصلة لذلك الهدف السامي، وهذا يدل على مكانة الوطن ومنزلته في الإسلام؛ لأنه لا يخفى على أحد أن الدين وشعائره لا يمكن أن تمارس بشكل طبيعي وحقيقي بدون وجود وطن آمن للمتدينين؛ لذا فإن من أولى خطوات نشر أي فكرة أو دين وترسيخ مبادئه بين الناس توفير موطن محروس لأتباعه ومعتنقيه ولو كانت زاوية صغيرة في قرية أو مدينة.

ومن الوسائل التي جعلها الإسلام أساساً لحماية الوطن حماية حدود الوطن وثغوره من تسلل الأعداء والأشرار ليشكلوا خطراً على أمنه وسلامته وذلك بتشريع الرباط، وتجنيد الجنود الخاصة لملازمة ثغور البلاد والإقامة فيها لمراقبة أي حركة أو خطر يهدد الوطن وأهله، ومن ثمّ مواجهته بكل قوة وثبات ليرهبوا بذلك عدو العباد والبلاد.

وانطلاقاً من ذلك تأتي هذه الورقيات البحثية لتسلط الضوء على الرباط ببيان مفهومه وفضله وأثره في حماية الوطن، وحفظه من شرّ الأعداء بالاستناد إلى ما ورد في ذلك من الأحاديث النبوية الشريفة، ولذلك وُسم البحث بـ "الرباط فضله وأثره في حماية الوطن في ضوء السنة النبوية".

**إشكالية البحث:** تكمن إشكالية البحث في صياغة السؤالين الآتيين: ما هو مفهوم الرباط وفضله في الإسلام؟ وما أثره في حماية الوطن من شرّ الأشرار؟

**الهدف من البحث:** يهدف البحث إلى بيان مفهوم الرباط وفضله ومكانته في السنة النبوية، ومن ثم إبراز أثره في حماية الوطن وحفظه من شرّ الأعداء، وكذا دوره في ازدهار البلاد في المناحي السياسية والاقتصادية والمعيشية.

**منهجية البحث:** قام البحث على أعمال المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك بتتبع الأحاديث الواردة في الرباط وجمعها ومن ثم بيان فضل الرباط ومكانته واستلهاً أبرز آثاره في حماية الوطن في ضوء تلكم الأحاديث النبوية الشريفة وما ذكره العلماء في معنى الرباط وبيان مفهومه ووظيفته.

**الدراسات السابقة:** ما وقفت عليه من البحوث والدراسات السابقة المتعلقة بموضوعنا هو بحثان فقط:

**الأول:** بعنوان "الرباط في سبيل الله ومجالاته المعاصرة" للدكتور محمد جميل محمد ديب المصطفى، الاستاذ المشارك في كلية الشريعة وأصول الدين، قسم الفقه، بجامعة الملك خالد، وهو منشور على موقع صيد الفوائد، حاول الأستاذ في بحثه أن يوسع في معنى الرباط ليشمل مجالات أخرى غير ما ذكره الفقهاء القدامى بأنه يخص بتخوم الدولة الإسلامية وحدودها وثغورها، وذكر من ضمن مجالاته المعاصرة الثغور الأمنية والفكرية والصحية والإعلامية وغيرها، وقد أحسن في ذلك.

**والثاني:** بعنوان "الرباط مكانه ومكانته وفضله ومدته" ومؤلفه رأفت بن محمد مرسي آل أبو يوسف، بين فيه مفهوم الرباط في اللغة والقرآن والسنة وأقوال الفقهاء، ثم أتى بما ورد في الرباط من الأحاديث النبوية صحيحتها وضعيفها مع تخريجها وبيان درجتها فأحسن في ذلك وأجاد، كما أنه وسع في ذكر أقوال الفقهاء والمفسرين والمحدثين في مفهوم الرباط ومكانه ومكانته ومدته، وحاول في نهاية كل مسألة أن يبين ما يبدو له راجحاً إذا اقتضى الأمر ذلك.

ما يختلف هذا البحث عن الباحثين المذكورين جانبان، هما:

أولاً: الاقتصار على ما صحّ وثبت من الأحاديث النبوية الشريفة فيما يتعلق ببيان فضل الرباط ومكانته.

وثانياً: بيان أثر الرباط في حماية الوطن من شرّ الأعداء ودوره في ازدهاره في النواحي العسكرية والسياسية والاقتصادية والفكرية والمعيشية.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

## المطلب الأول: مفهوم الرباط

يُعرض هنا معنى الرباط من الناحية اللغوية واستعمالاته في الكتاب والسنة، وتعريفات الفقهاء له ومن ثم ذكر مفهوم حديث للرباط يناسب مقتضيات هذا العصر ليشمل مجالات آخر غير ما ذكره القدامى، وذلك بالصورة الآتية:

### الرباط في اللغة:

أصل كلمة الرباط الجذر الثلاثي لمادة "ربط"، وهو بالأصل يعني الشدّ والثبات كما جاء في مقاييس اللغة بأن "الراء والباء والطاء أصل واحد يدل على شد وثبات. من ذلك ربطت الشيء أربطه ربطاً."<sup>(١)</sup>

ومنه الرباط وهو ما ربط به، والجمع رُبط، وربط الدابة يربطها ويربُطها ربطاً وارتبَطها. وفلان يرتبِط كذا رأساً من الدواب، ودابة ربيط: مربوطة. والمربِط والمربِطة: ما ربطها به<sup>(٢)</sup>.

كما أن الرباط يراد به الإقامة في الثغور تجاه العدو، وأصله مأخوذ من مرابطة الخيل، فقد وردَ في اللسان: "والرباط والمرابطة: ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزوم الثغر ربطاً، وربما سميت الخيل أنفسها ربطاً. والرباط: المواظبة على الأمر"<sup>(٣)</sup>.

وفي تهذيب اللغة: "وأصل الرباط من مرابطة الخيل وهو ارتباطها بإزاء العدو في بعض الثغور، والعرب تسمي الخيل إذا ربطت بالأفنية وعلفت: رُبطاً، واحدها ربيط، ويجمع الرُبط ربطاً، وهو جمع الجمع"<sup>(٤)</sup>.

تبين لنا مما سبق أن الرباط في اللغة استخدم لمعان عدة وهي:

الشد والثبات. وما تُربِطُ به الدابة. ومرابطة الخيل، بأن يربط كل فريق خيله تجاه الآخر. ولزوم الثغور تجاه العدو. والمواظبة على الأمر. وربط الخيل بالأفنية.

١- ابن فارس، مقاييس اللغة، ٤٧٨/٢.

٢- ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ٤٧٨/٢، وابن منظور، لسان العرب ٣٠٢/٧.

٣- ابن منظور، لسان العرب ٣٠٢/٧.

٤- الأزهري، تهذيب اللغة ٢٣٠/١٣.

## الرباط في القرآن الكريم:

استعمل القرآن الكريم لفظة "الرباط" بصيغ مختلفة وبمعان متعددة، منها:

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] واختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿وَرَابِطُوا﴾ على قولين<sup>(١)</sup>:

القول الأول: هو بمعنى مرابطة العدو، أي رباطوا أهل الكفر والشرك، أو رباطوا عدوكم.

القول الثاني: المراد به رباطوا على الصلوات أي انتظروها واحدة بعد واحدة.

ورجح الطبري التأويل الأول قائلاً: " وإنما قلنا معنى: (ورباطوا)، ورباطوا أعداءكم وأعداء دينكم، لأن ذلك هو المعنى المعروف من معاني (الرباط). وإنما يوجه الكلام إلى الأغلب المعروف في استعمال الناس من معانيه، دون الخفي، حتى تأتي بخلاف ذلك مما يوجب صرفه إلى الخفي من معانيه حجة يجب التسليم لها من كتاب، أو خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أو إجماع من أهل التأويل"<sup>(٢)</sup>.

ويقول تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ ءَعَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وذكر المفسرون أن (الرباط) في الآية: اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول، ويجوز أن يسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة، كما يمكن أن يكون قوله تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ تخصيصاً للخيل من بين ما يتقوى به، لأن ربط الخيل كان من أقوى آلات الجهاد حينذاك.<sup>(٣)</sup> ويقول تعالى: ﴿وَرَبَّطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ ءِإِلَهًا لَّغَدَّ قَلْبُنَا إِذَا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤]، قال الزمخشري: " وقويناها بالصبر على هجر الأوطان والنعيم، والفرار بالدين إلى بعض الغيران،

١- الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن ٥٠٩/٧.

٢- المصدر نفسه.

٣- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٢٣٢/٢، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب ٤٩٩/١٥.

وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام".<sup>(١)</sup>

ويقول القرطبي: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ عبارة عن شدة عزم وقوة صبر، أعطها الله لهم حتى قالوا بين يدي الكفار: ﴿ رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ ۗ إِلَٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴾<sup>(٢)</sup>. ولما كان الفزع وخور النفس يُشبهه بالتناسُبِ الانحلالِ حَسُنَ في شدة النفس وقوة التصميم أن يشبه الربط، ومنه يقال: فلان رابط الجأش، إذا كان لا تَفْرُقُ نفسه عند الفزع والحرب وغيرها. ومنه الربط على قلب أم موسى. وقوله تعالى: ﴿ وَلَيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾<sup>(٣)</sup> [الأنفال: ١١].

نخلص مما سبق إلى أن القرآن الكريم استخدم "الرباط" بمشتقاته المختلفة لمعان وهي:

١. المرابطة، أو الإقامة في الثغور بإزاء العدو.
٢. الخيل التي تربط في سبيل الله.
٣. المواظبة على العبادات والأعمال الصالحة - على قول طائفة من المفسرين -.
٤. الصبر والثبات والشدة في القلب والنفس.

### الرباط في السنة النبوية:

استخدمت السنة النبوية المطهرة أيضا الرباط بمعان:

**فجاء فيها بمعنى المرابطة** وملازمة ثغور البلاد لدفع الشرور عنها، وذلك في الأحاديث التي ترغب في الرباط وتحث المسلمين عليه ببيان فضله وأجره عند الله تعالى، فمنها قوله "رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا: وَمَوْضِعٌ سَوِّطٌ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا"<sup>(٤)</sup>.

١- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٧٠٧/٢.

٢- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٦٥/١٠.

٣- البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، حديث رقم (٢٨٩٢).

واستعملت أيضا بمعنى المواظبة على الأمر: كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ"<sup>(1)</sup>. حيث شبه فيه النبي ﷺ المواظبة على الأعمال الصالحة والثبات عليها بالرباط<sup>(2)</sup>.

### الرباط في اصطلاح الفقهاء:

عرف الفقهاء الرباط بتعريفات مختلفة في الألفاظ ومتقاربة في المعنى إلا ما ندر، وفيما يأتي بعضها:

عرفه ابن عرفة المالكي بأنه: "المقام حيث يخشى العدو بأرض الإسلام لدفعه"<sup>(3)</sup>.

وقال الأزهري المالكي أنه: "الإقامة في الثغور لحراستها أي حراسة من بها وهو يشمل المال وغيره والذمي والمسلم وحراسة غيرها تتبع حراستها والثغور موضع المخافة من فروج البلدان"<sup>(4)</sup>.

أما ابن الهمام الحنفي فقال: "الرباط، هو الإقامة في مكان يتوقع هجوم العدو فيه لقصد دفع الله تعالى"<sup>(5)</sup>.

وبقريب منه قاله السرخسي الحنفي بأنه: "عبارة عن المقام في ثغر العدو لإعزاز الدين، ودفع شر المشركين عن المسلمين"<sup>(6)</sup>.

وعرفه ابن حجر العسقلاني الشافعي بقوله: "ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين منهم"<sup>(7)</sup>.

١- مسلم، الصحيح، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، حديث رقم: ٢٥١.

٢- ينظر: ابن القيم، مدارج السالكين ١٥٨/٢.

٣- ابن عرفة، المختصر الفقهي ١٧/٣.

٤- الأزهري، الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي يزيد القيرواني، ص ٤٢٠.

٥- ابن الهمام، فتح القدير ٤٣٦/٥.

٦- السرخسي، شرح السير الكبير، ص ٧.

٧- ابن حجر، فتح الباري ٨٥/٦.

وقال القسطلاني الشافعي في تعريفه: "مراقبة العدو في الثغور المتاخمة لبلادهم بحراسة من بها من المسلمين"<sup>(١)</sup>.

وجاء في (الشرح الكبير) لابن قدامة المقدسي الحنبلي بأن الرباط: "الإقامة بالثغر، مقويا للمسلمين على الكفار. والثغر، كل مكان يُخيف أهله العدو ويُخيفهم"<sup>(٢)</sup>.

وقد عرفه ابن تيمية بأنه: "المقام بمكان يُخيفه العدو ويُخيف العدو فمن أقام فيه بنية دفع العدو فهو مرابط والأعمال بالنيات"<sup>(٣)</sup>.

يفهم من تعريفات العلماء بمذاهبهم المختلفة بأن الرباط يدور حول معان دلالية يمكن أن يسوّغ البحث منها التعريف الآتي:

الإقامة في ثغر أو مكان يخاف تسلل العدو منه إلى البلاد والمهجوم عليها ليشكل خطرًا على مواطنيها ومصالحها، والقصد من الرباط هو حماية البلاد وأهلها بمختلف أديانهم ومعتقداتهم من شرّ الأشرار وحفظ أرواحهم وأعراضهم وأموالهم من التعدي عليها، ولإعزاز دين الله عز وجل وجعل كلمة الله تعالى هي العليا.

### مكان الرباط (أو أين يتحقق الرباط؟):

لدى استشراف كتب الفقه الإسلامي نجد أن كثيرًا من الفقهاء خصّوا الرباط بتخوم الدولة الإسلامية وحدودها مع العدو<sup>(٤)</sup>؛ ويرجح البحث أن هذا التحديد منهم كان على ضوء الظروف السائدة حينذاك حيث كان التهديد غالبًا ما يأتي من الحدود البرية والبحرية للدولة ولذا شاع الرباط اسمًا خاصًا بملازمة الثغور في أقصى ما تنتهي إليه أرض الدولة الإسلامية.

١- القسطلاني، إرشاد الساري ٨٩/٥.

٢- ابن قدامة، الشرح الكبير على المقنع ٢٦/١٠.

٣- ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٤١٨/٢٨.

٤- ينظر على سبيل المثال: السرخسي، شرح السير الكبير، ص٧، وابن حجر، فتح الباري ٨٥/٦.

## المفهوم الحديث للرباط:

ما قاله الفقهاء بتحديد مكان الرباط بحدود الدولة - كما سبق أنفاً - لا ينفي التوسع في معناه في ضوء ظروفنا الحالية ومقتضيات عصرنا هذا ليشمل الحراسة في أي مكان يخاف منه التهديد على مصالح البلاد وأهلها وإن كان داخل أسوار عاصمة البلاد وذلك لأن الظروف الجغرافية والسياسية قد تغيرت، والتهديدات قد تعددت وتنوعت، والثغور والفروج إلى البلاد لم تعد مقصورة على الحدود البرية والبحرية فحسب؛ بل توسعت لتشمل سور كل بيت من بيوت المسلمين عن طريق التكنولوجيا والإلكترونيات المعاصرة كالإنترنت وما حوى من خطر على الشعوب والدول من تجسس وغزو فكري ونشر الفساد بكل أشكاله ليفت في عضد الشعوب الإسلامية ويمزقها ويجعلها أوزاعاً متفرقة هائمة على وجه البسيطة فيسهل مقادها والسيطرة عليها وتوجيهها كيفما شاءوا وأينما شاءوا، ولذا فالمرابح والمرابط على شبكات الإنترنت مثلاً ليمنع المواقع المضرة بالمجتمع، وكذا القائم على الأجهزة الحديثة كالرادار مثلاً لصد ما يضر بأمن الوطن من تجسس وغيره من التحركات الخفية والأجسام الغريبة التي قد تخرق حدود الوطن براً وبحراً وجواً وهي لا ترى بالعين المجردة لغرض الإضرار به وأهله فهؤلاء لا يقلون أجرًا ومنزلة من حراس الحدود الذين يلازمون ويرابطون في تخوم الدولة ليدفعوا عنها وأهلها أي خطر آتٍ من العدو المعتدي<sup>(١)</sup>.

وعليه فتحديد الرباط بمكان معين فإن كان صحيحًا بالنسبة للزمن الماضي فلا يكون دقيقًا لعصرنا الحاضر بالنظر في مقاصده وحكمه التي تتمحور في حفظ البلاد والعباد من خطر العدو وشر الأشرار، وفي عبارات الفقهاء ما يستفاد ذلك كما في قول الحنابلة السابق في تعريف الرباط: "الإقامة بالثغر، مقويا للمسلمين على الكفار، والثغر كل مكان يُخيف أهله العدو ويُخيفهم" أي أن الثغر يشمل كل مكان يخاف منه التهديد والخطر وإن كان في قلب الدولة بحيث يؤدي المرابطة فيه إلى إخافة العدو ودفع شروره عن المواطنين وأموالهم وأعراضهم.

ونحن نقول ذلك لأننا لا نجد في الكتاب والسنة ما يفيد تحديد الرباط بمكان دون آخر، سوى ما روي عن سهل بن معاذ عن أبيه عن رسول الله ﷺ: " مَنْ حَرَسَ مِنْ وَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُتَطَوِّعًا، لَا يَأْخُذُهُ سُلْطَانٌ، لَمْ يَرِ النَّارَ بَعَيْنَيْهِ، إِلَّا نَحَلَهُ الْقَسَمَ فَإِنَّ

١- ينظر: المصطفى، الرباط في سبيل الله ومجالاته المعاصرة، ص ١٨-١٩.

اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿ وَإِنْ مَنَكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مریم: ٧١] <sup>(١)</sup>. حيث استدل به الحنفية بأنه لا يتحقق الرباط إلا في مكان ليس وراءه إسلام أي سلطة الدولة الإسلامية لأن ما دونه لو كان رباطاً فكل المسلمين في بلادهم مرابطون. <sup>(٢)</sup> إلا أن الحديث فيه ضعف، حيث قال البوصيري: "مدار طرق حديث معاذ هذا على زيان بن فائد المصري، وهو ضعيف، وضعفه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأبو حاتم وابن حبان وغيرهم" <sup>(٣)</sup>، وعليه فلا ينهض دليلاً على ما ذهبوا إليه. وبناء على ما سبق يمكننا القول بأن: الإقامة في أي مكان يخاف منه التهديد والخطر على الوطن وأهله ومصالحه فهو رباط والملازم فيه مرابط وينال ما للمرابط من أجر وفضل ومنزلة. والله أعلم.

#### مجالاته الحديثة:

بناء على المعنى الحديث الأنف الذكر للرباط، يمكن في يومنا هذا أن نجد له مجالات حديثة أيضاً ولا نحصره في المجالي العسكري والأمني فقط، ولابن العربي المالكي كلمة جميلة في معنى الرباط حيث يقول: "والرباط: حمل النفس على النية الحسنة والجسم على فعل الطاعة، ومن أعظمه ارتباط الخيل في سبيل الله" <sup>(٤)</sup> وهذا يعني أن ارتباط الخيل في سبيل الله هو من أفضل أنواع الرباط وليس كله؛ بل إنه يشمل مجالات أخرى و يمكن أن يتحقق في مناح شتى غير ما ذكره القدامى؛ وقد أحسن الدكتور محمد جميل المصطفى في ذكر مجالات الرباط المعاصرة <sup>(٥)</sup>، ومن تلك المجالات هي: المجال الأمني. والمجال الفكري. والمجال الصحي. والمجال الإعلامي.

وغيرها من المجالات الأخرى التي تتعلق بأمن الوطن والمواطنين من النواحي الثقافية والاجتماعية والعلمية، والعاملين في تلكم الثغور والمرابطين فيها للحفاظ على عقيدة المواطنين ودينهم وعقولهم

١- أحمد، المسند، حديث معاذ بن أنس الجهني، حديث رقم (١٥٨٥٢). وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده

ضعيف. وضعفه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة ١٢٦/٥.

٢- ابن الهمام، فتح القدير ٤٣٦/٥.

٣- البوصيري، إتحاف الخيرة المهرة ١٢٦/٥.

٤- ابن العربي، أحكام القرآن ٤٠٠/١.

٥- ينظر: المصطفى، الرباط في سبيل الله ومجالاته المعاصرة، ص ٢٠ وما بعدها.

وأَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَعْرَاضَهُمْ مَا يَسْمَى فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالضَّرُورِيَّاتِ الْخَمْسِ<sup>(١)</sup>، فَلَا تَقَلُّ مَنْزِلَتُهُمْ مِنْ مَنْزِلَةِ الْمُرَابِطِينَ فِي الثَّغُورِ الْمِتَاخَمَةِ لِحُدُودِ الْوَطَنِ، وَلَا تَنْزِلُ أَهْمِيَّةُ عَمَلِهِمْ فِي حِمَايَةِ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ مِنْ شَرِّ الْأَشْرَارِ مِنْ عَمَلِ حِرَّاسِ الْحُدُودِ "المرابطين"، وَلَكِنْ بَشَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ الْعَامِلُونَ فِي تَلَكُمُ الْمَجَالَاتِ مُرَابِطِينَ وَمُتَابِرِينَ عَلَى الْعَمَلِ فِيهَا بِكُلِّ مَعْنَى الْمُرَابِطَةِ مِنَ الثَّبَاتِ وَالصَّبْرِ وَالْمُؤَابَاظَةِ وَالْمُتَابَرَةِ وَالْمُؤَابَاظَةِ.

## المطلب الثاني: فضل الرباط والمرابطين في السنة النبوية

وردت عن النبي ﷺ أحاديث عديدة تؤكد على فضل الرباط ومكانة المرابطين عند الله تعالى وما لهم من أجر عظيم وثواب جزيل، وذلك لما في الرباط من إقامة دين الله تعالى، وحماية البلاد والعباد من شر الأشرار، وفيما يأتي بعض تلكم الأحاديث النبوية التي تحث على الرباط والمرابطة في سبيل الله تعالى:

### ١. الرباط في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها:

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا: وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْعُدُوَّةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا" <sup>(٢)</sup>.

والمقصود أن الإنسان لو ملك الدنيا كلها وتنعم بها فيما زائلة فإنها لا تساوي النعم التي يحصل عليها المرء برباط يوم في سبيل الله تعالى في الآخرة لأنها باقية وأبدية، فالزائل مهما كان كبيراً وكثيراً فلا يبلغ مبلغ الباقي والأبدية، وعبر عنه بـ "على" دون "في" لأنه أعم منها وأقوى<sup>(٣)</sup>. وقال المَهَلَّبُ بن أحمد بن أبي صفرة: "إنما صار رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها؛ لأنه عمل يؤدي إلى الجنة، وصار موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها من أجل أن الدنيا فانية، وكل شيء في الجنة وإن صغر في التمثيل لنا وليس فيها صغير فهو أديم وأبقى من الدنيا

١- ينظر: الشاطبي، الموافقات ٣١/١.

٢- البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، حديث رقم (٢٨٩٢).

٣- ينظر: الصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير ٦/٢٢٠.

الفانية المنقطعة فكان الدائم الباقي خيراً من المنقطع"<sup>(١)</sup>.

و يقول ابن دقيق العيد: " وفي قوله ﷺ: " خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا " وجهان:

أحدهما: أن يكون من باب تنزيل المغيب منزلة المحسوس، تحقيقاً له، وتشبيهاً في النفوس فإن ملك الدنيا، ونعيمها، ولذاتها محسوسة، مستعظمة في طباع النفوس فحقق عندها أن ثواب اليوم الواحد في الرباط - وهو من المغيبات - خير من المحسوسات التي عهدتموها من لذات الدنيا.

والثاني: أنه قد استبعد بعضهم أن يوازن شيء من نعيم الآخرة بالدنيا كلها، فحمل الحديث أو ما هو معناه: على أن هذا الذي رتب عليه الثواب خير من الدنيا كلها لو أنفقت في طاعة الله تعالى وكأنه قصد بهذا أن تحصل الموازنة بين ثوابين أخريين، لاستحقاقه الدنيا في مقابلة شيء من الأخرى، ولو على سبيل التفضيل.

والأول عندي: أَوْجَهُ وأظهر"<sup>(٢)</sup>.

## ٢. الرباط خير من صيام التطوع وصلاته:

عن سلمان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " رِبَاطُ يَوْمٍ وَكَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ"<sup>(٣)</sup>. يريد به صيام التطوع بدليل قوله " وقيامه"<sup>(٤)</sup>.

وعن عثمان بن عفان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيَمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ " <sup>(٥)</sup>. أي فيما سوى الرباط، أو فيما سوى سبيل الله عز

١- ابن بطال، شرح صحيح البخاري ٨٦/٥.

٢- ابن دقيق العيد، إحصاء الأحكام شرح عمدة الأحكام ٣٠٢/٢.

٣- مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل، حديث رقم (١٩١٣).

٤- ينظر: الهَرَزِي، الكوكب الوهاج والروض البهّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٢٧٠/٢٠.

٥- الترمذي، السنن، أبواب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل المرابط، حديث رقم (١٦٦٧)، وقال: حسن غريب، والنسائي، السنن، كتاب الجهاد، فضل الرباط، حديث رقم (٣١٦٩)، وأحمد، المسند، مسند عثمان بن عفان، حديث رقم (٤٧٧)، وابن حبان، الصحيح، كتاب السير، باب فضل الجهاد، ذكر البيان بأن يوماً في سبيل الله خير من ألف يوم في غيره من الطاعات، حديث رقم (٤٦٠٩).

وجل. (١)

فالحديثان يدلان بوضوح على أن الرباط في سبيل الله أفضل من الاشتغال بالنوافل والعبادات التطوعية، وذلك لأن الرباط يعود بالفوائد العظيمة والمنافع الجليلة على الإسلام والمسلمين؛ بل حتى على غير المسلمين القاطنين في بلاد المسلمين بخلاف العبادات التطوعية والنوافل حيث كاد نفعها أن يكون حصرًا على صاحبها خصوصًا إذا لم ينتفع بها لتهديب أخلاقه وتعامله مع الناس الذي هو من إحدى أكبر مقاصد العبادات في الإسلام.

ويقول ابن تيمية: " قال العلماء: إن الرباط بالثغور أفضل من المجاورة بالحرمين الشريفين، لأن المرابطة من جنس الجهاد، والمجاورة من جنس الحج وجنس الجهاد أفضل باتفاق المسلمين من جنس الحج. كما قال تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٩) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ [التوبة: ١٩ - ٢٢]" (٢)

وبخصوص اختلاف أجر المرابط في الحديثين وحديث البخاري الذي سبقهما فقد نقل ابن حجر عن ابن بزيمة (٣) بأنه قال: "ولا تعارض بينهما لأنه يحمل على الإعلام بالزيادة في الثواب عن الأول أو باختلاف العاملين. قلت - يعني ابن حجر - : أو باختلاف العمل بالنسبة إلى الكثرة والقلة ولا يعارضان حديث الباب - وهو حديث البخاري السابق - أيضا لأن صيام شهر وقيامه

والحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب الجهاد، حدیث رقم (٢٦٥١)، وقال: صحیح علی شرط البخاری ولم یخرجاه، ووافقہ الذہبی.

١- مسلم، الصحیح ٣/١٥٢٠، کتاب الإمارة، باب فضل الرباط فی سبیل اللہ عز وجل، حدیث رقم (١٩١٣).

٢- ابن تيمية، الفتاوى الكبرى ٢/٤٤٤.

٣- هو أبو محمد، عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد القرشي التميمي التونسي المعروف بابن بزيمة، توفي سنة ٦٧٣هـ.

خير من الدنيا وما عليها".<sup>(١)</sup>

### ٣. الرباط أمان من عذاب القبر، وأجره جارٍ لا ينقطع:

عن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفِتَانَ"<sup>(٢)</sup>.

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كُلُّ الْمَيِّتِ يُحْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الْمُرَابِطَ فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ مِنْ فِتَانِ الْقَبْرِ"<sup>(٣)</sup>.

يبدو جلياً أن الحديثين حَوياً فضائل عديدة للرباط والمرابطين منها:

أنه أفضل من صلاة التطوع وصيامه - كما سبق بيانه آنفاً -.

وأن المرابط لا ينقطع عمله حتى بعد موته؛ بل يصل إليه ثواب عمله أبداً وينمي ويضاعف له أجره حتى يوم القيامة<sup>(٤)</sup>، وهذه فضيلة خاصة بالمرابط ليس لأحد غيره، كما يقول النووي: "هذه فضيلة ظاهرة للمرابطين وجريان عمله عليه بعد موته فضيلة مختصة به لا يشاركه فيها أحد"<sup>(٥)</sup>.

ويقول القرطبي: "إن الرباط أفضل الأعمال التي يبقى ثوابها بعد الموت كما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَالدِّ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"<sup>(٦)</sup>، فإن الصدقة الجارية،

١- ابن حجر، فتح الباري ٦/٨٦.

٢- مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل، حديث رقم (١٩١٣).

٣- أبوداود، السنن، أول كتاب الجهاد، باب فضل الرباط، حديث رقم (٢٥٠٠). واللفظ له، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. والترمذي، السنن، أبواب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل من مات مرابطاً في سبيل الله، حديث رقم (١٦٢١). وقال: حديث حسن صحيح، وابن حبان، الصحيح، باب فضل الجهاد، ذكر انقطاع الأعمال عن الموتى وبقاء عمل المرابط إلى يوم القيامة مع أمنه من عذاب القبر، حديث رقم (٤٦٢٦).

٤- ينظر: علي القاري، مرآة المفاتيح ٦/٢٤٥٨.

٥- النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٣/٦١.

٦- مسلم، الصحيح، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد موته، حديث رقم (١٦٣١).

والعلم المنتفع به، والولد الصالح الذي يدعو لأبويه؛ ينقطع ذلك بنفاد الصدقات، وذهاب العلم، وموت الولد، والرباط يضاعف أجره لصاحبه إلى يوم القيامة؛ لأنه لا معنى للنماء إلا المضاعفة وهي غير موقوفة على سبب فتقطع بانقطاعه، بل هي فضل دائم من الله تعالى إلى يوم القيامة، وهذا لأن أعمال البر كلها لا يُتمكن منها إلا بالسلامة من العدو والتحرز منه بحراسة بيضة الدين، وإقامة شعائر الإسلام، وهذا العمل الذي يجري عليه ثوابه هو ما كان يعمله من الأعمال الصالحة".<sup>(١)</sup>

وينال المرابط مرتبة الشهيد إذا مات في الرباط؛ وإن لم يكن موته في ساحة المعركة والقتال ويدل عليه قوله ﷺ " وَأُجْرِي عَلَيْهِ رِزْقَهُ " ففيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [ آل عمران: ١٦٩ ] أي استمر رزقه بعد موته في الجنة كالشهداء الذين هم أحياء عند ربهم يرزقون، وتكون أرواحهم في حواصل الطير تأكل من ثمر الجنة. <sup>(٢)</sup>

وأخيراً يؤمن من فتنة القبر وعذابه، وقوله ﷺ " وَأَمِنَ الْفِتَانَ " قال النووي: "ضبطوا (أمن) بوجهين:

أحدهما: أمن بفتح الهمزة وكسر الميم من غير واو. والثاني: (أومن) بضم الهمزة وبواو"<sup>(٣)</sup>.  
وأما (الفتان) فقال القاضي عياض: رواية الأكثرين بضم الفاء جمع فاتن قال ورواية الطبري

١- القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٤١٦.

٢- ينظر: القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم ٣٤٢/٦، والطبي، الكاشف عن حقائق السنن ٢٦٢٧/٨، والصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير ٢٢١/٦، ولاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم ٥٨٥/٧.

٣- النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٦١/١٣.

بالفتح وفي رواية أبي داود في سننه (أُؤْمِنَ مِنْ فَتْنَانِي الْقَبْرِ<sup>(١)</sup>)<sup>(٢)</sup>. وعلى هذه الرواية يكون المراد بالأمن من فتنة القبر هو منكر ونكير أي لا يأتيانه ولا يختبرانه بل يكفي بموته مرابطاً شاهداً على إيمانه. لكن الأصح هو كما أشار إليه القاضي هو رواية "الفتان" وهو جمع فتن، ويكون للجنس أي يكون المرابط في مأمن من كل فتنة من فتن القبر كعذابه وشدّه وسؤاله واختباره وغير ذلك<sup>(٣)</sup>.

#### ٤. الرباط أمان من النار:

فكما أُؤْمِنَ من فتنة القبر الذي هو أول منزلة من منازل القيامة، فيؤمن المرابط أيضاً من عذاب النار يوم القيامة، فالله تعالى بعد أن يعثه فيؤمنه ويطمئنه بإنزال رحمته على قلبه حتى لا يشعر بأي خوف في هذا اليوم، الذي هو يوم الفرع الأكبر؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنُ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تُحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"<sup>(٤)</sup>. وهو شامل لجميع أنواع الحراسة في الجيش أو الثغر بالرباط فيه أو نحوهما لتحرس الغزاة والمسلمين وأموالهم.<sup>(٥)</sup>

#### ٥. يبعث المرابط على ما مات عليه:

عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه، يحدث عن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ مَاتَ عَلَى مَرْتَبَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ بُعِثَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"<sup>(٦)</sup>. قال حيوة بن شريح - راوي الحديث -: "رِبَاطٌ أَوْ حَجٌّ أَوْ

١- ولا يوجد عند أبي داود بهذا اللفظ؛ بل ما عنده هو ما ذكرناه في بداية الفقرة ولفظه: "وَيُؤْمِنُ مِنْ فَتَانِ الْقَبْرِ" وأما ما أشار إليه القاضي فهو عند الطبراني، المعجم الأوسط، حديث رقم (٥٣١٢). عن أبي هريرة رضي الله عنه: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَرَى عَلَيْهِ رِزْقُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَنَمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَوُفِّيَ فَتْنَانِي الْقَبْرِ".

٢- ينظر: القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم ٣٤٢/٦.

٣- ينظر: المناوي، فيض القدير ٣٤/٥.

٤- الترمذي، السنن ١٧٥/٤، أبواب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله، حديث رقم (١٦٣٩). وقال: حديث حسن غريب.

٥- المناوي، فيض القدير ٣٦٩/٤، والصدقي، دليل الفالحين ١٠٦/٧، والصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير ٣٥٨/٧.

٦- أحمد، المسند، مسند فضالة بن عبيد الأنصاري، حديث رقم (٢٤٥١٥). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

نَحْوُ ذَلِكَ " فكما أن المحرم يبعث ملبيا، فالمرابط يبعث مرابطاً، والمجاهد يبعث مجاهدًا بالكيفية التي يريدتها الله عز وجل.

هذا ما وقفنا عليه فيما ثبت من السنة النبوية الشريفة في فضل الرباط والمرابطين. والله تعالى أعلم.

### المطلب الثالث: أثر الرباط في حماية الوطن

أشير فيما سلف في مفهوم الرباط بأن له معنى قديماً وآخر حديثاً. فالقديم: هو ملازمة الثغور والحدود بين المسلمين والكافرين أو حراسة الحدود بالمصطلح المعاصر. والحديث: بأنه لا يخص بمكان معين؛ بل من رابط في أي مكان يخاف منه التهديد على البلاد فهو مرابط ولو كان داخل أسوار العاصمة.

فبالنظر في كلا المعنيين نتلمس حقيقة واضحة للعيان وهي أن الرباط والمرابطة أساس متين من أسس حماية الوطن من شرّ الأشرار ومكر الماكزين ومكيدة الحاقدين، وفيما يأتي نعرض أهم معالم الرباط في حماية الوطن التي استلهمناها من مفهوم الرباط ووظيفته:

١. إنه تعزيز لجيش المسلمين وشدّ أزر له: الرباط أمان للجيش الذي يحمي الوطن ويقاوم من أجل حفظه وحمايته حيث يشعر بأنه مؤزر بقوة أمينة حافظة، فهذا الشعور يمنحه الطمأنينة ويعطيه القوة والعزة والعزيمة ليقوم بما عليه من دفع شرّ المعتدين على الوطن؛ حيث لا يخفى على أهل الشأن ما للقوة النفسية للجيش من أثر بالغ في ثبوتة وصموده تجاه العدو فإن أولى نقطة الهزيمة في أغلب الجيوش هي الهزيمة النفسية والمعنوية ثم تليها الهزيمة على أرض الواقع والانسحاب من ساحة الوغى، والرباط هو من أهم الحوافز النفسية والمعنوية للجيش بعد العقيدة الراسخة في القلوب؛ ولذلك نجد النبي ﷺ يدعو للمرابط بالرحمة الإلهية والنفحات الربانية؛ ويقول: "رَحِمَ اللَّهُ حَارِسَ الْحَرْسِ" <sup>(١)</sup>. أي حارس الجيش. ويقول السندي: "المراد

١- ابن ماجه، السنن، أبواب الجهاد، باب فضل الحرس والتكبير، حديث رقم (٢٨٦٢)، والدارمي، السنن، كتاب الجهاد، باب في الذي يسهر في سبيل الله حارساً، حديث رقم (٢٤٤٠)، وأبو يعلى الموصلي، المسند، مسند عقبة بن عامر الجهني، حديث رقم (١٧٤٨)، والحاكم، المستدرک، كتاب الجهاد، حديث رقم (٢٤٥٢)، وصححه ووافقه الذهبي، إلا أن الدارمي أعله بالانقطاع، وضعفه أيضاً البوصيري

العسكر فإنهم يحرسون المسلمين فحارس العسكر صار حارسا للحرس"<sup>(١)</sup>. فيما أن المرابط بنفسه أصبح رحمة للجيش والمواطنين برياطه وملازمته الثغور ليكون لهم قوة وأمنا معنويًا وطمأنة نفسية، وعليه فهو حري برحمة الله عز وجل ويقول ﷺ: "الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ"<sup>(٢)</sup> ومن لم يكن راحمًا بأهله ووطنه فلا يمكنه القيام بهذا العمل الشاق الخطر.

ومما يحسن ذكره أن حارس الجيش كما يكون شدّ أزر للعسكر والجيش بالحراسة والمرابطة في الثغور، فيمكن أن يتحقق هذا التعزيز والتقوية للجيش بالتقنيات العسكرية الحديثة المعاصرة أيضا وذلك مثل القائمين على جهاز الرادار<sup>(٣)</sup> وغيره من الأجهزة الحديثة التي ترصد التحركات الخفية للعدو برًا وبحرًا وجوًا لصدها والحيلولة دون تحقيق أهدافها المضرة بالجيش والوطن، فهم أيضا مرابطون ولهم ما للمرابط في الثغور المتاخمة للحدود من الأجر والمنزلة وإن كانوا في غرفة أو زاوية في قلب عاصمة الوطن، فالنبي ﷺ حينما رجع من غزوة ودنا من المدينة فقال لأصحابه: "إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا فَطَعْتُمْ وَاذِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ"<sup>(٤)</sup> فهؤلاء نالوا أجر المجاهدين بنياتهم الصادقة فكيف بمن يسانداهم بالعمل مع النية الحسنة فهم أخرى بهذا الأجر ولا يخفى أن الرباط من جنس الجهاد أو نوع منه، ومما ينبغي أن نشير إليه هنا أنه من واجب الحكام وأصحاب السلطة في الديار الإسلامية تزويد جيوش المسلمين بأحدث

في مصباح الزجاجة ١٥٧/٣، لأجل صالح بن محمد في سنده حيث ضعفه غير واحد من الأئمة.

١- السندي، كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه ١٧٦/٢.

٢- أبوداود، السنن، كتاب الأدب، باب في الرحمة، حديث رقم (٤٩٢٦)، والترمذي، السنن، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، حديث رقم (٢٠٦٠)، وقال: حديث حسن صحيح.

٣- الرادار: نظام إلكتروني يستخدم لكشف أهداف ثابتة أو متحركة وتحديد مواقعها، يمكن له أن يحدد اتجاه أهداف بعيدة عن رؤية العين البشرية وتحديد مسافتها وارتفاعها، ويعمل الرادار بكفاءة في الليل، وحتى في الضباب الكثيف والمطر أو الثلج. (الموسوعة العربية العالمية ١١ / ٢٢، مادة «الرادار»).

٤- البخاري، الصحيح، واللفظ له كتاب المغازي، باب نزول النبي ﷺ الحِجْر، حديث رقم (٤٤٢٣)، ومسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر، حديث رقم (١٩١١).

التقنيات العسكرية العصرية ليتمكنوا من حفظ الوطن بما يناسب مقتضيات العصر، فإنه من القوة والرباط اللذين أشار إليهما الله عز وجل في قوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [ الأنفال: ٦٠ ] . وفسره النبي ﷺ بقوله: "أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِّيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِّيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِّيَّ" (١). وقال القاضي عياض في شرحه: "أنه العدة والسلاح" (٢)، وقال النووي: " وفيه وفي الأحاديث بعده فضيلة الرمي والمناضلة والاعتناء بذلك بنية الجهاد في سبيل الله تعالى وكذلك المشاجعة وسائر أنواع استعمال السلاح" (٣). وهذا يعني أن الرمي يشمل التدريب على جميع أنواع الأسلحة بنية الاستعداد لمواجهة العدو المعتدي، ويتجدد مفهومه بتجدد الزمان والمكان ليناسب والتقنيات الموجودة في كل عصر، وفي عصرنا هذا عبارة عن التدريب على الأسلحة والتقنيات العسكرية الحديثة لحماية الوطن من شرّ الأشرار.

٢. سدّ الباب أمام تسلل العدو: الرباط بتقنياته القديمة والحديثة سدّ منيع لحدود الوطن حتى لا يتمكن العدو من خرقها والتسلل منها لتحقيق مرامه من تجسس وتخريب ونشر الشرّ في بلاد المسلمين، فالرباط تخويف للعدو وتعزيز للحدود وسدّ للشغور والفروج المؤدية إلى الوطن، وبذلك تتّم حمايته من كلّ شرّ آت من خارج أسواره، ولا يخفى أن كل ذلك لا يحصل بغير الرباط والمرابطين في سبيل الله وهذا من أظهر آثار الرباط في حماية الوطن وحفظه من كلّ أنواع الشرور.

٣. تأمين المواطنين على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم: حماية الوطن هي من أجل المواطنين، فلا وطن بدون مواطن، ومن العوامل الأساسية التي توفر الأمن والأمان للمواطنين حماية حدود الوطن من أن تخترق من قبل المعتدين. والرباط وحراسة الحدود هي ما يوفر هذه الحماية، ويثّشر المواطنين بالأمان ويمنحهم الطمأنينة في القلوب والراحة في البال ليعيشوا

١- مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، حديث رقم (١٩١٧).

٢- القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم ٦/٣٤٦.

٣- النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٣/٦٤.

بسلام ويجولوا في الوطن ويجوبوا بحرية، وعلاوة على ذلك فهناك أيضاً قوات أخرى تكمل مهمة حراس الحدود في توفير الأمن وهي القوات الأمنية الداخلية والشرطة والبوليس الذين يسهرون الليالي لأجل الحفاظ على أرواح المواطنين وأعراضهم وأموالهم، فهؤلاء أيضاً مرابطون وهكذا يجب أن نعلمهم ونربيهم بأن ما يقومون به رباط في سبيل الله تعالى ترغيباً لهم في عملهم هذا، وحثاً على أن يحصلوا نياتهم لله تعالى ويحسنوا في مهمتهم، وهذا يعدّ من المجالات الحديثة للرباط ومن الثغور المعاصرة للمرابطة فيها، لأننا ذكرنا في بيان مفهوم الرباط بأنه لا يخص بمكان معين؛ بل إنه يتحقق في أي مكان يخاف منه التهديد على أمن الوطن وأهله سواء أكان على الحدود أو داخل مدن الوطن وقراه<sup>(١)</sup>.

ولا يخفى أن شعور الإنسان في نفسه وماله وعرضه من أعظم نعم الله تعالى على عباده، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا" <sup>(٢)</sup>. فمما يلاحظ من هذا الحديث الشريف أنه ﷺ ذكر الأمان في السُّرْب أولاً أي في النفس، وروي بفتح السين أيضاً أي في مسلكه وطريقه<sup>(٣)</sup> ثم ثنى بذكر العافية في البدن وثلث بالقوت، فهذا يدل على أن الشعور بالأمان في النفس والمال والمسلك سبب رئيس يَجْعَلُ من المرء أن يكون معافياً في بدنه وقادراً على توفير قوت نفسه وأهله حيث لا يخفى ما للقلق في النفس واضطراب في الحياة من أثر بالغ على الحالة الصحية والمعيشية للناس، وهذا يعني أن ازدهار الوطن وتطوره مرهون بوجود الأمان فأينما حلّ الأمان حلّت الحياة الهنيئة والعيش الرغيد، والرباط بتوفيره ذلك للوطن وأهله يكون سبباً لازدهار الوطن وتطوره وتقدمه، وهذا أيضاً يعدّ من إحدى معاني حماية الوطن الذي يتحصل من الرباط وعمل المرابطين.

#### ٤. حماية تجارة الوطن واقتصاده: الاقتصاد المستقر والمزدهر يشكل العمود الفقري لكل دولة

١- راجع مفهوم الرباط في المطلب الأول من هذا البحث.  
٢- الترمذي، السنن، أبواب الزهد، حديث رقم (٢٣٤٦)، وابن ماجه، السنن، أبواب الزهد، باب القناعة، حديث رقم (٤١٤١)، وقال شعيب الأرنؤوط وزملاؤه في تعليقه على ابن ماجه: حسن بمجموع شواهد.

٣- الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن ١٠/٣٢٩٢، القاري، مرقاة المفاتيح ٨/٣٢٥٠.

يراد لها القيام والدوام لا سيما في العصر الحاضر، وأساس هذا الاقتصاد هي التجارة المستقرة التي تعتمد على طريق آمن ومسلك محروس من الخوف واعتداء المعتدين، وشرّ الأشرار، وهذا ما يقوم به المرابط في ثغره ورباطه من حماية حدود الوطن وطرقه الخارجية وتأمين التجار على تجارتهم، وهذا بدوره يؤدي إلى ازدهار تجارة الوطن واقتصاده ومن ثمّ كونه وطنًا من بين الأوطان ذات القوة والعزة والتي يحسب لها كل حساب؛ ذلك أن الاقتصاد القوي يعدّ من إحدى الركائز الأساسية للدولة القوية والمزدهرة وذات الكلمة النافذة في العالم، وبذلك تتم حماية الوطن من كونه ألعوبة بيد الآخرين كما هو شأن الأوطان والدول التي ليس لها اقتصاد قوي وتجارة رائجة مستقرة، والسنة النبوية الشريفة مليئة بالتوجيهات القيمة والأسس الراسخة لبناء اقتصاد مستقر يستفيد منه كل المواطنين، ومن ذلك نهي ﷺ عن المعاملات التي من شأنها خلق الاضطراب والتشويش في تجارة البلد واقتصاده ومنها: ما روي عن أبي هريرة أنه قال: "نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ التَّلَقِّي، وَأَنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ" <sup>(١)</sup>. وعنه ﷺ أنه ﷺ قال: "لَا يُتَلَقَّى الرَّكْبَانُ لِبَيْعٍ، وَلَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَلَا تَنَاحَشُوا، وَلَا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَلَا تُصْرُوا الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ، فَمَنْ ابْتَاعَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ بِحَيْرِ النَّظَرَيْنِ، بَعْدَ أَنْ يَحْلُبَهَا، فَإِنْ رَضِيَهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ سَخِطَهَا رَدَّهَا، وَصَاعًا مِنْ تَمْرٍ" <sup>(٢)</sup>. وغير ذلك من التوجيهات النبوية لحماية الوطن من الناحية الاقتصادية وسدّ هذه النافذة الخطرة بوجه الذين يريدون النيل من الوطن وأهله.

٥. تعزيز الوطن من الناحية السياسية: الحدود رمز لسيادة الأوطان والبلاد، فهي لها بمثابة العرض من الإنسان، ولذا حمايتها من خرقها والتعدي عليها يعدّ نقطة قوة وعزة للوطن تجاه مقابله ويجعله قويًا وذا كلمة نافذة من الناحية السياسية على مستوى جيرانه والعالم بأسره، ويحسب لمواقفه من أي قضية أو حدث يواجه المنطقة أو العالم ألف حساب؛ وذلك بخلاف الأوطان التي لم تعدّ لحدودها وتخومها حرمة، حيث يجوب فيها ويجول من يشاء وكيف شاء دون أن يحسب له و للقائمين عليه أي حساب، وهذا أمر لا يختلف

١- البخاري، الصحيح، كتاب البيوع، باب النهي عن تلقي الركبان، حديث رقم (٢١٦٢).

٢- مسلم، الصحيح، كتاب البيوع، باب تحريم بيع الرجل على بيع أخيه وسومه على سومه، حديث رقم (١٥١٥).

عليه اثنان، وظاهر للعيان ظهور الشمس في رابعة النهار، ولا يخفى أن حماية الحدود بدون تلاحم واتحاد داخلي بين أطراف المجتمع المختلفة لا تفيد كثيراً في التعزيز السياسي للوطن، ولذا نجد النبي ﷺ علاوة على عنايته بحماية الحدود الخارجية توجه بشدة لحماية الثغور الداخلية وهذا ما يظهر جلياً في وثيقة المدينة<sup>(1)</sup> التي عقدها بين المهاجرين والأنصار، وبين المسلمين وغيرهم ليكون الوطن مسؤولية الجميع، ولا تنفرد طائفة دون الأخرى بالقرارات المصيرية التي تتعلق بالمصالح العليا للبلد مثل السلم والحرب وغيرهما، وما قيام النبي ﷺ بهذا الأمر العظيم الشأن إلا لأجل حماية الوطن من التفكيك الداخلي و ليكون دعماً مادياً ومعنوياً لحراس الثغور الخارجية، وبهذا أصبحت المدينة النبوية ذات عزة سياسية وكلمة نافذة في المنطقة واضطرَّ الأعداء وأصحاب الإمبراطوريات العظيمة أن تحسب لها حسابات جادة.

٦. **حماية الوطن من الناحية الفكرية**، من المجالات الحديثة في حماية الوطن التي يمكن أن يتحقق فيها الرباط بتجنيد الجنود الخاصة لها هي حمايتها وأهلها من الناحية الفكرية وتحصينها ضد الهجمات الفكرية والثقافية التي تترى اليوم على بلادنا الإسلامية لتغزوا عقيدتنا وثقافتنا وحضارتنا وتشوه فكر أبنائنا وأجيالنا تجاهها وتمسخ عقولهم ولتهدد كياننا ووجودنا ما يسمى اليوم بالغزو الفكري<sup>(2)</sup>، فأمر بهذه الخطورة جدير بأن يكون له مرابطون مخصوصون ومختصون في شتى الاختصاصات العلمية ليكونوا بالمرصاد لتلك الهجمات الشرسة التي لا تقل خطورتها من الهجمات العسكرية؛ بل تفوقها في خبثها وضررها على الوطن وأهله لأن الأخيرة تحتل الأرض فمن الممكن تحريرها بوجود عقول حرة مدركة وقلوب نقية من الشبهات والشهوات؛ لكن إذا تم احتلال العقول والقلوب فتحريرها من أغلال الباطل الغارسة فيها أمر في غاية الصعوبة قد يستغرق عصوراً ودهوراً، وتغير المنكرات وإزالة الأباطيل واجب شرعي نصت عليه السنة النبوية في نصوص عديدة منها قوله ﷺ في حديثه المشهور: "مَنْ رَأَى مُنْكَرًا فَلْيَعْبِرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَاكَ أَوْعَفُ"

١- لمزيد من التفصيل حول بنودها وتحليلها ينظر: العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ص ٣١٠ وما بعدها.

٢- محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص ٩.

الإيمان<sup>(١)</sup>، ولا يخفى أن تشويه الحقائق وتلبيس الحق بالباطل من أنكر المنكرات، ومواجهة هذه الحرب الخفية القاتلة الفتاكة بالوطن وأهله يتحقق ببيان حقيقة تلكم الإشاعات والتشويشات العقديّة والفكرية والثقافية للمواطنين وكشف عوارها ليكونوا على بصيرة من أمرها ولا يقعوا فريسة بين يدي العدو، وأكدّ الشيخ الشعراوي على هذه الحقيقة ونصّ على أن الرباط لا يقتصر على رباط الخيل أو ما في معناه بل آفاقه أرحب ومجالاته أوسع فتتجدد بتحدد الزمان والمكان والمقتضيات ويقول: "والرباط لا يكون فقط أن ترابط بالخيل للعدو المهاجم هجوما ماديا، بل المرابطة تعني: الإعداد لكل ما يمكن أن يُرَدُّ عن الحق صحيحة الباطل، فمن المرابطة أن تعد الناشئة الإسلامية لوفادات الإلحاد قبل أن تفد، لماذا؟ لأن المسألة ليست كلها غزواً بخيل وسلاح وعُدَد، فقد يكون الغزو بالفكر الذي يتسرب إلى النفوس من حيث لا تشعر، فإذا لا بد أن تكون أيضاً في الرباط الذي يمد المؤمن بقدرة وطاقة المواجهة بحيث إذا جاءت قضية من قضايا الإلحاد التي قد تفد على المؤمنين، يكون عند كل واحد منهم الحصانة ضدها والقدرة على مواجهتها"<sup>(٢)</sup>

٧. **حماية الوطن من الناحية الصحية:** في ظل التطورات العلمية تمكن الفكر البشري من الابداع في التقنيات العسكرية وابتكر وسائل فتاكة بالإنسان والحيوان والبيئة، ومن أحببها هو تصنيع الجراثيم الممرضة في المختبرات واستخدامها كوسيلة هجومية في الحروب ما يسمى بالحرب البيولوجية أو الجرثومية<sup>(٣)</sup>، وليس في حال الحرب فقط؛ بل قد يكون ذلك في حال السلم أيضاً بنشر جراثيم الأمراض المعدية في البلاد بواسطة الدماء الملوثة بها كمرض فقدان المناعة (الإيدز)، والسرطان وغيرهما، وأحياناً بإفساد الهواء بالغازات السامة، وأحياناً أخرى بتصدير المواد الغذائية غير الصالحة للاقتيات سواء أكان باسم الإغاثة وإعانة الفقراء والمُعوزين والمصابين بالكوارث بواسطة المنظمات المشبوهة، أو بواسطة الخونة من التجار ورجال الأعمال؛ كل ذلك من أجل إخضاع الشعوب والسيطرة عليها وعلى أوطانهم وسلب خيراتهم.

١- مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، حديث رقم (٤٩).

٢- الشعراوي، تفسير الشعراوي ٤/١٩٧٦.

٣- عنان و الحميدي، وقفات بين الحرب البيولوجية وشبح الجمرة الخبيثة، ص ٣١ وما بعدها.

وهذا أيضا مجال آخر من المجالات المعاصرة البارزة للرباط، فعمل القائمين على المؤسسات الصحية التي تتولى أمر هذه الهجمات الجرثومية على الوطن لا يقل أهمية ومنزلةً من عمل المرابطين في الثغور إذا أحسنوا النية والعمل وكرسوا أنفسهم للبحث والدراسة والفحص والتحليل لمآكل المواطنين ومشاريهم ومآويهم، وكذا الذين يقيمون على المنافذ الحدودية والمطارات لمراقبة المواد الغذائية وغيرها مما يستورد للوطن للحيلولة دون دخول أي مادة ضارة بالوطن والمواطنين، ويجعلون من أنفسهم أعيُنًا ساهرة لأجل حماية الوطن من كل ما يمس أمنه الصحي والغذائي بسوء.

٨. **حماية الوطن من الناحية الإعلامية:** وهي أيضا من المجالات الحديثة للرباط، ولا يخفى أن الإعلام بأنواعه الثلاثة ( المسموع، والمقروء، والمرئي) في يومنا هذا له دور بارز سلبيًا وإيجابيًا على المجتمع توجيهًا وتثقيفًا وبالتالي على الأمن الوطني والقومي؛ ولذا فحماية المواطنين من الإعلام الرامي لإفساد أذهانهم وأفكارهم تجاه دينهم وعقيدتهم وحضارتهم ووطنهم أمر في غاية الأهمية، ويعدّ هذا من أحد أبرز معاني حماية الوطن، وذلك بتأسيس إعلام هادف يربي الأجيال على الاعتزاز بدينهم وعقيدتهم ووطنهم وحضارتهم ولا يشعرون بالنقص، الداء العضال، الذي أصاب كثيرًا من الشباب \_ مع الأسف \_ لانبهاره بالتطور العلمي والمعرفي الغربي. وكذا بوجود لجان ومؤسسات مختصة لمراقبة ما تعرضه القنوات الفضائية وما ينشر اليوم فيما يسمى بمواقع التواصل الاجتماعي وهي الطامة الكبرى التي عمت بها البلوى وتعلم الناس كل أفانين الشر المزين والباطل المزخرف مع وجود بعض الخير فيها لكن أتمها أكبر من نفعها؛ وذلك بهدف منع كل ما يضرّ بالعقول والقلوب والنفوس من الأفلام والبرامج والمنشورات، وكذا لصدّ الإشاعات الإعلامية والرد عليها التي تُشاع بها وتُروّج لها ضد أمن البلد وسيادته ومصالحه، وعلى الدولة توفير ما تحتاج إليه تلك المؤسسات من أجهزة وأدوات لازمة ليكون العاملون فيها والقائمون عليها مرابطين لصدّ كل ما يعرض وينشر في هذه المنافذ والوسائل الإعلامية من أنواع الشرّ التي تمس الأمن الوطني والقومي، ومن هنا تأتي الوصية النبوية التي تحذر المؤمنين تحذيرًا شديدًا من قبول أي خبر أو قول يسمعونه دون التحقق فيه حيث يقول ﷺ: "كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ" (١). فينبغي أن نتخذ من

١- مسلم، الصحيح، المقدمة ١/١٠، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، حديث رقم (٥).

## الرباط فضله وأثره في حماية الوطن في ضوء السنة النبوية

---

هذه الوصية النبوية وأمثالها نبراسًا نربي بها أبناءنا وأهلنا كي لا يقعوا فريسة للوسائل الإعلامية الفاسدة، والصيحات الباطلة التي تنذر بشر مستطير إذا لم يتم معالجتها ومواجهتها.

وعليه فعمل الإعلاميين الذين يندرون أنفسهم لهذا الغرض النبيل ويرابطون في مؤسساتهم ويعملون ليل نهار لحماية الوطن من هذه الناحية الخطرة فإنه يوافق الرباط الذي نصّت عليه السنة النبوية الشريفة وما يقتضيه مفهومه -الذي بيناه فيما سبق- حيث الغرض الأسمى والأعلى لتشريع الرباط الذي هو حماية الوطن وأهله. فكلّ عمل يهدف لتحقيق ذلك فهو رباط في أي زاوية كان من زوايا الوطن.

فهذه هي أهم آثار الرباط في حماية الوطن من مناحي شتى، واعتبارات متعددة استنبطناها من مفهوم الرباط ووظيفته، وفي ضوء الأحاديث النبوية المذكورة في الرباط وفضله (١).

---

١- اعترافاً بالفضل لأهله وحفاظاً على الأمانة العلمية، أقول قد استلهمت فكرة النقاط الثلاث الأخيرة من كتاب: الرباط في سبيل الله ومجالاته المعاصرة، للأستاذ محمد جميل محمد ديب المصطفى.

## الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً، فبعد هذه الجولة الشائقة في رحاب هذا الموضوع الشيق الذي هو الرباط في سبيل الله وبيان فضله وأثره في حماية الوطن في ضوء السنة النبوية الشريفة، توصل البحث إلى جملة من النتائج نوجز أهمها على الوجه الآتي:

١. كشف البحث أن أصل معنى الرباط مأخوذ من مرابطة الخيل، أي ارتباطها بإزاء العدو في الثغور، والرباط في اللغة يراد به الشد والثبات، كما يطلق أيضاً على معنى الصبر والشدة في القلب والنفس والمواظبة على الأمر، وكأن المرابط ينبغي أن يتحلى بالصبر والشدة في القلب والمواظبة وملازمة مكانه وإلا لا يكون مرابطاً.

٢. ورد لفظ (الرباط) بمشتقاته المختلفة في الكتاب والسنة بمعنى المرابطة، والصبر الجميل والشدة في النفس والقلب، والمواظبة على العبادات والأعمال الصالحة.

٣. عرف الفقهاء الرباط بتعريفات متعددة يمكن أن يفهم من مجموعها بأن الرباط عبارة عن الإقامة في مكان يخاف تسلل العدو منه إلى البلاد والهجوم عليها ليشكل خطراً على مواطنيها ومصالحها.

٤. خلاص البحث إلى أن القصد من الرباط حماية البلاد وأهلها بمختلف أديانهم ومعتقداتهم من شرّ الأشرار وحفظ أرواحهم وأعراضهم وأموالهم من التعدي عليها، وإعزاز دين الله عز وجل وجعل كلمة الله تعالى هي العليا.

٥. تبين بالبحث والتحري من كتب الفقه الإسلامي أنه خصّ كثير من الفقهاء الرباط بحدود الدولة الإسلامية وتخومها مع العدو، وكان ذلك منهم لأن غالباً ما كان خطر العدو على البلاد في زمانهم يطرأ عبر الحدود والثغور.

٦. يمكننا اليوم أن نوسع في معنى الرباط ليشمل الحدود وغيرها حتى ولو كان في قلب عاصمة البلد لأن الظروف قد تغيرت، والتهديدات قد تعددت، والثغور قد تنوعت، فالمرابط والمراقب

على شبكات الإنترنت مثلاً لدفع شرورها عن الوطن وأهله لا يقل أجرًا ومنزلة من الحارس الذي يحمي حدود الوطن من أن يخترقها العدو أو يتعدها.

٧. للرباط مكانة عظيمة في السنة النبوية حيث وردت في فضله ومكانته أحاديث عديدة تؤكد على القيام به وتحث عليه بشدة وتبين ما له من أجر عظيم وثواب جزيل عند الله تعالى.

وهذا الاعتناء من السنة الشريفة بالرباط وعمل المرابطين يعود لما له من فوائد عظيمة، ومنافع جليلة للإسلام والمسلمين بل وغير المسلمين القاطنين في البلاد الإسلامية، فله أثر كبير في حماية العباد والبلاد من شرّ الحاقدين، ومكر الماكرين، ونشر السلام والأمان في الوطن.

٨. للرباط آثار عظيمة في حماية الوطن من نواحي شتى كحماية حدوده من أن يتسلل منها شرّ إلى البلاد، وتعزيز لجيش المسلمين وشدّ أزرهم، كما أن له أثرًا كبيرًا في حماية الوطن من الناحية الأمنية والاقتصادية والسياسية والتجارية، وكذا الفكرية والصحية والإعلامية، وتوفير حياة سعيدة هنيئة للمواطنين.

٩. وبذلك يكون للرباط أثر بارز في ازدهار الوطن وتعزيزه من النواحي العسكرية والاقتصادية والسياسية والإعلامية والفكرية والمعيشية.

## المصادر والمراجع

- أبو إبراهيم محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني ثم الصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير، الرياض، مكتبة دار السلام. ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، بيروت، مؤسسة الرسالة. ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد التميمي الدارمي البُستي، صحيح ابن حبان، بيروت، مؤسسة الرسالة. ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي، سنن أبوداود، بيروت، المكتبة العصرية. بدون تاريخ.
- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت، دار إحياء التراث العربي. ١٣٩٢هـ.
- أبو الحسن علي بن (سلطان) محمد، نور الدين الملا الهروي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، بيروت، دار الفكر. ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك المعروف بابن بطلال، شرح صحيح البخاري، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- أبو الحسن محمد بن عبد الهادي التتوي نور الدين السندي، كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، بيروت، دار الجيل. بدون تاريخ.
- أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي. بدون تاريخ.
- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، مقاييس اللغة، بيروت، دار الفكر. ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، شهاب الدين، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، مصر، المطبعة الكبرى الأميرية. ١٣٢٣هـ.
- أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الفتاوى

## الرباط فضله وأثره في حماية الوطن في ضوء السنة النبوية

- الكبرى، بيروت، دار الكتب العلمية. ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، الرياض، دار الوطن للنشر. ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي، مصباح الزجاججة في زوائد ابن ماجه، بيروت، دار العربية. ١٤٠٣هـ.
- أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، سنن النسائي، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية. ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند أحمد، بيروت، مؤسسة الرسالة. ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، المستدرك على الصحيحين، بيروت، دار الكتب العلمية. ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، الرياض، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع. ١٤٢٥هـ.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، دار الكتب المصرية. ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، مفاتيح الغيب، بيروت، دار إحياء التراث العربي. ١٤٢٠هـ.
- أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، المختصر الفقهي، الإمارات، مؤسسة خلف أحمد الخبتور للأعمال الخيرية. ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
- أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجه، سنن ابن ماجه، بيروت، دار الرسالة العالمية. ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، بيروت، دار طوق النجاة. ١٤٢٢هـ.
- أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، سنن الترمذي، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع تقي الدين القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، إتحاف لأحكام

- شرح عمدة الأحكام، القاهرة، مطبعة السنة الحمديّة. بدون تاريخ.
- أبو الفرج شمس الدين عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، الشرح الكبير على المقنع، القاهرة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. ١٩٩٥م.
- أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة. ١٣٧٩هـ.
- أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، إكمال المعلم بفوائد مسلم، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، بيروت، دار صادر. ١٤١٤هـ.
- أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملّقب بمرتضى، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت، دار الهداية. بدون تاريخ.
- أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللحمي الشامي الطبراني، المعجم الأوسط، القاهرة، دار الحرمين. بدون تاريخ.
- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربي. ١٤٠٧هـ.
- أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي التميمي السمرقندي، سنن الدارمي، السعودية، دار المغني للنشر والتوزيع. ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.
- أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تهذيب اللغة، بيروت، دار إحياء التراث العربي. ٢٠٠١م.
- أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلية، مسند أبي يعلى الموصلية، دمشق، دار المأمون للتراث. ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- جمال عبدالعزيز عنان وعبد العزيز بن عبد الله الحميدي، وقفات بين الحرب البيولوجية وشبح الجمرّة الخبيثة، بدون موقع نشر، ١٤٢٣هـ، وهو متاح على موقع جمال عبد العزيز ووصلة البحث هي:
- [https://www.researchgate.net/profile/Gamal\\_Enan/publication/270215898\\_Views\\_between\\_the\\_biological\\_warefare\\_and\\_the\\_fear\\_of\\_anthrax/links/54c0ef730cf28a6324a45a78/Views-between-the-biological-warefare-and-the-fear-of-anthrax](https://www.researchgate.net/profile/Gamal_Enan/publication/270215898_Views_between_the_biological_warefare_and_the_fear_of_anthrax/links/54c0ef730cf28a6324a45a78/Views-between-the-biological-warefare-and-the-fear-of-anthrax).

## الرباط فضله وأثره في حماية الوطن في ضوء السنة النبوية

- زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، فيض القدير شرح الجامع الصغير، مصر، المكتبة التجارية الكبرى. ١٣٥٦هـ.
- شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن، الرياض، مكتبة نزار مصطفى الباز. ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- صالح بن عبد السميع الآبي الأزهرى، الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي يزيد القيرواني، بيروت، المكتبة الثقافية. بدون تاريخ.
- علي عبد الحليم محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام، فتح القدير، بيروت، دار الفكر. بدون تاريخ.
- محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الحرزي الشافعي، الكوكب الوهاج والروض البهّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت، دار طوق النجاة. ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، بيروت، دار الكتاب العربي. ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، شرح السير الكبير، القاهرة، الشركة الشرقية للإعلانات. ١٩٧١م.
- محمد جميل محمد ديب المصطفى، الرباط في سبيل الله ومجالاته المعاصرة، متاح على موقع صيد الفوائد، ووصلة البحث هي: <http://saaid.net/book/20.pdf>.
- محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشيلي المالكي، أحكام القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع. ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، مصر، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.
- موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، القاهرة، دار الشروق. ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.



# أثر الأسرة في حماية الوطن في ضوء السنة النبوية

الأستاذ الدكتور / مفرح بن سليمان القوسي  
أستاذ الدراسات العليا بكلية الشريعة بجامعة  
الإمام محمد بن سعود الإسلامية / السعودية - الرياض





## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فتعد الأسرة أساس المجتمع واللبنة الأولى في بنائه، ومتى ما كانت هذه اللبننة قوية، قام صرح بناء المجتمع قويًا شامخًا، ومتى ما كانت ضعيفة، قام صرح بناء المجتمع ضعيفًا واهيئًا يُسرِع إليه التفكك والانحلال، كما تعد الأسرة الأساس الاجتماعي في تشكيل وبناء شخصيات أفراد المجتمع، حيث تُضفي على أبنائها خصائصها ووظيفتها.

ومن أشد ما يضر بالمجتمع في وقتنا الحاضر عدم شعور كثير من الشباب بالانتماء إلى وطنهم، وعدم غيرتهم عليه، بل وخذلانه في كثير من الأحيان، وانسياقهم خلف أفكار منحرفة ضالة تؤثر سلبيًا في وحدة الوطن وأمنه واستقراره.

ولا شك أن قيام الأسرة بمهامها الأساسية المنوطة بها، ولا سيما في مجال التربية والتنشئة السليمة سيسهم حتمًا في حماية الوطن ومحبتة والولاء له وحُسن الانتماء إليه والذود عنه .

ولدراسة تفاصيل هذه المهام وبيان آثارها تلك في ضوء هدي السنة النبوية وتوجيهاتها يجيء هذا البحث للمشاركة به في الندوة العلمية الدولية التاسعة (حماية الوطن في السنة النبوية: مقصد شرعي وضرورة مجتمعية).

## الدراسات السابقة:

تتمثل أبرز الدراسات السابقة المقاربة لدراستي هذه فيما يأتي:

- ١- (حب الوطن في ضوء السنة النبوية)، وهو بحث علمي للدكتورة ليلي محمد أسليم، تتضمن: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، تناولت فيه الباحثة مسائل عديدة، منها: (الحنين إلى الوطن)، و(الدعاء له)، و(الرباط فيه)، و(السعي إلى رفعته)، وختمته بذكر وصيتين تخص

حب الوطن، إحداهما عامة، والأخرى خاصة بمناهج التعليم في فلسطين.

ويتفق بحثي مع هذا البحث في أمرين:

**أحدهما:** دراسة بعض المسائل التي هي من لوازم حماية الوطن، أمثال: حب الوطن والحنين إليه، والسعي إلى رفعته، وتنمية روح المحبة بين المواطنين.

**الثاني:** منهج الدراسة، حيث يغلب على الباحثين السعي إلى استنباط المسائل المتعلقة بالوطن من نصوص السنة النبوية.

ويختلف بحثي عن هذا البحث في كون موضوع بحثي أكثر شمولية من موضوعه؛ حيث إن بحثي يُعنى بدراسة حماية الوطن، بينما هذا البحث يُعنى بدراسة حب الوطن، ولا شك أن حب الوطن إنما هو جزء يسير من حمايته، وأحد لوازمه ومستتبعاته.

٢- (دور الأسرة في أمن المجتمع)، وهو بحث موجز للدكتور إدريس بن حامد محمد، تتضمن: مقدمة وصلب للبحث وخاتمة، تناول فيها المُعد - بإيجاز - مفهوم الأسرة وأهميتها وتكوينها وأهدافها، ومفهوم الأمن وأهميته وأقسامه، وأثر الأسرة في تحقيق الأمن النفسي والجسدي والغذائي والعقدي والاقتصادي والصحي.

ويختلف بحثي عن هذا البحث في عدة أمور هي:

أ- إني ركزتُ في البحث على الآثار التي تُحدثها الأسرة في تحقيق حماية الوطن، وهو ما يتطابق مع العنوان الرئيس للبحث، بينما تشتت جهد الباحث في الدراسة السابقة في الحديث عن الأسرة ذاتها ونشأتها وتكوينها، وعن الأمن وأقسامه، مع أن هذه المسائل لم يُنص عليها في العنوان الرئيس للبحث.

ب- إن بحثي أكثر شمولية من هذه الدراسة السابقة، ذلك أن موضوع الدراسة السابقة منحصر على بيان أثر الأسرة في تحقيق أمن المجتمع، وهو ما يُشكل جزئية واحدة من جزئيات موضوع بحثي (أثر الأسرة في حماية الوطن).

ج- إن موضوع بحثي جاء مقيداً ببيان أثر الأسرة في حماية الوطن في ضوء هدي السنة

النبوية وتوجيهاتها، بينما لم يُعن مُعد الدراسة السابقة بتوجيهات السنة النبوية في موضوعها.

د- هناك جانب منهجي، يتمثل في أن الباحث في الدراسة السابقة لم يُقسم صلب بحثه إلى فصول أو مباحث أو مطالب - كما هو العُرف المنهجي في البحوث العلمية الجادة - بل جاء على شكل فقرات متناثرة متفرقة، بينما جاء صلب بحثي مقسماً إلى مبحثين اثنين، كل مبحث منهما يختص بمسألة مستقلة.

٣- (دور الأسرة في تنمية قيم المواطنة لدى الشباب في ظل تحديات العولمة - رؤية اجتماعية تحليلية)، وهو بحث علمي للدكتور سعيد بن سعيد ناصر حمدان، تناول فيه بالدراسة المفاهيم الأساسية للدراسة، وهي مفاهيم: الأسرة، والقيم، والشباب، والعولمة، والمواطنة. ثم تحدث عن ثلاث مسائل، هي: (الشباب وثقافة العولمة)، و(المواطنة رؤية اجتماعية تاريخية)، و(دعائم المواطنة). ثم انتقل بعد ذلك كله إلى المسألة الرئيسة للدراسة، وهي (دور الأسرة في تنمية قيم المواطنة لدى الشباب في ظل تحديات العولمة). ثم ختم الدراسة بمجموعة من التوصيات والمقترحات المهمة.

وتتفق دراستي مع هذه الدراسة في تعريف مصطلحي (الأسرة) و(المواطنة)، وفي تناول العديد من الآثار التي تُحدثها الأسرة في تعزيز القيم المثلى للانتماء للوطن في نفوس الأبناء وتنشئتهم على تحقيق الأمن فيه.

وتختلف عنها في الأمور التالية:

أ) إن هذه الدراسة إنما تدرس آثار الأسرة في تنمية قيم المواطنة لدى الشباب في ظل تحديات العولمة، بينما دراستي تدرس هذه الآثار في ضوء هدي السنة النبوية وتوجيهاتها.

ب) إني ركزتُ في دراستي على الآثار التي تُحدثها الأسرة في تحقيق حماية الوطن، وهو ما يتطابق مع العنوان الرئيس لها، بينما تشتت جهد الباحث في هذه الدراسة في الحديث عن مسائل لم يرد لها ذكر في عنوانها الرئيس، وأعني بها مسائل (الشباب وثقافة العولمة)، و(المواطنة رؤية اجتماعية تاريخية)، و(دعائم المواطنة).

ج) هناك جانب منهجي، يتمثل في أن الباحث في الدراسة السابقة لم يُقسم صلب بحثه إلى فصول أو مباحث أو مطالب - كما هو العُرف المنهجي في البحوث العلمية الجادة - بل جاء على شكل فقرات متناثرة متفرقة، كما أن هذه الدراسة خلت من وجود مقدمة وخاتمة، بينما جاءت دراستي منضبطة منهجياً، من حيث تقسيمها إلى: مقدمة، وصلب للبحث ينقسم إلى مبحثين اثنين يختص كل مبحث منهما بمسألة مستقلة، وخاتمة.

### أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يأتي:

- أ- تسليط الضوء على أهمية دراسة قضية (حب الوطن) في وقتنا الحاضر.
- ب- ترسيخ الوعي بمدى إسهام السنة النبوية في حماية الوطن، وأسبقيتها في تحصين المجتمع من الانحراف الفكري والضلال العقدي.
- ج- الإسهام في ترسيخ قيم الانتماء الوطني والأمن الفكري.
- د- رد الجميل للوطن، ببيان حقوقه، ووجوب المحافظة عليه والذود عنه.

### منهج البحث:

اقتضت طبيعة موضوع البحث ودراسة مسائله اتباع المنهجين التحليلي والاستنباطي في إعدادده، مع العناية بما يأتي:

- ١- الرجوع إلى المصادر الأصلية الخاصة بموضوع البحث.
- ٢- ترقيم الآيات القرآنية وبيان سورها، وضبطها وفق مصحف المدينة الإلكتروني.
- ٣- تخريج الأحاديث النبوية وبيان ما ذكره أهل الشأن في درجتها إذا لم تكن في الصحيحين أو أحدهما، فإن كانت كذلك اكتفيتُ حينئذ بتخريجها.

٤- تزويد البحث بفهرس للمصادر والمراجع، مرتبًا على حروف المعجم.

٥- أما بالنسبة للنقول والإحالات في الحواشي، فهي على النحو الآتي:

أ- إذا تصرفت في النص المنقول تصرفًا يسيرًا أوردته بين قوسي تنصيص وأشرت في الحاشية إلى أن النقل كان بتصرف يسير، وإذا تصرفت فيه تصرفًا كثيرًا ذكرت في الحاشية كلمة (انظر)، أما إذا لم أتصرف فيه مطلقًا بأن كان نقلًا حرفيًا أوردته بين قوسي تنصيص واكتفيت بالإشارة إلى المرجع دون كلمة (انظر).

ب- إذا كررت النقل من المرجع دون أن يفصل بين النقلين نقل من مرجع آخر، ذكرت في الحاشية عبارة (المرجع السابق)، أو (المصدر السابق).

والله أسأل العون والتوفيق والسداد،،،

## التمهيد

### التعريف بالمصطلحات الأساسية للبحث

لاشك في أن التعريف في مطلع أي بحث علمي بمصطلحاته الأساسية مهم جدًا لتحديد إطار البحث وحدوده، ولمعرفة مراد الباحث فيه ومقصوده، ولدينا في هذا البحث أربعة مصطلحات أساسية، هي: الأثر، والأسرة، والحماية، والوطن؛ أعرف بكل واحد منها على حدة فيما يلي:

#### ١- الأثر:

الأثر في اللغة العربية: بقية الشيء، والجمع آثار وأثور، يقال: خرجت في إثره وفي أثره، أي: بعده، وتأثرته: تتبعت أثره. والأثر بالتحريك: ما بقي من رسم الشيء، والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء. وأثر في الشيء: ترك فيه أثرًا<sup>(١)</sup>.

ونستنتج مما تقدم أن كلمة (الأثر) تستخدم في اللغة بمعنى: نتيجة الشيء وما يترتب عليه من أحوال وأموار.

١- يُنظَرُ: ابن منظور، لسان العرب، مادة (أثر).

ولم يخرج استخدام العلماء لكلمة (الأثر) في الاصطلاح عن معناها في اللغة، فهم يستخدمونها في الاصطلاح على ما يترتب عليه الشيء، وهو المسمى بالحكم عندهم، كما أنهم يضيفون الأثر إلى الشيء، فيقولون مثلاً: أثر العقد، وأثر الفسخ، وأثر النكاح.

ويذكر الجرجاني أن الأثر يطلق في الاصطلاح على ثلاثة معاني، هي: النتيجة وهو الحاصل من الشيء، والعلامة، والجزاء<sup>(١)</sup>.

## ٢- الأسرة:

الأسرة في اللغة: مفرد جمعها أسر، وهي الدرع الحصينة<sup>(٢)</sup>.

وهي في الاصطلاح: عشيرة الإنسان ورهطه الأذنون لأنه يتقوى بهما.

أما مفهومها في الإسلام فيشمل الزوجين والأولاد وفروعهم، كما يشمل الأصول من الآباء والأمهات، ويدخل فيهم الأجداد والجدات<sup>(٣)</sup>.

## ٣- الحماية:

ترد كلمة (الحماية) في اللغة العربية بمعانٍ عدة متقاربة، منها: المنع، يقال: حمى الشيء يحميه حمايةً بالكسر: أي منعه، وحمى المريض ما يضره: منعه إياه، واحتمى هو من ذلك وتحمى: امتنع، ويقال: حميت المكان: منعته من أن يقرب. والحمي: المريض الممنوع من الطعام والشراب. والحميم: القريب المشفق، سمي بذلك لأنه يحتد حمايةً لذويه، فهو يدافع عنهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَلْ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾<sup>(٤)</sup>.

ومنها: الحظر، يقال: هذا شيء حمي، أي: محظور لا يقرب.

ومنها: الاتقاء، وهو قريب من (المنع) حيث إن من احتتمى من شيء اتقاه، واتقاؤه امتناعه

منه.

١- يُنظَرُ: التعريفات، ص ١٣.

٢- يُنظَرُ: ابن منظور، لسان العرب، مادة (أسر).

٣- يُنظَرُ: محمد أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع، ص ٦٢.

٤- سورة المعارج، الآية ١٠.

ومنها: الدفاع والنصرة: وهو أيضًا يدخل تحت المنع؛ إذ إنَّ المدافع عن الشيء يمنع عنه ما يضره، ولأنَّ النصرَ منع الغير من الإضرار بالمنصور، يقال: حَمَيْتُهُ حِمَايَةً: إذا دافعت عنه، ومنعت منه من يقرَّبُهُ، ويقال: حَمَيْتُ القومَ حِمَايَةً، أي: نصرتهم<sup>(١)</sup>.

ولا يختلف المعنى الاصطلاحي لكلمة (الحماية) عن معانيها اللغوية، فحماية المريض اصطلاحًا على سبيل المثال: منعه مما يضره من طعام أو شراب أو غيره، وحماية المدنيين: الدفاع عنهم، ومنع كل ما من شأنه إلحاق الضرر بهم.

#### ٤-الوطن:

الوطن - بحسب القواميس اللغوية - هو المنزل والمحل الذي يقيم فيه الإنسان، والجمع أوطان، يُقال: وطن بالمكان وأوطن، أي: أقام، وأوطنه: اتخذهُ وطنًا، وأوطن فلانٌ أرض كذا وكذا، أي اتخذها محلًا ومسكنًا يُقيم فيه، وأوطان الغنم والبقر: مرابضها وأماكنها التي تأوي إليها، وكل مقام قام به الإنسان لأمر فهو موطن له، والموطن المشهد من مشاهد الحرب، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن المصطلحات التي لها صلة وثيقة بمصطلح (الوطن)، ويكثر استخدامها لدى الباحثين المعاصرين، مصطلحات: (المواطن)، و(المواطنة)، و(الوطنية).

ولذا نجد الزمخشري يُضيف بُعدًا عاطفيًا للمعنى اللغوي لكلمة (الوطن)، فيقول: "وطن: كلُّ يُجِب وطنه، وأوطان وموطن ومواطنة، والإبل تحن إلى أوطانها، ومن المجاز استعمالها في مرابض الغنم ومشاهد القتال"<sup>(٣)</sup>.

ونجد محمد العدناني يرى أن الفعل (واطنه) يعني وُجد معه في وطن واحد، مثلما يعني الفعل

١- يُنظَرُ: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حمى). والفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (حمى).

والزمخشري، أساس البلاغة، ص ٩٦. والراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص ٢٥٥.

٢- سورة التوبة، الآية ٢٥.

٣- القاضي الأحمد نكري، موسوعة مصطلحات جامع العلوم، ص ٩٨٢.

(عايشه): عاش معه، ومثلما يعني الفعل (ساكنه): سكن معه<sup>(١)</sup>.

ومصطلح (المواطن): مفاعلة من الفعل (وَأَطَنَ) الذي يعني وافق واتفق، فقولك واطنتُ فلاناً على هذا الأمر يعني اتفقتُ معه عليه<sup>(٢)</sup>.

وقد عُرفت (المواطنة) اصطلاحاً بأنها: "انتماء وولاء لعقيدة ووطن وقيم ومبادئ، والتزام من المواطن بتحمل مسؤولياته تجاه وطنه مقابل الحقوق التي يتمتع فيها بما"<sup>(٣)</sup>.

وأما مصطلح (الوطنية) فقد عرّفها الموسوعة العربية العالمية بأنها: حب الفرد وإخلاصه لوطنه والانتماء لأرضه وعاداته وتقاليده والفخر بتاريخه والتفاني في خدمته<sup>(٤)</sup>.

وبناءً على ما تقدم يكون المراد ب(أثر الأسرة في حماية الوطن في ضوء السنة النبوية): نتائج جهود الأسرة في نصرته الوطن والذود عنه حسناً ومعنى، وحماية مقدراته ومنع كل ما من شأنه إلحاق الضرر به، والحفاظ على مكونات أصالته وثقافته النوعية ومنظومته الفكرية، والتصدي لكل العوائق والصعوبات والعقبات التي تحول دون كل ذلك، وذلك في ضوء توجيهات نصوص السنة النبوية، على صاحبها أتم الصلاة وأزكى التسليم.

## أثر الأسرة في حماية الوطن في ضوء السنة النبوية

توطئة:

عند النظر والتأمل في الآثار التي تُحدثها الأسرة في تحقيق حماية الوطن، تبين لي أنها آثار كثيرة متعددة ومتنوعة، إلا أنه يُمكن تصنيف أبرزها في جانبين رئيسيين:

**الأول:** جانب إعدادي تأسيسي، يتمثل في تعزيز القيم المثلى للانتماء للوطن في نفوس الأبناء وتنشئتهم على تحقيق الأمن فيه، ولا سيما الأمن الفكري.

١- يُنظر: معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، ص ٧٢٥.

٢- يُنظر: الجوهرى، الصحاح. وابن منظور، لسان العرب، مادة (وطن).

٣- محمود سفرين وآخرين، الوطنية كائن هلامي، ص ٨٩-٩٠.

٤- يُنظر: مجموعة من الباحثين، الموسوعة العربية العالمية، ١١٣/٢٧.

**والثاني:** جانب وقائي تحصيلي، يتمثل في مواجهة التحديات التي تواجه حماية الوطن وتحقيق الأمن فيه، وتحول دون حمايته والولاء له والذود عنه.

ولذا سأخصص لكل جانب من هذين الجانبين مبحثاً مستقلاً، وذلك على النحو الآتي:

### المبحث الأول: تعزيز قيم الانتماء للوطن وتحقيق الأمن الفكري فيه

هناك العديد من المؤسسات والجهات التي لها أثر مهم في تعزيز قيم الانتماء الوطني والأمن الفكري، أمثال: الجامعات، والمساجد، ووسائل الإعلام، والسلطة الحاكمة...، إلا أن الأسرة تُعدّ من أهم المؤسسات في إعداد الناشئة عمومًا، والشباب منهم خصوصًا وتربيتهم على حب الوطن وحمايته والذود عنه، وتنمية روح المواطنة الصالحة لديهم فيه، حيث يقع على عاتق الأسرة مهمة كبيرة في هذا الجانب، لكونها المؤسسة الاجتماعية التي تُعنى بالتماسك الاجتماعي، والمصدر الأساس لتكوين الشخصية الإنسانية والانتماء والهوية الوطنية، ومفرز المُثل السلوكية والتكيف مع المجتمع والاندماج والتعايش مع أفرادها من خلال المهام التي تقوم بها في تربية النشء.

كما أن الأسرة تُعدّ نواة المجتمع، والبيئة الأولى لتنشئة الطفل، فمن خلالها تتم أهم مراحل التربية والتوجيه للأبناء، وغرس القيم والأعراف والأفكار والمعتقدات فيهم، وبها تبدأ العلاقات بين الأفراد، ومن خلالها يعرف الإنسان كيف يعيش وكيف يتعامل مع الآخرين.

والأسرة أيضًا المحطة الأولى التي يتزود منها الأبناء بأهم أسس التربية السليمة ومقوماتها، وينبثق منها صلاح أو إغوجاج سلوكهم وأنماط تفكيرهم، وتحديد مهاراتهم ومعاييرهم.

وتُعدّ التنشئة الاجتماعية العملية المهمة التي يكتسب الفرد من خلالها قيم المجتمع الذي يعيش فيه وملامح هويته، والأسرة هي من يتولى هذه التنشئة لدى أبنائها في سنين نشأتهم الأولى، ثم تأتي مهام المدرسة والمناهج الدراسية - التي تُعدّ امتدادًا لمهام الأسرة في هذه التنشئة -، ومهام الزملاء والصحة ووسائل الإعلام والسلطة الحاكمة...، فالأسرة أهم المؤسسات التي تقع على عاتقها مسؤولية التنشئة الاجتماعية لأفرادها منذ مرحلة الطفولة وحتى مرحلة المراهقة والشباب وما بعدها من مراحل<sup>(١)</sup>، والقيم الصالحة المكتسبة عن طريقها هي قيم أساسية راسخة، لتلقي الفرد لها في

١- يُنظَرُ: ماجد الزويد، الشباب والقيم في عالم متغير، ص ٤٥.

سني عمره الأولى، ولأن الفرد يبني عليها بعد ذلك كل ما يتلقاه - من وسائل التنشئة الاجتماعية الأخرى - من مبادئ ومعتقدات ومفاهيم وقناعات ومعايير ونحو ذلك، وقد بين رسول الله ﷺ ذلك في قوله: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)<sup>(١)</sup>.

والتنشئة الوطنية جزء لا يتجزأ من التنشئة الاجتماعية، حيث يتم عن طريقها غرس قيم المواطنة الصالحة ومقوماتها في نفوس الناشئة والشباب، وقد أشار الحكيم والفيلسوف الصيني (كنفشيوس) إلى أهمية التنشئة الوطنية في تحقيق استقرار البلاد، وأرجع أسباب الحكم في زمنه - في القرن السادس قبل الميلاد - إلى غياب روح المواطنة الصالحة لعجز الأسر عن تلقين أبنائها القيم الفاضلة واحترام المصلحة العامة<sup>(٢)</sup>.

ومن أبرز مقومات الانتماء الوطني والأمن الفكري، التي للأسرة أثر في تعريف الشباب بها وتنشئتهم عليها ما يلي:

#### ١- ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة:

لا شك في أن رسوخ عقيدة الإيمان والتوحيد لها أثر كبير وفاعل في تحقيق الأمن عمومًا، والأمن الفكري خصوصًا، فقد كفل الله لأهل الإيمان الحصول على الأمن والهداية، حيث يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، ولأن (الأمن) هو جوهر (الإيمان)، فهما من جذر لغوي واحد مادته الألف والميم والنون، ويؤكد العلماء على أن من لوازم (الإيمان) حصول الطمأنينة والتحرر من مصادر الخوف والاضطراب، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث يعد رحمه الله (الإيمان) بمعنى الأمن حقيقة مؤكدة، لأن الإيمان في نظره مأخوذ من الأمن الذي هو الطمأنينة، وكما أن لفظ (الإقرار) مأخوذ من قرَّ

١- رواه الإمام البخاري في صحيحه - واللفظ له - من حديث أبي هريرة t في كتاب (الجنائز)، باب (ما قيل في أولاد المشركين)، الحديث رقم (١٣٨٥)، ص ٢٢٢. ورواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (القدر)، باب (معنى كل مولود يولد على الفطرة)، الحديث رقم (٦٧٥٥)، ص ١١٥٧.

٢- يُنظَرُ: بدر حمد الصلال، دور الفضائيات الكويتية الرسمية والخاصة في تعزيز المواطنة لدى الشباب الكويتي، ص ٣٧.

٣- سورة الأنعام، الآية ٨٢.

يَقْرُ، فَإِنْ لَفِظَ (الإيمان) مأخوذ من آمن يأمن، فالمؤمن داخل في الأمن، كما أن المُقِرَّ داخل في الإقرار<sup>(١)</sup>.

ولذا إذا حرصت الأسرة المسلمة على ترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس أبنائها فسيكون لذلك أثر بالغ في تحقيق الأمن الفكري في المجتمع، فالمواطن لا يكون مؤمناً حقاً إلا إذا جَسَّدَ إيمانه في كفالة الأمن وإشاعته له في الحياة، لنفسه ولغيره، ويُؤكِّد ذلك قول النبي ﷺ: (المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ)<sup>(٢)</sup>، كما أن الالتزام بعقيدة التوحيد هو التزام في الوقت نفسه بتوحيد الوجهة، ومن توحدت وجهته زال عنه الخوف والاضطراب، لقوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، ولا مجال في ضلال عقيدة التوحيد لما يُسمى بأزمة الهوية الفكرية أو الثقافية التي تعاني منها كثير من النظم البشرية والمجتمعات المعاصرة، لتعدد هوياتها وتنوع انتماءاتها وتقلب أحوالها، فيكون ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مَوْلِيَا﴾<sup>(٤)</sup>.

كما أن رسوخ عقيدة الإيمان بالله تعالى في نفس المسلم يُمثِّلُ حصانة عقديّة وفكرية له، فلا تزل قدمه في التزامه بدينه، ويسلم من الانحراف عن محجة الحق؛ إفراطاً وتفلاً أو غلواً وتطرفاً، ولا تتحاذبه الأهواء، ولا تُؤثِّرُ فيه الشكوك والشبهات التي يثيرها أهل البدع والضلال والأهواء.

١- يُنْظَرُ: مجموع الفتاوى، ٥٢٩/٧.

٢- رواه الإمام أحمد في المسند من حديث أبي هريرة، الحديث رقم (٨٩١٨)، ٣٧٩/٢، وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند: "إسناده قوي"، ورواه النسائي أيضاً في سننه، الحديث رقم (٤٩٩٥)، ٨/١٠٤، وقال عنه العلامة الألباني في تحقيقه لهذه السنن: "حسن صحيح".

٣- سورة البقرة، الآية ١١٢.

٤- سورة البقرة، الآية ١٤٨.

## ٢- تربية الأبناء على الاستقامة على منهج الإسلام وهدية:

يقول تعالى في الحث على الاستقامة على منهج الإسلام وهدية: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾<sup>(١)</sup>، ويقول سبحانه أيضًا: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾<sup>(٢)</sup>، ويقول عليه الصلاة والسلام في الحث على هذه الاستقامة: (اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْضُوا وَأَعْمَلُوا، وَخَيْرُ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ)<sup>(٣)</sup>.

ويُراد بالاستقامة هنا: الإقامة والدوام على هدي الله ﷻ وهدى رسوله ﷺ، والاستمرار بالانضباط بضوابط الإسلام، والوقوف عند حدوده، والاستجابة لأوامر الله والانتهاز عن محارمه<sup>(٤)</sup>.

يقول ابن القيم: "الاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد، وهي تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات، وتكون الاستقامة فيها بوقوعها لله، وعلى أمر الله"<sup>(٥)</sup>.

وإذا دأبت الأسرة على تربية أبنائها منذ الصغر على هذه الاستقامة المطلوبة وعلى الالتزام بهدي الله وشرعه وصراطه المستقيم المبرراً من كل عوج، فإنه حتمًا لن تتقاذفهم المذاهب والمناهج الفكرية المعوجّة، ولن تتجاوزهم البدع العقدية ولا الأهواء الفكرية، وسيسلمون من التخبط في تحديد وجهتهم في العبادة والتدين، يقول تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾<sup>(٦)</sup>، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٧)</sup>.

١- سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

٢- سورة هود، الآية ١١٢.

٣- رواه الإمام أحمد في المسند، الحديث رقم (١٢٠٤)، ٢٧٧/٥، كما رواه ابن ماجه في سننه في كتاب (الطهارة)، باب (المحافظة على الموضوع)، الحديث رقم (٢٧٣)، ١٠٠/١، وحسنه ابن حجر في (هداية

الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة)، ١٨١/١.

٤- يُنظَرُ: أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، ١/١٦٥.

٥- مدارج السالكين، ٢/١٠٤.

٦- سورة طه، الآية ١٢٣.

٧- سورة الأحقاف، الآية ١٣.

كما أن من شأن هذه التربية أن تنمّي في الأبناء فضيلة محاسبة النفس على الدوام، ومراقبة الله في السر والعلن، وعمارة الفكر والسلوك بخلوص النية وصدق التوجه إليه سبحانه، فتكون الاستقامة هذه نوراً يسعى بين أيديهم يهديهم الطريق المستقيم، وروحاً تُضيء جوانب أرواحهم، وقيمة تُكسبهم السكينة والطمأنينة في معتقداتهم وأفكارهم<sup>(١)</sup>.

### ٣- حب الوطن:

لا يتحقق الانتماء الصحيح للوطن وحمانيته والحفاظ على أمنه الفكري لدى الأبناء إلا إذا استقر حب الوطن في أنفسهم، فهذا الحب لازم مهم جداً من لوازم المواطنة الحقة ومقوم أساس من مقوماتها، ولن يكون هذا الحب إلا إذا تأصلت بذرته في نفوس الأبناء منذ الصغر، وكلما كبروا واشتد عودهم كبر فيهم هذا الحب وامتألت به عقولهم واطمأنت إليه قلوبهم، وهذا مما يؤكد أثر الأسرة في تأصيل حب الوطن وتعهده ورعايته لدى الشباب. ويتمثل هذا الأثر في أمور عديدة لعل من أهمها ما يأتي:

**أولاً:** إقناع الأبناء بأن حب الوطن قيمة مهمة من القيم العليا التي جاء بها ديننا الحنيف وتمثلها نبينا محمد ﷺ في حياته في حبه لمكة المكرمة والمدينة المنورة؛ فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ عن مكة: (مَا أَطْيَبَ مِنْ بَلَدَةٍ، وَأَحَبَّ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنْ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكَ، مَا سَكَنْتُ غَيْرَكَ)<sup>(٢)</sup>، وقال عن المدينة: (اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحَبِّبْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ)<sup>(٣)</sup>.

**ثانياً:** إظهار محبة الوطن وتقديره واحترامه والشوق إليه لدى الأبناء، إذ إن مشاعر الحب

١- يُنظَرُ: أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، ١/١٦٥.

٢- رواه الترمذي في سننه في كتاب (المناقب)، باب (في فضل مكة)، الحديث رقم (٣٩٢٦)، ص ٨٨٣، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، وصححه الحاكم في المستدرک، الحديث رقم (١٧٨٧)، ١/٦٦١، والبيهقي في شعب الإيمان، الحديث رقم (٤٠١٣)، ٣/٤٤٣، والألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.

٣- رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (الدعوات)، باب (الدعاء برفع الوباء والوجع)، الحديث رقم (٦٣٧٢)، ص ١١٠٧، ورواه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب (الحج)، باب (الترغيب في سكنى المدينة)، الحديث رقم (٣٣٤٢)، ص ٥٧٨.

والرضا أو الكره والسخط أو غيرها من المشاعر والانفعالات يفهمها الأبناء ويستشعرونها، وربما يتشربونها فتصبح جزءاً من توجهاتهم وقناعاتهم. وهذا ما كان عليه النبي محمد ﷺ في إظهار محبته وتقديره للمدينة المنورة، وفي حرصه على غرس ذلك في صحابته الكرام؛ فقد جاء في حديث أبي حميد الساعدي ﷺ أنه قال: أقبلنا مع النبي ﷺ من غزوة تبوك حتى إذا أشرفنا على المدينة قال: (هَذِهِ طَابَةٌ، وَهَذَا أَحَدٌ، جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ)<sup>(١)</sup>، حيث يظهر هذا الحديث تقديره ﷺ للمدينة المنورة، وتسميتها بأجمل الأسماء (طابة) بدلاً من اسم (يثرب) الذي كان شائعاً بين العرب في الجاهلية، لما فيه من التشريب، وهو اللوم والتعيير<sup>(٢)</sup>، أما طابة وطيبة فهي - كما يقول ابن بطال - "مشتقة من الطيب"<sup>(٣)</sup>.

ويؤكد النبي ﷺ بفعله على أهمية مشاعر الشوق إلى الوطن، فقد كان إذا أشرف على المدينة قادماً من سفر حرك دابته بيده الشريفة أو بعضاً ليحثها على السير من شدة شوقه إليها، يقول أنس بن مالك ﷺ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَأَبْصَرَ دَرَجَاتِ الْمَدِينَةِ<sup>(٤)</sup>، أَوْضَعَ نَاقَتَهُ<sup>(٥)</sup>، وَإِنْ كَانَتْ دَابَّةً حَرَكَهَا)<sup>(٦)</sup>.

**ثالثاً:** تعريف الأبناء بأهمية الوطن ومزاياه وأمجاده وفضائله والجوانب المشرفة من تاريخه، وقيمه وقدره بين سائر الأوطان، وكذا مقدراته وإنجازاته وخيراته، وما أنعم الله على المواطنين فيه من نعم كثيرة، ومنها نعم الأمن والأمان والاستقرار.

١- رواه الإمام البخاري في صحيحه واللفظ له، في كتاب (المغازي)، الباب (٨٢)، الحديث رقم (٤٤٢٢)،

ص ٧٥٢-٧٥٣، ورواه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب (الحج)، باب (فضل أحد)، الحديث رقم

(٣٣٧١)، ص ٥٨٢.

٢- يُنْظَرُ: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ثرب).

٣- أبو الحسن بن بطال القرطبي، شرح صحيح البخاري، ٥٤٤/٤.

٤- درجات المدينة، أي: طرقها المرتفعة. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٦٢٠/٣.

٥- أوضع ناقته، أي: أسرع في السير. يُنْظَرُ: القاضي عياض بن موسى اليحصبي، مشارق الأنوار على صحاح

الآثار، ٢٩٠/٢.

٦- رواه الإمام البخاري في صحيحه، في كتاب (العمرة)، باب (من أسرع ناقته إذا بلغ المدينة)، الحديث

رقم (١٨٠٢)، ص ٢٩٠.

#### ٤- الولاء للوطن:

يُعدُّ الولاء للوطن من أهم مقومات حماية الوطن والذود عنه، وهذا الولاء لا بد أن ينعكس على سلوك الشباب، من حيث الاعتزاز بالوطن وقيمه وثوابته، والحرص على ممتلكاته ومقدراته ومنجزاته والحفاظ عليها، وتقدير رموزه وعدم الإساءة إليها، ومن حيث الدعاء للوطن وحب الخير له والاسهام في تطوره ورفقيه، والدفاع والذود عنه حسيًا ومعنويًا، والتضحية بالغالي والنفيس من أجله، وشاهد ذلك ما جاء في السنة النبوية من أن النبي ﷺ دعا بالخير والأمن والازدهار للمدينة المنورة حين سكنها، فقال: (اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفِي مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ الْبِرَّةِ)<sup>(١)</sup>، وقال: (اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدَّنَا، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ، وَخَلِيلُكَ، وَنَبِيُّكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ، وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمَثَلِ مَا دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَمِثْلِهِ مَعَهُ، قَالَ: ثُمَّ يَدْعُو أَصْعَرَ وَلِيْدِ لَهُ، فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ الثَّمَرَ)<sup>(٢)</sup>، وقال أيضًا في رواية أخرى: (اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَفِي ثَمَارِنَا، وَفِي مُدَّنَا، وَفِي صَاعِنَا بِرَكَّةً مَعَ بَرَكَةِ، ثُمَّ يُعْطِيهِ أَصْعَرَ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الْوِلْدَانِ)<sup>(٣)</sup>، وذلك لأن المدينة هي التي احتضنت الدعوة الإسلامية، واستقبلته عليه الصلاة والسلام، فكان من حقها أن يجبها كما أحب مكة وأن يدعو لها بالخير والنماء.

ولا شك أن للأسرة الأثر البالغ في غرس هذا الإحساس والشعور لدى الأبناء منذ نعومة أظفارهم، وتقديم القدوة الحسنة لهم فيها.

١- رواه الإمام البخاري في صحيحه، في كتاب (فضائل المدينة)، باب (المدينة تنفي النخب)، الحديث رقم (١٨٨٥)، ص ٣٠٣. ورواه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب (الحج)، باب (فضل المدينة)، الحديث رقم (٣٣٢٦)، ص ٥٧٥.

٢- رواه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب (الحج)، باب (فضل المدينة)، الحديث رقم (٣٣٣٤)، ص ٥٧٦.

٣- رواه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب (الحج)، باب (فضل المدينة)، الحديث رقم (٣٣٣٥)، ص ٥٧٦.

## ٥- الالتزام بالأنظمة والقوانين:

الالتزام بأنظمة الوطن وقوانينه من أهم صفات المواطن المسؤول، فهذه الأنظمة والقوانين لم توجد إلا لتنظيم شؤون الوطن وتطويره وتحسين أحواله وأوضاعه في كل مجالات الحياة، ولا شك أن أي إخلال بهذه الأنظمة والقوانين يؤثر تأثيراً سلبياً في أمن الوطن واستقراره.

إن احترام الشباب لأنظمة الوطن وقوانينه من أهم سمات رقيهم وتحضرهم، فالأنظمة والقوانين أحد أبرز جوانب الانتقال من الحالة البدائية إلى الحالة الحضارية للمجتمعات في التاريخ الإنساني، وأمام الأسرة الكثير من الفرص لتربية الأبناء على احترام الأنظمة والقوانين والالتزام بها، انطلاقاً من قناعاتهم بضرورتها وأهميتها، لا خوفاً ووجلًا من العقاب على خرقها وإهمالها، ومتابعة تقييد الأبناء بهذه الأنظمة والقوانين ومدى تنفيذهم واحترامهم لها.

وقد جاءت الشريعة الإسلامية داعية إلى الالتزام بالأنظمة والقوانين في كل مناحي الحياة الإنسانية، في جانب العقيدة والعبادة والأخلاق والسلوك والعلاقات الاجتماعية...، وذلك للحفاظ على الضرورات الخمس، وهي: الدين والنفس والعرض والمال والعقل.

ويربي الإسلام المسلم على الالتزام بالأنظمة والقوانين ويُعوّده على احترامها، وذلك من خلال نظام العبادة الإسلامية فيه؛ فالصلاة مثلاً من أعظم شعائر الإسلام التي تحت على الالتزام بالنظام، فهي عبادة لا تؤدّى إلا في وقت محدد معلوم، وبهيئة مخصوصة، ولهذا جاء في الحديث: (إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِنْ صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا)<sup>(١)</sup>، فلا يسوغ للمأموم أن يتقدم أو يتأخر على إمامه، بل عليه أن ينتظم في الصلاة، ويقتدي بإمامه في أدائها.

وكذلك إذا صف المصلي في الصلاة فعليه أن يقيم هذا الصف، ولا يتقدم على إخوانه ولا يتأخر، ولا يترك فراغاً بينه وبين إخوانه في الصلاة، بل على المصلين جميعاً أن يسوا الصفوف،

---

١- رواه الإمام البخاري في صحيحه واللفظ له، في كتاب (الصلاة)، باب (الصلاة في السطوح والمنبر والخشب)، الحديث رقم (٣٧٨)، ص ٦٧. ورواه الإمام مسلم في كتاب (الصلاة)، باب (إتتمام المأموم بالإمام)، الحديث رقم (٩٢١)، ص ١٧٤.

كما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: ( لَتَسُوَنَّ صُفُوفُكُمْ، أَوْ لِيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ <sup>(١)</sup> )، وكذلك الحال في سائر أركان الإسلام الأخرى.

واحترام الأنظمة وتطبيقها وعدم مخالفتها دليل على الاجتماع والائتلاف والحرص على مصلحة الوطن والحفاظ عليه، فلا يُقبل من المواطن تحقيق الخير والمصلحة لنفسه على حساب إخوانه المواطنين؛ لأن تحقيق المصلحة الشخصية على حساب الجماعة مخالف لأمر الله جل وعلا الذي أمر بالتعاون والمحبة بين المسلمين، يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (اللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْمَرْءُ فِي عَوْنِ أَحِيهِ) <sup>(٢)</sup>، ويقول كذلك: (لَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَجُلُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ) <sup>(٣)</sup>؛ ففي ظل هذا النظام يسود التعاون والمحبة، وينتفي البغض والحسد والخصام والخداع والخيانة.

## ٦ - التسليح بالعلم والمعرفة:

يُعدّ التسليح بالعلم والمعرفة، وتنمية العقول وتطوير المهارات لخدمة الوطن من أهم مقومات حمايته والذود عنه، فالعلم يجرّ العقول من الأوهام، ويقضي على الكساد والفساد، ويدير حركة الإنتاج، ولا بد منه لتحقيق الرقي والنهضة، وهو شرط لتحقيق النصر على الأعداء.

ويُعد العلم والمعرفة من أهم العوامل الأساسية لتقدم المجتمعات الإنسانية وتحضرها، ومظهر من مظاهر قوة الأمم وعظمتها وقدرات أبنائها، ودعامة كبرى لاقتصادها، ومن ثمّ قدرتها على تحقيق رفاهية شعوبها، ولذا نجد تنافسًا شديدًا بين دول عالمنا المعاصر في العناية والاهتمام بتحصيل العلوم والمعارف، ممثلة بمؤسساتها التعليمية ومراكز بحوثها الأكاديمية <sup>(٤)</sup>.

١- رواه الإمام البخاري في صحيحه، في كتاب (الأذان)، باب (تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها)، الحديث رقم (٧١٧)، ص ١١٧.

٢- رواه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب (الذكر والدعاء)، باب (فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر)، الحديث رقم (٦٨٥٣)، ص ١١٧٣.

٣- رواه الإمام البخاري في صحيحه، في كتاب (الأدب)، باب (ما ينهى عن التحاسد والتدابير)، الحديث رقم (٦٠٦٥)، ص ١٠٥٩. ورواه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب (البر والصلة والأدب)، باب (تحريم التحاسد والتباغض والتدابير)، الحديث رقم (٦٥٢٦)، ص ١١٢٢.

٤- يُنظَرُ: الأستاذ الدكتور مفرح القوسي، مدخل في العلم والمعرفة والبحث العلمي، ص ١٥٥-١٥٦.

والعلم أيضاً أرض خصبة لتكوين رجال المستقبل الذين هم عماد الوطن وحماته، الذين يعرفون بالعلم والمعرفة الصحيحة ما لهم وما عليهم، وتتكون لديهم القدرة على مواجهة الأفكار الفاسدة والثقافات الضالة التي تأتي من الأعداء، والقدرة على تصحيح العقول الفاسدة، وهداية القلوب الضالة، وإمداد الوطن بدلائل الخير والإرشاد والأخذ بالقوة، وتوجيهه إلى الطريق المستقيم والوجهة السليمة.

وقد أكدت السنة النبوية على فضل العلم وأهمية طلبه، ومن ذلك على سبيل المثال: ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ)<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتَها رضى لَطالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينًا وَلَا دَرَاهِمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ)<sup>(٢)</sup>، وقوله ﷺ: (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، وَعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)<sup>(٣)</sup>.

ولا شك في أن الناشئة من الطلاب والطالبات في المدارس والمعاهد والجامعات هم أولى الناس اليوم بالتزود بالعلوم والمعارف في مختلف المجالات، من خلال جدّهم واجتهادهم في التحصيل الدراسي؛ دراسة وفهماً وتطبيقاً، ومهارات ذهنية وعملية، ليكونوا - بتمكّنهم من هذه العلوم

١- رواه ابن ماجه في سننه، في باب (فضل العلماء والحث على طلب العلم)، الحديث رقم (٢٢٤)، ص ٥٦، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، باب (قوله ﷺ: طلب العلم فريضة على كل مسلم)، ١/٨، وقد حسّنه العجلوني في كشف الخفاء، برقم (١٦٦٥)، ٢/٤٣ - ٤٥، وصححه الشيخ الألباني في تحقيقه لسنن ابن ماجه.

٢- رواه أبو داود في سننه في (كتاب العلم)، باب (الحث على طلب العلم)، الحديث رقم (٣٦٤١)، ٣/٣١٧، ورواه الترمذي في سننه واللفظ له، في كتاب (العلم)، باب (ما جاء في فضل الفقه على العبادة)، الحديث رقم (٢٦٨٢)، وصححه الألباني في تحقيقه لسنن أبي داود، وحسّنه عبدالقادر الأرناؤوط في تحقيقه ل(جامع الأصول في أحاديث الرسول)، ٧/٨.

٣- رواه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب (الوصية)، باب (ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته)، الحديث رقم (٤٢٢٣)، ص ٧١٦.

والمعارف - خير جنود لهذا الوطن يسعون إلى بنائه وتحقيق تطوره ورفقيه.

ولن يتحقق هذا التسليح بالعلم والمعرفة إلا بجهود الآباء في تعليم أولادهم، وذلك بغرس حب العلم وطلبه في أنفسهم منذ الصغر، وإقناعهم بقيمته وفضله وكذا فضل العلماء والمبدعين، والمبادرة إلى تعليمهم، وتذليل كل الصعاب والعقبات التي تعترض طريقهم في هذا التعلم، وتحفيزهم وتشجيعهم على خوض غمار كل العلوم والمعارف التي توافق ميولهم وتناسب قدراتهم، وتهيئة كل الإمكانيات والسبل التي تمكنهم من ذلك.

#### ٧- التمسك بملامح الهوية الوطنية:

يُقصد بالهوية الوطنية هنا: السمات والقسمات العامة المشتركة والثوابت التي تمثل شخصية الوطن وذاتيته، ويعتز بها المنتسبون إليه، ويمتاز بها عما سواه من الأوطان الأخرى. "وتتمثل مكونات هوية أي أمة في: الدين والعقيدة، واللغة، والأرض، والجنس، والتاريخ، والعادات والتقاليد، والمصالح المشتركة"<sup>(١)</sup>.

ومن الأحاديث الشريفة التي تؤكد على الأمة الإسلامية وجوب المحافظة على دينها - بصفته أول مكونات الهوية - ما جاء في التحذير من التشبه بالمشركين، فقد روي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ)<sup>(٢)</sup>، وذلك لتبقى أمة الإسلام محافظة على هويتها مستقلة بذاتها، ولذا كان عليه الصلاة والسلام حريصاً في توجيهاته لأمته في أمور دينها ودنياها على ضرورة حفاظها على مكونات هويتها التي تمتاز بها عن سائر الأمم الأخرى، حتى أن اليهود قالوا عنه: (مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ)<sup>(٣)</sup>. ولا شك أن للأسرة أثراً كبيراً في تمسك أبنائها بمكونات هذه الهوية وملاحمتها، من خلال

١- أ.د. مفرح بن سليمان القوسي، ملامح الهوية التي ينبغي أن يتميز بها المسلم في حاضره المعاصر، ص ١٥.

٢- رواه أبو داود في سننه، في كتاب (اللباس)، باب (في لبس الشهرة)، الحديث رقم (٤٠٣١)، ج ٤/ص ٤٤. وقد أورده الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب) برقم (٢٠٨٩).

٣- رواه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب (الحيض)، باب (جواز غسل الخائض رأس زوجها وترجيله)، الحديث رقم (٦٩٤)، ص ١٣٨.

تشبث الأسرة بهذه المكونات والملامح والحفاظ عليها، وتنمية ذلك كله في الأبناء وحفزهم عليها، ومن حيث عدم التفريط في هذه المكونات بحجة اللحاق بكل ما هو عصري وجديد.

#### ٨- الشعور بالمسؤولية وتحملها:

يتفاوت المواطنون في درجة تحملهم للمسؤولية، ولذا يظهر في أدبيات المواطنة مصطلح (المواطن المسؤول - Responsible Citizen)، والفرد لا يولد مسؤولاً، وإنما يتربى على تحمل المسؤولية من خلال التربية والتنشئة الاجتماعية، ويُقصد بالمسؤولية هنا إدراك الفرد لأثر تصرفاته في الآخرين، وهو واجب يقوم به الإنسان على المستوى الشخصي، وكذا على المستوى العام، وتستطيع الأسرة أن تنمي هذا الشعور عند أبنائها من خلال تعويدهم بالتدرج منذ الصغر على التمسك بأركان العقيدة الإسلامية الصحيحة وأصولها، والاهتمام بأداء العبادات الدينية، ومراعاة المبادئ والقيم الخلقية، والاهتمام بالمقررات والواجبات المدرسية، والمحافظة على ممتلكاتهم وأغراضهم الشخصية، واحترام المواعيد في حياتهم اليومية، مثل: مواعيد الأكل والشرب والنوم والذهاب إلى المدرسة، وإدارة مصروفاتهم اليومية، ونحو ذلك مما ينمي لديهم روح الشعور بالمسؤولية. ومن خلال تكليفهم بالمهام الأسرية بحسب ظروفهم وإمكاناتهم، وتشجيعهم ومكافأهم عند الإصابة، وتصويبهم عند التعثر والوقوع في الأخطاء، ومنحهم الثقة والأمل والتصميم على النجاح. كل ذلك انطلاقاً من قول النبي ﷺ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)<sup>(١)</sup>.

#### ٩- العناية بالعمل وتقديره:

من أهم واجبات المواطن أن يعمل، وأن يكون فرداً منتجاً في وطنه؛ للإسهام في نمو الوطن ورفعته وتحقيق استقلاله الاقتصادي؛ وللنأي بالمواطن عن أن يكون عالة على غيره في المجتمع، كما أن العمل هو السبيل لعمارة الأرض التي أمر الإنسان بها بصفته خليفة الله تعالى في أرضه، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال أيضاً: ﴿هُوَ

١- رواه البخاري في صحيحه في كتاب (الجمعة)، باب (الجمعة في القرى والمدن)، الحديث رقم (٨٩٣)، ص ١٤٣-١٤٤. ورواه مسلم في صحيحه في كتاب (الإمارة)، باب (فضيلة الأمير العادل)، الحديث رقم (٤٧٢٤)، ص ٨٢٠.

٢- سورة البقرة، الآية ٣٠.

أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴿١﴾.

ومن لوازم العناية بالعمل وتقديره: إحسان العمل وإتقانه والإجادة فيه، ذلك أن الإسلام يحض على إتقان العمل وزيادة الإنتاج، ويُعدّ ذلك أمانة ومسؤولية، فليس المطلوب في الإسلام مجرد القيام بالعمل، بل لا بد من الإحسان والإجادة فيه وأدائه بمهارة وإحكام، فذلك مدعاة لنيل محبة الله ومرضاته سبحانه، يقول النبي ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ)<sup>(١)</sup>، ويقول كذلك: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ)<sup>(٢)</sup>.

ويمكن للأسرة أن تدعم ذلك كله بتربية أبنائها ليكونوا أفرادًا منتجين في وطنهم لا مستهلكين؛ فتنمية الوطن لا تتم إلا بسواعد أبنائه ولا سيما الشباب منهم، فهم طاقة الوطن وجنوده الذين لا يستغنى عنهم في هذه التنمية.

#### ١٠ - تقوية الروابط والصلات بين أفراد الوطن وفئاته:

من أهم مقومات حماية الوطن والذود عنه: تقوية الروابط بين أفراد الوطن، وتوثيق عرى الصلات بين فئاته وأطيافه المختلفة، والقضاء على الطائفية المقيتة، وكل أشكال التفرقة العنصرية، سواءً كانت دينية أم مذهبية أم قبلية أم جهوية أم غيرها، استجابة لقوله ﷺ: (دَعَوْهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ)<sup>(٣)</sup>.

وذلك لتحقيق تماسك المجتمع وتضامنه وتحقيق التكامل التفاعلي بين أفرادهِ. ولا شك أن للأسرة أثرًا بالغ الأهمية في ذلك، من حيث تربية أبنائها على مبادئ المحبة والتواضع والاحترام

١- سورة هود، الآية ٦١.

٢- رواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٥٣١٢)، ٣٣٤/٤، وصححه الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (١١١٣)، ١٠٦/٣.

٣- رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الصيد والذبائح)، باب (الأمر بإحسان الذبح والقتل)، الحديث رقم (٥٠٥٥)، ص ٨٧٣.

٤- رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (التفسير)، باب (يقولون لأن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل)، الحديث رقم (٤٩٠٧)، ص ٨٧١. ورواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (البر والصلة والأدب)، باب (نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا)، الحديث رقم (٦٥٨٣)، ص ١١٣٠.

والتسامح والتعايش والتكاتف مع الآخرين في منظومة الوطن الواحد، ونبذ كل مظاهر العنف والشقاق والكراهية والاستعلاء على المواطنين الآخرين أو ازدرائهم والحط من قيمتهم وقدرهم أو غمطهم حقوقهم التي تكفلها لهم أنظمة الوطن وقوانينه، وكذا تربية الأبناء على مبادئ الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية، وكرامة بني البشر التي منحهم الله عز وجل إياها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>(١)</sup>، ومبدأ التوازن بين الحقوق والواجبات، وتكافؤ الفرص بين سائر المواطنين في العمل للوطن وخدمته، فهو وطن للجميع، لا لفئة دون أخرى.

### المبحث الثاني:

### مواجهة تحديات قيم الانتماء للوطن وتحقيق الأمن الفكري فيه

يواجه الانتماء الوطني والأمن الفكري في المجتمع المسلم المعاصر تحديات كثيرة ومتنوعة، لعل من أبرزها مما له علاقة مباشرة بموضوع البحث هنا ما يلي:

١- ما تبثه وسائل الإعلام المختلفة - ولاسيما القنوات الفضائية - ووسائل التواصل الاجتماعي من أفكار وطروحات كثيرة تروج لعقائد باطلة، وأفكار هدامة، ودعوات مغرضة لإثارة الفتن وبث روح الخلاف، والشقاق، والنزاع بين أبناء الوطن وفتاته، وإثارة العصبية المذهبية، والنعرات الطائفية، والانقسامات الحزبية، ونحو ذلك مما يؤدي إلى تفتيت الوطن والقضاء على وحدته.

٢- ولع كثير من الشباب بالتمرد على الأنظمة والقوانين والقيم والأعراف الاجتماعية المعتبرة في المجتمع، وسعيهم إلى تبني العنف والثورات على ساسة الوطن وقياداته الأمنية بدعوى تغيير المجتمع وتطويره، وانخداعهم بالكثير من الشعارات والوعود المقدمة لهم - غالباً - من جهات خارجية تترصد بالوطن الدوائر وتكيد له.

٣- عزوف كثير من الشباب عن التفاعل الإيجابي المثمر مع مؤسسات الوطن وتطلعاته، وبرامجه، وخططه التنموية، وإنجازاته الحضارية، وانصرافهم عن خدمته ونصرة قضاياه.

١- سورة الإسراء، الآية ٧٠.

٤- تخلي كثير من الآباء عن واجباتهم في توجيه الأبناء وإرشادهم إلى السلوك السليم، وضعف مهمتهم الرقابية على أبنائهم أو انعدامها، نتيجة انشغالهم بأعمالهم وغيابهم فترات طويلة عن المنزل، ومن ثم غياب الحوار البناء داخل الأسرة بين الآباء والأبناء، وتأثر كثير من هؤلاء الأبناء برفقاء السوء.

٥- وجود فجوة كبيرة بين كثير من الآباء وأبنائهم، حيث تشعر أعداد متزايدة من الشباب بوجود فاصل زمني ومساحة كبيرة في أنماط التفكير والسلوك بين جيلهم وجيل من سبقهم من الآباء والمربين والمسؤولين في وطنهم، تؤدي - في كثير من الأحيان - إلى اختلافات كثيرة بين الجيلين واحتفاظ كل طرف منهما بنظرة نمطية مسبقة عن الطرف الآخر تحتوي على العديد من الأحكام الجاهزة غير القابلة للنقاش والتغيير؛ فبينما ينظر كثير من الشباب إلى الجيل الذي سبقهم على أنهم محافظون وجامدون ومتشبثون بالأعراف والضوابط الاجتماعية، ومتسلطون في التعامل معهم عبر الاكتفاء بإصدار الأوامر والنواهي، وممارسة الوصاية عليهم والتدخل في اختياراتهم الشخصية في مجالات التعليم والمهنة والزواج، وربما في الملبس والمظهر ... الخ. لا يرى كثير من جيل الآباء والمربين في الشباب إلا الاندفاع، والسفه، والطيش، وعدم المبالاة، وقلة الخبرة، والتهرب من تحمل المسؤولية.

٦- هيمنة العولمة الغربية، وسعيها إلى محو الهويات الوطنية وإزالة الحواجز والخصوصيات بكل أنواعها بين شعوب العالم، وفرض النمط الغربي عمومًا والأمريكي خصوصًا على حياة الناس وثقافتهم وسلوكهم.

٧- فشو ظاهرة التكفير والغلو في الدين والخروج على ولاة الأمر فيها لدى كثير من الشباب في البلاد الإسلامية، تأثرًا بجهات خارجية مغرضة، وانحرافًا عن محجة الحق في منهج التلقي من نصوص الكتاب والسنة.

وتستطيع الأسرة مواجهة هذه التحديات ونحوها من خلال القيام بما يأتي:

أولاً: توجيه الأبناء إلى حسن استخدام وسائل الإعلام والاتصال وترشيده، والتنبيه على أنها وسائل ذات حدين إيجابي وسلبي، ولها أثر مزدوج، فهي تحمل في طياتها نفعًا عميمًا أو شرًا عميمًا،

يكمن - هذا الشر - فيما تحدته من أضرار عقدية وثقافية واجتماعية وأخلاقية، وتحذيرهم من هذه الأضرار وتنبههم على خطورتها بأسلوب واضح سلس قائم على الحجة والإقناع مع احترام عقولهم ووجهات نظرهم، وتوجيههم إلى الاستفادة من وسائل الإعلام المتزنة ذات الأهداف السليمة، التي يقوم عليها المهنيون الأخيار الذين يستشعرون رقابة الله عليهم فيما يثبونه من مواد إعلامية مختلفة مرئية ومسموعة ومقروءة.

ثانياً: السعي إلى إيجاد وزع ديني وضابط أخلاقي لدى الأبناء، وتحسينهم بالقيم الفاضلة والأخلاق الحسنة الحميدة، ليستطيعوا التمييز بين النافع والضار، والغلث والسمين، مما تنتجه وسائل الإعلام من مواد إعلامية مختلفة، وعدم أخذ ما يروونه ويسمعونه منها بمأخذ القبول والتسليم، بل لا بد من عرض كل ذلك على موازين الدين والعقل وقيم الوطن وأمنه ووحدته، فما وافق منها لها أخذ وقبل، وما عارض رُد ورفض، يقول النبي ﷺ: (لَا تَكُونُوا إِمَّةً ؛ تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنًا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطْنَا أَنْفُسَكُمْ؛ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا)<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: ربط الأبناء عموماً والشباب منهم خصوصاً بقضايا مجتمعتهم وتعويدهم على الاهتمام بها، انطلاقاً من قوله ﷺ: (الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)<sup>(٢)</sup>، وقوله: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى)<sup>(٣)</sup>، وقوله أيضاً: (الْمُؤْمِنُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَيَسْعَى بِدِمَتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ)<sup>(٤)</sup>. والاستثمار الجيد لأوقات الفراغ لدى هؤلاء الأبناء، والسعي إلى

١- رواه الإمام الترمذي في سننه في كتاب (البر والصلة)، الباب (٦٣)، الحديث رقم (٢٠١٢)، ج ٤/ ص ٣٦٤، وقال: (حديث حسن غريب). وأورد ابن الأثير نحوه في (جامع الأصول)، وقال محققه الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط: (حديث حسن)، ج ١١/ هامش ص ٦٩٩.

٢- رواه الإمام البخاري في صحيحه، في كتاب (الأدب)، باب (تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً)، الحديث رقم (٦٠٢٦)، ص ١٠٥٣. ورواه مسلم في صحيحه، في كتاب (البر والصلة والأدب)، باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم)، الحديث رقم (٦٥٨٥)، ص ١١٣١.

٣- رواه مسلم في صحيحه، في كتاب (البر والصلة والأدب)، باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم)، الحديث رقم (٦٥٨٦)، ص ١١٣١.

٤- رواه أبو داود في سننه، في كتاب (الديات)، باب (إيقاد المسلم من الكافر)، الحديث رقم (٤٥٣٠)،

تجنيبهم الوقوع في السلوكيات المنحرفة عن طريق حثهم على الانخراط في الأعمال التطوعية والخيرية، ولا شك أن " العمل على ربطهم بمجتمعهم ومنحهم فرصة في بناء المجتمع من خلال إسهامهم في العمل التطوعي سيزيد من إحساسهم بقيمتهم وأثرهم في بناء مجتمعهم، وهذا بالتالي سيغرس في نفوسهم المحافظة على مكتسبات المجتمع"<sup>(١)</sup>.

رابعاً: العناية بالحوار الهادف البناء مع الأبناء داخل محيط الأسرة، لكونه من أهم وسائل الاتصال الفعالة بين أفراد الأسرة وتعزيز العلاقات الأسرية، ومن أفضل طرق غرس المحبة والمودة والألفة وإشاعة روح التفاهم بين الآباء والأبناء، وإزالة حواجز العزلة وكسر أسوار الوحدة بين أفراد الأسرة الواحدة، وهو دعامة أساسية من دعائم استقرار الأسرة وتماسكها وعامل أساسي في بناء الشخصية المتوازنة للأبناء وبناء مجتمع إيجابي أفراده متحابون متعاونون ومنتجون في مجتمعهم.

ولأهمية الحوار مع الأبناء والناشئة حاور النبي ﷺ العديد منهم واستمع إليهم، ولاطفهم وداعبهم، ولم يستصغر عقولهم، ولم يهمل مشاعرهم، ومن ذلك على سبيل المثال: ما روي عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه قال: (أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بَقَدْحٍ فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ أَصْعَرُ الْقَوْمِ، وَالْأَشْيَاحُ عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ: يَا غُلَامُ، أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الْأَشْيَاحَ. قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُوتِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ)<sup>(٢)</sup>، فقد كان الغلام جالساً عن يمين النبي والشيوخ عن يساره، ومن السنة البدء باليمين، وأيضاً من المتعارف عليه احترام الكبار، وتقديمهم في مثل هذا الأمر على الصغار، فاستأذن النبي الغلام أن يبدأ بتقديم الماء للكبار، ولكن الغلام آثر أن يفوز بشرف الشرب من يد الرسول، فأعطاه النبي ﷺ الماء بادئاً به.

ومن ذلك أيضاً: ما روي عن رافع بن عمرو الغفاري رضي الله عنه أنه قال: كنت وأنا غلام أرمي نخلاً للأنصار، فأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقِيلَ: إِنْ هَا هُنَا غُلَامًا يَرْمِي نَخْلَنَا، فَأُتِيَ بِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: (يَا

ص ٦٤٠-٦٤١. ورواه النسائي في سننه، في كتاب (القسماء)، باب (القود بين الأحرار والمماليك في

النفس)، الحديث رقم (٤٧٣٨)، ص ٦٥٣. كما رواه الإمام أحمد في المسند، الحديث رقم (٩٩١)،

٢٨٥/٢، وقد صححه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

١-د. راشد بن سعد الباز، أزمة الشباب الخليجي واستراتيجيات المواجهة، ص ١٢٤.

٢-رواه الإمام البخاري في صحيحه، في كتاب (المساقاة)، باب (من رأى أن صاحب الحوض أو القرية

أحق بمائه)، الحديث رقم (٢٣٦٦)، ص ٣٨٠.

عُلاَمٌ، لَمْ تَرْمِي النَّخْلَ؟)، قال: قلت: أكلُ، قال: (فَلَا تَرْمِ النَّخْلَ، وَكُلْ مِمَّا يَسْقُطُ فِي أَسْفَلِهَا)، ثم مسح رأسي وقال: (اللَّهُمَّ أَشْبِعْ بَطْنَهُ)<sup>(١)</sup>، فقد بين له ﷺ ما يباح وما يحرم في الأكل من ثمار الآخرين، ووجهه إلى تحري الحلال واجتناب الحرام بأسلوب رقيق حانٍ.

وقد أجمعت الكثير من الدراسات العلمية على أن إتاحة الفرصة للأبناء في الحوار داخل محيط الأسرة، وتشجيعهم على إبداء وجهات نظرهم في الموضوعات المختلفة وتمكينهم من ذلك له ثمرات إيجابية كثيرة، لعل من أبرزها ما يأتي:

١- أنه يتيح الفرصة للآباء لتفوية الوازع الديني لدى الأبناء عن طريق القدوة الحسنة، وبنائهم فكريًا بناءً سليمًا.

٢- أنه يساعد في احتوائهم وعلاج مشكلاتهم، ويسهم في إشباعهم إشباعًا عاطفيًا، وفي قطع الطريق على المتربصين بهم الدوائر من أهل الأهواء والضلالات الذين يريدون بهم وبأمتهم ومجتمعهم الشر والفساد وإثارة الفتن.

٣- أنه يعزز ثقتهم بأنفسهم وتحقيقهم لذواتهم، ويتيح الفرصة لهم للتعبير عما يجول بخواطرهم من أفكار ومشاعر.

٤- أنه يحررهم من مشاعر الخوف، والقلق، والانطواء، والكبت لديهم، ومشاعر العدائية تجاه المخالفين لهم في الرأي.

٥- أنه يتيح الفرصة للآباء لمناقشة أفكارهم وتصحيحها، وتصويب مسارهم، وتغيير قناعاتهم الخاطئة، وتقويم سلوكهم.

٦- أنه يتيح الفرصة أيضًا للآباء لغرس القيم الفاضلة فيهم، أمثال: قيم الوسطية والاعتدال التي جاء بها الإسلام وخص بها هذه الأمة دون سائر الأمم في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ

---

١- رواه الإمام أحمد في المسند، الحديث رقم (٢٠٣٤٣)، ٤٥٢/٣٣. ورواه ابن ماجه في سننه، في أبواب (التجارات)، باب (من مر على ماشية قوم أو حائط هل يصيب منه)، الحديث رقم (٢٢٩٩)، ص ٣٢٩. وروى نحوه الترمذي في سننه، في أبواب (البيوع)، باب (ما جاء في الرخصة في أكل الثمرة للمار بها)، الحديث رقم (١٢٨٨)، ص ٣١٣، وقال: "هذا حديث حسن غريب صحيح".

جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴿١﴾، والوفاء بحقوق ولاية أمور المسلمين، ولاسيما السمع والطاعة لهم بالمعروف، وتنمية روح المواطنة الحقة فيهم، واحترام آراء الآخرين ووجهات نظرهم المخالفة، والالتزام بالنقد الموضوعي للمفاهيم والأفكار، واحترام العلماء الموثوقين الراسخين في العلم، العارفين بشرع الله، المتفقهين في دينه، العاملين بعلمهم على هدى وبصيرة، وتلقي العلم الشرعي الصحيح منهم دون غيرهم، يقول تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢﴾.

**خامساً:** السعي إلى احتواء الشباب وتفهم متطلباتهم واحتياجاتهم، والإصغاء إليهم واحترام وجهات نظرهم، واجتنب التعالي عليهم، ومنحهم مساحة مناسبة للحرية المنضبطة في اختيار ما تميل إليه أنفسهم في مجالات الحياة المختلفة ما دام أن ذلك يحقق أهدافاً مشروعة لهم وليس فيه شيء يتعارض من الأصول والثوابت الدينية والقيم الخلقية ومصالح الوطن وأمنه واستقراره.

**سادساً:** التصدي للتيار الجارف للعوامة عن طريق بناء شخصية سوية متزنة للشباب، معتزة بهويتها الوطنية، متحررة من التقليد والتبعية، مستقلة بفكرها وسلوكها، رابانية في وجهتها وغايتها ومرجعيتها، تأخذ من الواقع المحيط بها والوافد إليها ما كان صالحاً ولو تركه أكثر الناس، وترك ما كان فاسداً ولو أخذ به معظم الناس، وتعمل على إصلاح ما كان قابلاً للإصلاح، يقول النبي ﷺ: (لَا تَكُونُوا إِمْعَةً؛ تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنًا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطْنَا أَنْفُسَكُمْ؛ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا) ﴿٣﴾ (٤).

**سابعاً:** حماية أفكار الأبناء من الغلو والتطرف، لما فيهما من تعدٍ على حدود الشرع، وخروج على مقتضيات العقل السليم والفترة القويمية، واتباع لنزغات الشيطان وتلبيساته، ولذا نهي الله سبحانه وتعالى عنه في آيات عديدة، منها: قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا

١- سورة البقرة، الآية ١٤٣.

٢- سورة النحل، الآية ٤٣.

٣- تقدم تخريجه قبل بضع صفحات.

٤- يُنظَرُ: أ.د. مفرح القوسي، ملامح الهوية التي ينبغي أن يتميز بها المسلم في حاضره المعاصر، ص ١٠٢.

فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴿١﴾، وقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

كما حذر النبي ﷺ من الغلو في أحاديث كثيرة، منها قوله: (يَأْكُمُ وَالْغُلُوُّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ)<sup>(٣)</sup>، وقوله ﷺ: لَا تُشَدِّدُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدِّدَ عَلَيْكُمْ<sup>(٤)</sup>، وقوله كذلك: (هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ) قَالَهَا ثَلَاثًا<sup>(٥)</sup>.

وقد انعقد إجماع أهل العلم على تحريم الغلو في الدين والتحذير منه، والتحذير من عواقبه.

ومن المعلوم أن من أهم أسباب الغلو ضعف البصيرة بحقيقة الدين، وعدم التعمق في فقهه، وعدم الإحاطة بأسراره ومقاصده، والتمسك بالمظاهر وجعلها المقياس الوحيد لتدين الفرد من عدمه، وغالبًا ما يكون هذا الجهل شائعًا بين أنصاف المتعلمين، أو من تلقوا العلم بالدين عن مصادر تُصدّر الغلو والتطرف، أو ممن تغذوا على الثقافات المعادية للدين.

وكما نهي الإسلام عن الغلو، حذر من آثاره السلبية ونهى عنها؛ فنهى - مثلاً - عن التكفير بأنواعه، ونهى عن كل أعمال القتل والتفجير، أمثال: اتخاذ بلاد المسلمين مسرحًا لقتل المسلمين والمعاهدين باسم الجهاد، واستباحة دماء رجال الأمن واتخاذهم غرضًا ظلمًا وعدوانًا، والإخلال بأمن البلاد، وتدمير المنشآت العامة، وإتلاف أموال المسلمين، وقتل الأبرياء من المواطنين والمقيمين، أو إثارة الرعب في قلوبهم، ونشر الكراهية بين غير المسلمين للإسلام وأهله، والإضرار بالأقليات المسلمة في البلاد غير الإسلامية، ونحو ذلك مما فيه تشويه لصورة الإسلام وسماحته، والصد عن

١- سورة النساء، الآية ١٧١.

٢- سورة المائدة، الآية ٧٧.

٣- رواه النسائي في سننه، في كتاب (مناسك الحج)، باب (التقاط الحصى)، الحديث رقم (٣٠٥٩)، ص ٤١٩-٤٢٠، وصححه الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة)، الحديث رقم (١٢٨٣)، ٣/٢٧٨.

٤- رواه أبو داود في سننه، في كتاب (الأدب)، باب (في الحسد)، الحديث رقم (٤٩٠٤)، ٥/٢٠٩.

٥- رواه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب (العلم)، باب (هلك المتنطعون)، الحديث رقم (٦٧٨٤)، ص ١١٦٢.

دين الله.

وبما أن الأسرة هي الأساس الاجتماعي في تشكيل شخصيات أفراد المجتمع وبنائها، فإنها إن قامت بهذا الواجب، وهو حماية أفكار الأبناء من الغلو والتطرف، فستسهم حتمًا في وقاية الأبناء من الوقوع في هذه المزالق العقديّة والفكرية، وتجنّب البلاد والعباد مخاطرها وشروها، ومن ثمّ تحقيق قيم الأمن الفكري المنشود في المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

### الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وفي ختام هذا البحث أُبين - فيما يلي - أبرز نتائجه العلمية، وأبرز توصياته.

#### أولاً: أبرز النتائج العلمية للبحث:

- ١- إن المراد بالأثر: نتيجة الشيء وما يترتب عليه من أحوال وأمور.
- ٢- إن مفهوم الأسرة في الإسلام يتضمن الزوجين والأولاد وفروعهم، كما يشمل الأصول من الآباء والأمهات، ويدخل فيهم الأجداد والجدات.
- ٣- إن المراد بحماية الوطن: نصرته، والدفاع والذود عنه ومنع كل ما من شأنه إلحاق الضرر به.
- ٤- إن الأسرة هي المدرسة الأولى للأبناء، واللبنة الأساسية في بنائهم العقدي وتكوينهم الفكري ومنهجهم الخلقى والسلوكي، ولذا كان لها الأثر الفاعل في حمايته والذود عنه.
- ٥- إن أبرز مهام الأسرة في تعزيز قيم الانتماء للوطن وتحقيق الأمن الفكري تتمثل في الأمور الآتية:

- ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة.
- تربية الأبناء على الاستقامة على منهج الإسلام وهديه.
- تأصيل حب الوطن والولاء له وصدق الانتماء إليه في نفوس الأبناء.

- احترام أنظمة الوطن وقوانينه وتطبيقها في واقع حياتهم.
  - التسليح بالعلم والمعرفة.
  - التمسك بملامح الهوية الوطنية.
  - الشعور بالمسؤولية وتحملها.
  - العناية بالعمل وتقديره وإتقانه.
  - تقوية الروابط والصلات بين أفراد الوطن ووفاته.
- ٦- إن أبرز مهام الأسرة في مواجهة تحديات قيم الانتماء للوطن وتحقيق الأمن الفكري فيه تتمثل في الأمور التالية:

- توجيه الأبناء إلى حسن استخدام وسائل الإعلام والاتصال وترشيده.
- السعي لإيجاد وازع ديني وضابط أخلاقي لدى الأبناء.
- ربط الأبناء بقضايا مجتمعهم وتعويدهم على الاهتمام بها.
- العناية بالحوار الهادف البناء داخل محيط الأسرة.
- السعي إلى احتواء الأبناء وتفهم متطلباتهم واحتياجاتهم.
- التصدي التيار الجارف للعملة.
- حماية أفكار الأبناء من الغلو والتطرف.

#### ثانيًا: أبرز المقترحات والتوصيات:

- ١- قيام الجهات المعنية بالشؤون الاجتماعية بتزويد الأسر بمهارات غرس قيم الانتماء للوطن وتحقيق الأمن الفكري فيه في نفوس الأبناء، وتفعيل مهام هذه الأسر في تدريب الناشئة والشباب على الالتزام بأنظمة الوطن وقوانينه وعلى تحمل المسؤولية الاجتماعية، وتذليل كل

الصعاب التي تواجه الأسرة للقيام بهذه المهام.

- ٢- إنشاء وتطوير مراكز وهيئات ترعى قضايا الناشئة والشباب، والعمل على تفعيلها لتدعيم قيم الانتماء الوطني والأمن الفكري لديهم.
- ٣- عناية الأجهزة المعنية بالدولة على تدريب الشباب على مهارات التواصل الاجتماعي بالاستخدام الأمثل للتقنيات الحديثة وتلافي الأخطار والسلبيات فيها.
- ٤- تسخير وسائل الإعلام المختلفة لترسخ قيم حب الوطن ونصرتة والذود عنه في أنفس المواطنين عمومًا، والشباب منهم خصوصًا.
- ٥- حث المؤسسات التعليمية الاهتمام بتعزيز مكانة الوطن وحبه والولاء له لدى الأبناء، من خلال المعلمين والمربين ومناهج التدريس ومقرراته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،،،

## فهرس المصادر والمراجع

### أولاً: الكتب المطبوعة:

- ابن الأثير الجزري، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، بيروت، مكتبة دار البيان ومكتبة الحلواني. ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، مكتبة بحر العلوم، (بدون ذكر تاريخ الطباعة).
- أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى، بيروت، دار الكتب العلمية، (بدون ذكر تاريخ الطباعة).
- أحمد بن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن ابن قاسم وابنه محمد، مكة المكرمة، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، (بدون ذكر تاريخ الطباعة).
- أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، (بدون ذكر تاريخ الطباعة).
- أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. والرياض، دار السلام للنشر والتوزيع. ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحصاص، أحكام القرآن، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، بيروت، دار إحياء التراث. ١٤٠٥هـ.
- أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري، الرياض، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، (بدون ذكر تاريخ الطباعة).
- أحمد بن علي العسقلاني، هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصاييح والمشكاة، دار ابن القيم ودار ابن عوفان. ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- إسماعيل الجوهري، الصحاح، بيروت، دار إحياء التراث العربي. ١٩٩٩م.
- إسماعيل بن محمد العجلوني، بيروت، دار إحياء التراث العربي. ١٣٥٢هـ.
- أنيس فتحي، الإمارات إلى أين: استشراف التحديات والمخاطر على مدى ٢٥ عامًا، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والإعلام. ٢٠٠٥م.
- تامر إبراهيم هاشم، الصراع بين الولايات المتحدة والصين وروسيا، المكتب العربي للمعارف، (بدون ذكر تاريخ الطباعة).

## أثر الأسرة في حماية الوطن في ضوء السنة النبوية

- جمال الدين بن منظور، لسان العرب، بيروت، دار إحياء التراث العربي. ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- راشد بن سعد الباز، أزمة الشباب الخليجي واستراتيجية المواجهة، الرياض، جامعة نايف للعلوم الأمنية. ٢٠٠٤م.
- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دمشق، دار القلم. ١٤١٨هـ.
- الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، لبنان، دار المعرفة.
- سامح فوزي، المواطنة، القاهرة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان. ٢٠٠٧م.
- سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، تعليق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (بدون ذكر تاريخ الطباعة).
- عبدالحفيظ المالكي، نحو مجتمع آمن فكريًا، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، (بدون ذكر الناشر).
- عبدالرحمن الزيندي، المواطنة ومفهوم الأمة الإسلامية، الرياض، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية. ١٤٢٦هـ.
- علي بن خلف بن بطلال القرطبي، شرح صحيح البخاري، الرياض، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، بيروت، مكتبة لبنان. ١٩٨٥م.
- عيسى رباح، موسوعة القانون الدولي، (بدون ذكر معلومات النشر).
- القاضي الأحمد نكري، موسوعة مصطلحات جامع العلوم، بيروت، مكتبة لبنان. ١٩٩٧م.
- القاضي عياض بن موسى اليحصبي، مشارق الأنوار على صحيح الآثار، تونس، المكتبة العتيقة، والقاهرة، دار التراث، (بدون ذكر تاريخ الطباعة).
- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتاب العربي. ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- لطيفة حسين الكندري، نحو بناء هوية وطنية للناشئة، الكويت، المركز الإقليمي للطفولة والأمومة (بدون ذكر تاريخ الطباعة).

- ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير، عمان، دار الشروق. ٢٠٠٦م.
- مجموعة من الباحثين، الموسوعة العربية العالمية، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع. ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- محمد أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع، القاهرة، دار الفكر العربي. ١٩٧٥م.
- محمد العدناني، معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، بيروت، مكتبة لبنان (بدون ذكر تاريخ الطباعة).
- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الرياض، دار السلام للطباعة والنشر. ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، المدينة المنورة، المكتبة السلفية. والرياض، دار السلام للنشر والتوزيع. ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الرياض، مكتبة المعارف، (بدون ذكر تاريخ الطباعة).
- محمد سعيد القحطاني، الولاء والبراء في الإسلام، الرياض، دار طيبة. ١٩٨٢م.
- محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، بيروت، المكتب الإسلامي، (بدون ذكر تاريخ الطباعة).
- محمود سفر وآخرين، الوطنية كائن هلامي، الرياض، وزارة المعارف ورونا للإعلام. ٢٠١١م.
- مركز الدراسات والبحوث بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الأمن الفكري، الرياض، جامعة نايف للعلوم الأمنية. ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، الرياض، دار السلام للطباعة والنشر. ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- مفرح بن سليمان القوسي، مدخل في المعرفة والعلم والبحث العلمي، الرياض، مطبعة سفير. ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- مفرح بن سليمان القوسي، ملامح الهوية التي ينبغي أن يتميز بها المسلم في حاضره المعاصر، الرياض، دار زدني. ٢٠٠٦م.
- موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، المغني، تحقيق: الدكتور عبد الله التركي والدكتور عبد

الفتاح الحلو، دار عالم الكتب. ١٤١٩هـ.

- وزارة التربية والتعليم بدولة الكويت، استراتيجية تكريس مفاهيم المواطنة والولاء والانتماء لدى النشء في المناهج الدراسية بدولة الكويت، الكويت، وزارة التربية والتعليم. ٢٠١١م.
- يوسف بن عبدالبر القرطبي الأندلسي، جامع بيان العلم وفضله، بيروت، دار الفكر، (بدون ذكر تاريخ الطباعة).
- يوسف عبدالحמיד أبو حميدان، تعديل السلوك: النظرية والتطبيق، الأردن، مركز يزيد، (بدون ذكر تاريخ الطباعة).

#### - ثانيًا: البحوث والرسائل الجامعية:

- بدر حمد الصلال، دور الفضائيات الكويتية الرسمية والخاصة في تعزيز المواطنة لدى الشباب الكويتي، رسالة ماجستير مخطوطة مقدمة إلى جامعة الشرق الأوسط عام ٢٠١٢م.
- زياد بركات وليلى أبو علي، مظاهر المواطنة المجتمعية في المقررات الدراسية في العلوم الاجتماعية من وجهة نظر المعلمين، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الرابع لجامعة جرش الأهلية بالأردن بعنوان (التربية والمجتمع: الحاضر والمستقبل) عام ٢٠١١م.
- عبد الله بن محمد العمرو، قيم الإسلام الخلقية وآثارها، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤٠٩هـ.

#### - ثالثًا: الدوريات:

- مجلة (الأمن والحياة) الصادرة عن مركز الدراسات والبحوث بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، العدد (١٨٧)، الصادر عام ١٤١٨هـ.
- مجلة (دراسات استراتيجية) الصادرة عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية في أبو ظبي، العدد (٦٦)، الصادر عام ٢٠٠١م.

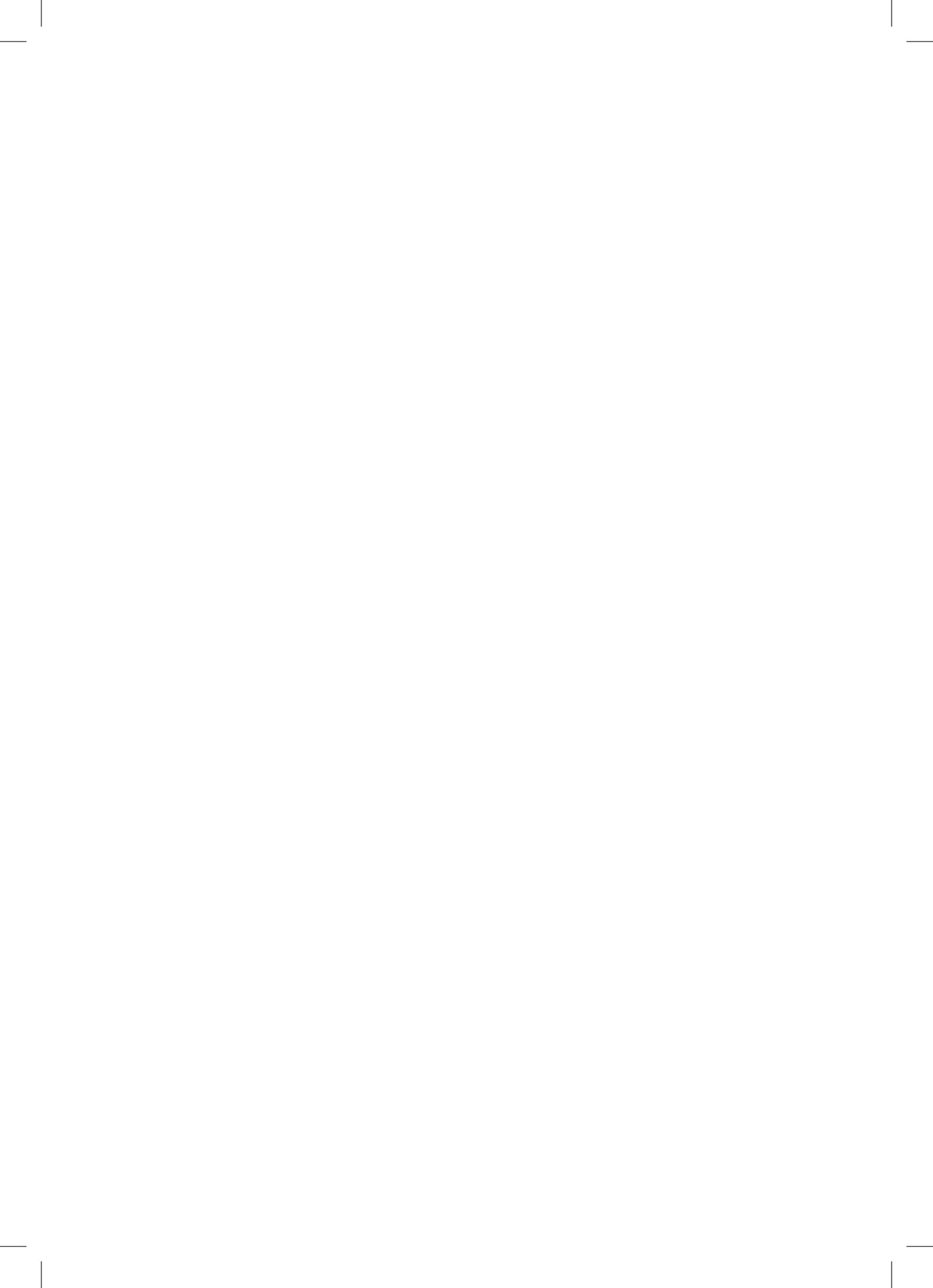
#### رابعًا: المواقع الإلكترونية:

- [www.alwihdah.com/print.php](http://www.alwihdah.com/print.php)



تقصيد وسائل التواصل الاجتماعي  
نحو خدمة القيم النبوية؛  
قيمة حماية الوطن نموذجاً

الأستاذ/ يونس الخمليشي  
المملكة المغربية





## مقدمة:

إن تبليغ القيم النبوية لأمرٌ في غاية الأهمية على مستوى نشرها في العالم، وقد حاول هذا البحث أن يدرس طرائق هذا التبليغ وفقاً لما تقرر في "الندوة العلمية الدولية الثامنة؛ حماية الوطن في السنة النبوية مقصد شرعي وضرورة مجتمعية" والمندرج ضمن "المحور السابع: وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها في حماية الوطن من منظور السنة النبوية".

ويسعى هذا البحث إلى معالجة إشكال صيغته: "كيف يمكن إشغال كافة الوسائل -وسيقصر هذا البحث على وسائل التواصل الاجتماعي- في سبيل تبليغ القيم النبوية -وسيقصر هذا البحث كذلك على قيمة حماية الوطن باعتبارها قيمةً نبويةً- والإمعان في إيصالها للناس والأفراد وتعميق تأثيراتها وآثارها في النفوس الإنسانية والسلوك البشري والمجتمعات العامة والمسلمة"؟ انطلاقاً من هذا الإعضال هدف هذا البحث إلى:

١. افتراض؛ أ- أن حماية الوطن قيمة نبوية. ب- إظهار كيفيات جعل قيمة حماية الوطن تفترض أنها مادة ممكنة في وسائل التواصل الاجتماعي مع أنها مكان لحضور مختلف الأغراض والمقاصد. ج- تحقيق مصالح لامتناهية جراء تسليك قيمة حماية الوطن النبوية في الذهن عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وتسطير استراتيجيات عملية جراء ذلك.

٢. تفصيل معالم هذا الافتراض تبييناً لكل ما يحتمله واستدلالاً على كل ما يمكن فيه، من أجل أن يبني البحث بكل ذلك أطروحته بما يضمن صحة نتائجه.

إن الدراسات الشرعية المتعلقة بتبيان القيم النبوية في الأوساط الإسلامية لها أهمية خاصة، ليس من حيث إحياء القيم النبوية وإبرازها للعالم وحسب؛ وإنما حتى لاحتياج المجتمعات الإسلامية لها في حاضرها واستلهاها في أفعالها لتغيير حاضرها وتجميل مستقبلها. ومن هنا تبلور هذا البحث حول ضرورة القيام بواجب التبليغ للرسالة الشرعية، قرآناً وسنةً. وقد أمر الحق تعالى بالتبليغ صراحة، إذ الواجب هو الكلمة لله رب العالمين.

## في المبحث الأول تنوع إلى مطلبين:

مطلب أول؛ وينص على أن قيمة حماية الوطن قيمة شرعية نبوية متأصلة في الحديث النبوي ومتواترة فيه تواتراً معنوياً. ومن ثم وجب تبليغها بالكلمة وعدم الصمت عنها مادام الصمت قد عمل ضدًا على النطق بالقيم النبوية الشريفة.

ومطلب ثانٍ؛ وينص على تسجيل وسائل التواصل الاجتماعي بوصفها وسيلة فريدة لتبليغ قيمة حماية الوطن النبوية لكونها ذات دلالات نفسية تتوزع في النفس البشرية والمجتمعات المتنوعة وتلبي احتياجاتها بغرض بث قيمة حماية الوطن في النفوس والمجتمعات عبرها. ثم يسطر البحث أنواع الاحتياجات - وقد حصرها في نحو أحد عشر - التي يريدها متصفح وسائل التواصل الاجتماعي وطرائق استثمار هذه الاحتياجات لجعلها مكتسبات لصالح القيمة النبوية عمومًا، وقيمة حماية الوطن خصوصًا، لبث هذه الأخيرة في دواخل الأذهان وخوارج النفوس وسلوكات الأبدان ومنطقيات الألسن.

وفي المبحث الثاني يهيكل البحث المصالح الشرعية وراء قيمة حماية الوطن النبوية والمراد تسليكها في الذهن والسلوك عبر وسائل التواصل الاجتماعي. وهذا المبحث يفترض ذاته في مطلبين:

مطلب أول؛ ويسطر استراتيجيات تسليك قيمة حماية الوطن في الذهن والسلوك، والتي عددها في: ١- استراتيجية استثمار كل صالح لجعله سبيلًا لغرز قيمة حماية الوطن في اللاوعي. ٢- استراتيجية تهديف الاحتياج البشري لوسائل التواصل الاجتماعي نحو قيمة حماية الوطن. ٣- استراتيجية تحفيز حالاته الذهنية عبر تنشيط أفعال وأعمال القلوب التي تثيرها مواد النصوص النبوية عمومًا والنصوص الخاصة بحماية الوطن. ٤- استراتيجية العمل على كل المناحي ومضاعفة العمل على المنحى الأهم على المستوى النفسي - السيكولوجي وعلى المستوى الاجتماعي - السوسولوجي.

مطلب ثانٍ؛ ويعدد البحث هنا المصالح الممكنة والمرجو تحقيقها جراء بذل الجهد عبر وسائل التواصل الاجتماعي لنشر قيمة حماية الوطن، والمفاسد الممكنة المرجو درؤها جراء ذلك كذلك.

ثم يختتم البحث ذاته بخاتمة متلوة بتوصيات جادة تبرز أهمية هذا البحث من حيث كون وسائل التبليغ للقيم الشرعية ولقيمة حماية الوطن النبوية غير معدودة، وينبغي استثمار كل الوسائل الصالحة والناجعة في سبيل هذا التبليغ مادام إيصال المضمون للعالمين هو القصد. وأن وسائل التواصل الاجتماعي تشكل مجتمعاً شبه قائم بذاته وموازيا للمجتمع الحقيقي، والإغفال عن كون الوحي فيه هو تضييع لأرض معنوية خصبة لتبليغ القرآن الكريم والقيم الشرعية وقيمة حماية الوطن النبوية. كما أن وسائل التواصل الاجتماعي تقدم هويةً جديدةً لروادها، وهذه الهوية لا بد أن تشارك السنة النبوية وقيمها وقيمة حماية الوطن في بلورتها وتعاين تأسيسها.

ومن هنا، فإنه حسب بحثنا -القاصر- في المتاح الحالي من المكتبات المتوفرة واطلاعنا السابق حول الموضوع؛ لم نجد أي دراسةٍ تتناول الموضوع من الجهات التي عاجلناه فيها، والمنظورات التي شاهدناها ووصفناها من خلالها، عدا موضوعات متفرقة بين بطون الكتب في تخصصات مختلفة والتي لا تعالج موضوع "تقصيد وسائل التواصل الاجتماعي نحو خدمة حماية الوطن كقيمة من قيم السنة النبوية" بشكل قاصد ومباشر، ومن ثم؛ فإننا لا نزعم أنه بحث أصيل جداً في موضوعه لكن البحث حاول مقارنة جوانب مهمة في ذلك.

## المبحث الأول:

### نحو تبليغ القيم النبوية وقيمة حماية الوطن نموذجًا؛ بالكلمة والصمت

أمر القرآن الكريم باتخاذ وسيلة البلاغ طريقةً لتعريف الخلق بالقرآن الكريم والسنن النبوية. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ (المائدة: ٦٧). وإذا كان الله تعالى قد أمر بتبليغ الوحي بالفعل والصنع، فإن من مفاعيل التبليغ هو الصمت الذي هو فعل وصنع. ذلك أن القرآن الكريم قد سمي الترك فعلًا وصنعًا، قال عز من قائل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ (٧٨) ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (٧٩: المائدة). فعدم نهي الكفار من بني إسرائيل عن المنكر فعل بئس ذميم. وإذا استنتقنا مجموع هذه الآيات نتيقن أنها تأمر بتبليغ القرآن الكريم والقيم النبوية بالفعل والصنع سواء أكان هذا الصنع باللفظ والنطق، أم بالصمت والسكوت.

أمر الحق تعالى بتبليغ القرآن الكريم والقيم النبوية تبليغًا تامًا، تبليغًا يكون وفيّ البيان ميسرًا للفهم والعرفان، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ (المائدة: ٦٧). وإذا كان هذا الأمر مقصودًا به النبي ﷺ وأُمَّته؛ فإن:

١- الواجب هو الكلمة والتكلم بالقرآن والسنة كلامًا دائمًا، إذ الصمت -عنهما هنا- يصنع الكوارث والمنكرات والمآسي والفتن والآلام وكافة تنويجات المفسد، كما أن الكلمة بهما تصنع مجمل المحاسن ومظاهر السلم وأجواء الاستقرار ونعم اللذات ونشاطات التنمية وكافة تنويجات المصالح.

وعدم اتخاذ وسائل الإعلام مضمونًا ووسيلةً لتبليغ الوحي هو تحمل لجريمة الصمت وتحمل لكافة المشقات التي سيصنعها الصمت عن القرآن والسنة الشريفين. بينما الصدع بالقرآن الكريم والسنة النبوية -في الإعلام بالخصوص، وبالأخص في وسائل التواصل الاجتماعي كما

هو موضوع بحثنا هذا- هو درء لمفاسد الصمت وذنوبه، وجلب لمصالح الكلام وأجوره شرط أن يكون الكلام لله مستحضرًا كلام الله.

٢- البلاغ يقتضي وسائل للتبليغ. وبالنسبة إلى أمته فقد تتخذ أشكالًا مختلفة مادامت تحافظ على قصد تبليغ القرآن الكريم والقيم النبوية للناس. وتلوا لذلك؛ فمن بين أجمع وسائل التبليغ هو الإعلام بمختلف تشكيلاته. ومن بين أبرز أنواعه هو التشكيل الشبكي، ومنه خصوصًا، وسائل التواصل الاجتماعي.

٣- البلاغ يقتضي تسليك القرآن والسنة وما يتضمنانه من القيم النبوية في كافة المناطات وجميع الجهات ومختلف المناحي ومتنوع الأنماط. ومن بين هذه المناطات، المراد تبليغ القرآن والقيم النبوية جهتها، هي؛ الذهن والسلوك البشريان.

المطلب الأول: حماية الوطن قيمة نبوية؛ الكلام والصمت ووسائل التواصل الاجتماعي

(١)

### تأطير نظري لقيمة حماية الوطن في السنة النبوية الكريمة

إن قيمة حماية الوطن ترجع في الأساس إلى جذر لغوي (في العربية مثلاً) يحدد الوطن على أنه مكان إقامة الإنسان الذي ألفه وانتمى إليه. فالوطن يضاف الألفة أي الحب لغويًا، والحب يضاف الحماية لزومياً. لكن هذه القيمة، وهي الحب فالحماية، عندما تسند إلى المكان لا تكتمل تأسيسًا إلا عند تطعيمها بالنصوص الشرعية، ولاسيما النصوص النبوية منها. وذلك عند تجديدها لأسس حماية الوطن في الفرد والأمة.

إذا كان الوطن يضاف حمايته بالضرورة، وإذا كان الشرع قد كرم هذا حب حمايته للبلد عبر دلالات نصوص متواترة تواترًا معنويًا؛ فإنه يكفي للتمثيل على ذلك إيراد ثلاثة (مثلاً) من النصوص النبوية الشرعية التي تدلل على أن قيمة الحماية للوطن هي قيمة نبوية خالصة. فعن أنس رضي الله عنه، أنه كان يقول: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَأَبْصَرَ دَرَجَاتِ الْمَدِينَةِ، أَوْضَعَ نَاقَتَهُ، وَإِنْ كَانَتْ دَابَّةً حَرَكَهَا"، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: زَادَ الْحَارِثُ بْنُ عُمَيْرٍ، عَنْ حُمَيْدٍ: حَرَكَهَا

مِنْ حُبِّهَا. (١)

فهذا الحديث يدل على جمال استعجال القدوم للبلد وجمال استعجال الحب والوَحْشَة للوطن وحمائته من الأضرار، وخصوصاً عند ظهور محفزات نحوه تتجلى في فورة الشوق إليه أو رؤيته والاقتراب منه أو تعرضه لمكيدة أو دسيسة أو حرب.. أو ما شابه ذلك من مختلف المحفزات.

وطالما عكس الوطن حُضن الحامي الموفّر الأمان الذي يرتاح المرء عنده، فعن عائشة رضي الله عنها :  
 أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - كَانَ يَقُولُ لِلْمَرِيضِ: بِسْمِ اللَّهِ تَرَبُّهُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةٍ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا (٢). فترية البلد تعكس دواخل أهله من الحب وتُفَصِّلُ حماية لأبنائه من العلل والمهالك لدرجة أن المريض عند وضع تراب بلده على مكان ألمه مع ذكر اسم الله تعالى قد يكون أداة فعالة في طلب الشفاء من الله تعالى له، ربما لحنين المريض للأرض التي جاء منها عموماً، وحبه وشوقه وحنينه لأرضه التي استوطنها خصوصاً كالأم أو كأمه التي يستطيع حُضنها ويستأنم جانبا ويستكين بحجرها ويلزم من حماية الوطن لأبنائه البرور به وحمائتهم له جدلاً بالضرورة.

وقد صرح النبي ﷺ بحبه لبلده مكة ودعا بأن يرزقه الله تعالى حبه لوطنه الجديد وهي المدينة كحبه لوطنه الأم أو أشد. فعن عائشة رضي الله عنها ، أَنَّهَا قَالَتْ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ، قَالَتْ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا، فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ كَيْفَ بَجَدُكَ؟ وَيَا بِلَالُ كَيْفَ بَجَدُكَ؟ قَالَتْ: وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَى يَقُولُ: كُلُّ امْرِئٍ مُصَبِّحٌ فِي أَهْلِهِ... وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أَقْلَعَ عَنْهُ يَرْفَعُ عَقْبِرَتَهُ فَيَقُولُ: أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْبَتُّ لَيْلَةً... بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْ خَرَّ وَجَلِيلٌ وَهَلْ أَرَدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجْنَّةٍ... وَهَلْ تَبْدُونَ لِي شَامَةً وَطَفِيلٌ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَأَنْقِلْ حُمَاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ". (٣) وإن الحب يقتضي لب الحماية للمحبيب وخطاية الذات وفق مقاسات الوطن حمايةً ودفاعاً.

١- أخرجه: البخاري، كتاب العمرة، باب من أسرع ناقته إذا بلغ المدينة، حديث رقم: ١٨٠٢.

٢- أخرجه: البخاري، كتاب الطب، باب رُقِيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ١١٢٤٠.

٣- أخرجه: البخاري، كتاب المرضى، باب من دعا برفع الوباء والحمى، حديث رقم: ٥٦٧٧.

من خلال هذه الأمثلة المختصرة جداً من دلالة نصوص نبوية على أن حماية الوطن من السنة النبوية الشريفة وأنها قيمة شرعية نبوية رائعة؛ وجب أن نقوم بتطبيق قيمة حماية الوطن كقيمة نبوية عملياً على تفعيل وسائل التواصل الاجتماعي كوسيلة تبليغ لهذه القيمة النبيلة.

لكن هذا التقرير لقيمة حماية الوطن النبوية يحتاج لمسنود منهجي يكون تكثفاً له حتى ينبلج بشكل واضح، وهذا المسنود هو أن القيمة النبوية كقيمة حماية الوطن مثلاً قد يكون غرزها في الذهن عبر وسائل التواصل الاجتماعي محتاجاً لوسيط تمر عبره. وهذا الوسيط هو القرآن الكريم باعتباره:

١ - يحوي قيماً علياً ومنها قيمة حماية الوطن عبر سرديات هجرة الأنبياء عن بلادهم بأمر إلهي كابتلاء رباني لهم أو تهديد المعاندين لهم بالنفي عن الوطن مخاطبين إياهم بـ"النخرجنكم من أرضنا أو لتعودنهن في ملتنا".

٢ - مجملاً تفصله السنة، ومن ثم؛ تفصل السنة منه قيمة حماية الوطن. فيكون غرس القرآن في الذهن والسلوك هو غرس إجمالي لقيم السنة النبوية الشريفة التي تفصل طبيعة هذا الغرس في الذهن والسلوك.

لذلك؛ قد نحتاج للقرآن الكريم لتمرير قيم السنة وقيمة حماية الوطن في الذهن والسلوك وليكون وسيطاً ربانياً لذلك. ومن هنا؛ سيركز البحث في أحيان مختلفة ومناطق متفرقة منه على كيفية غرس القرآن الكريم في الذهن والسلوك كمرحلة تمهد لغرس قيمة حماية الوطن فيهما كذلك.

(٢)

### الصمت بوصفه فعلاً عاملاً ضدَّاً على النطق بالوحي وطيه قيمة حماية الوطن النبوية

إن تسمية الوحي للترك صنعاً كان لغرض اتخاذ الكلام في الإعلام للتوعية والتثقيف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبر القرآن الكريم. وهذا الكلام بالقرآن الكريم له أجر يكافئ ذنب الصامت عن النطق به. وبشكل عام ومجمل، كلما بلغ المبلغ القرآن الكريم والسنة النبوية العطرة وطيهها قيمة حماية الوطن النبوية بالكلمة ونال الثواب في ذلك؛ كلما أثم الصامت عنه.

يستطيع أن يبيع المرء كلمة الباطل بكلمة الحق، وألا يكتفي بالصمت عن الحق؛ بل أن يمدح الباطل بالكلام. كما يقدر المرء على ألا يقول الحق ولا يمدح الباطل؛ لكنه بذلك فقد ويفقد أعظم ما يميزه كإنسان - بله كمسلم-، وهو النطق والمنطق والكلام. إن تلك الكلمة وذلكم الإعلام بالقرآن الكريم والسنة النبوية وذا الصدع بقيمة حماية الوطن النبوية هو سمة الطاعة لله من عباده، تلك السمة التي تمر عبر القرآن الكريم. وبتصيير كلام الله علناً نتكلم كلاماً في أنفسنا ومع بعضنا ونعلنه للعالم، أن صوتنا وكلامنا لله وكلاماً لله ومفعلاً لكلام الله، يتبع فيه الكلام لله كلام الله.

إن الصمت - بهذا المنحى - يزيد في استمرار الخفاء، الصمت شكل إخفائي. وإذا كان هذا المخفي واجب الظهور مثلاً؛ بوصفه قيمة حماية الوطن النبوية، كان الصمت عاملاً شرساً ضده.

### الصمت بوصفه فعالية عاملة لصالح الإعلام بقيمة حماية الوطن النبوية

يكون الصمت أحياناً من وسائل تبليغ قيمة حماية الوطن النبوية. نسعى به لجعل قيمة حماية الوطن النبوية مضمون التواصل. وإذا تم هذا التواصل بالصمت كان الصمت بنفسه قناة رائعة لتبليغ قيمة حماية الوطن النبوية لكن القناة المألوفة هي قناة الإعلام. ذلك أن الصمت تجربة في فضاءات غير صوتية، وبذلك قد تنافس تجربة الإعلام في حالة ما إذا تصادمت التجريبتان. وقد تتلاحمان تعاضداً في حالة ما إذا كان الصمت أكيد الكلام في حالة صمته، والكلام أكيد الصمت في حالة نطقه.

يكون الصمت محموداً في حالات توسيعه لآفاق الكلام ومدّه للكلمة في طولها وغرزها للتكلم وتعميق تأثيراته. إنه ممدوح لغيره، وهذا "الغير" هو الكلام الذي يعطي قيمة للصمت وينقذه من

ذاته الصامته التي لا تبرز. وهنا سنحدد أفقين يفتح الصمت من خلالهما آفاقاً للكلام وهما:

١- الصمت عن غير المشروع صمتاً يتعزز بقوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ۗ ﴾ (٨٣) (البقرة) وقوله تعالى: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۗ ﴾ (النساء: ١١٤) وقوله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ.»<sup>(١)</sup>

فكل نجوى كانت محمودة وكل همس كان راقياً، إذا وفقط إذا، كان متجهاً نحو تعزيز الوحي وطيه قيمة حماية الوطن النبوية في الوجود وتحذيره في الحياة. والصمت عند تعلقه بهذا المقام السامق أخذ سموه من ذلكم، لأن أعظم الحسن المقول وأفضل الخير المتلو هو الوحي وطيه قيمة حماية الوطن النبوية. وهذا الصمت يدعم الكلام الناطق بالقرآن والسنة وطيه قيمة حماية الوطن النبوية، لأن الصمت عن الباطل يجعل القول بالحق ظاهراً. والكلام بالباطل يجعل الكلام الحق مخفياً أو على الأقل مختلطاً بين اللغو المحشو الزائد. فيقل تأثير كلام الحق في الخلق لتجشؤ الناس بالكلام واشتياقهم لشيء آخر من غير جنس الكلام وهو الصمت.

٢- صمت المستمع للقرآن الكريم (وما يستلزمه من سنة وقيم تابعة لها كقيمة حماية الوطن) صوتاً يتعزز بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠٤). وسواء اعتبرنا هذا الاستماع الإنصاتي للقرآن الكريم خاصاً بالصلاة أو عاماً؛ فمع ذلك يبقى الصمت للقرآن الكريم صمتاً يعزز كلام الله ويظهر الوحي قرآناً وسنةً في الآذان والحناجر والأذهان وينعش الكلمة في قوتها. لأن الكلام لا يُسمع في ذهن ملئ بالضجيج إذ ما جعل الله لرجل صوتين في أذنيه.

وهكذا، فإن أي صمت مفعول أو مرجو لا بد أن يتجه نحو النطق بالوحي. أعني، أن

١- أخرجه: البخاري: كتاب الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، حديث رقم: ٦٠١٨. ومسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم إيذاء الجار، رقم: ٤٨. وجب التنبيه على أن تبويبات صحيح مسلم هي من وضع القاضي عياض.

استثمارنا لوسائل التواصل الاجتماعي لا بد أن يكون استثمارًا ممتلئًا، استثمارًا يدخر النطق فيها والصمت فيها كذلك، لصنع الريادة لكلام الله بين كلام الناس وقيم وحي الله بين الناس في هذه الوسائل.

### (٣)

إذا أخذنا مصطلح "وسائل" من مفهوم "وسائل التواصل الاجتماعي"؛ كان الصمت، الذي تفيده الوسيلة كقناة محايدة لا تتكلم بمضمون ولا تتدخل في معنى، بل تكتفي بالنقل الموضوعي = مجرد صمت خادع، إذ كل صمت إلا ويدعم كلامًا ما، وأحيانًا يكون متحملاً للكلام أكثر من الكلام نفسه.

وبناءً عليه فقد يعتقد الذهن أن وسائل التواصل الاجتماعي تقف عند كونها وسائل آلية ناقلة ووسيلة دون أي تدخل منها في المضمون أو تلوين منها المعنى ما. وهذا ما يفيد بالضبط المهل اللغوي المفاد من حرف "وسيلة"؛ لكن الأمر غير ذلك. ذلك أن الوسائل تحمل هموم مقاصدها جماليًا، ومعاني أسسها معرفيًا. إنها من أكثر ما يؤثر في المضامين ويتجاوز الأشكال والصيغ والمظاهر، نحو الغوص في الأسس والمعاني والمقاصد.

وهكذا، إذا أخذنا وسائل التواصل الاجتماعي كمثال يخلصنا بالضبط هنا؛ كانت متجاوزة لذاتها كوسائل للتواصل إلى كونها تعبر بذاتها عما يراد أن ينقل في مضامينها التواصلية. أعني؛ أنها رسالة بحد ذاتها أوثق في المعنى من المعاني التي تنقل عبرها. فإذا قلت مثلاً عبر تويتر: "إني أحب السفر" فإن المضمون هنا وهو "حبي للسفر" هو أقل المضامين التواصلية مقارنةً مع ما أفادته هذه الوسيلة من كوني:

- أريد أن يطلع على هويتي الأصدقاء والمجهولون على حد سواء، وأن يطلعوا على ما أريد.
- حاضرًا في هذه الوسائل ومخصصًا جزءًا من وقتي -حياتي لها.
- أن نفس حضوري عبرها هو تعبير عن احتياجات مطلوبة، وقيم مرغوب، في بثها أو اكتسابها أو، عن بثها أو اكتسابها.

إن الوسيلة صامتة، لكنها أسمع كلامًا من الكلام الذي يقوله المنخرط عبرها. وفلسفة هذه الوسائل الصامتة تعني بحياكة المعاني التي نرسلها وتواصل بها عبرها بدون أن نشعر. إنها تعمل في اللاوعي لصياغة الوعي، عبر التأثير خفيًا في المعاني التواصلية التي نكتبها أو نقولها في هذه الوسائل التواصلية. وبما أن اللاوعي صامت، إذا عبّر عن ذاته عبّر عنها عبّر الوعي الناطق؛ فإن الذي يؤثر فيه أكثر هو الصامت الملائم له في صمته، وهو المسكوت عنه في دواخل هذه الوسائل من مكثونات تهندس من بعيد المضامين المبتوثة عبرها هندسةً ما.

من هنا، فالوسيلة تحمل المعنى بانحياز، وكل التغييرات التي تطرأ في المدينة، مثلاً، حتى البنى التحتية التي يبدو منها التمحض في كونها وسيلةً، بله الأماكن بما تحمله من معنى فبُعد صناعتها وخلق أماكن جديدة من الدور والسيارات، التي نسكن فيها لبرهة من الزمن في اليوم، والمحلات والطرق... هي إعادة إنتاج معانيها وانحيازاتها وصناعة قالب المكان، ومن ثم، إعادة إنتاج معناه مما يعني إنتاجاً لهويته. وبمضمون آخر والمعنى واحد؛ إن أثاث مجتمع وسائل التواصل الاجتماعي الافتراضي يحمل معاني تتخطى كونها وسيلةً إلى مشاركتها في بناء الثيمة/المعنى والمضمون.

إن الوسيلة منحازة ومليئة بالمعنى (مثل المكان المليء بالمعنى) وكما قال مارشال مكلوهن Marshall McLuhan: "الوسيط هو الرسالة"، لما يؤثر على التغيير الاجتماعي، مثل السيارة التي لا تعني وظيفة ناقلة فقط؛ بل تغير حركتنا وسهولة تنقلنا، أو على الأقل، تغير المكان الذي نعيش فيه.<sup>(١)</sup>

وجهة قصد الكلام السابق هي أن التبليغ لقيمة حماية الوطن النبوية وهداياته يجب ألا يقف على نقلها عبّر هذه الوسائل بما تتيحه من الكتابة والصورة والفيديو... بل؛ أن تمتد إلى جعلها داخليةً في مسكوتات الوسيلة وما تستحضره من جهاز نظري تؤثر به في المضامين المبتوثة عبرها والتي تصير بعد بثها فيها ليست مضامين مرت عبر وسيلة محايدة، بل مضامين حبلية بمؤثرات معنوية تكمن طيّ هذه الوسيلة المنحازة (نقيض المحايدة) لتصير بعد نقلها عبرها مختلفةً عن نفسها

١- ينظر:

McLuhan, M. Understanding media: The extensions of man. (London: Routledge & Kegan Paul, 1964).

قبل أن تنقل عبرها (من هذا الجانب؛ فإن أخذ المعلومة من كتاب ورقي تختلف عن أخذها منه وهو إلكتروني حيث تكون في صفتها الأخيرة هذه مليئةً بالانحياز الذي ربطته بها انحيازات الوسيلة نفسها).

من هنا؛ فإن تصديرتنا لقيمة حماية الوطن النبوية في اللاوعي سيأخذ حيزاً كبيراً من البحث في الأصول المعنوية للوسيلة واكتشافها، لجعل قيمة حماية الوطن النبوية المنقولة عبرها مألوفة لها ملء اللاوعي به عبرها بشكل خفي وصامت لا يدره المنخرط ولا يعي تأثره به قبلياً في اللاوعي. ويانعاش قيمة حماية الوطن النبوية في مضامين هذه الوسائل كتابةً وصوراً مما يدركه الوعي؛ سيلتقي الوعي باللاوعي وسيخلق التأثير الكامل المحيط بجوانب مهمة من الوعي واللاوعي وسيصنع الالتقاء بينهما بما يجعل رسالة قيمة حماية الوطن النبوية أسرع تأثيراً وأبلغ تبليغاً.

**المطلب الثاني: وسائل التواصل الاجتماعي؛ نحو ذهنٍ -في- قيمة حماية الوطن النبوية**

(١)

إذا أردنا تجاوز مصطلح "الوسائل" إلى مصطلحي "التواصل والاجتماعي" أمكن تسجيل تقييدتين متسلسلتين:

**التسجيل الأول:** إن وسائل التواصل الاجتماعي Social networking sites تنحدر من الشبكة (Network) التي تستمد منها تعريفها. وهذا التعريف متشكل من ثلاث خصائص:

- ١- الحضور في فضاء افتراضي بهويته التي يصنعها في هذه الشبكة التواصلية، والتي يظهر بها.
- ٢- إمكانية إيجاد مستعملين آخرين.
- ٣- إمكانية تحليل خصائص المستعملين الآخرين عبر تحديد نوعية الذين يمكن أن يتواصل معهم.<sup>(١)</sup>

1- Boyd, D.M., & Ellison, N.B. Social Network Sites: Definition, History, and Scholarship Journal of Computer-Mediated Communication,13(1), Article11.(2007) Online:  
<http://jcmc.indiana.edu/vol13/issue11/boyd.ellison.html>

**التسجيل الثاني:** أبرز مشترك بين هذه الخصائص الثلاث -فوق- هو التواصل الاجتماعي بين المنخرطين في هذه الوسائل كوسط افتراضي شبه مستقل. لكن، كيف يمكن استثمار هذا الفضاء الافتراضي لخلق إقناع وحيي في منخرطيه؟

إن وسائل التواصل الاجتماعي قد توفر لنا مظاهر الحماية للوطن متنوعة لم تك تظهر بدونها أو لا تصادف بالأحرى، وذلك لفوزها بخصائص مثيرة جداً، والتي منها ما يسطر في التالي: ١- إن وسائل التواصل الاجتماعي تلي للمره احتياج السيطرة على الذات، التحكم في مسيراتها، إنتاج ذاته وتحصيل تلك الصفة المطموح إليها، تحديد نوع الأصدقاء المرجوّن وحذف ما لا يحتمل أو يرفض. إن تحديده لواقعه الافتراضي هذا وبناءه لنوع الحياة التي يريد العيش بها ونمط الذات التي يريد الظهور بها يلي احتياجه الكامل في تحسره على عدم قدرته في السيطرة على فضائه الحقيقي.

٢- دخول وسائل التواصل الاجتماعي في الحياة اليومية نظراً لسهولة الارتباط بشبكاتهما ومشاركتها لليومي والأسبوعي من قبل الذات والآخر. وهذا الأمر أ-سهّل احتواءها لليومي والأسبوعي وإمكان نشر قيمة حماية الوطن النبوية في أغلب لحظات وأوقات المنخرط، ويُسّر تسليك الوحي في الوعي المستمر وتذكير الناس به بشكل يومي. ب- كما أن كشفها لليومي في الآخر سهل الاطلاع على احتياجاته التي يعانها في ساعة ما من نهار أو في يوم ما من أسبوع. وهذا أشر على نوع جرعة حماية الوطن التي يمكن إيفاده بها ومن ثم تحقيق عمق التأثير الملائم للطبيعة النفسية أو الحالة الاجتماعية التي يعيشها المنخرط.

٣- المستعملون لوسائل التواصل الاجتماعي ينحدرون من مختلف الجغرافيات الفكرية، وكلّ يدخل هذا العالم بحمولته الثقافية كاملة. لكن المفارقة الأولى هنا هي أن كثيراً مما يظهره المنخرط في وسائل التواصل الاجتماعي ليس يعبر عن حقيقة ما هو فيه. أعني، أنه يصطنع لنفسه هويةً جديدة، هوية سلبها من هذا النت، وهوية يجتهد في إظهارها في هذا العالم.

ومن ثم؛ فكثير من الأحاسيس والمشاعر والحالات الذهنية التي يعرضها تكون غير حقيقية، كما أن التلقي الذي يستهلكه من وسائل التواصل الاجتماعي يكون غير فعّال مثل التلقي الذي يتلقاه من العلاقات الحية والتفاعلات الواقعية.

لذا، فإن وسائل التواصل الاجتماعي تلي افتقارات نفسية واحتياجات سيكو-اجتماعية كثيرة. وإن تطعيمه قيمة حماية الوطن النبوية بما يلي ذلك الاحتياج عبر قناة هذه الوسائل؛ يؤدي إلى التأثير الكامل نظراً لأن قيمة حماية الوطن النبوية ستلامس منطقة الاحتياج النفسية والاجتماعية التي عرفناها عبر معرفتنا للحاجات التي تجر الناس لاستعمال هذه الوسائل، ولأن المنخرط قصد هذه الوسائل التواصلية كأداة محققة لذلك الاحتياج، أي أودع ثقته النفسية والاجتماعية فيها. فاتخاذها كغلاف لإبلاغ قيمة حماية الوطن النبوية عبرها يؤثر بأسرع وأشد، لاتخاذها وسيلته التي أودع فيها ثقته، لنقل هذه الثقة إلى قيمة حماية الوطن النبوية عبرها، حتى نحقق التأثير بالوسيلة وبمضمون الوسيلة.

(٢)

بعد هذين التسجيلين يقال:

إن هنالك حالات ذهنية Mental states كثيرة عند متصفح وسائل التواصل الاجتماعي، ولنختر منها الموقف القضوي؛ "أحتاج"، أو حالة الذهن؛ "الاحتياج".

إن المنخرط في وسائل التواصل الاجتماعي يحتاج:

- ١- الاجتماع مع الآخر، كون النفس نفسياً لا تكتمل بذاتها وحدها، ولو أن يكون هذا الاجتماع افتراضياً.
- ٢- الأمان، أن يفعل ويؤثر ويقول مع ضمان أمان لذاته عن السوء. إن وسائل التواصل الاجتماعي تعطي للمنخرط قيمة أن يتكلم دون تحمل لمسئوليته مباشرة.
- ٣- التقدير الذاتي، وإظهار أهمية هويته وتقديرها من لدن الآخر.
- ٤- الاعتراف من الآخر.
- ٥- حب الانتماء للجماعة.
- ٦- التحيين الذاتي؛ أي أن تمارس الذات نفسها وسط الجماعة، بأن تدخل الشبكة كل يوم

وتواصل وتجيّب وترد وتحكي وتنتقد وتقول... وتشارك يوميًا، وتعرف الجديد الذي عند الآخر ورأيه في المستجدات...

٧- فهم الذات أكثر وفهم الآخر والاطلاع على مهمات وخصوصية الآخر.

٨- إظهار الذات الجيدة وإخفاء الذات الرديئة، حيث إن نفسية المرتبط بوسائل التواصل الاجتماعي تقوم على مبدأ الإظهار والإخفاء؛ إظهار الذات للآخر على شكل تنتجها الذات نفسها ويرضي آمالها ورغباتها وتطلعاتها، وإخفاء الذات الحقيقية التي تسكن القهقري عن الذات المنتجة، وتحتفي عبر شاشة الهاتف أو الحاسوب.

٩- فرصة قول شيء أو فعل شيء يمكن أن يراه الآخر أو يحكم عليه.

١٠- حماية الذات من الوحدة المقلقة والمخيفة.

١١- حصيل السعادة والاطمئنان وكسر الوحشة والوحدة.

فلنا حالات ذهنية متعددة، منها الحب، الأمان، الاعتراف، التقدير، الاحتياج، التحيين الذاتي، الحماية، الفهم، الظهور، السعادة. وكلها تُحيل على نطاق مركزي لها هنا وهو الاحتياج.

إن هذا يدفعنا نحو استثمار هذه الحالات الذهنية والأحداث النفسية التي تكشف عنها وسائل التواصل الاجتماعي لاستثمارها في غرز قيمة حماية الوطن النبوية في الذهن والنفس غيرها. وأحسن استثمار يمكن أن يتم هنا هو ما مر بأعمال القلوب الإيمانية وأقوالها.

إن الوحي جاء بالإيمان الباطني والإسلام الظاهري، ومن بين أعمال القلوب الباطنية هو تلبية الحاجة الذهنية في مستوييها: الحاجة العقلية-المعرفية، والحاجة النفسية-العاطفية.

ذلك أن حب المعرفة مكون أساس لتصفح الشبكة الاجتماعية من قبل منحطيهما، وإن الفضول تجاه الآخر للالتذاذ بخصوصياته وفهم الذات والآخر أكثر يقربنا من أعمال القلوب الإيمانية مثل الرضا بالله والغنى بالحق والاكتماء بالعظيم والصبر على الحقيقة والخلوة بين يدي الله والاطمئنان على الآخر (التمثلة مظاهره السلوكية في زيارة المريض وصلة الرحم والتصدق على

الفقير والصوم لتذوق جوع المسكين فالعطف عليه بذلك...) وتدعيم الآخر وتوجيهه وتعريفه بالحق وأمره بالمعروف وهدايته من الضلال وتثقيفه بقيمة حماية الوطن النبوية وتعليمه..، وكل هذا يؤكد فيه اللذة (السعادة) الإيمانية التي هي "جنة الدنيا". أعني أن المنخرط في وسائل التواصل الاجتماعي يظن أن "المتصفح للفيسبوك أكثر هو الأسعد"،<sup>(1)</sup> مما يدفع بذاته نحو أ- تصفح هذه الوسائل بشكل دوري لكسر وحدته وبتو وحشته ونيل سعادته، ب- ونحو الحرص التام على إظهار أجمل ما في الذات وحيواتها وأجمل ما تعيش من لحظاتها. وهذا المركب الخداج يمكن تلبيته عبر تلکم اللذة الإيمانية لتعوض تلکم الوحشة والوحدة وقلة السعادة من جهة. ومن جهة أخرى، لاستثمار هذا البعد النفسي من حيث تشكيل كميات وكيفيات غير معتادة من المواد الوحيانية ومنها قيمة حماية الوطن النبوية في وسائل التواصل الاجتماعي لخلق اقتناع في المنخرط بأفضلية الوحي عليه حتى يهرول للشوق إليه والنهل منه والتأمل فيه.

إن كون القرآن آيات من آيات الله فُصد منه، مما فُصد، أن يعلو على غيره، وهذا ظهر واضحاً في التحدي الإلهي الذي رفعه وما زال، حول الإتيان بمثله أو بسورة منه سواء من الإنس أو الجن. وهذه الغلبة المطلقة التي للقرآن تستثمر وضعية نفسية مفادها؛ أن الإصغاء يتحقق بفاعلية أثناء الضعف، فاعتقاد الدونية في الآخر يجبط السماع منه، وغلبته في المقابل توجب الإصغاء له لأن "المغلوب يقلد الغالب" وفق فلسفة علم الاجتماع الخلدونية. فإذا كان هذا واضحاً؛ فإن استثمار هذه الاستراتيجية القرآنية في المستعمل لوسائل التواصل الاجتماعي يحقق أعظم الإصغاء للوحي.

ولتحقيق انتشار أوسع للوحي لا بد من تعطيش الآخر في قيمه وقيمة حماية الوطن وحمله على تمني الإصغاء للوحي وقيمه، وقذفه بمختلف حُقن الاشتياق للقرآن الكريم والوحي وقيمه عموماً، والتي تحققت مع العرب قديماً بنشر خبر أن القرآن أبلغ من أي بليغ حجة وأفصح من أي فصيح

1- Ron Hammond, Hui-Tzu Grace Chou. Using Facebook: Good for Friendship But Not So Good for Intimate Relationships. 43. The Psychology of Social Networking: Personal Experience in Online Communities. Vol 1. Giuseppe Riva, Brenda K. Wiederhold, Pietro Cipresso (Eds.), Managing Editor: Aneta Przepiórka, (De Gruyter Open Ltd. Warsaw/Berlin: 2016).

ذلاقةً، وبما أنهم لم يشهدوا أفصح من أنفسهم، دفعهم هذا إلى الإصغاء إلى الذي فاقهم وهو الشيء الذي لم يعتقدوه مطلقاً؛ أي لم يعتقدوا مطلقاً فصاحةً وبلاغةً وبياناً يعلو على بيانهم أو حتى هنالك بيان أبلغ من بيانهم. فاستشعرهم القرآن بوجود ما هو أفصح، أي بوجود ما اعتقدوا في موروثهم العربي من قديم، حتى تكرس في لاوعيتهم، أنه منعدم. وحين دغدغ الوحي لاوعيتهم حملهم إلى الوعي بضرورة الإصغاء إلى هذا الفائت، وهذا أدى إلى:

١- تعطشهم للإصغاء. وبقدر الاحتياج للإصغاء بقدر الاحتياج للتأثير الكافي، إذ قدر العطش يحتاج قدر الماء الكافي. وهذا أعطى للقرآن أ- ميزة إسماع نفسه للآخر دون الضرب صفحاً عنه، ب- وميزة الإنصات له إصغاءً، ج- وميزة التأثير في النفس.

٢- أنه أثناء سماعهم له تأكدوا فائقته، وفائقة ذائقته، وفائقة رائحته. والذي عزز هذا الاعتقاد هو احتياجهم للإصغاء الذي قام بتسليك التأثير في النفس بقدر تسليك الشوق للإصغاء.

وهذا أفعل هزة طارئة ومستمرة على لاوعيتهم الذي بني على تركيب طويل في عدم وجود منافس لهم في اللغة مطلقاً. مما أبدى فقدان الثقة بهذا المخزون الثقافي المتكثل في الذهني الماقبلي، وأبدى الاهتزاز في درجات اللاوعي الذي كان يعد صادقاً دوماً، إذ الاعتزاز بالتركيب القبلي المتكثل في ثقافة الأجداد عملياً وفي اللاوعي نظرياً عبر عديد أجيال متتال؛ له أصل تليد في الجاهلية، كما قال الله تعالى عنهم في ذلك: **بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ** (الزخرف: ٢٢). واللاوعي يستحيل أن يظل فارغاً، إذ الثقة (الاعتقاد، اليقين، السكون لثابت ما، الخروج عن المتغير...) مرتبط إنساني عتيق، وعند فقدان الثقة في اللاوعي موروثاً أوجب ملؤه بمضمون أوثق. فإحداث القرآن لهذا التشكيك ولد فراغاً غير مقبول، وبما أنه قوي منزلزل، قدم نفسه كبديل أوثق وقوة وسعى، فدفعهم هذا دفعاً إلى الإيمان به.

هذه الاستراتيجية نفسها تطبق على المستعمل لوسائل التواصل الاجتماعي، ذلك أنه يريد إخفاءً للذات، وصنعاً لهوية جديدة تناسبه، وهذا الكسر في الهوية، وهذا الاحتياج السيكو-اجتماعي ولدا ضعفاً مقيتاً يدفع النفس دوماً للتفكير في طرق ملائمة للخروج منه. وعند تدعيم القرآن في النفوس بهذه الطرائق يتم تدعيم القيم النبوية وطبيها قيمة حماية الوطن النبوية بالضرورة.

عندما يقدم الوحي كخطاب مناسب دومًا للاوعي وللحاجة وكشيء يرمم الهوية ويوحدها نحو التعلق بالله وحده؛ يوجد في النفس أملاً بالتعلق بالأقوى الذي هو الله ذو القوة جميعًا، كما أن شكه في محيطه الذي أحبطه وجعله في ثنايا الضعف دفعه نحو التعلق بيقيني مُربِّيًا عن أي ضعف أو شك.

إن من أهم، أو أهم، محلول تتميز به وسائل التواصل الاجتماعي هو مفهوم الفرصة. إنها تتيح فرصة إعلامية للاطلاع على أكبر قدر ممكن من الأفكار بشكل مختصر ومركب، والاطلاع على عديد هائل من المثقفين بمختلف جغرافياتهم، كما تتيح عرض الذات الفكرية والذات الثقافية على الآخر وتوفيرها لهم. مع سهولة استعمال هذه الوسائل التي لا تتطلب قدرًا ثقافيًا جزلاً.

إذا جمعنا هذا المفهوم بمفهوم التيسير الذي يختص به القرآن والوحي لذكره، وكونه متاحًا للعلمين؛ الدارس وغير الدارس كل يقرؤه ويفهمه على قدر عقله؛ مع سهولة الحصول على المصحف وبطون السنة ودراساتها؛ كان استثمار هذين المفهومين تحت ظل واحد هو تعزيز للمشارك الذي يقرب هذه الوسائل إلى القرآن والعكس، مما يسهل تشحين قيمة حماية الوطن النبوية في هذه الوسائل وإشباعها بها. فإذا كانت تفتح فرصًا ميسورةً لمستعملها، وإذا كان القرآن ميسورًا سهلًا لذكره؛ فإن استغلال تلك الفرصة بمدّها بهذا الميسر يخلق فرصةً ميسرةً ثالثة لتسليك قيمة حماية الوطن النبوية في هذه الوسائل وفي مستعملها على حد سواء.

إن فرصة الشبكات الاجتماعية - حسب جيبسون<sup>(1)</sup> تفتح طرقًا متنوعةً كل منها يمكن أن يقود لفعل ملائم. وذلك من حيث إن كل بيئة أو موضوع داخل ما تتيحه هذه الوسائل يحفز نحو فعل خاص دون غيره. أعني أنه يمكن خلق عدة بيئات في هذه الوسائل بقدر ما تتيحه هي، ثم تملأ كل بيئة بعلم من علوم القرآن أو مضمون من مضامينه (وهذا ممكن جدًا لتضافر التيسير في كلتا الجهتين) لتمرير قيمة حماية الوطن النبوية عبرها.

وهذه البيئات تفتح فرصًا ميسرةً متتالية للآخر لأن يتعرف على مختلف قيم الوحي. وهذا

١- ينظر:

Gibson, J.J. The ecological approach to visual perception. (Hillsdale, NJ: Erlbaum .1979).

استثمار لعلم النفس المعرفي من حيث إن الذهن يميل لأن ينتفض عند أدنى معوّق، أو عدم وجدان. وإزاحة معوقات الوصول للقرآن الكريم والسنة وقيمة حماية الوطن النبوية عبر تكثير الفرص، وإتاحة بيئات قرآنية متنوعة وكثيرة في وسائل التواصل الاجتماعي ليحدها المتصفح بسهولة؛ هو تجنب هذه الخصيصة التذهنية واستثمار نقيضها في دعم قيمة حماية الوطن النبوية في الذهن.

إن وسائل التواصل الاجتماعي تحوي أصدقاء مقربين ممن لنا معرفة مباشرة بهم من جراء الالتقاء المادي أو الاطلاع على كتاباتهم. وتحوي أصدقاء بعيدين، ويجمعنا بهم الفضاء الافتراضي. وإن الانتقال من العلاقة البعيدة إلى المقربة يكون عبر مشاركة نفس التطلعات والأفكار والآمال، مما قد يتطور الأمر إلى لُقيا مادية أو تعزيز العلاقة إلى الصداقة. أعني أن إدراك الحالة الذهنية الذي يعيشها المنخرط ومشاركته بتفسيرات قرآنية أو آيات ملائمة أو أحاديث مناسبة وتشويقه بذلك لفتح المصحف المادي أو كتاب سنة بطريقة من الطرق سينتقل بعلاقته بالسنة أو بقيمة حماية الوطن النبوية أو بالقرآن من علاقة ضعيفة افتراضية إلى علاقة قوية وصلت حد فتح ورقات المصحف أو ورقات كتاب في السنن والبحث عن معالجات فيه لحالاته الذهنية. فنقله إلى إمساك المصحف واقعيًا تكمن قيمته في أنه يشبه الالتحام ببعيد ليصير صديقًا قريبًا، لأن اللقاء المباشر مع فرد ما يكون مؤثرًا أكثر بحكم أن كلا الفردين يتكلفان السماع والإسماع لبعضهما بعضًا، وإحداث ضحك حقيقي وتأسف حقيقي حتى ولو كانا يتظاهران بذلك، بعكس التواصل عبر الكتابة في وسائل التواصل والتي تعبر عن الحزن أو الضحك (بالإيموجن) أو الكلمات بدون أن يكون صاحبها حقًا قد ضحك وأبدى نواجده. وهذا التكلف في إحداث تفاعل حقيقي بما يليه من لغة الجسد وصوت الكلمات وتعبيرات الجسد وشوارد وشواهد الكلام يوطد العلاقة في اللاوعي خصوصًا إذا استمرت واستمر إقناع اللاوعي بها والضغط عليه بتكريرها. لكن المصحف حتى وإن كانت مباشرته أمتع وأشد إقناعًا وأوفر تأثيرًا وتفاعلاً من مجرد قراءته عبر النت ويدرك هذا من له قراءة لكتاب حقيقي وأخرى له عبر الشبكة؛ إلا أنه لا يختلف كثيرًا في الواقع عما هو عليه في الشبكة. ولهذا فقراءته عبرها ستؤثر بشكل كبير شيئًا ما، لأن صورة وجه إنسان تتواصل معه عبر شبكة اجتماعية لا تجسد وجهه الحاضر معك واقعيًا، لكن صفحة مصحف تجسد بأقرب حضور ورقة مصحف معك واقعيًا. وبعبارة معيّنّة؛ إذا كان المنخرط محتاجًا لجرعة التأكيد على انتمائه للوطن وحقنه بالحماية له؛ كان دفعه عبر هذه الوسائل إلى نصوص السنة المتضمنة لقيمة

حماية الوطن النبوية هو العلاج الأحق لها.

إن وسائل التواصل الاجتماعي تخلق في منخريها نوعاً من الغيرة والحسد، وذلك لما يعتقد هذا المنخرط من الكمال في حياة الآخر الحريص على كشف أجمل لحظات حياته. وهذا يستثمر في حرص المرء بمشاركة أجمل لحظاته أثناء التعامل مع القرآن قراءةً أو تعلماً أو تعليمًا أو تطبيقاً (هذا يضاف إلى وسائل استثمار القرآن الكريم أثناء حاجة الشخص إليه، والإصابة منه بالقرآن الكريم نقاط احتياجه لقلب احتياجه نحو شيء ما إلى القرآن وحده) لقلب حسده هذا غبطة، الأمر الذي تحدث عنه النبي ﷺ في قوله: لا حسد إلا على اثنتين رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل ورجل أعطاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل والنهار.<sup>(١)</sup>

إذن؛ فاستثمار الحالات الذهنية الإيجابية التي تصنعها وسائل التواصل الاجتماعي نحو القرآن والسنة وطبها قيمة حماية الوطن النبوية من الحب والسعادة... وكذلك استثمار الحالات الذهنية السلبية في قلبها نقيضاً نحو القرآن الكريم وهداياته من الحسد والاحتياج والملل والحزن وعدم كفاءة الذات للآخر... =خلق أعمال قلوب شرعية مفعمة بالوحي، خصوصاً أن هذه الحالات تترجم سلوكاً في سلسلة ثلاثية متصلة وهي ١-المقابلي في الذهن حيث اللاوعي، ٢-الحالات الذهنية، ٣-السلوك اللغوي والفعلية مما يجعل المنحى بينها واحداً ومتصلاً في التعبئة والتأثير. وهو ما سنوضحه في التالي.

## المبحث الثاني: استراتيجيات حماية الوطن وصد التهديدات عنه

### وسائل التواصل الاجتماعي:

### كيف تكون رافعةً من روافع حماية الوطن وتهديداً له كذلك

بادئ ذي بدء، لا بد من التعرّيج على تعريف الذهن Mind أولاً قبل البدء في تأطير إحراز كفاءات في غرز المعاني الوحيانية والقيم النبوية وحماية الوطن في الذهن.

الذهن mind هو ما يشمل المقابلي Priori ومختلف الحالات الذهنية mental stats

١- أخرجه: البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن، رقم: ٤٧٣٧.

الجمعية (العقل منظومة حالات ذهنية، العاطفة مجموعة حالات ذهنية، الفكر مجموعة حالات ذهنية، الاعتقاد مجموعة حالات ذهنية...) وما يلي، أو ما في، ذلك من سلوك لغوي.

إن أي ممارسة ذهنية تحدث في مراكزها وهوامشها وشواردها حالات ذهنية منها ما لنا وعي بها، ومنها ما ليس لنا وعي بها والكامنة في اللاوعي. وأي تَدُّنْ Cognition كيفما كان يسحب طيه هاتين المرتبتين، اللاوعي واللاوعي، ويوزعهما في المركز وفي الهامش بما يتفق عنده وحيث يلزم. وبمجموع الهوامل والشوارد، والمراكز والمعازل، ينتج التذهن Cognition .

وهكذا، إذا كان الذهن في صفاته تلکم بإجمال واختصار شديدین جداً؛ فإنه لغرض معنى فيه وتحويله إلى أنماط تذهنية (أنماط متعالية/ترانسندنتالية تسكن اللاوعي، وأنماط ذهنية تسكن الوعي، وأنماط لغوية نصح بها) يحتاج لتدابير منطقية وفلسفية عالية الدقة وممتدة الاستمرار.

فالخوف مثلاً هو تهيئة قبلية فطرية في الذهن يكون بموجبها خاماً بدون أي مظهر ما. وعندما يفعل كحالة ذهنية ويترجم باللغة (كقول زيد: "إني حين سمعت عقاب الله أخاف من الله")؛ يكون بذلك قد قطع أشواطاً بعيدة في الذهن وصار موقفاً قضوياً، مستجمعاً كل الظروف التي تؤهله لأن ينسج سلوكاً.

### المطلب الأول: استراتيجيات تسليك قيمة حماية الوطن النبوية في الذهن والسلوك

سأدون الآن هنا استراتيجيات لغرس قيمة حماية الوطن النبوية في الذهن واللاوعي لتحصيل سلوك تربوي مؤطر باستراتيجية مضافة تدفع إليه وتحافظ على المكتسب منه.

(١)

#### استراتيجية استثمار كل صالح

إن استراتيجية غرس قيمة حماية الوطن النبوية في اللاوعي يكون عبر إحضار كفي مكرر ومتجدد للقرآن أمام المنخرط لغرس القرآن في لاوعيه ومن ثم قيمة حماية الوطن بالضرورة. وهذا الإحضار الكيفي المتجدد يكون عبر مقامين:

- ١- إن غرز قيمة حماية الوطن النبوية في هذا المستعمل يجب أن يطور أدواته بما يوازي تطور هذه الوسائل التي تعدت وسائل الإسماع التقليدية. وذلك يكون عبر:
  - نشر أكبر عدد ممكن من المواد الوحيانية، قرآنًا وسنةً وطبيها قيمة حماية الوطن النبوية، كمًّا لتنشيط الذهن نحو تصديقها والتعلق بها، عملاً بمبدأ الإشهار الذي يعمل على المدى البعيد لقبولة اللاوعي الذي ستتقل مادته تلقائيًا إلى الوعي ثم إلى الفعل.
  - نشر أكبر عدد ممكن من المواد الوحيانية قرآنًا وسنةً وطبيها قيمة حماية الوطن النبوية كيًّا باستعمال الصور والألوان والفيديوهات القصيرة والطويلة والصوتيات في مختلف البقاع وعلى متنوع الحالات والأصوات والطرق لضمان فعالية هذا الكيف المتنوع للغوص في متنوع الذهن وتنشيط مختلف مناطق الذهن الصوتية والمرئية واللونية... وهذا يعزز الاقتناع.
  - دعم الوحي وطيه قيمة حماية الوطن النبوية بالاستفادة من طرق تسويق الشركات لنفسها، وأبحاثها حول ذلك، ومن أساليب الإشهار والترويج للمنتوج والمنشور وكيفيات إشهار شخص أو تعميم فكرة ما.
- إذن؛ حتى نهيمن على اللاوعي لا بد من تكرار إظهار الوحي له عبر مختلف الأشكال مرئيًّا ومسموعًا وملونًا وأمام مختلف المناظر الطبيعية والجمالية، وبمختلف الأصوات والمقامات.
- ٢- لا بد من التركيز على استثمار قيمة حماية الوطن النبوية في كل شبكة بما لها من خصوصية فيها. فالفيسبوك Facebook يغلب فيه إحصار وتحديد العلاقات اليومية، وتويتر Twitter لنقل الأفكار في وقتها ولينكدن LinkedIn للمهنيين، وفورسكوير FourSquare لمعرفة الأصدقاء المقربين، وهكذا. واستثمار قيمة حماية الوطن النبوية وفق الحالة هنا يؤدي إلى:
  - ١- الهيمنة على اللاوعي بأقصى كمٍّ ممكن عبر بث قيمة حماية الوطن النبوية في أقصى كم وكيف ممكنين لتكرار إحصار قيمة حماية الوطن النبوية عند المنخرط في أي شبكة انخرط وفي مجموع كل الشبكات التي فيها انخرط.

- ٢- ألا يغيب المنخرط عن شبكة ربما تكون هي الوحيدة التي عند هذا المنخرط.
  - ٣- الهيمنة على محيط الشبكات الاجتماعية بتكوين مجموعات قرآنية يكون هدفها هو تمثيل قيمة حماية الوطن النبوية، ومخاطبة كل الأصناف المستعملين لها.
  - ٤- كل شبكة هي أقوى في ميزتها التي صنعت لها، وإيجاد ملاءمات وحيانية لها سيجعل هذه الميزة كلها في خدمة هذا الجانب القرآني المناسب الذي ضُخَّ فيها، مما يُهدّي، أي قوة في التأثير صنعت لهذه الشبكة، لقيمة حماية الوطن النبوية فيستثمر قواه وتأثيراته لكي يؤثر عبرها في المنخرطين بمختلف ثقافتهم وجغرافياتهم.<sup>(١)</sup>
- إن عملية تقريب القدم نحو تحقيق نفخة من هذا إلى تعزيز قيمة حماية الوطن النبوية في اللاوعي والوعي عبر وسائل التواصل الاجتماعي نحو إيجاد سلوك تربوي؛ لغوي وفعلي وحياتيين =يجرنا إلى التالي.

(٢)

### استراتيجية تهديف الاحتياج

إن وسائل التواصل الاجتماعي تكشف عن احتياجات مهمة في سلوك المنخرط النفسي والاجتماعي. فالمنخرط لا بد له من تلبية الاحتياجات التي لا يلبها في واقعه الحقيقي ليجد ضالته في عالمه الافتراضي. وهذا يوجب رسم خطط مبرمجة مسبقاً في شد المنخرط بوسائل التواصل الاجتماعي نحو قيمة حماية الوطن النبوية، والتي منها:

- ١- تقصيد هذه الوسائل باستهداف مكثف ومدروس للمنخرطين في هذه الوسائل بمختلف خلفياتهم الثقافية وانتماءاتهم الجغرافية ومتعدداتهم العقدية.

---

1- Giuseppe Riva, Brenda K. The Psychology of Social Networking: Personal Experience in Online Communities. Vol 1. Wiederhold, Pietro Cipresso (Eds.), Managing Editor: Aneta Przepiórka, (De Gruyter Open Ltd, Warsaw/Berlin: 2016). Psychology Of Social Media: From Technology To Identity. Giuseppe Riva, Brenda K. Wiederhold, Pietro Cipresso, p. 4-14.

٢- استثمار احتياجاتهم الذي يجدونه في هذه الوسائل بتوفيرها لهم في المواد القرآنية والتي تحوي قيمًا كثيرة ومنها قيمة حماية الوطن النبوية. فالمريد لراحة جمالية تزيل عنه مشقة العمل تستثمر إرادته هذه بتوفير أصوات رخوة تقرأ القرآن بمختلف الوسائط المرئية والمسموعة وبمتمنوع القراءات والأصوات الشجية والرقيقة والجهورية، وغير ذلك بما يجد فيها ضالته النفسية والاجتماعية. والمقهور نفسيًا المحتاج للخروج إلى مكان أرحب وأبعد عما يكتئب فيه؛ توفّر له شروحات لمعاني القرآن المختلفة بما يناسب لقمته النفسية تلك عبر بذل أقصى المطاق في تنويع وسائل تحصيل ذلكم له، وهكذا.

٣- خلق عدة قنوات وصفحات وحسابات، تعمل في ظل وسائل التواصل الاجتماعي تتنافس فيما بينها في جودة المواد التي تقدمها للمنخرطين، وتتنافس في إحراز أجود الثمار وأوفر النتائج على مستويين:

أ- مستوى إحراز أكبر عدد ممكن من المنخرطين والمتابعين والمشاهدين..

ب- مستوى إحراز أفضل جودة على مستوى المواد والمضامين والمعروضات الوحيانية والقيم النبوية المناسبة لمتبعيها والمترصدة لساعات احتياجاتهم بمواد تناسب أحوالهم لحفظ الجمهور المكتسب، ونيل مزيد من المنخرطين الجدد وتعميق التأثير بينهم بتلكم المواد الوحيانية.

إذن؛ هذه الكثرة الكمية والجودة الكيفية تضمن استمرار التعبئة وامتداد التأثير وترسيم الإقناع الذي بعد تكديس بعضه على بعض؛ ينتقل من مواد تسكن في الوعي إلى مواد تنغرز في اللاوعي في قعر الذهن البعيد. وهنا تحصل طفرة في المنخرط الذي بدل:

أ- أن يكون مدمنًا على مواد إعلامية ملتدّة يبيت مرابطًا على موضوعات قيم نبوية محبّبة.

ب- أن يكون ذهنه تحت السيطرة البشرية الإعلامية المقيدة يغدو تحت الرحمة الوحيانية الحرة والرحبة.

إن من بين أسلس الوسائل لمخاطبة اللاوعي مباشرة هي ملامسة الاحتياج النفسي

والاجتماعي، لأنها شؤون تتجاوز العقل والوعي في أحيان مطردة وتباشر علاقتها مباشرةً باللاوعي. وعند تلبيتها لا يكون هذا الصنيع ذا حدود على هذا المستوى فقط؛ بل يكون له تأثير وصلي باللاوعي البعيد جداً، والأمر نفسه عند عدم تلبية ذلك. وهنا يكون استثمار الحاجة أداةً ناجعةً لمخاطبة اللاوعي بالمواد القرآنية والقيم النبوية والتي عبرها نمر قيمة حماية الوطن النبوية. وقد أكدنا سابقاً على أن أفضل وسائل تمرير قيمة حماية الوطن هي القرآن والقيم النبوية السنية. ونزيد هذا تفصيلاً أكثر هنا:

(٣)

### استراتيجية تحفيز الحالات الذهنية

#### عبر تنشيط أفعال وأعمال القلوب التي تثيرها المواد القرآنية

سأقيد هنا تقييدين يوضحان هذه الاستراتيجية:

**التقييد الأول:** لعله من مهمات الحدث البشري ليس هو الحدث السلوكي بل الحدث القلبي التذهني. ذلك لأن السلوك يظل في كثير من تبعاته تابعاً للقلب والعقل، ومناطق التأثير والإقناع هو هذان. وإذا كانت أفضل وسائل غرس المعنى والقيمة في اللاوعي والوعي تركز في الذهن، وإذا كان الذهن هو المتحكم في السلوك اللغوي والفعلي؛ فإن القرآن الكريم قد أعطى أهمية جليلاً جداً لأعمال القلوب وأفعالها كمحفّزات للعمل ومؤسّسات للفعل.

إن كل سلوك لا بد أن له قولاً أو عملاً قلوبياً، فالصبر الجسدي، كعمل سلوكي، مادٌ ومتمد من الصبر القلبي كعمل قلبي، والصفح الرمزي أو الجسدي، كسلوكي عملي، مادٌ ومتمد من الحب القلبي كقول أو عمل قلبي، وهكذا. وهذا هو معنى قول السلف: "إن الإيمان قول وعمل واعتقاد"، أي أن منظومة السلوك والاعتقاد والقول واحدة غير منكسرة أبداً.

لكن السؤال هنا هو في كيفية تعبئة الذهن بالقرآن ومن ثم قيمة حماية الوطن النبوية عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

إن أحد الطرق الممكنة لذلك هو الربط بين أعمال القلوب والحالات الذهنية ربطاً يفترض

المعاني القرآنية والقيم النبوية في الكل.

إذا كانت وسائل التواصل الاجتماعي تخفي حالات ذهنية متعددة - كما أوضحنا ذلك فوق-؛ فإن صنع تحفيز لها في ذهن المزاوول لوسائل التواصل الاجتماعي من قبل أعمال القلوب القرآنية والنبوية مهمٌ جدًّا. ذلك أن التركيز على مواد ومفاهيم الخشوع والرجاء والحب والخوف والحاجة إلى الله والتوكل عليه والإجابة إليه وغير ذلك من مفاهيم أعمال القلوب وأقوالها سينسجم مع المنخرط في وسائل التواصل الاجتماعي باحتياجاته القلبية والنفسية والاجتماعية. وهذا سيسهل تلقفه للمواد القرآنية وتأثره بمفاهيم وقيم الوحي الشريف وطبها قيمة حماية الوطن، لأن المرء تبع لما احتاج. إذن؛ فتنشير أفعال القلوب وأقوالها كمًّا وكيفًا عبر مختلف الوسائل ومتنوع البرامج ومتعدّد السبل لتحفيز حالاته الذهنية نحو قيمة حماية الوطن النبوية وقيم القرآن الكريم شق مهم لدمج الخلق في كلام الحق.

**التقييد الثاني:** إن لكل امرئ سلطة معينة على حالاته الذهنية. فهو أعرف بخشوعه لربه من غيره من الناس، وهو أعلم باحتياجه النفسي من غيره. وهذا ما يعرف بسلطة الشخص الأولى *the first-person authority* في فلسفة علم النفس.

إن طريقة الشخص الأولى *the first-person way* أي طريقة قوله لحالاته الذهنية ومعرفته لها تعد جزءًا من مساحات سلطته. وتحدد -بشكل ما- خصائص الحالات الذهنية وتفصح عن وجودها، كما أن طريقة قوله لها تعد كذلك امتدادًا لها في صيغة القول وتحدد بشكل ما طريقة تواجدها والشكل الذي سيعرفه الناس عنها. وفعل شيء جراء حالات ذهنية ما محددٌ ومقيد أو مخصص أو مطلق بشكل ما لحالاته الذهنية وتعريف بوجودها وتنميط لخصائصها.

إذا اعترفنا بأنه في وضعية سلطوية أفضل؛ فإنه هو المرشح الأول لتحديد ما هو الأفضل ليفعله وليقله -بما يناسب مقابله من حالات الذهن، (فالألم الذي يحس به متألم الآن كحالة ذهنية يكون مبيّنًا لصاحبه ليحدد ماذا يقول أو يفعل بما يناسب العمل الموافق للحالة الذهنية)- وما لا يفعله ويقوله، لأنه كان في وضعية زاخرة، ولأنه تجاه حالاته الذهنية كان في وضعية تؤهله لتفضيل فعل على آخر، ويسمي ماثيو طوماس بروت *Matthew Thomas Parrott* هذا

النوع من السلطة بـ agential authority<sup>(١)</sup>.

وأستثمار هذا الكلام وتوظيف هذه المفاهيم هنا يكون عبر تسجيل التالي:

إن الشخص في سكونه لنفسه وتوقعه على حالاته النفسية يحس بأثرة عليها وأنه لا أحد من بني جنسه يعرف ما يعرف ويستحق ما يستحق، كأنه يتحرر بسلطته هذه من العباد والخلق. وهذا يدفعه إلى عدم الثقة بالناس وكلامهم ومشاعرهم وحالاتهم الذهنية، والتعلق بما هو متعال أي مما هو غير مخلوق ولا مما هو من كلام البشر، ويجد ضالته هنا في القرآن الكريم الذي هو كلام الله ليس كلام بشر. والكلام هنا ليس معناه ذلك الصوتي المسموع وحسب؛ بل معنى أن كلام الله ليس كلاماً للبشر أنه ليس من صنع مشاعرهم ولا عقولهم ولا أذهانهم، ولا من صنع حالاتهم الذهنية ولا منطقتهم ولا ما قبلياتهم تذهنهم. وعليه؛ فلا أحد يفرض سلطةً فكرية على القرآن أو يستأثر به لأنه كلام الله فهو للخلق كلهم وللمسلمين أجمعين أكتعين أبصعين. ومن هذا المنطق وجب تبليغه للعالمين لأنه للعالمين وجاء للعالمين.

فالكلام لله لا لأحد. والمحتاج للتحرر من سلطة الأغيار على حالاته الذهنية وتحرير حالاته الذهنية من سلطة غيره عليها؛ يجد حاجته ومصالحته ومنفعته في مفاهيم أفعال القلوب وأقوالها القرآنية وملزوماتها من القيم النبوية وطبيها قيمة حماية الوطن النبوية. وهذا يحقق مصلحةً ذهنيةً قلبية ضروريةً للعبد كون الإنسان كائنًا قلبياً أكثر منه كائنًا سلوكياً، ويدراً عنه مفسدةً سجن حالاته الذهنية له، وسجن أفكار واعتقادات الآخرين له. أي أنه يحقق مصلحة التحرر من ذاته ومن الآخرين عبر التقييد بالقرآن الكريم، ويدراً عنه مفسد التقييد بذاته وبالآخرين عبر التحرر بالقرآن الكريم، أي فالتحرر بالقيم النبوية وما يندرج طيها.

1- Matthew Thomas Parrott. Agency and First-Person Authority. (University of California, Berkeley: Usa. 2014) P. 4.

(٤)

## استراتيجية العمل على كل المناحي ومضاعفة العمل على المنحى الأهم

لابد من الشروع في تسطير موجز للخبايا السوسولوجية والسيكولوجية القابعة وراء وسائل التواصل الاجتماعي لفهم كيفية توظيفها في موضوعنا هنا.

### أولاً؛ سوسولوجياً:

إن وسائل الإعلام تستهدف ردة طرق التفكير المختلفة الثاوية في الأذهان المتنوعة، وهذا القصد نحو التوحيد بين الأذهان يروم حد إحراز مطابقتها، ويثور أكثر عبر تقديم مواد إعلامية واحدة بتنميط واحد وأشكال واحدة، حتى وإن اختلفت في المظاهر السطحية التي لا تغير من عمق المواد المقدمّة شيئاً.

بالنسبة إلى وسائل التواصل الاجتماعي، فإن لها خلفيّة هذه القصة عينها، أعني أنها تسعى لخلق مجتمع جديد (افتراضي) مواز للمجتمع التقليدي الحقيقي، له تقاليده وأعرافه وقوانينه وأنماط تفكيره لتقييم حالات مفترضة وخلق أشكال متطّلع نحوها نحو:

- ١- استعاضة المجتمع التقليدي والقيام مقامه والنيابة منابه.
- ٢- التأثير في المجتمع الحقيقي عبر جعله مرآة يعكس ما يدور داخل المجتمع الافتراضي المدار داخل وسائل التواصل الاجتماعي، من قيم وأفكار ومفاهيم وأخلاق وسلوكات.
- ٣- التقليل من تأثيرات المجتمع والدولة في الفرد ومن سلطتهما القانونية (الدولة) والاجتماعية (الأعراف) بخلق بديل افتراضي له قوانين وأعراف مختلفة في شكل تنظيم جديد.
- ٤- حمل كل المزاي والرزايا التي تسكن طي المجتمع التقليدي إلى إطار جديد وهو المجتمع الافتراضي لينعشه بأبعاد جديدة وينشطه بجرعات زائدة وذلك من أجل:
  - أ- صنع مكان آخر للحياة، له رؤى مختلفة.
  - ب- صنع مكان آخر للتفاعل والتواصل.

ج- إيجاد معيش جديد له نظريات وعمليات مباينة لنظريات (أفكار ورؤى ونظرات) وعمليات (سلوكيات ومهن وأفعال) المجتمع التقليدي.

٥- إيجاد دولة بديلة عن الدولة التقليدية التي تعتمد على القومية-القطرية والضبط والعقاب والمراقبة للأفراد والمجتمع عبر إنشاء أدوات جديدة للمراقبة والضبط والعقاب لأفرادها المنخرطين (المتجاوز القومية القطرية-الجغرافية إلى الكونية) ومجتمعها الذي يضم أهله طيه. أو عبر خلق مفاهيم موازية لهذه المفاهيم التي تشتغل وفقها الدولة القومية.

وهذا يعني أن تركيز غرز قيمة حماية الوطن النبوية في المجتمع التقليدي فقط، يجعل هذا العمل خداجًا. ذلك أن محاولة تغيير مسبب بالعمل عليه وحده غير مجد، وذلك لأنه نتيجة لسبب متحكّم فيه. هذا السبب هو الفاعل الأول فيه وهو المسيطر على عواهنه والسائق والقائد له. وما العمل على تطويع النتيجة دون العمل على أصلها السببي إلا عملاً يزيد من تعليق تلك النتيجة بسببها، ويُمثّل علاقاتها أكثر فأكثر. فمن جانب موضوعنا هنا، إن المجتمع التقليدي يظل أحد انعكاسات المجتمع الافتراضي أو، على الأقل، متأثرًا به إلى حد كبير. فيقف العمل الدعوي الشرعي على التركيز على مسرح مرآوي منفعل متأثر بغيره ليطوّعه إليه. وهذا يجعل من العمل ضائعًا عاملاً في جهة غيره.

لذا، لا بد من إعمال الجهود وادخارها نحو توطين قيمة حماية الوطن النبوية في وسائل التواصل الاجتماعي (الإعلام عمومًا) مادامت هي الأساس وهي المجتمع والدولة الجديدين.

### ثانيًا؛ سيكولوجيًا:

تقوم وسائل التواصل الاجتماعي على المنافسة الإعلامية، المنافسة في كسب أكبر كم من الجماهير، المنافسة على إحراز أكبر الحشود النسبية، المنافسة على تحقيق عمق التأثير في المنخرطين، المنافسة على جذب النخب الاجتماعية والفكرية والسياسية من النشطاء والمتقنين والسياسيين والمفكرين...، المنافسة على جلب تفاعلات أكثر من المنخرطين وهكذا. وهذا العمل يخلق أثرًا ممتدًا على نفسية المديرين لوسائل التواصل الاجتماعي ولوسائل الإعلام عمومًا بما ينعكس على البرامج والتطبيقات والمحتويات التي تهيكّل هذه الوسائل، فيؤثر ذلك طردًا وعكسًا على المزاويلن لهذه

الوسائل والمنخرطين فيها. إذ إن "المنافسة الإعلامية ينعكس تأثيرها على أفكار ومشاعر وتمثلات وسلوكيات جمهورها"<sup>(1)</sup>.

إن خلق منافسات وحيانية طي هذه الوسائل بمنطق "وفي ذلك فليتنافس المتنافسون" لا يقف مراده الجمالي عند الحفاظ على الممتلكات النفسية للجمهور وحسب؛ وإنما حتى على تكثير كم وكيف الجماهير وتعميق التأثير في نفسيتهم وذهنياتهم.

وإذا كان هذا التأثير التذهني والنفسي والسوسولوجي منعكسًا على السلوك بالضرورة وبينهما تعانق مطلق واستنزاف غير مشروط؛ فإننا نكون هنا قد وقفنا في الصف الذي يتيح لنا ربط السلوك التربوي بوسائل التواصل الاجتماعي بالمواد القرآنية والقيم النبوية الكريمة.

يؤثر الإعلام في التأثير على السلوك الفردي والجمعي لتحصيل سلوك ذي طابعين:

١- سلوك مستهلك من حيث إنه تشكيل حضر في الذهن وتفجر في السلوك، إنه جزء من منظومة ذهنية-سلوكية يكون الفعلي فيها جزءًا من مجموع الشكل. وصناعة الذهن تمت بمواد وأشكال إعلامية، فالسلوك الناجم عنها مستهلك من جراء كونه نتيجةً لمسلسل منطقي مهندس سلفًا.

٢- سلوك مستهلك، من حيث تركيز وسائل الإعلام على جعل سلوك الفرد مستهلكًا لموادها، فالذهن يستهلك الأخبار والشائعات والتوجيهات والإشهارات التجارية لدفع السلوك نحو أداء خدمات معينة وإنتاج سلوكيات بعينها واستهلاك منتوجات اقتصادية وثقافية حتى تتم عملية تصريف السلع الفكرية والاقتصادية.

إن الفوز بموضع قدم في الذهن يترجم سلوكيًا، على الأقل، بوجه ما. وإشباع الذهن بقيمة

---

1- L. J. Shrum. What's So Special About Entertainment Media and Why Do We Need a Psychology for It?: An Introduction to the Psychology of Entertainment Media. The psychology of entertainment media: blurring the lines between entertainment and persuasion/L. J. Shrum, editor. LAWRENCE ERLBAUM ASSOCIATES, PUBLISHERS Mahwah, New Jersey London. 2004. P 2.

حماية الوطن النبوية سيبلور القصد نحو السلوك الذي تمتلئ به قيمة حماية الوطن النبوية. فإحراز تربية وحيانية في السلوك يكون بتمرير الأفكار في الذهن وإعادة صياغة السلوك لها فعلياً ليكون مثالاً عملياً يشخص المعنى في الذهن ويمد من هذا المعنى في بعد جديد وهو البعد السلوكي.

إن هنالك علاقةً بين الذهن والإعلام بما ينعكس على السلوكين، اللغوي والفعلي. إنه أداة فعالة لتوحيد العالم ليس نحو تبيته قرية صغيرةً وحسب؛ وإنما حتى نحو توحيد الذهن والسلوكين، اللغوي والفعلي، والقضاء على السياق النفسي الخاص بكل فرد، وعلى السياق الاجتماعي الخاص بكل مجتمع. فما يتمثل في الإعلام كحدث اجتماعي يترجم في الحياة الحقيقية.<sup>(١)</sup> بيد أن هذا القضاء يمر عبر تقديم خطاب من مصدر (إعلامي) واحد لصياغة ذهن ومجتمع واحد.

إن تسليك القرآن والسنة وطبها قيمة حماية الوطن النبوية طي الإعلام، يدرأ هذه المفاصد التي تجعل من تعدد الأذهان والمجتمعات معنىً واحداً متواطئاً، ويجلب مصالح من نوع تعزيز مختلف الأذهان والمجتمعات في علاقاتها بالوحي؛ أعني أن هنالك ذهنيات لها علاقة علمية بالقرآن الكريم تترجى الغوص في علومه الشرعية ومفاتيح معارفه الجلدة، بينما تكون أخرى منكبّة على الالتذاذ بلطائفه ونكته الرقيقة، وثالثة تجبذ الاطلاع على أسراره ومقاصده أو توحيده أو نحوه. والأمر عينه في المجتمعات المختلفة حيث يركن مجتمع ما للاجتهاد والرأي (كما كان مجتمع العراق في عصر أبي حنيفة... مثلاً) في حين يميل آخر إلى الأثر (كما كان مجتمع الحجاز في عصر مالك... مثلاً) ونحو ذلك.

إن الوحي لا ينمط أفراد ومجتمعاته تحت سقف فكري واحد أو سلوك واحد؛ بل يدعو للتنافس في الأعمال الصالحات، والتسارع في ازدياد المعارف والعلوم، والتسابق في تحصيل الإيمانيات. فهنالك خطاب متفاوت التيسير والأفق والعمل يظهر جلياً منه أنه يلاحظ اختلاف أفراد ومجتمعاته، ما دام أن "الميديا أو الإعلام يؤثر في مجالات إنسانية عميقة، في السلوك، في التفكير، في الأسس الاجتماعية، في السيرورة النفسية، في العلاقات والتواصلات، في المجالات

١ - انظر:

David Giles. Media psychology. (New Jersey, London: Lawrence Erlbaum Associates, Inc., Publisher, 2003). P.19.

العاطفية والفعلية، في القضايا السياسية"<sup>(١)</sup> يُترجم في التذهنات والخطاب والسلوك على نحو ما. وإن تأطير الذهن بمواد قرآنية مقروءة عبر وسائل التواصل الاجتماعي لا يكفي، بل؛ لابد من تمثيل الوحي بأحداث فعلية (تصوير إمام بالناس صلاةً يقرأ القرآن الكريم... مثلاً..). لأنها من أسهل الوسائل لتحصيل تأثير صامد، خصوصاً في الذهن الناشئ (الصبي...). وما نريده بالضبط، هنا هو إعادة تعريف العلاقات التي أشرت هذه الوسائل الاجتماعية على ضرورة إعادة تعريفها، وهذه الإعادة تتطلب إدخال قيم الوحي وطبيها قيمة حماية الوطن النبوية في حدها ورسمها.

**المطلب الثاني: وسائل التواصل الاجتماعي؛ كيف تكون رافعةً من روافع حماية الوطن، وكيف تكون تهديدًا له**

إن الكلام السالف الذكر يدندن حول مرامات المصالح جلبًا وقطاعات المفاسد درءًا. ولتحديد كلام حولها أكثر يقال:

(١)

### مع المصالح

إنه لمن المصالح المحققة بوسائل التواصل الاجتماعي الإشادة بالتأطيرات التالية:

١- توفير قيمة حماية الوطن النبوية للآخر وتوفيرها له وتزويدها بمحمّلات إضافية من حيث وقت مشاركتها بما يناسب الحالة الذهنية للمنخرط، ومن حيث المضافات التابعة من الألوان ومثيرات الإثارة.

٢- وسائل التواصل الاجتماعي تخلق الترفيه للمنخرط الكاسد للقهر والضغط النفسيين، وهذا يجعل من الوحي مستثمرًا في لحظات الفرح التي يكون فيها الذهن مستقبلاً أكثر للمعنى بحب.

إن هذا:

أ- يجب اللاوعي في المادة المقدمّة. وهذا يعني أن لحظات التثقيف المهنية بالوحي التي تحصل

1- David Giles, Media psychology. P. 6.

في المساجد والمعاهد والجامعات وحتى في الشبكة العنكبوتية في مواقع الدراسة بما يخالفها من لحظة الجد حيث يؤخذ المعنى بالانضباط والالتزام دون أن يعني ذلك أخذه بحب والثناء؛ ستكتمل بلحظات الترفيه المضبوط شرعاً حيث يؤخذ المعنى بما يخفف على النفس حباً وبما يعني أخذه بحب والثناء، وهنا يتربع التثقيف بالوحي عرش **المستقبيلات** الذهنية في لحظات الأخذ بالأمر كإلزام وأخذه له كحب فحماية بعد ذلك بالضرورة، فتكتمل عمليات الأخذ الوحي قيمة حماية الوطن النبوية بما لا يتنافى معه. وهذا التثقيف الترفيهي يحفز على التثقيف الإلزامي أكثر ويجببه والعكس صحيح بحيث كل يقوي ويعضد الآخر.

إذن؛ إذا كان المتعلم من طلاب الشريعة أو القيم النبوية، فإن نسج وسائل التواصل الاجتماعي بالمواد القرآنية، والحالة هذه ونحن نفترض انخراطه فيها، سيكسر رتبة التعلم الجدية والإلزامية ويحلّيها بالترفيه المحبّب طبعاً في النفس البشرية. وهذا يعود بالنفع عليه من جهتين: ١- أنه يخفف عنه ضغط التعلم الجدي بما يكسر الرتبة والقهر النسبي. وبهذه الراحة المؤقتة يعود بنفس جديد لمزاولة الدراسة بجدية أكبر. ٢- أنه يأخذ الوحي في لحظات الحياة جميعها؛ الإلزام من الآخر والالتزام من نفسه، والذي دفعه لهذا الأخير هو تحبيب الدرس الوحياني له من خلال نقله له عبر وسائل ترفيهية خففت من حدة الجد الرسمي والانضباط الأكاديمي نحو نوع من السيولة المرنة التي لها وداعة روحية وإثارة ترفيهية على المتلقي المترقّف لمزيد من التلقي الجدي.

إن الترفيه الشبكي الذي نتحدث عنه هنا يكون مجرد محفّز هامشي من أجل دفع المتعلم البالغ نحو التثقف الجدي في المدارس والجامعات وقراءة الكتب الخاصة بالقيم النبوية وحماية الوطن. لكن الهامشية تبيت محفزاً مركزياً بالنسبة إلى الأطفال الذين يعد الترفيه مشكلاً أساساً في جهازهم النفسي.

ب- إن ضخ وسائل التواصل الاجتماعي مثلاً بالقيم النبوية بما هي فضاء ترفيهي سيجعل من الأطفال -أقصد غير البالغين- المستهدف المركزي -وهم حسب ما تؤكد إحصاءات كثيرة، ينشطون بقوة في هذه الشبكات-، وهذا يُسهم في توعيتهم بقيمة حماية الوطن النبوية مثلاً عبر ترفيهية لا تصرفهم عن مثل هذا التعلم، كما أن تشويقهم لذلك سيدفعهم دفعاً نحو الأخذ والجد في الدروس والمدارس، خصوصاً أنهم هم حاضر الغد وأمل الآن.

إن هذا يكسبهم خبرةً يسيرةً المأخوذ والمدرك لرفاه قناتها، فضلاً عن أن هذه الوسائل توفر لهم الاطلاع على الجديد بأنفسهم دون إخبار ما من أب أو معلم، وتجعلهم قادرين على التفاعل معها بدون مضايقات فوقية - وهذا هو حد الترفيه؛ ذلك الفعل المرفوع عن إملاءات الآخر إلا ما تمليه الذات-. وهذه الخبرة إن كانت مشكّلةً من نتاج تفاعلهم مع الوحي الذي حصلوا عليه من خلال هذه الوسائل؛ فإنها بوادر جيدة في بناء الشخصية القرآنية الممتازة. وتحفيز هذه البوادر عبر شبكات التواصل الاجتماعي هو القصد.

٣- إن وسائل التواصل الاجتماعي تسبّل الحدود العائقة عن ربط العلاقات الإيجابية. وهذا يعني أن نقل القيم النبوية وقيمة حماية الوطن النبوية عبرها يجعل كل امتيازاتها التي تمنحها لروادها من زيادة التقدير للذات وتصفية النفس من بعض الضغوط المرضية ممرورةً عبر مادة الوحي. أعني أن المنخرط لن يميز في وعيه بين الراحة المنتعش بها هل هي من بركة الوحي أو من إيجابيات هذا الوسائل. ولهذا في القابل نقاط سلبية وهي أن سلبيات هذه الوسائل قد تسند للوحي دون الوعي بنقاط الافتراق وأصل السليبي.

٤- هناك اختلاف بين الأشخاص في استعمال وسائل التواصل الاجتماعي سواء في توقيت الاستعمال أو نوعية المشاركات أو التوصلات أو في ارتفاع أعداد المنخرطين فيها سواء في الفيسبوك أو China's Qzone كزون الصيني أو غوغل بلاس Google+ أو تويتر Tumblr أو ويبو، Weibo. وهذا يعزز ضرورة التأكيد على اختلاف الخطاب الوحياني، وتكثير المواد المنشورة باختلاف نوعيات هذه الوسائل ونوعيات روادها، وتوقيت مشاركة مواد المختلفة بحسب الوقت والحال. فالعمال الذي يفتحون في وقت الاستراحة عن العمل لا بد من مشاركة لحظتهم تلك، بقيم نبوية لطيفة تتعلق بالنكت والفوائد والأسرار الجمالية القرآنية، بينما وقت العمل تشارك فيه مواد قرآنية تثقيفية دقيقة. ومواد الصباح الباكر ليست كمواد الليل الدامس وهكذا.

(٢)

### ضدًا على المفاسد

تبعث وسائل التواصل الاجتماعي قيمة الامتلاك في الذهن، امتلاك عالم تختار بإرادة حرة من يسكن فيه، وتقدر على إعدام من تريد بطرده من هذا العالم. هذا الامتلاك بقدر تركزه في الذهن وتمدد الاعتقاد من مجرد أنه عالم افتراضي إلى أنه عالم حقيقي، يضعف امتلاك النفس لذاتها أمام إغراءات الدخول إلى هذا العالم دومًا، فهو امتلاك للعالم بضمن التخلي عن امتلاك الذات. لكن هذه النقطة تستثمر في أن تهديف هذه الوسائل نحو الوحي وجعلها حاملة لمشروعه قد تساهم في تمليك الذات للوحي ببعًا عن طوع واختيار. لكن هذا لا يفهم إلا في سياق أن هذا الامتلاك يضعف علاقاته بعالمه الحقيقي، إذ إنه:

١- يضعف علاقاته بأصدقائه الحقيقيين حتى الذين هم معه في صفحته الإلكترونية، كأنه يعتقد أنهم ملك له ماداموا يسكنون عالمه وله حرية إبقائهم على قيد الحياة في عالمه أو إعدامهم منه عبر مسحهم وتحميدهم. وهذا يؤدي إلى خروج المرء عن الواقعية؛ الأمر الذي بمجموعه يصيبه بنوع من الاستكبار والغرور.

٢- إنه يقلل من علاقاته الاجتماعية الحقيقية بأسرته وأصدقائه، إذ الوقت الذي كان يقضيه وسطهم؛ يقضيه الآن وسط عالمه الافتراضي. وإن كونه في شبكات التواصل الاجتماعي تفاعلًا وترفيهاً وضحكًا ومشاهدةً وتواصلًا، يضعف عنده قوى هذه الملكات الفطرية، ويشبعها لديه بما لا يدع توفيرًا منها لإفراغها على الأسرة أو الولد أو الصديق؛ الأمر الذي يضعف عنده حس صلة الرحم وزيارة المريض وتعزية دار موت (إذ يكتفي بتدوينه يعلن فيها عزاءه للمتوفى له...) وخلق هوية جديدة تنافق في ضحكها ومشاعرها وسلوكها (إذ يمثل أنه يضحك عبر الكتابة وهو ليس كذلك).

٣- أثناء مواجهته لمشاكل أسرية أو نفسية أو اجتماعية (دراسية...) أو فكرية (إشكال فكري...) إنه يميل لعالمه الذي ينسب مشاكلكه ويتيح له نوعًا عالمًا خاليًا من تلك المشاكل مما يضعف عنده رباطة جأش المواجهة ويسبب له في مواجهة تعقيدات الحياة وصعوباتها. الأمر الذي يجعل

من هذه الشبكة كالحمرة المغيبة للعقل في فترة تستدعي تجلده وجهاده.

٤- إذا كان لديه أصدقاء كثر في عالمه الافتراضي؛ وإذا كانوا يظهرون له احترامًا بحكم ما يظهره لهم من أجمل خصاله ولحظات حياته؛ فإن هذا يحسسه بقوة على مستوى علاقاته المفتوحة، وعلى مستوى توهيم ذاته هويةً محترمة. وهذه القوة الموهومة تدفعه نحو:

أ- الاستعلاء.

ب- تحصيل قوة موهومة.

ج- التسلط على غريمه، بحكم الاستقواء بالآخر، وبحكم معابته لسلبات غريمه، الأمر الذي لو التقى عيانًا مع من توهيم فيهم القوة وبهم الاستقواء؛ لوقف على نقصهم وضعفهم ولما توهيم الاستقواء بهم بذلك القدر ولما احتقر من عاين منه ذلك<sup>(١)</sup>.

٥- إن شبكات التواصل الاجتماعي تغير الهوية والهوية، وذلك لما تغيره من انطباعات وأحكام مسبقة وسلوكات في الفرد، كأن تكون هويته هي المشي فصار وقت المشي يكتفي بفتح شبكة تواصلية. كما أنه يجعلنا نتلقى هويتنا من الخارج، أي عندما نضع صورنا ومعلوماتنا الشخصية على صفحة اجتماعية ونتواصل من خلالها على أنها نحن؛ إننا نتلقى هويتنا من غير ذاتنا ونصنع من يمثلنا. كما أن هذا الممثل لنا يصنع لنا سمعةً معينةً بموجب ذلك. إذن لنا ثلاثة مفاهيم هنا؛ تغيير الهوية، تلقي الهوية، سمعة الهوية.

إن تسليك قيمة حماية الوطن النبوية عبر هذه الوسائل يجعلنا نخاطب وسيط الهوية وممثلها، أي نتخاطب بحاجز، وهذا عائق أمام غرز قيمة حماية الوطن النبوية في الذهن والسلوك،

١- دبل رون هاموند و غرايس شو Hui-Tzu Grace Chou, Ron Hammond على أن العلاقات الشبكية online interaction وخصوصًا الفيسبوك تجر الدارس الشاب إلى إضعاف علاقته الحميمة (الزوجية مثلاً) نظرًا: ١- لحضور ذهنه فيها أكثر من حضوره مع شريكته، ٢- ولأن العلاقة التي يتيحها له الفيسبوك مثلاً تشعره بالقوة أكثر في الوقت التي تجعله خائرًا أمام مواجهة المشاكل. وهو الأمر الذي تفتي بضده العلاقات غير الافتراضية offline interactions .

Ron Hammond, Hui-Tzu Grace Chou. Using Facebook: Good for Friendship But Not So Good for Intimate Relationships. P 47-48.

لكنه في الوقت ذاته تعبير عن خصوصية هويته ودقائقها الشخصية وتفويض لممثل وثق به لتمثيل الذات والهوية. وهذا يفترض إيداع الثقة في الشبكة التواصلية وإيكالها الحق في التعبير عن الذات وتفويضها تمثيل الذات.

٦- إن وسائل التواصل الاجتماعي مادة لبث العنف (العنف الرمزي-اللفظي، العنف الجنسي، العنف السلوكي من الضرب...) في النفوس (وخصوصاً في الأطفال) والمجتمعات. بل إن الارتباط العليّ لإعلام العنف بالعدوانية -حسب ليونارد إرون- Leonard Eron- أكثر قوةً من ارتباط شرب الدخان بسرطان الرئة.<sup>(١)</sup> وهذه المفسدة العامة، أي شحن بعض مواد التواصل الاجتماعي بالعدوانية والتطلع نحو العنف ممارسةً، قد يستثمر لها القرآن الكريم كخطاب جمالي مهديّ ومهذب ومصنف للنفس البشرية من الضغوط النفسية والقهرية العنيفة لكونه خطاباً جمالياً يُلذذ الحياة نحو طابع السلم ويريح النفس نحو الاستكانة ويشذب الفؤاد نحو الطمأنينة بما يعدم القلق السلبي في القلب ويقلبه سكيناً مستمرةً.

٧- تتسم وسائل التواصل الاجتماعي بالمراقبة والضببط والسيطرة، وتجعل المنخرط تحت مراقبة أوسع من عديد الأشخاص. ذلك أن هنالك مراقبة تتم من الآخر على الذات حول مهنته وهوايته وأماكن قضاء عطله وأشغاله، إذ إن هذه الوسائل تتيح إمكان الاطلاع على المعلومات الشخصية التي تمثل صاحب الصفحة، والاطلاع على أصدقائه، أو على الأقل، الذين يتفاعلون مع مشاركته بالإعجاب أو التعليق...

وهذا يتجه نحو وجوب استهداف الشخصيات الوازنة علمياً أو ثقافياً أو سياسياً عبر استثمار اختلافاتهم المعبر عنها في وسائل التواصل الاجتماعي، أعني أنها وسائل صادقة للتعبير عن ذاته وما يجب وما لا يجب حيث المتفاعل في الفضاء الحقيقي "يشارك مشاعر حقيقية"<sup>(٢)</sup> ويمكن تحديده عبر أكثر من وسيلة، إذ مشاركته نصاً في تويتر وصورةً في الأنستغرام، وصوتياً أو فيديو في الفيسبوك وكتاباً في لنكدن... كل هذا بمجموعه يفصح عن وجهة ما من شخصيته، الأمر الذي يعطي صورةً لا بأس بها عنها، مما يمكن من تقصيد القيم النبوية وطبيها قيمة حماية الوطن النبوية المشاركة

1- David Giles. Media psychology, p. 10.

2- Ron Hammond, Hui-Tzu Grace Chou. Using Facebook: Good for Friendship But Not So Good for Intimate Relationships. P 42.

في هذه الوسائل بما يلائم هذه الشخصية، ومشاركتها في الحثيات المؤثرة من حيث توقيتها الملائم -مثلاً- لوقت استحمامه أو تثقيفه بمواد تلائم حالاته تلك.

### ٣

## إذن؛ وسائل التواصل الاجتماعي تهديدٌ للوطن

إن هذا الاستثمار الرائع لوسائل التواصل الاجتماعي في سبيل حماية الوطن والذي تحدثنا عن بعضه هنا، قد يُستخدم نفسه في تقصيد هذه الوسائل بما يهدد سلامة الأوطان من قِبَل أعداء الوطن ممن لا خلاقَ لهم. لهذا؛ ١- قد يستغل مهددو الوطن صمت أبناء الوطن عن مُلاسنَة العدا في هذه الوسائل ورد إشاعتهم، ٢- أو يستغلون ظروفًا نفسية اعتبارية تخص أبناءه فيقومون بتهديفها نحو تهديد وطنهم واستغلال وعيهم بقيمة ما لديهم، ٣- أو يستثمرون نفس استراتيجيات تسليك قيمة حماية الوطن النبوية عبر هذه الوسائل، والتي ذكرنا بعضها في هذا البحث، سيكولوجيًا وسوسولوجيًا لفائدة تهديده ولفائدة مصالحهم الذاتية، أو غير ذلك..

إن الوعي بقيمة وسائل التواصل الاجتماعي ودورها الاستراتيجي في توعية الناس بمكائد الأعداء وبطرق حماية وطنهم ومجاهة أنياب العدا هو مكسب أصيل حثت عليه أصول السنة النبوية الشريفة. فعن مالك بن الحويرث قال: "أتينا النبي ﷺ ونحن شبيهة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة وكان رسول الله ﷺ رفيقا فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا أو قد اشتقنا سألنا عن تركنا بعدنا فأخبرناه قال ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها وصلوا كما رأيتموني أصلي فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحذكم وليؤمكم أكبركم."<sup>(١)</sup> فهنا أوجب الحديث حماية الأوطان حمايةً مطلقةً، ومثّل فيها بذلك بضرورة حمايته من الجهل الذي يُعقب الهزيمة دوماً، ومن ثم؛ خسارة الوطن. فأبرز روافع حماية الأوطان هو من كل التهديدات التي قد تصيبه تبتدئ بالعلم، علم أهله وأبنائه وتعميم الوعي بقيمة الوطن وبقيمة حمايته.

١- أخرجه: البخاري، كتاب خبر الآحاد، باب: باب ما جاء في إجازة خبر الواحد، رقم: ٦٨١٩.

## خاتمة

يمكن اقتضاب خلاصة البحث في التالي:

- وسائل التبليغ للقرآن الكريم والقيم النبوية وقيمة حماية الوطن النبوية غير معدودة، وينبغي استثمار كل الوسائل الصالحة والناجعة في سبيل هذا التبليغ مادام إيصال المضمون للعالمين هو القصد.
- تشكل وسائل التواصل الاجتماعي مجتمعاً شبه قائم بذاته ومواز للمجتمع الحقيقي. والإغفال عن كون القرآن فيه هو تضييع لأرض معنوية خصبة لتبليغ قيمة حماية الوطن النبوية.
- تقدم وسائل التواصل الاجتماعي هويةً جديدةً لروادها، وهذه الهوية لا بد أن يشارك الوحي في بلورتها ويعاين تأسيسها.
- تعبر وسائل التواصل الاجتماعي عن حالات ذهنية متعددة، منها الحب، الأمان، الاعتراف، التقدير، الاحتياج، الحماية، التحيين الذاتي، الفهم، الظهور، السعادة. وكلها تُحِيل على نطاق مركزي لها هنا وهو الاحتياج. وهذا أمر ممكن جداً لوضع جسر بين هذه الحالات الذهنية وبين أعمال القلوب وأقوالها الإيمانية (وقد أوضح البحث كيفية ذلك).
- لا بد من التعامل مع هذا المجتمع الافتراضي الذي تصنعه وسائل التواصل الاجتماعي بعقلية تخطط لمدى بعيد، وترى المستقبل باستراتيجيات شاملة مثل استراتيجية استثمار كل صالح، واستراتيجية تهديف الاحتياج، واستراتيجية العمل على كل المناحي ومضاعفة العمل على المنحى الأهم (والتي فصلها البحث) لصنع إمكان التوفيق بين المجتمعين؛ الحقيقي والافتراضي في الفرد بالوحي وقيمه.
- لا بد من ترجمة أعمال القلوب سلوكياً بما يوازي انغراسها، كأعمال قلوب معنوية، في المجتمع الافتراضي، وسلوكها، كأفعال مظهرية، في المجتمع الحقيقي بما ينتج لنا مجتمعاً تربوياً بالوحي وقيمه وطبها قيمة حماية الوطن النبوية.

- لا بد من درء المفساد - التي عددها البحث - التي تكمن وراء وسائل التواصل الاجتماعي بالقرآن وجلب مصالحها - التي عددها البحث - تريباً بالوحي وقيمه وطبيها قيمة حماية الوطن النبوية.

وعليه؛ فإنه وفي خضم هذه المفساد كلها لا بد من إبدالها مصالح محققة. وإن المسطر فوق، يعد كاقترح لدرء مفساد الأضرار الناجمة عن هذه الوسائل، والتي منها -تباعاً- عدم دوام الارتباط بموادها السريعة النسيان الحثيثة الذهاب، سواء معلومتها أو الأصدقاء المكتسبين من خلالها، كأننا نصيره أداةً لتعزيز الواقع، الواقع المدرسي، الجامعي، وغير ذلك، لـ"تصيير متوسط وسواء الفساد طريقاً لأكثر الصلاح والمصلحة فيما هو فيه -أي ذلك المتوسط الفساد- فساد".

### توصيات البحث:

يوصي البحث بالتالي:

- ١- وضع واستثمار استراتيجيات تقصّد وسائل التواصل الاجتماعي لتبليغ الوحي وقيمه وطبيها قيمة حماية الوطن النبوية وتجاوز العمل الفردي لبناء عمل غير عشوائي.
- ٢- استثمار كافة أنواع وسائل التواصل الاجتماعي المرئية والمسموعة، وتبليغ الوحي وقيمه وطبيها قيمة حماية الوطن النبوية عبرها في جهتها التي وضعت لها.
- ٣- خلق منافسات بين العاملين على تبليغ الوحي وقيمه وطبيها قيمة حماية الوطن النبوية عبر وسائل التواصل الاجتماعي لضمان تقدم وتحرك قويين، والسير نحو جودة كيفية في العمل المقدم بما يوازي قدرًا كميًا مسؤولاً.
- ٤- استثمار مفاهيم ومناهج علم نفس الإعلام وعلم اجتماع الإعلام لصنع خارطة نفسية واجتماعية واضحة لهذه الوسائل ولروادها ولفهم كيفية اشتغالها وآليات عملها بغية تحصيل تبليغ أحسن الوحي وقيمه وطبيها قيمة حماية الوطن النبوية عبرها.
- ٥- تجنب المفساد الإعلامية كالفخاخ والمستنقعات التي تطفح بها هذه الوسائل وتجنب وسائل

التسويق الشبهة المستخدمة من قبل الشركات الرأسمالية.

٦- التركيز على اللاوعي والاشتغال عليه لأهميته القصوى في صياغة الوعي والسلوك اللغوي والفعلي. ويمكن النفاذ إليه وإنفاذ الوحي وقيمه وطبيها قيمة حماية الوطن النبوية فيه عبر الاستثمار الجيد لوسائل التواصل الاجتماعي.

٧- الانفتاح على فلسفة الذهن لفهم عمل الذهن وأنماطه وطرق اشتغاله لاستثمار تلك المعرفة في تقصيد وسائل التواصل الاجتماعي نحو خدمة الوحي وقيمه وطبيها قيمة حماية الوطن النبوية.

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص.
- البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري.
- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم.

### المراجع الأجنبية:

- Boyd, D.M., & Ellison, N.B. Social Network Sites: Definition, History and Scholarship Journal of Computer-Mediated Communication,13(1), Article11. (2007) Online:  
<http://jcmc.indiana.edu/vol13/issue11/boyd.ellison.html>
- David Giles. Media psychology. (New Jersey, London: Lawrence Erlbaum Associates, Inc., Publisher, 2003).
- McLuhan, M. Understanding media: The extensions of man. (London: Routledge & Kegan Paul .1964)
- Matthew Thomas Parrott. Agency and First-Person Authority (University of California, Berkeley: Usa. 2014)
- Gibson, J.J. The ecological approach to visual perception. (Hillsdale, NJ: Erlbaum .1979).
- Ron Hammond, Hui-Tzu Grace Chou. Using Facebook: Good for Friendship But Not So Good for Intimate Relationships. 43. The Psychology of Social Networking: Personal Experience in Online Communities. Vol 1. Giuseppe Riva, Brenda K. Wiederhold, Pietro Cipresso (Eds.), Managing Editor: Aneta Przepiórka, (De Gruyter Open Ltd, Warsaw/Berlin: 2016)
- The Psychology of Social Networking: Personal Experience in Online Communities. Vol 1. Giuseppe Riva, Brenda K. Wiederhold, Pietro Cipresso (Eds.), Managing Editor: Aneta Przepiórka, (De Gruyter Open Ltd, Warsaw/Berlin: 2016) .Psychology Of Social Media: From Technology To Identity. Giuseppe Riva, Brenda K. Wiederhold, Pietro Cipresso,
- What's So Special About Entertainment Media and Why Do We Need a Psychology for It?: An Introduction to the Psychology of Entertainment Media L. J. Shrum. The psychology of entertainment media: blurring the lines between entertainment and persuasion/L. J. Shrum, editor. LAWRENCE ERLBAUM ASSOCIATES, PUBLISHERS Mahwah, New Jersey London. 2004.

أخلاقيات القائم بالاتصال  
والدور المفترض في حماية الوطن  
دراسة في السنة النبوية

الدكتورة/ رقية بوسنان  
كلية أصول الدين/جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية  
الجزائر





## المقدمة:

تؤسس السنة النبوية للكثير من الأخلاقيات التي تعمل على ضبط العمل الاتصالي بعناصره المختلفة، ويعد القائم بالاتصال من أهم هذه العناصر على اختلاف سماته العامة، والفردية، والاجتماعية، ويقع على عاتق هذا العنصر الكثير من المهام والمسؤوليات، التي يسهم من خلالها في حل القضايا والمشاكل المنتشرة في الزمان والمكان، كما يسهم في التحضير والتطوير والتنمية، ويسهم في نشر الوعي بمختلف أشكاله السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والديني، هذا الإسهام الذي يكون بالطرق الإيجابية يتضمن هدفاً أسمى، وهو حماية الوطن وتأمينه والدفاع عنه ضد كل المخاطر والتهديدات، للمحافظة على الاستقرار المنشود.

ويؤدي القائم بالاتصال الكثير من الوظائف التي تدعم حماية الوطن، ولا يتم ذلك إلا في إطار أخلاقي والذي تكفله مختلف القوانين الدولية، كما تكفله مختلف الأديان، ومنها الدين الإسلامي الخاتم ومرجعياته: القرآن والسنة النبوية وعمل السلف الصالح، ويحتاج القائم بالاتصال في إطار هذه الوظائف الاتصالية المختلفة إلى ميثاق أخلاقي يعمل على تحري الصدق، والمصادقية، والموضوعية، وكل القيم التي تسهم في نشر دعائم السلم والأمن والعدل والخير، من أجل وطن ينعم فيه الفرد بالاستقرار فينطلق في البناء والتشييد، بعيداً عن كل الآفات التي تنتشر في كل العالم من عنف وتطرف و إرهاب، أتت على الأخضر واليابس ولم ترحم صغيراً ولا كبيراً، وأصبحت تتعدى معها الحياة الكريمة، وهي صفة الحياة التي تؤكدتها نصوص القرآن والسنة.

إن التركيز على أخلاقيات القائم بالاتصال من منظور السنة النبوية هو في تقديري من المقاصد الكبرى لحماية الوطن، وهو الجانب الذي لا توليه أقلام الباحثين في البيئة العربية والإسلامية العناية الكافية، اعتداداً بسيطرة الفلسفات الإعلامية الغربية على هذا المجال، والتي تنطلق من أبعاد سيكولوجية واجتماعية لمناقشة الجانب الأخلاقي للقائم بالاتصال، بعيداً عن الجانب القيمي، والمرجعية الدينية وتحديداً المرجعية الإسلامية التي تنطلق من نصوص الكتاب والسنة، وجاء هذا البحث ليؤصل لمنطلقات القائم بالاتصال في جميع المستويات الفردية، والجماعية، والجماهيرية،

والحضارية، وهو مجال تنذر فيه مثل هذه الأبحاث، خاصة المنطلقة من السنة النبوية، الذي يهدف إجمالاً إلى معالجة المجال الأخلاقي في الممارسة الاتصالية والإعلامية في ظل تكنولوجيا متطورة وحديثة يصعب محاصرتها والمعلومات المتدفقة منها، وهي نظير خصائصها المتعددة، قد تتعرض للتشويه المتعمد وغير المتعمد، والتي أفضت إلى فوضى في القيم الأخلاقية للممارسة الاتصالية، ما يؤثر في استقرار الوطن.

وتنعكس أخلاقيات ممارسة القائم بالاتصال لوظائفه على صورة المجتمع الذي يعيش فيه، كما تنعكس في عاداته وتقاليده، وهو في هذا الإطار يعمل ضمن منظومة متكاملة يسعى فيها عبر جميع الوسائل الاتصالية، إلى إحداث نسق قيمى يحفظ أنسجة المجتمع من الظواهر السلبية التي تؤثر في استقراره؛ فالرهان على أخلقة الممارسة الاتصالية أصبح أساسياً في العصر الراهن، في ظل التفوق الغربي في صناعة المعلومات وتوجيهها وحتى فرضها أحياناً بطرق متعددة واستراتيجيات مؤدجلة تسعى إلى توحيد النمط الاجتماعي لجميع الدول، وقد تحقق لها بعض هذا التوجيه، مما نلاحظه في سلوكيات الأفراد، من ملابس ومشرب وتعامل داخل المؤسسات والمرجعيات الاجتماعية، ومنها مؤسسة الأسرة تحديداً، وهو ما ينذر بضرورة مراجعة الدخيل والغريب والمستهجن من المعلومات التي تبث عبر البرامج الإعلامية والتواصلية التي تحمل مضامين سلبية وما أكثرها، مستخدمة جميع وسائل الاتصال من غير استثناء.

ولمعالجة موضوع الورقة ارتأيت تقسيمها إلى ثلاثة مباحث، الأول: تمهيدى، ورد فيه التعريف بمفردات البحث، تعريفاً يفضي إلى إبراز أهميتها، وانشغال الأدبيات المختلفة في الكتابة عنها، وجاء في المبحث الثاني، ما أطلقت عليه الوظائف الاتصالية في السنة النبوية، وحددتها في ست وظائف متكاملة، وتُسهم كلها في خدمة الوطن وحمايته واستقراره. وتناول المبحث الثالث قيم الممارسة الاتصالية من خلال نصوص السنة، ليؤكد أنها قيم إنسانية يمكن أن يشترك فيها جميع القائمين بالاتصال على مستوى العالم، وأكد المبحث أنه يمكن أن يؤسس لميثاق شرف اتصالي وإعلامي من نصوص السنة النبوية وإقامة البرهان على حجيتها وصلاحها لكل زمان ومكان.

## المبحث الأول: التعريف بمفردات الدراسة

### ١- تعريف الأخلاق لغة واصطلاحاً:

- **تعريف الأخلاق لغة:** لا تختلف قواميس اللغة فيما بينها في شرح كلمة الخلق كمفردة، وجمعها أخلاق، فجاء في لسان العرب أن الخلق والخليقة بمعنى الطبيعة، وفي التنزيل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، والخلق بضم اللام وسكونها: هو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه، وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة، ولها أوصاف حسنة وقيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة<sup>(١)</sup>، ويضيف القاموس المحيط: والخلق بالضم وبضمَّتَيْنِ بالتقديم والتأخير: السجية والطبع والمروءة والدين<sup>(٢)</sup>.

وفي مفردات غريب القرآن: "الخلق أصله: التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء"، واستنتج من ذلك: أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق، المبدع؛ وعليه فإن الأخلاق تجنح إلى هذا الإبداع فتكون مستقيمة، وما انحرف منها عن معنى إبداع الله، صار صفات ذميمة لا تدخل ضمن مفردة الأخلاق؛ قال الراغب: "والخلق يقال في معنى المخلوق، والخلقُ والخلقُ في الأصل واحد، كالشرب والشرب، والصَّرم والصَّرم، لكن خص الخلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخلق بالقوى والسجاي المدركة بالبصيرة"<sup>(٣)</sup>.

وجاءت الأخلاق في اللغة الأجنبية من كلمة Ethic وتعني باليونانية (خلق)، وتكون من المعتقدات أو المثاليات الموجهة التي تتخلل الفرد أو مجموعة من الناس في المجتمع. ولا بد من التمييز بين مفهومي: الأخلاق والأخلاقيات؛ فتعبير الأخلاق يستعمل بمعنى "éthique" وهو يتناول التصرف الأخلاقي العام لأي إنسان، بينما يستعمل تعبير الأخلاقيات بمعنى "déontologie"؛ أي مجموعة الواجبات والالتزامات الخاصة التي تنشأ عن ممارسة مهنة ما<sup>(٤)</sup>.

١- لسان العرب، ابن منظور، الجزء ٥، ص ١٤١.

٢- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص ٨٨١.

٣- مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٢٩٦، ٢٩٧.

٤- الأخلاق الإعلامية بين المبادئ والواقع، صدقة جورج، ص ٩.

- **تعريف الأخلاق اصطلاحاً:** يتفق الباحثون قديماً وحديثاً على أن الأخلاق صورة ظاهرة أو باطنة، تعبر عن ميول الفرد وسلوكياته في تعامله مع المحيط الذي يحيا فيه، وتكون هذه الأخلاق حسنة، أو ذميمة. وقد أفردتُ بعض التعريفات وأوجزتها للوقوف على مدلولاتها؛ فقد عرّفها أبو حامد الغزالي من القدامى بأنها: "عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية"<sup>(١)</sup>، وهو التعريف نفسه عند الجرجاني، مع تمة للعبارة "فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة، سميت الهيئة: خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة: خلقاً سيئاً، وإنما قلنا: إنه هيئة راسخة"<sup>(٢)</sup>.

وتعرف الأخلاق أنها معايير للسلوك يضعها الإنسان لنفسه أو يعدها التزامات وواجبات تتم بداخلها أعماله، وهي التطبيق العملي والواقعي للمعاني التي يديرها علم الأخلاق بصفة نظرية مجردة، وتعد شكلاً من أشكال وعي الإنسان يقوم على ضبط وسلوك الإنسان وتنظيمه في كافة مجالات الحياة الاجتماعية من دون استثناء؛ في المنزل ومع الأسرة وفي التعامل مع الناس، في كل مكان<sup>(٣)</sup>. بينما تعرف الأخلاقيات، بأنها مجموعة من المبادئ والقيم ومعايير الجماعة للسلوك المقبول، وهي مشتقة من العادات والأعراف الموجودة في مجتمع ما<sup>(٤)</sup>.

**٢- الأخلاق في نصوص السنة:** تكررت كلمة الأخلاق ودلالاتها في السنة النبوية، ووردت معظمها في سياق المدح، وموازاتها بالفرائض التي تقرب لله عزوجل، ثم الحث على التسليم بها، لما لها من فوائد عظيمة على الفرد والمجتمع، ويمكن الاستشهاد على ذلك في غير موضع بأحاديث الرسول ﷺ، ومنها: عن أسامة بن شريك، قال: قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ؟ قَالَ: حُسْنُ الْخُلُقِ<sup>(٥)</sup>، وعن أبي هريرة، قال: سئل النبي ﷺ - : مَا أَكْثَرُ مَا

١- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ج ٣، ص ٤٧.

٢- التعريفات، الجرجاني، ص ١٠١.

٣- المعجم الفلسفي، مصطفى حسبية، ص ٤٠.

٤- الإنترنت وسيلة اتصال جديدة، السيد بخيت، ص ٤٨٥.

٥- صحيح ابن حبان - كتاب البر والإحسان - باب حسن الخلق - ذكر البيان بأن حسن الخلق من أفضل ما أعطي المرء في الدنيا، رقم: ٤٧٨، صحيح.

يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ"<sup>(١)</sup>، وعن عائشة: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ"<sup>(٢)</sup>.

وتوضح نصوص السنة أن أشرف وظيفة للرسول ﷺ هي بناء الأخلاق باستمرارية من غير كلل ولا ملل، "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ"<sup>(٣)</sup>، فإتمام مكارم الأخلاق وفضائلها هو بمثابة إتمام وضع الأسس والقواعد التي يبني عليها أي نسيج اجتماعي، بداية من نسيج الفرد، ثم نسيج الأسرة، ونهاية بنسج المجتمع، وقد أكدت عائشة مرجعية هذه الأخلاق وأصلها وهو القرآن الكريم؛ حيث وصفت النبي بقولها: "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ"<sup>(٤)</sup>، والقرآن فيه أحكام لا حصر لها في مجال الأخلاق ومجالاتها، السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وفيه أوامر ونواه، وما يترتب عليها من الثواب للأخذ بمحاسنها والعقاب لتترك سيئاتها، ولست في معرض سَوْقِ هذه النصوص، فلن تسعها هذه الورقات وإنما سيتم التركيز على دلالات الأخلاق في ممارسة العملية الاتصالية بما يتماشى والسياق الذي سترد فيه.

**٣- تعريف القائم بالاتصال:** فرض القائم بالاتصال نفسه بوصفه مفهوماً منذ أن أصبح إنتاج الرسالة الاتصالية خاضعاً لنظام معقد، يقوم فيه القائم بالاتصال بدور بارز<sup>(٥)</sup>، بالإضافة إلى فهم التوقع بتأثير الاتصال؛ فتصور المتلقي للقائم بالاتصال أو المصدر، له دور أساس في تحديد نتائج عملية الإقناع<sup>(٦)</sup>.

ويتولى القائم بالاتصال إدارة العملية الاتصالية وتفسيرها في ضوء ما يتمتع به من قدرات

١- صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان - باب حسن الخلق - ذكر البيان بأن حسن الخلق من أفضل ما أعطي المرء في الدنيا، رقم: ٤٧٦، صحيح.

٢- مسند أحمد بن حنبل - مسند عائشة ﷺ، رقم: ٢٥٦٥٣، مرفوع.

٣- السنن الكبرى للبيهقي - كتاب الشهادات - جماع أبواب من تجوز شهادته ومن لا تجوز - باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، رقم: ٢٠٨٣٩، مسند صحيح.

٤- مسند أحمد بن حنبل - مسند عائشة ﷺ، رقم: ٢٥٢٤٠، مرفوع.

٥- الاتصال والإعلام على شبكة الإنترنت، محمد عبد الحميد، ص ٩٨.

٦- الأسس العلمية لنظريات الإعلام، جيهان رشتي، ص ٢٩٣

وكفاءات في الأداء الذي يحدد مصير العملية الاتصالية برمتها<sup>(١)</sup>، ويعرف "محمد عبد الحميد" القائم بالاتصال: "على أنه الشخص الذي يبدأ عملية الاتصال بإرسال الفكرة أو الرأي أو المعلومات من خلال الرسالة التي يقوم بإعدادها، للنشر والإذاعة وإرسالها مرة أخرى إلى جمهور المتلقين"<sup>(٢)</sup>.

ويبين "محمد حجاب" أن القائم بالاتصال هو شخص يستهدف التأثير في أفكار الناس ولديه خلفية واسعة عنها، يؤمن بها ويصدر عنها في سلوكه وتصرفاته، ويستخدم لذلك كافة إمكانيات وسائل الإعلام المتاحة والأساليب الإقناعية لتحقيق التأثير المطلوب وفق منهجين علمي وفني، مخططين ومدروسين<sup>(٣)</sup>، ويعرف حسن مكاوي وليلى السيد، القائم بالاتصال بأنه الشخص الذي يبدأ بصياغة الأفكار وتحويلها إلى معان لتوجيهها إلى الرأي العام.<sup>(٤)</sup>

والقائم بالاتصال على مستوى البحث هو الشخص الذي تتوفر فيه خصائص علمية وفنية وأدبية وأخلاقية، ويقدم من خلال مستويات الاتصال الشخصية والمباشرة والجماعية والجماهيرية والحضارية، رسائل ذات مضامين مقنعة وفاعلة، تنطلق من قيم مرجعيته الدينية والاجتماعية، يبثها عبر كل الوسائل التي توصلها إلى كل متابع أو مستمع بالطرق المطلوبة.

#### ٤- تعريف أخلاقيات القائم بالاتصال: تباينت المفاهيم المتعلقة بأخلاقيات القائم بالاتصال

باعتبارها معايير واختيارات توجه عمل الممارسين، أو باعتبارها منظومة من المبادئ والمعايير التي تستهدف ترشيد سلوكهم<sup>(٥)</sup>، ومع هذا اجتهد الباحثون في تخصص الإعلام والاتصال، في وضع محاولات وتصورات، لتقريب هذه المفاهيم بما يتيح استيعابها ووضوحها في السياق أو الحقل الاتصالي والإعلامي، على اختلاف وسائله ومحتوياته.

ويشير المفهوم إلى القواعد الواضحة للسلوك المهني في مؤسسات الوسائل الاتصالية، وكذلك الاتجاهات الفعّالة والدعاوى المتصلة بكل ما هو ملائم في أسلوب العمل والإنجاز، ومن أمثلة

- ١- الاتصال بالجماهير بين الإعلام والتطويع والتنمية، أحمد غريب بدر، ص ٤٩.
- ٢- العوامل المؤثرة في الأداء المهني للقائم بالاتصال، هادي مهدي صالح الجبوري، ص ٩٨.
- ٣- نظريات الاتصال، محمد حجاب، ص ١٦٨.
- ٤- الاتصال ونظرياته المعاصرة، حسن مكاوي وليلى السيد، ص ٤٤.
- ٥- الإنترنت وسيلة اتصال جديدة، السيد بخيت، ص ٤٨٥.

قيم الممارسة: الفكرة النموذجية التي تتمثل في الالتزام بالموضوعية في إعداد المعلومات، والدعوى المتصلة بأكثر الصور التكنولوجية ملائمة لتحقيق مهام اتصالية ذات نوعية خاصة، والدعوى الخاصة بتحديد مقاييس البرامج الجيدة<sup>(١)</sup>.

وتعرف أيضا بأنها مجموعة من القواعد المتعلقة بالسلوك المهني التي وضعتها مهنة منظمة لكافة أعضائها؛ حيث تحدد هذه القواعد وتراقب تطبيقها وتسهر على احترامها، وهي أخلاق وآداب جماعية وواجبات مكملة أو معوضة للتشريع وتطبيقه من قبل القضاء، وهذه الأخلاق المهنية تنبع أساساً من الأهداف النبيلة للمهنة وشرف الكلمة وتحقيق المصلحة العامة<sup>(٢)</sup>.

وعرفها "جون هوهنبرج" بأنها: "تلك الالتزامات الأساسية التي يجب أن يتحلى بها كل صحفي، والمتمثلة أساساً بضرورة العمل من أجل الوصول إلى تغطية منصفة وشاملة ودقيقة، صادقة وواضحة، مع مراعاة حماية المصادر وتحقيق الصالح العام، عن طريق احترام القانون وحقوق الحياة الخاصة للأشخاص وتصحيح الأخطاء في حال وجودها".

والأخلاق المهنية للقائم بالاتصال وفقاً للبروخوفمن هي "تلك المبادئ والمعايير الأخلاقية التي لم تثبت قانونياً بعد، ولكنها مقبولة في الوسائل الصحافية ومدعومة من قبل الرأي العام والمنظمات الشعبية والحزبية"<sup>(٣)</sup>، وهي مجموعة قيم ومبادئ خلقية وسلوكية، يلتزم بها القائم بالاتصال أثناء ممارسة عمل، وكذلك تلتزم بها المؤسسة الإعلامية أو الاتصالية، وتتمثل هذه الأخلاق في قيم عامة وتقاليد وتصرفات، بعضها عام ومشترك كقيم الصدق والنزاهة والتوازن، وبعضها خاص بالمجتمعات أو بالمؤسسات<sup>(٤)</sup>.

وتحدد أخلاق القائم بالاتصال أو أخلاقياته من وجهة نظري بمنبعين مختلفين: المنبع الأول يتمثل في تدين الفرد، الذي يفرض عليه الالتزام بمعايير محددة: نحو الصدق، والحياد، والالتزان، والمسؤولية، والرقابة، وهي معايير غير مفروضة، وإنما يعتنقها الفرد لأنه مقتنع بها وموقن بشئائيتها

١- الاتصال الجماهيري والمجتمع الحديث، سامية محمد جابر، ص ٢٧٥.

٢- إدارة المؤسسات الإعلامية، عطا الله شاكر، ص ١٠٥.

٣- أخلاقيات ومبادئ العمل الصحفي الإعلامي، مركز هردو، ص ٨.

٤- الأخلاق الإعلامية بين المبادئ والواقع، مرجع سابق، ص ٨-٩.

متضادة وهي الثواب والعقاب الإلهيين، وفيها تكون المسؤولية حرة، والصدق صفة، والالتزام سحبية، وغيرها من الأخلاق الإيجابية التي تمنعه من التعدي على الآخرين بالقول أو الفعل أو التلميح أو التصريح.

ويتمثل المنبع الثاني فيما تفرضه البيئة أو محيط الفرد من قوانين تنظم حياته سواء أكانت قوانين مرنة أم قوانين رادعة، وقد يلتزم الفرد في إطارها أو يتمرد، باعتبارها متغيرة ووضعية ولا تُخدم أحيانا إلا طبقة معينة، وتسلب عليها. ولعل من القوانين المشرعة في الإطار الاتصالي ما يؤطر لأخلاق الممارسين للعملية الاتصالية.

وتوجّه هذه الأخلاقيات بمواثيق؛ هي بمثابة توجيهات داخلية لقرارات مهنية في مختلف المواقف والموضوعات التي يواجها أثناء عمله، وهي نوعان<sup>(١)</sup>:

- **مواثيق إجبارية أو إلزامية:** وفي هذه الحالة تحمل المواثيق بعض أشكال العقاب لمن يخالف أو ينتهك ما جاء بها من معايير للسلوك المهني، ويدخل في هذا، الاحتقار أو التأنيب العام أو الوقف المؤقت عن مزاوله المهنة.

- **مواثيق اختيارية:** تقوم على أساس رغبة واردة من العاملين ففي المهنة، بحيث يترتب على موافقتهم عليها التزامهم بتنفيذ ما جاء فيها أثناء ممارستهم للعمل، وتعد هذه المواثيق بمثابة تنظيم ذاتي لهم.

وتعد مواثيق الشرف أو مواثيق الأخلاق المهنية مكملة للحقوق والضمانات المكفولة؛ إذ تعكس وتحدد الحقوق والضمانات التي يتعين توفيرها للمجتمع أو للبيئة التي تمارس فيها العملية الاتصالية ذاتها في مواجهة القائمين بالاتصال، ومن ثم تبلور هذه المواثيق المسؤوليات الاجتماعية والأخلاقية لرجال الإعلام حيال المجتمع الذي يعملون فيه، وحيال المجتمع العربي ككل، وحيال المجتمع الدولي ذاته، وتبنى على أساس أن الاتصال وإن كان حقاً للفرد، فهو أيضاً حق للمجتمع، وينبغي حماية حق المجتمع في الوقت الذي تحمى فيه حقوق الأفراد<sup>(٢)</sup>.

١- نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، محمد عبد الحميد، ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

٢- الاتصال والإعلام في الوطن العربي، راسم محمد الجمال، ص ٦٥.

ويمكن أن تكون السنة النبوية في نصوصها المتعددة، وفي ممارسات الرسول ﷺ ميثاقاً مثاليًا لأخلاقيات المهنة أو العمل الاتصالي، الذي ينبغي على كل ممارس محترف أو غير محترف أن يلتزم به، وهذا يتوقف على مدى تقبل السياسات الاتصالية لمثل هذه المرجعية الأصيلة التي تدخل ضمن دائرة ما تقر به الدساتير العربية بأن الإسلام هو دينها.

## المبحث الثاني: الوظائف الاتصالية في السنة النبوية وحماية الوطن

يُمارس الرسول ﷺ في إطار نصوص الدين الإسلامي بوحيتها (القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة) صوراً متعددةً لوظائف التواصل والاتصال مع الفئات الاجتماعية على اختلاف سماتها الفردية والاجتماعية، وهو يحرص من خلالها على الدعوة والإرشاد والتبليغ لإقامة مجتمع متكامل معاني، ومحمي من كل ما يقوض بنيانه، فكان له شرف قيادة المجتمعات التي أهلكتها الماديات، وأفسدتها الأهواء والمصالح الضيقة، وقد عرف أن الدين والاستمسك به وإقامة دعائمه، أساس كل قوة ومصدر لها وهو السياج لحماية الوطن وحرية وكرامته، وهو واجب محتم على الدعاة إلى الإسلام أو القائمين بالاتصال جماعات وأفراداً، ومن أجله كان عليهم أن يجندوا كل الإمكانيات لحماية مبادئه، وأن يجعلوا من ترسيخ العقيدة وحفظها سبيلاً للدفاع عن الوطن.

ولا يختلف أحد في أن الدين إذا فُقد أو غُلب عليه لم يغن من ورائه الوطن والمال والأرض، بل سرعان ما يذهب كل ذلك من ورائه، أما إذا قَوِيَ شأنه وقامت في المجتمع دعائمه ورسخت في الأفتدة عقيدته، فإن كل ما ذهب في سبيله من مال وأرض ووطن يعود، ويصير أقوى من ذي قبل؛ حيث يحرسه سياج من الكرامة والقوة والبصيرة، ولقد جرت سنة الله في الكون وعلى مر التاريخ أن تكون القوى المعنوية هي الحافظة للمكاسب والقوى المادية، فالوطن الغني في أخلاقه وعقيدته السليمة ومبادئها الاجتماعية الصحيحة، يغدو سلطانه المادي أكثر تماسكاً وأرسخ بقاءً وأمنع جانباً، والوطن الفقير في أخلاقه، مضطرب في عقيدته، تائه أو جانح في نظمها ومبادئها يغدو سلطانه المادي أقرب إلى الاضمحلال ومكتسباته المادية أسرع إلى الزوال.

وقد يصادف أن نجد وطنًا تعرّى عن كل مقوماته المادية من ثروة مادية وبشرية في سبيل الحفاظ على العقيدة الصحيحة، وما يتبعها من الخلق والنظام الاجتماعيين السليمين، وقد استحوذ عليه وعلى أمواله المغصوبة، ومع هذا نجد قوته قد عادت إليه مضاعفة معززة، هذه الصورة الصحيحة عن الكون والإنسان والحياة لا توجد إلا في عقيدة الإسلام، والأمر ينطبق كذلك على إيجاد نظام اجتماعي عادل وسليم، ولا يكون إلا في نظام الإسلام وهديه.

و"الحكمة، أن الشريعة الإسلامية تعبدت البشر بالوسائل كما تعبدتهم بالغايات، فليس لأحد أن يسلك إلى الغاية التي شرعها الله، له إلا الطريق المعينة التي جعلها الله وسيلة إليها، وللحكمة معان معتبرة، ولكن في حدود هذه الوسائل المشروعة فقط، فنصوص الدين تقوم على عماد الشرف والصدق في الوسيلة والغاية، فكما أن الغاية لا يقومها إلا الصدق والشرف وكلمة الحق، فكذلك الوسيلة لا ينبغي أن يخطأها إلا مبدأ الصدق والشرف وكلمة الحق، والسر في مشروعية الحكمة في الدعوة إنما هو سلوك أقرب الوسائل إلى عقول الناس وأفكارهم، ومعنى هذا أنه إذا اختلفت الأحوال وقامت عثرات الصد والعناد دون سبيل الدعوة، فإن الحكمة حينئذ إنما هي إعداد العدة للجهد والتضحية بالنفس والمال، إن الحكمة أن تضع الشيء في مكانه"<sup>(١)</sup>.

لقد جاءت نصوص السنة شارحة ومفصلة لنصوص القرآن الذي هو أصل من أصول الدين لتدعم التوجه الملح على ضرورة بناء الوظائف الاتصالية للقائم بالاتصال التي تسهم في دعم حماية الوطن ونشدهان استقراره وتطوره، لتغني بذلك عن الوظائف النمطية التي حددتها الأدبيات العلمية المتخصصة وغير المتخصصة، والتي تركز عادة على الجانب المادي لتظهر قوته في حماية الوطن، مع تجاهل الجانب الأخلاقي الذي يستمد بناء دعائمه وأساسه من المرجعية الإسلامية الأصيلة والموجهة لجميع البشر من دون استثناء، فتصنع بذلك الفارق في البناء المعرفي والسلوكي وتحيل إلى نظام متكامل قاده الرسول ﷺ بحرفية عالية شهد لها الشهود من المتبعين والمخالفين، وقد تم تحديد هذه الوظائف في المحاور الآتية:

١- إشاعة الثقافة الأمنية ومحاربة كل أنواع الجريمة: تعد نعمة الأمن من أهم مقومات حفظ الوطن وإقامة بنيانه بالشكل التي تستقيم معه الحياة الكريمة، فهو ضرورة سياسية واجتماعية

١- المرجع نفسه، ١٢٨.

واقترادية ودينية للقضاء على مظاهر التعصب والتنافر والتناطح، ونشر مظاهر التسامح والتناصح والتصالح، فكان من المحتم أن تقوم كل السياسات الاتصالية على إشاعة الوعي بالثقافة الأمنية وكل أبعادها، وهو الوعي الذي يصنع الفرد الفاعل والداعم لتأمين الوطن الذي يحيا فيه، ويجرّص على دعم أسسه وتجلياته اليومية، فتصان به الأرواح والأعراض، ويكفل به التطور والتحضر المنشود من الجميع.

ولا تخلو النصوص الحديثية من التأكيد على نشر ثقافة الأمن وضرورتها الحياتية، ويؤكد الرسول ﷺ أهمية الأمن في حياة الإنسان، وكيف يمكن له أن يزاوّل أعماله ونشاطاته من دون وجل، فيحفظ بذلك كل مقومات النجاح والتطور والتقدم: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّهِ مُعَانِيًا فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا"<sup>(١)</sup>.

كما كان يؤكد في أحاديثه وخطبه على السلام بين الناس وتأمينهم وعدم الاعتداء عليهم، وكان يؤكد في بيعته على ذلك، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي رَهْطٍ، فَقَالَ: "أَبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوْنِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأَحَدَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَطَهْرٌ، وَمَنْ سَتَرَهُ اللَّهُ، فَذَلِكَ إِلَى اللَّهِ: إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِذَا تَابَ السَّارِقُ بَعْدَ مَا قُطِعَ يَدُهُ قُبِلَتْ شَهَادَتُهُ، وَكُلُّ مَحْدُودٍ كَذَلِكَ إِذَا تَابَ قُبِلَتْ شَهَادَتُهُ"<sup>(٢)</sup>.

ويجمع الرسول ﷺ بين منع الجريمة وإقامة الحدود وحفظ الحقوق وتنظيم العدل وإشاعة الأمن<sup>(٣)</sup>، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ عُكْلٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، كَانُوا فِي الصُّفَّةِ، فَاجْتَمَعُوا الْمَدِينَةَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَبْعِنَا رَسُولًا، فَقَالَ: مَا أَجِدُ لَكُمْ إِلَّا أَنْ تَلْحَقُوا بِإِبْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاتُّوهُا فَشَرِبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَاهَا، حَتَّى صَحُّوا وَسَمِنُوا وَقَتَلُوا الرَّاعِيَّ وَاسْتَأْفُوا الذَّوْدَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ الصَّرِيخُ، فَبَعَثَ الطَّلَبَ فِي آثَارِهِمْ، فَمَا تَرَجَّلَ النَّهَارُ حَتَّى أُتِيَ بِهِمْ، فَأَمَرَ بِمَسَامِيرَ فَأُحْمِيَتْ،

١- جامع الترمذي، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، حديث رقم: ٢٣٤٦، حسن غريب.

٢- أخرجه البخاري، كتاب الحدود وما يحذر من الحدود، باب توبة السارق، حديث رقم: ٦٨٠١.

٣- الاصفهاني من سيرة المصطفى، عبد العزيز بن إبراهيم العمري، ص ٥٩٧.

فَكَحَلَهُمْ، وَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَمَا حَسَمَهُمْ، ثُمَّ أَلْقُوا فِي الْحَرَّةِ، يَسْتَسْقُونَ فَمَا سُقُوا حَتَّى مَاتُوا  
قَالَ أَبُو قَلَابَةَ: سَرَقُوا وَقَتَلُوا وَحَارَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ<sup>(١)</sup>.

٢- بناء الآداب والأخلاق الاجتماعية: تعتمد نصوص السنة على قواعد متينة لبناء مجتمع سليم متعاني من كل الأمراض والآفات الاجتماعية، وتحرص على بناء العلاقة بين أفراد المجتمع تقوم على أسس أخلاقية محضة، لتتمكن من حماية الوطن من التفكك والتشردم، فالمجتمعات التي تغرق اتخذت من طرق الضلال ما يسيء إلى تعفف الفرد وترفعه؛ فأضحت مجتمعات بلا ضمير موجه أو رقيب، والنتائج كثرة الرذائل والفواحش والممارسات الشاذة التي أفضت إلى أمراض جسدية وعقلية وسلوكية، تنحرف معها الفطرة السليمة. وللمحافظة على هذه الفطرة وردت الكثير من الأحاديث في ضرورة التحلق بالأخلاق الحسنة، ومنها قوله ﷺ: "إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا"<sup>(٢)</sup>، وقوله: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا. قَالَ الْقَوْمُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا".

ومن مظاهر الأخلاق لبناء المجتمع المعتدل والمستقيم والامن دعوة الرسول ﷺ لكل قائم بالاتصال أن يدكر بحسن الأدب مع الله، وهو الأدب الذي يفرض على الإنسان أن يقدر الله قدره، هذا التقدير يفرضي إلى الاحتراز من الفكر السيء، والمأكل الحرام، والمشرب الحرام، وينظر نظرة المتبصر في المال: "اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقَّ الْحَيَاءِ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ مَنْ اسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى، وَلْيَحْفَظِ الْبَطْنَ وَمَا وَعَى، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبَلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقَّ الْحَيَاءِ"<sup>(٣)</sup>.

ومن الآداب التي كان يحرص الرسول ﷺ على إشاعتها في تواصله مع الناس، المحبة والسلام بين الناس، "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا، الْمُؤَطَّفُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ،

١- صحيح البخاري، كتاب الحدود وما يحذر من الحدود - باب لم يسق المرتدون المحاربون حتى ماتوا، حديث رقم: ٦٨٠٤.

٢- صحيح البخاري، كتاب المناقب - باب صفة النبي ﷺ، حديث رقم، ٣٥٥٩.

٣- مسند أحمد، حديث رقم: ٣٧٤٥، جامع الترمذي، رقم: ٢٤٥٨، غريب.

وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ" (١)، وقال: "لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، وَلَا أَذَلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ" (٢)، فالسلام كلمة لها من المعاني والمباني ما يقيم بها مجتمعات معافاة من كل آفات العنف والتطرف والإرهاب.

ويأمر ﷺ بالرفق أيضًا لتحقيق الألفة في المجتمع، "إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ" (٣)، لقد اتصف محمد ﷺ بالرحمة في كل شيء ومع كل شيء، وتجلت سلوكات رحمته في تواصله مع الطفل والمرأة والعدو والحيوان. والأحاديث الصحيحة المذكورة في ذلك لا حصر لها، والمقصد من تطبيق هذا الخلق العظيم هو نيل رضا الله ﷻ ورحمته ولطفه "الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّن فِي السَّمَاءِ" (٤).

**٣- محاربة الشائعات ونشر المعلومات الهادفة:** تنتشر الشائعات في كل مكان بغض النظر عن طبيعة البيئة التي تحكم حياتنا وهي من أقدم الأساليب الاتصالية في التاريخ أيضًا، فقد وظفت لنقل الأخبار وبناء السمعة أو تقويضها وتأجيج الفتن والحروب، وقد أدى تطور وسائل الاتصال ابتداء من ظهور الصحافة ومرورًا بالمسموع والمرئي (٥)، وأدت اليوم التكنولوجيا الحديثة إلى تطورها، وانتشارها، وتخصصها، وتعدد أشكالها، ومع ذلك لم تفقد المشافهة أو الاتصال المباشر المستتر بريقها في التجمعات الأصغر.

وتعد الشائعات من أخطر الحروب المعنوية والأوبئة النفسية، التي لها خطورة بالغة على المجتمعات البشرية الآمنة، بسبب سرعة انتشارها وسهولة تأثيرها على الناس خاصة البسطاء منهم، وتزداد خطورتها وقت الأزمات والحروب والثورات والحركات والكوارث، لأن من آثارها: تضليل

١- الأوسط للطبراني، رقم: ٤٤٢٢، لَمْ يَرَوْ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدَةَ إِلَّا يَعْقُوبُ بْنُ أَبِي عَبَّادٍ، وقيل حسن لروايه.

٢- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، رقم: ٥٤.

٣- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل الرفق، رقم: ٢٥٩٣.

٤- سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب في الرحمة، رقم: ٤٩٢٦، حسن صحيح.

٥- الشائعات، الوسيلة الإعلامية الأقدم في العالم، جان نويل كافييرير، ترجمة، تانيا ناجيا، ص ١٣، دار الساقى، لبنان، ٢٠٠٧.

الرأي العام، وإثارة الفتنة بين الناس وإشعال جذوة الخوف والقلق عندهم<sup>(١)</sup>.

إن من أخطر الإضرار على أمن المجتمع هو اختلاق الشائعات ونشرها بين الناس؛ مما يؤدي إلى الإضرار بهم معنوياً ومادياً، وخاصة في عصر الإعلام الحديث الذي يتجاذب كل فئات المجتمع المختلفة، ولأن صفة الشائعة هي الكذب من أجل زعزعة الاستقرار النفسي والاجتماعي والديني والسياسي، فقد حاربها الوحي بكل أوجهها، ابتداء من التحذير منها إلى محاصرتها والقضاء عليها، والتعامل مع مصادرها بالتحري والمتابعة والتحقق، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَهُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهَلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦).

لقد أصبح هذا النص القرآني بمثابة ميثاق أخلاقي لمواجهة، وتوجيها لرسول الله ﷺ وعموم أفراد الأمة للاحتراس منها، وعليه فقد حذر الرسول ﷺ الجميع في تواصلهم من التحديث بالكذب، وإبلاغ الناس الخطأ الذي قد يعصف بالفرد والمجتمع في آن واحد "اتَّقُوا الْحَدِيثَ عَنِّي إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ، فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ كَذَبَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"<sup>(٢)</sup>، فأشار إلى ضرورة التحري في نقل ما ورد عنه، وما ورد في القرآن الكريم، والحرص على ضرورة أن يكون المتصل عالماً بما ينقل، ومتى وكيف ينقل؟ ولماذا ينقل؟ وأي تجاهل لهذه الدعوة النبوية هو بمثابة تسليم الفرد بجزائه المذكور، وهو ما يؤكد قوله: "إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا، وَعَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْذُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا"<sup>(٣)</sup>.

ويحذر الرسول ﷺ من نقل المعلومات بدون التأكد من مصادرها الحقيقية، وإصاق الشائعات بغير مروجيها، فيذكر الجزاء الأليم في الآخرة للردع والتقريع، "أَيُّمَا رَجُلٍ أَشَاعَ عَلَى رَجُلٍ مُسْلِمٍ

١- التأصيل الشرعي للإعلام الدعائي وترويج الإشاعات، شريف علي حماد، ص ٢، جامعة القدس المفتوحة، خان يونس.

٢- جامع الترمذي، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، رقم: ٢٩٥١، حديث حسن.

٣- سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب في التشديد في الكذب، رقم: ٤٨٨٩، وذكر أن إسناد أبي داود صحيح.

بِكَلِمَةٍ وَهُوَ مِنْهَا بَرِيءٌ يَشِينُهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُذِيْبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ حَتَّى يَأْتِيَ بِنِفَادٍ مَا قَالَ"<sup>(١)</sup>، فالتوجيه بهذا الشكل، هو بمثابة الحرص على تحري الدقة في مصادر المعلومات التي تغني عن الولوج بالفرد المتلقي في عالم الشك والفضى التي تؤدي حتمًا إلى الإضرار بأمن الوطن، وكل تحقق من مصدرية المعلومات هو مبعث للأمان وحماية للأسماع وتوجيه للأفهام بما يخدم سمعة القائم بالاتصال ومصداقيته لدى الرأي العام الحريص بدوره على سلامة وطنه.

ويحرص الرسول ﷺ على إقامة دعائم الوطن على الطهر ومقت الفاحشة، التي تُعد من أسباب البلاء والهلاك، وقد وعى بذلك القصص القرآني الذي ورد في أقوام الأنبياء الذين لم يتنزها عنها، مثل قوم لوط، وقوم اسحاق، والمجتمع الفرعوني على عهد موسى، حيث انتهت بهم أفعالهم إلى الخسف والتدمير، كما وعى التوجيه القرآني: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ (النور: ١٩)، الذي يحذر من اتهام المسلمين والتحامل عليهم بإحداث الفتن بينهم والتحامل على أعراضهم، وإضرار سوء النوايا نحوهم، الذي يؤثر في تماسكهم داخل المجتمع الواحد، ثم ينبه ويحذر من ظهور الفاحشة وانتشارها بذكر الجزاء المنتظر "مَا نَقَضَ قَوْمَ الْعَهْدِ قَطُّ، إِلَّا كَانَ الْقَتْلُ بَيْنَهُمْ، وَلَا ظَهَرَتْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ، وَلَا مَنَعَ قَوْمَ الزَّكَاةِ إِلَّا حَبَسَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْقَطْرَ"<sup>(٢)</sup>.

٤- التأكيد على أهمية التربية داخل الأنسجة الاجتماعية: تُعد نصوص السنة فضاءً ومجالاً خصبًا لتوضيح دلالات التربية ومقاربة مفهومها واستشراف دورها في بناء الوطن ماديًا وروحيًا، وحمائته من الانحدار والسقوط، هذا الدور قد تجليه الأساليب المعتمد عليها والوسائل التي تصلح للحاضر والمستقبل. والتربية من أهم المفاهيم التي ركزت عليها الأبحاث الاجتماعية والنفسية، وتناولتها الأعلام بالدراسة والتحليل، كونها أحد أبرز العوامل التي تهدف إلى بناء الشخصية الفردية والجمعية والأمية والحضارية، فهي منبع أصيل للقيم الإنسانية والإسلامية على حد سواء، وهي حصن منيع للوafd الفكري الغازي، وهي ضرورة عصرية للتقدم والتطوير وتحصين الوطن.

١- الترغيب والترهيب، المنذري، رقم: ٣/٢٠٧، روي بعضه بإسناده جيد.  
٢- المستدرک على الصحيحين - كتاب الجهاد - ما نقض قوم العهد قط إلا كان القتل بينهم ولا ظهرت الفاحشة في قوم إلا سلط الله عليهم الموت، رقم: ٢٥٩٢، صحيح على شرط مسلم ولم يُخرجه.

وتوضح نصوص السنة الشريفة أن التربية يجب أن تشمل جميع الأنسجة الاجتماعية، مثل: الأسرة، والمسجد، والمؤسسات التعليمية، والمؤسسات المدنية، والمؤسسات الرسمية، وهي ضرورة اجتماعية قصوى في ظل التغيرات التي تشهدها المجتمعات الإسلامية والتي طغت عليها المظاهر السلبية المصاحبة للعمولة المتغولة التي تنزع إلى القفز على حدود الوطن، وانتهاك حرمانه من أجل خلق التصدع وتجلية كل مظاهر التبعية والتقليد المنحرفة، وتأخذ هذه النصوص بعين الاعتبار أهم نسيج، والذي يتلقى فيه الفرد التربية منذ ولادته، وهو الأسرة لتراهن على دوره في بناء المجتمع وتربية الفرد تربية سليمة يتعذر معها ظهور ما يفضي إلى تشتته، وتفككه، وتحرص على حمايته ودعم قوته، ومن مظاهر هذه التربية، تعلم ثقافة الحوار، والطاعة والاحترام، ومن النصوص قوله ﷺ: "طَاعَةُ اللَّهِ طَاعَةُ الْوَالِدِ، وَمَعْصِيَةُ اللَّهِ مَعْصِيَةُ الْوَالِدِ"<sup>(١)</sup>، وقوله أيضاً: "سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى وَجْهِهَا، قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: ثُمَّ بُرُّ الْوَالِدَيْنِ". قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ". قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوْ اسْتَزِدُّهُ لَرَأَيْتَنِي"<sup>(٢)</sup>.

وقد لفت الرسول ﷺ وهو يخطب في الناس ويتواصل معهم، إلى فئة هامة من فئات المجتمع إذا صلحت صلح المجتمع، وإذا فسدت فسدت المجتمع، وهي المرأة نصفه أو كله؛ فأمر بالعناية بها، فكانت خطبة الوداع بمثابة الميثاق الذي يوضح ذلك، وهي الخطبة التي شكّلت حدثاً اتصالياً في تكريمها، مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَإِذَا شَهِدَ أَمْرًا فَلْيَتَكَلَّمْ بِحَيْرٍ أَوْ لَيْسُكَتْ، وَاسْتَوْضُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خَلَقَتْ مِنْ ضِلْعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ إِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسْرَتُهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، اسْتَوْضُوا بِالنِّسَاءِ حَيْرًا"<sup>(٣)</sup>، والشاهد أن الدعوة النبوية إلى تكريم المرأة والمحافظة على توجيهها وتربيتها التربية الصحيحة كفيلة بتوجيه المجتمع برمته، وما نشهده من دعوات إلى تحريرها وسلبها كرامتها وعفتها هو بمثابة نشئة أجيال مشوهة في أخلاقها تنزو إلى المظاهر الاجتماعية المستلبة، التي تقودها قاطرة الغرب المؤدلج والمشبع بالماديات، والمستبعد للقيم الأخلاقية وهو ما يولد عدم الاستقرار، وتنشد نصوص السنة النبوية ضرورة بناء المرأة الصالحة،

١- المعجم الأوسط للطبراني - باب الألف - من اسمه أحمد - أحمد بن إبراهيم الثقفي الأصبهاني،

رقم: ٢٢٥٥، وثقه ابن حبان وغيره وضعفه أبو حاتم وغيره وبقية رجاله رجال الصحيح.

٢- صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة - باب فضل الصلاة لوقتها، رقم: ٥٢٧.

٣- صحيح مسلم، كتاب الرضاع - باب الوصية بالنساء، رقم: ١٤٦٨.

ليصلح المجتمع ويتدعم بكل مقومات الاستقرار والأمن.

**٥- إشاعة قيم التكافل والتكامل داخل المجتمع:** حرص الرسول ﷺ من خلال الجهر بالدعوة الإسلامية على بناء مجتمع سليم معاني، يسع الأفراد بمختلف توجهاتهم، فأسس فضاءً اتصالياً وإعلامياً، يجتمع فيه الناس لطرح قضاياهم ومشاكلهم، كما يجتمعون لطرح مشاريعهم ورؤاهم التطويرية والبنائية، فكان المسجد بمثابة أول مؤسسة تمارس جل النشاطات السياسية والثقافية والدينية والاقتصادية، بما يشيع كل مظاهر التكافل والتعاون لدعم قواعد الوطن وحمايته من كل المخاطر والمفاسد.

وجاءت نصوص السنة مؤكدة أن الرسول ﷺ كان يعمل على إشاعة قيم التكافل والتكامل داخل المجتمع، فشبه تلك القيم بالبناء الذي إن بنيت قاعدته على أسس متينة، لم يتعرض إلى الهدم وإن تضافرت عليه عوامل الهدم، "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ أَصَابِعُهُ"<sup>(١)</sup>، وأشارت إلى أن سر التماسك والقوة، إنما يكمن في التعاون على الخير والفضيلة ونشرهما، "عَلَيْكُمْ بِالتَّوَّاصِلِ، وَالتَّبَادُلِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّقَاطُعِ، وَالتَّذَابُرِ، وَالتَّفَرُّقِ، وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"<sup>(٢)</sup>.

**٦- إشاعة ثقافة الحوار والسلم مع الخصم والمخالف:** شكّلت خطب الرسول ﷺ إلى ملوك الحضارات القائمة في عهده، منهجاً اتصالياً يحوي الكثير من قيم الدعوة إلى حوار، وإشاعة ثقافة السلم لنشر رسالة الإسلام العادلة والدعوة إلى تأمين الأوطان، وهو ما يفند رأي المستشرقين المغرضين، بأن الدعوة نُشرت بالسيف؛ فالأمر لم يكن إلا للدفاع عن الأرض والعرض وتحقيقاً للعدل والإنصاف بين الشعوب، وتحريرها من ذل الاستعباد، تحقيقاً لمقصد الاستقرار. والعجب ونحن في القرن الواحد والعشرين، نجد من بين الدول الغربية من تنحو منحى هذه القيم، بينما تعيش بعض الدول العربية الاقتتال البيني أو الجوارى، لقد خاطب الرسول الملوك بأسمائهم مع حفظ الألقاب ودعاهم إلى التسليم بدعوة السلام: "مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ:

١- صحيح البخاري، كتاب الصلاة - باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم: ٤٨١.

٢- المعجم الكبير للطبراني - مسند علي بن أبي طالب - سن علي بن أبي طالب ووفاته ﷺ، رقم: ١٦٨، إسناده فيه راو من رجال الحديث الحسن، لكنه ضعيف لعله الإرسال.

سَلَامٌ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْتَ تَسَلَّمَ، يُؤْتِنَكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِن تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّنَ، وَ﴿يَتَأَهَّلُ الْكُتُبُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، والنماذج في مثل ذلك النوع من الخطاب كثيرة، وتعلم أتباعه ومن يأتي بعدهم الأساليب الاتصالية الراقية في التعامل مع الآخر، ما يفضي إلى كسبه وتوسيع دائرة التعايش معه، بمن فيهم دائرة المعتنقين للإسلام، وتسعى كلها إلى التأكيد على تأسيس وطن خالٍ من الأحقاد والانقسام، وطن ينعم بالحماية ليعيش فيه الجميع بسلام.

### المبحث الثالث: أخلاقيات الممارسة الاتصالية في السنة النبوية

يمكن القول أن أحاديث الرسول ﷺ التي وردت بشأن الممارسة الاتصالية مع الأفراد والمجتمع، المعتنق لها أو المخالف، هي بمثابة دستور أخلاقي لقيم الممارسة الاتصالية ويمكن أن نتجاوز به جميع موثيق الشرف الاتصالية والإعلامية التي تحكم إليها جل المجتمعات ومنها العربية والإسلامية، وتجعلها بمثابة النصوص المقدسة على غرار نصوص السنة، وهذا الذي يورق أي باحث مسلم يعي أهمية السنة النبوية في التشريع، هذا الدستور الأخلاقي الذي يشتمل على قيم اتصالية وإعلامية، تحرص على دعم حماية الوطن وتأمينه من كل الدعوات المرجفة والمعادية للاستقرار والاستمرار والتمكن في الزمان والمكان عبر سواعد المخلصين.

وتجلي نصوص السنة هذه القيم للقائم بالاتصال، في كل مؤسسات الاتصال حتى يلتزم بها قولاً وعملاً أيّاً كان وضعه المهني، ومكان وجوده، وفي كل مؤسسة تشمل الوسائل الاتصالية التقليدية أو الحديثة، وذلك حرصاً على بناء فكر اتصالي متواصل وفعال لبناء وطن يتمتع بجميع خصائص القوة والتطور، ويأبى أن تعصف به رياح التقليد والتبعية التي تعيشها جل الأوطان العربية مع مظاهر فقدان الحماية والحرية والكرامة الإنسانية، ويمكن أن ألخص مجموع هذه القيم في الآتي:

١- **المسؤولية:** تصاحب هذه القيمة ما يسمى بحرية الاتصال والتواصل التي تمارس خطأ في بعض الفلسفات الغربية، وفقاً للقاعدة "الحرية قمة والمسؤولية قاعدة"، وهو العكس بالنسبة

١- صحيح البخاري، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، رقم ٧٠٥٤.

لنصوص السنة التي نَبَّهت إلى أن كل فرد مسؤول مسؤولية تامة انطلاقاً من موقع عمله، وقد أشار الحديث إلى مجموع الأصناف والأطر الاجتماعية التي يجب عليها تطبيق هذه القيمة، ثم جعل الأمر مفتوحاً للجميع، لتشمل المسؤولية كذلك المؤسسات الاتصالية والوسائل الاتصالية التقليدية منها والحديثة ما يكفل تأمين الوطن وحمايته من كل خطر يحدق به، "أَلَا كُتُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" (١)، وهو الحديث الذي يجب أن يأخذه بعين الاعتبار كل قائم بالاتصال؛ إذ تشيع في الوقت الراهن فنون الاستهتار بأعراض الناس، وأنواع العنف اللفظي والابتدال والسخرية باسم حرية التعبير، ما ينذر بفضي القيم التي تنخر لحمة المجتمع، وتزيد من حال التشردم والانقسام.

وتنبه نصوص السنة إلى مسؤولية الكلمة في الاتصال بالناس ومدى مراعاة ذلك والجزاء المترتب، وقد وعت بذلك خطر الانحراف بها إلى الدعاية والكذب والشائعة، والتي باتت قيماً لإيديولوجيات الكثير من الوسائل والسياسات الاتصالية، التي عملت على هدم مجتمعات بأكملها من سفك للدماء وتخريب للممتلكات، "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالاً، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالاً، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ" (٢).

## ٢- المصدقية أو الصدق: يأمر الرسول ﷺ بتحري الصدق في كل تواصل وبكل الوسائل،

فالصدق من المعايير الهامة الذي ينجح معها القائم بالاتصال في إقناع الناس أو الجمهور، وهو معيار يسهم في الارتقاء بدرجة المعلومات للمحافظة على توازن المجتمع وقد أشرنا سابقاً إلى مدى خطورة المعلومات الكاذبة على أمن المجتمع واستقراره، وفي معرض الحث على الصدق وتخريه ومآل الصادق والكاذب جاءت النصوص النبوية في قوله: "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ،

١- صحيح البخاري، كتاب الأحكام - باب قول الله تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم

كتاب الأحكام - باب قول الله تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، رقم: ٧١٣٨.

٢- صحيح البخاري، باب حفظ اللسان، رقم: ٦٤٧٨.

وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا"<sup>(١)</sup>، وقوله: "أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رِضِّ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ"<sup>(٢)</sup>.

وتعد المصدقية أو الصدق الدافع لأدبيات التعامل مع المنتج الاتصالي، فالحقيقة هي المحرك للقائم بالاتصال، والوصول إليها ليس من خلال الطرق المتتوية ولا القصيرة المشوبة، بها يحدس دقتها وواقعيتها، "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَسْبُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"<sup>(٣)</sup>، فالحديث يشير إلى ضرورة التأكد من مصدر المعلومة وعدم التصرف بالإضافة أو الإنقاص، فذكر الحقيقة كما هي مهمة في العمل الاتصالي والتبليغ، ويمكن الوصول إليها بطرق سليمة، فتكون مدعاة للسرور وجلب الاطمئنان والأمان، ومقارنة مصداقية المصدر من شخص إلى آخر من الأهمية بمكان، فينبغي أن تسعى كل وسيلة للوصول إلى الحقائق عند الناس أو في واقع بيئتها وأوطانها، ولأن الحقائق لا يوجد من يديرها دائماً، فلا بد من الوصول إلى مصدرها بشتى الطرق ويبدل الجهد الجهد<sup>(٤)</sup>.

وفي المجال الاتصالي فإن تعريف المصدقية يتجه صوب الأدلة التي تثبت صدق المعلومات، أو الرأي، وهذه الأدلة هي تلك المعايير والمؤشرات التي تسهم في تقييم مصداقية المادة الاتصالية وتشمل التوازن في مقابل التحيز، التعددية في مقابل الأحادية، الثقة في مقابل التشكيك، التكامل أو الشمولية في مقابل التجزئة<sup>(٥)</sup>، "بِئْسَ مَطِيئَةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا"<sup>(٦)</sup>، حيث يؤكد الحديث ضرورة التثبت

١- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب - باب فيح الكذب وحسن الصدق وفضله، رقم: ٢٦٠٧.

٢- سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب في حسن الخلق، رقم: ٤٨٠٠، سكت عنه المنذري.

٣- صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، رقم: ١٠٧٠.

٤- إدارة المؤسسات الإعلامية، عطا الله شاكر، ص ١٠١.

٥- مصداقية وسائل الإعلام كما تراها النخبة في مصر، المجلة المصرية لبحوث الإعلام هويدا مصطفى، ص ١٢.

٦- سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في زعموا، رقم: ٤٩٧٢، قال ابن حجر: رجاله ثقة إلا أن فيه انقطاعاً.

من المعلومات أو الأخبار وهي مهمة وضرورية لحماية الوطن واستقراره.

كما تعني مدى دقة المعلومات وصحتها التي تبثها الوسيلة الاتصالية ومدى موضوعية صاحب الرأي فيها، ومدى شمولية التغطية في عرضه، وتقديم مختلف جوانب حقيقة المعلومات المثارة<sup>(١)</sup>، والمعلومات الصحيحة (الصادقة) هو مبرر وجود أي وسيلة اتصالية جادة تدرك حقيقة دورها الاجتماعي، وتعني خطورة مسؤوليتها إزاء مبعث كل وسائل الهدم<sup>(٢)</sup>، ويكاد يكون هناك إجماع بين ممارسي الاتصال ودارسيه على أن مصداقية الاتصال بمستوياته هي مكون أساسي لنجاح عملية الاتصال بوظائفها المختلفة، والمتثلة أساساً في دعم استقرار الأوطان، وأنها أحد المعايير المهمة التي على أساسها تتم المفاضلة بين المعلومات.

**٣- الدقة والأمانة:** تعد الدقة عقيدة أي قائم بالاتصال، كما يعبر عنها، ولا بد أن يكافح ويناضل للحصول عليها<sup>(٣)</sup>، والدقة تعني الإلمام بالمعلومات، والأرقام، والبيانات والصور، وهي عامل مكمل للصدق<sup>(٤)</sup>، وهي صفة تشير أيضاً إلى مدى احترام القائم بالاتصال تجاه حق أفراد في معرفة الحقيقة الكاملة حول الحدث المثارة<sup>(٥)</sup>، يقول (جوزيف بولتزر): "الدقة أن تكتب الكلمات والأسماء بشكل واضح، وأن تكون العناوين واضحة وذلك بالتحقق منها، وأن ينقل الخبر من مصادر ومن غير تحريف، وأن تكون الأرقام حقيقية"<sup>(٦)</sup>.

وتعد الدقة من أهم عوامل مصداقية العمل الاتصالي، فعلى القائم بالاتصال أن يكون دقيقاً أثناء تغطية الأحداث وأن ينتبه إلى دقة الأخبار والتقارير من عدم دقتها أو من الإهمال أو من الانحياز والتشويه بالتأكيد على الحذف من المعلومة الهامة، وهذا الحذف يعد من أبشع أشكال

١- مصداقية الإعلام العربي، عزة عبد العظيم، ص ٣٠.

٢- القنوات التلفزيونية العربية المتخصصة، منصف العياري وآخرون، ص ١٦.

3- Mitchell. Stephens: Broad cast news ,4th Edition, Thomson Wadsworth , United states of America, 2002,p 384.

٤- دراسات في الفن الصحفي، إبراهيم إمام، ص ١١٥.

٥- معايير إذاعة وترتيب الأخبار في نشرات الأخبار بالراديو والتلفزيون، مجلة الفن الإذاعي فاروق أبو زيد، ص ٣٧.

6- Melvin Mencher: Basic Media Writing, Published July 10th 1998 by McGraw-Hill Companies ,p81

تشويه المادة الاتصالية والإعلامية.

وتتطلب الدقة أن يكون المضمون الاتصالي متضمناً جوهر الحقيقة في الحدث، حيث تقتضي الدقة ذكر الأرقام والمعلومات والبيانات دون تهويل أو تهوين<sup>(١)</sup>؛ لذلك يجب على القائم بالاتصال أن يتحقق من صدق المعلومات بالتأكد من الأسماء والعناوين والاستعانة بخلفياته السابقة عن الموضوع التي تجعله يستطيع الحكم على مدى صدق المعلومات واتساقها<sup>(٢)</sup>. "عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ أَوْ بِزِمَامِهِ قَالَ: أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟! فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ. قَالَ: أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟ قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. فَقَالَ: أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ؟ قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبْلَغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبْلَغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ"<sup>(٣)</sup>.

وبناء على ذلك فإن القائم بالاتصال يتحمل مسؤولية حدوث أي أخطاء في كتابته للمعلومات قد ينتج عنها نقد من الجمهور أو التشكيك في صدق الخبر، وخاصة إذا كان لدى الجمهور معرفة بالموضوع أو الحدث المثار<sup>(٤)</sup>، وتعني الدقة كذلك تحمل مسؤولية نقل الحقيقة بطريقة موضوعية ومنصفة قدر الإمكان<sup>(٥)</sup>، فمسؤولية القائم بالاتصال في برامجه و أخباره، ووسائله مهما كانت نماذجه، أشبه بمسؤولية الحاكم الملزم بتطبيق القوانين التي تؤدي إلى استتباب الأمن ونشر العدل بين كافة أفراد الوطن والذي يكفل حمايته، ويترتب عليه تأديتها على أكمل وجه "خَبَرَنِي مَنْ سَمِعَ أَبَا ذَرٍّ يَقُولُ: نَاجَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً إِلَى الصُّبْحِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّرَنِي، فَقَالَ: إِنَّهَا أَمَانَةٌ،

١- النشرات الإخبارية العمود الفقري للإذاعة المسموعة، مجلة الفن الإذاعي، عبد الله زلطة، ص ١٧٣.

٢- الأخبار في الراديو والتلفزيون، حسن عماد مكاوي، ص ١٦٧.

٣- صحيح البخاري - كتاب العلم - باب قول النبي ﷺ رب مبلغ أوعى من سامع، رقم: ٦٧.

4- Martin Mayer, " Making News: Revised and Updated" 1st Edition (Boston: Harvard Business School Press, 1993, p 299.

5- Ted White: Broadcast News Writing, Reporting and Producing, 4th Edition, focal press , London, 2005, : Gill Branston. Roy Stafford , P372

وَحَزْبِي وَنَدَامَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا"<sup>(١)</sup>.

والأمانة وهي كل ما يؤتمن عليه المرء ويطلب منه المحافظة عليه، وقد ارتبط عظمها بنفي الإيمان عمن لا أمانة له، "لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ"<sup>(٢)</sup>، فالأمانة تقتضي أن يكون القائم بالاتصال مستوفياً شروط الصدق والإخلاص في العمل، خاصة أن المجتمعات العربية تسودها فوضى الكلمة الإعلامية وتنتشر فيها الشائعات ويغطي مجالها قضايا التطرف والعنف والتشدد، وإن كانت مفتعلة في بعض الأحيان، وهي مظاهر تحل بصور الوطن الآمن والمستقر، الأمل في مستقبل أفضل وأرقى.

**٤ - التوازن والعدالة:** تُعد مسألة التوازن والعدالة هامة جداً في العمل الاتصالي، وهي التزام أدبي وأخلاقي؛ إذ يجب أن يكون هناك مبدأ لدى القائم بالاتصال، وهو في عرضه للأحداث، يجب أن يكون عادلاً ومنصفاً<sup>(٣)</sup>، فيسعى إلى تقديم رؤية متوازنة للحدث، تقوم على أساس تقديم الحقائق، التي تغطي جوانبه كافة<sup>(٤)</sup>، كما يجب عليه أن يفسح المجال لمختلف الآراء لكي تعبر عن نفسها،<sup>(٥)</sup> "وَأَنَّ شَهَادَةَ غَيْرِ الْعَدْلِ مَرْدُودَةٌ، وَالْخَبْرُ وَإِنْ فَارَقَ مَعْنَاهُ مَعْنَى الشَّهَادَةِ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ، فَقَدْ يَجْتَمِعَانِ فِي أَعْظَمِ مَعَانِيهِمَا إِذْ كَانَ خَبْرُ الْفَاسِقِ غَيْرَ مَقْبُولٍ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، كَمَا أَنَّ شَهَادَتَهُ مَرْدُودَةٌ عِنْدَ جَمِيعِهِمْ، وَدَلَّتِ السُّنَّةُ عَلَى نَفْيِ رِوَايَةِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْأَخْبَارِ، كَنَحْوِ دَلَالَةِ الْقُرْآنِ عَلَى نَفْيِ خَبْرِ الْفَاسِقِ"<sup>(٦)</sup>، فالشاهد أن كل تحيز في عرض المعلومات بما تمليه المصلحة الفردية أو الجماعية تؤدي بالضرورة إلى تحريف مفهوم الحرص على المصلحة العامة ومصلحة الوطن التي من مظاهرها تأمينه والحرص على استقراره.

ويؤكد الرسول ﷺ ضرورة الوعي بالمعلومات التي ينشرها أو يتواصل بها، ويعمل على إيصالها

١- مسند أحمد، رقم: ٢١٩٣١، وأخرجه مسلم في "صحيحه" برقم: (١٨٢٥) والحاكم في "مستدرکه" برقم: (٧١١١)

٢- صحيح ابن حبان - كتاب الإيمان - باب فرض الإيمان، رقم: ١٩٤.

٣- نظريات وسائل الإعلام، ميلفين مينتشر، ص ٣١.

٤- الإعلام المتخصص، أديب حضور، ص ٤٩.

٥- الأخبار في الراديو والتلفزيون، مرجع سابق، ص ١٦٧، ١٦٨.

٦- صحيح مسلم، مقدمة - باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين (٦/١).

إلى المتلقين بطرق واعية وهي الإخلاص والنصيحة والمحافظة على الإجماع والجماعة التي تشكل في النهاية مظهرًا من مظاهر القوة والدعة، ومظهرًا للأمان والاطمئنان الذي يحصل به التكامل في الرؤى الإيجابية المؤدية إلى نشر الخير، "نَضَرَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالِي فَوَعَاها، ثُمَّ أَدَّاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعَهَا فَرَبَّ حَامِلٍ فَفَقِهَ لَهْ، وَرَبَّ حَامِلٍ فَفَقِهَ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلَاثٌ لَا يُغْلُ عَلَيَّهِنَّ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِأُولِي الْأَمْرِ، وَلِزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وَرَائِهِمْ"<sup>(١)</sup>.

إن أفراد المجتمع متساوون في الحقوق والواجبات كما أنهم متساوون أمام وسائل الاتصال، ومن هنا تأتي ضرورة الحرص على ألا تكون هذه الوسائل تعبيرًا عن فئة أو ثقافة أو جهة دون أخرى، فتتحقق معها المساواة والمطالب المشروعة لتحقيق العدل والأمن في شتى الميادين، والعدالة تقتضى توحي الحكمة في عرض الأخبار والصور، والابتعاد ما أمكن عن أساليب المبالغة والتحويل والإثارة الرخيصة التي تزعزع صور الاستقرار والأمن<sup>(٢)</sup>، وتكون العدالة محققة فيهم: "الْمُقْسِطُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكَلَّتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الْمُقْسِطُونَ عَلَى أَهْلِيهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَمَا وُلُوا"<sup>(٣)</sup>.

**٥- النزاهة:** تعرّف النزاهة بأنها تقديم الخبر والصور بنوع من الحياد وتجنب الخلط بين أنواع الفنون الاتصالية والإعلامية، وبين الصالح العام والصالح الخاص، أو ما يسمى بـ "الاعتبارات الذاتية"، "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ"<sup>(٤)</sup>، ومجال الإتقان هو القيام بالعمل الاتصالي على أوجهه وإظهار احترافيته من ناحية الشكل والمضمون، والعمل على الإقناع والإمتاع بعيدًا عن الإضرار بقيم المجتمع ومظاهر تحضره، ومنها تأمينه وتحصينه والمحافظة

١- المستدرك على الصحيحين - كتاب العلم - نضر الله وجه امرئ سمع مقالتي فوعاها، رقم: ٢٩٤، صحيح على شرط الشيخين.

٢- أخلاقيات العمل الإعلامي، بسام عبد الرحمان المشابقة، ص ١٢٧.

٣- صحيح ابن حبان - كتاب السير - باب في الخلافة والإمارة - ذكر وصف الأئمة في القيامة إذا كانوا عدولاً في الدنيا، رقم: ٤٤٨٩.

٤- المعجم الأوسط للطبراني - باب الألف - من اسمه أحمد - أحمد بن يحيى الحلواني، رقم: ٨٩٩، ضعيف.

على استقراره، وتفيد النزاهة التجرد عن الهوى والاستقلالية في العمل وعدم الخضوع لأي تأثير رقابة داخلية "المؤسسية"، أو خارجية "الرأي العام"، والضغط السياسي والاقتصادية والثقافية والاجتماعية بجميع أشكالها "إِنَّ الْفِتْنَةَ تُرْسَلُ، وَيُرْسَلُ مَعَهَا الْهُوَى وَالصَّبْرُ، فَمَنْ اتَّبَعَ الْهُوَى كَانَتْ قِتْلَتُهُ سَوْدَاءَ، وَمَنْ اتَّبَعَ الصَّبْرَ كَانَتْ قِتْلَتُهُ بَيْضَاءَ"<sup>(١)</sup>، فما يجب أن يتبع هو الرأي الحصيف الذي يؤدي إلى إجماع الأفراد والمجتمع على اتباع الخير وترك الشر المفضي إلى التنازع والتناحر ما يعكس أجواء التعايش السلمي والأمني.

إن التحدي الذي يواجهه وسط القائم بالاتصال، هو تغطية جميع وجهات النظر المهمة بطريقة نزيهة ومنصفة للمعنيين بالموضوع وتقديم صورة كاملة وأمينة لجمهور القراء، وفي هذا يؤكد "دان غيملور" أن النزاهة والإنصاف لا يعنيان من بين أمور أخرى، كالاستماع لوجهات النظر المختلفة، ودمجها في وسائل الاتصال، وأنهما لا يعنيان كذلك تكرير المساواة التي تقود إلى الحصول على تصريحات متناقضة يشهدون بها حين تكون الوقائع مؤيدة لجانب واحد بصورة لا تقبل الشك<sup>(٢)</sup>، ويعد تحقيق الإنصاف في تقديم المعلومات إلى الأفراد والمجتمعات من أهم الدعائم الاتصالية التي تؤدي إلى حماية الوطن وتقويته والارتقاء به.

#### ٥- احترام الكرامة الإنسانية: نصت السنة النبوية على عدم تتبع عورات الأفراد مهما كان

مستواهم، وأمر الرسول ﷺ بسترها، تحقيقاً لمقاصد عظيمة، ومنها حفظ العرض وحفظ النفس، "يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلَا تَطْلُبُوا عَثْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْ عَوْرَةَ الْمُسْلِمِ يَطْلُبْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَطْلُبْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ"<sup>(٣)</sup>، وفي علوم الاتصال يقتضي احترام الكرامة الإنسانية عرض الأخبار والصور والأبناء بما لا يمس هذه الكرامة، جماعية كانت (فئة، أو ثقافة، أو دين)، أو فردية مثل عرض صور شخص دون إذنه، وهذا يقتضي استعمال وسائل قانونية سليمة للحصول على المعلومات بحيث لا يجوز استعمال أساليب الخدع أو التطوير أو الابتزاز أو التلاعب بالأشخاص مثل التسجيل أو التصوير

١- المعجم الكبير للطبراني - باب الحاء - من اسمه الحارث - الحارث أبو مالك الأشعري - شريح بن

عبيد الحضرمي عن أبي مالك، رقم: ٣٤٤٦، ضعيف.

٢- أخلاقيات الصحافة، جون هاتليج، ص ١٢١-١٢٢.

٣- صحيح ابن حبان - كتاب الحظر والإباحة - باب الغيبة، رقم: ٤٧٦٣.

غير القانوني فتنتجر عنه كل أنواع الحقد والتآمر وردود الأفعال غير المحسوبة ما يضر بلحمة المجتمع ويؤدي إلى فرقة<sup>(١)</sup>.

إن احترام الكرامة الإنسانية، والخصوصية الإنسانية، من خلال وسائل الإعلام والاتصال، هو حماية للوطن وتأمين استقراره ودعم تنميته، والتعدي على أمن أفراد وحياتهم الخاصة، هو بمثابة التعدي على أمن الوطن واستقراره، ولهذا جاء النهي عن فضح عورات الأفراد وتتبعها ليستقيم حال المجتمع والوطن، ولا تشغل الأنفس إلا بالعمل البناء الذي يؤدي حتمًا إلى الاستقرار والأمن والأمان.

**٦- مراعاة مستوى المتلقين:** تجلي الكثير من نصوص السنة النبوية ضرورة أن يراعي أي قائم بالاتصال أحوال المخاطبين، بحكم اختلافهم في مستويات الاستيعاب والتلقي والفهم، وأي خلل يعتري وصول المعلومة بشكلها الصحيح، وخاصة ما يتعلق منها بالأمن وتأمين عيش الناس، وحماية أرواحهم وأعراضهم فإن ذلك يكون بمثابة الخطر أو الفتنة كما يشير إلى ذلك الحديث: "مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ"<sup>(٢)</sup>، فالحديث يؤكد على ضرورة احترام عقول الناس ومستوياتهم، والحرص على بلوغ المعلومات إليهم وهي تحمل لهم كل ما يفيد في آجلهم أو عاجلهم، وكم من معلومة أيقظت فتنة؛ لأنها لم تصل بالشكل الصحيح للمتلقين، والفتنة أشد من القتل، وكم من معلومة أدت إلى تضارب في الآراء وخلقت انقسامًا بينها واختلافًا حولها وأدت إلى فساد كبير.

إن المهمة الأخلاقية الموكلة للقائم بالاتصال هي تحصيل العقول الفردية ومدركاتها، وتزويدها بما ينفع، وصناعة رأي عام يسهم في بناء مجتمع متلاحم، تسوده مظاهر الإخاء والتعاون، والتكافل، ما يشيع معها حماية الوطن، والتخلي عن هذه المهمة بحثًا عن الإثارة والضخامة والتلاعب بعقول الأفراد والاستهتار بمقدرات الأوطان جنائية وجريمة يرفضها الشرع قبل القانون، فلا بد على القائم بالاتصال أن يمارس دوره التوجيهي والتربوي لإعداد الأفراد روحياً ومعرفياً بما يسهم في الارتقاء بمستوى الاستقرار والازدهار للوطن والأمة.

١- الإعلام: حقائق وأبعاد، إسماعيل معارف، ص ٦٤.

٢- صحيح مسلم - مقدمة - باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، رقم: ٥٠.

يمكن القول في نهاية هذا المبحث أن القيم الاتصالية، أو أخلاقيات الاتصال المنصوص عليها في أحاديث الرسول ﷺ لا حصر لها، وقد ركزت على الأهم ثم المهم، بما يتوافق مع الطرح الإعلامي الحديث حولها، وفي كل الفلسفات الاتصالية والإعلامية، تأكيداً على أن السنة النبوية تحيط بكل المفاهيم المختلفة سواء أكانت تقليدية أم حديثة وأنها تمثل دستوراً اتصالياً يمكن أن يستعين به الباحثون في مجال الاتصال لوضع نظريات تعيد الفرد والمجتمع إلى الارتباط بها بما يخدم حماية الوطن واستقراره وتطوره.

### نتائج البحث:

توصلت الباحثة من خلال عرض أخلاقيات القائم بالاتصال من منظور السنة النبوية إلى جملة من النتائج تؤدي كلها الغرض من البحث وهو مساهمته في حماية الوطن، ويمكن إجمالها في الآتي:

- تُعد السنة النبوية مرجعاً أساسياً لأحلقة العمل الاتصالي بجميع مستوياته: الذاتية، والمواجهية، والجماعية، والجماهيرية، والحضارية ما يحفظ للوطن هيبته واستقراره.
- تركز نصوص السنة النبوية على جملة وظائف اتصالية، تعمل على حماية الوطن وتأمينه ودفع عجلة التطور به، نحو نشر الآداب، ومحاربة الشائعات، وإشاعة ثقافة الحوار، ونشر الوعي التربوي داخل الأنسجة الاجتماعية.
- تتنوع القيم الاتصالية أو أخلاقيات العملية الاتصالية في نصوص السنة النبوية بالمفهوم العام، ومنها المسؤولية، والمصادقية، والدقة، والنزاهة، والامانة، واحترام الكرامة الإنسانية، وتسهم كلها في نشر ثقافة الأمن والسلام داخل الوطن.
- مارس الرسول ﷺ كل مستويات الاتصال داخل المجتمع الاسلامي وخارجه، مع المتوافق معه والمخالف له، وتحققت في تواصله كل أنواع القيم الاتصالية والإعلامية، وأنشأ بذلك وطناً متكامل الأركان والبنيان، تسوده الألفة ويحظى بالأمان.

- تعد سلوكات الرسول في تواصله مع الجميع بمثابة ميثاق شرف أخلاقي عملي يمكن، أن نتجاوز به كل مشكلات العصر التي تعاني منها المجتمعات وعلى رأسها مشكلات التطرف والعنف والارهاب والحروب البينية، وتعتبر هذه السلوكات حصناً حصيناً للوطن وصورة من صور التحضر.

### خاتمة:

يعد هذا البحث مشروعاً وأرضية يمكن أن تكون منطلقاً لأبحاث أخرى في التأصيل لعلوم الإعلام والاتصال في مجالات متعددة، ولاسيما في مجال التأسيس للتشريعات الاتصالية والإعلامية من منظور إسلامي يستند لنصوص السنة النبوية. وتعد ممارسات الرسول ﷺ الاتصالية، وحتى الإعلامية بمثابة القواعد والأسس المتينة التي تسهم في بناء عناصر العملية الاتصالية، من مرسل ومستقبل ورسالة ووسيلة وهدف، بناءً أخلاقياً ومعرفياً يسهم في خدمة الوطن بمسؤولية وأمانة، والمبرر في هذا التوجيه، هو ضعف الطرح النظري الذي تعاني منه النظريات الاتصالية والإعلامية التي أسست لقواعد الممارسة الاتصالية والإعلامية وأخلاقياً من منطلقات عدة، ومنها المنطلق السلطوي، والمنطلق الليبرالي، والمنطلق الاشتراكي، والمنطلق التنموي؛ إذ تعاني من وحدة مستوى المعالجة بالتركيز إما على تضخيم أنا الفرد في الممارسة الاتصالية أو أنا الجماعة، كما تعكس قيماً اتصالية لا تتماشى مع الفطرة السليمة.

وتجمع نصوص السنة على توجيه أخلاقيات الممارسة بين الفرد والجماعة مؤكدة على ضرورة الالتزام بالقيم بدون إفراط أو تفريط، وتستبعد كل قيمة تحمل في دلالاتها ما يسيء إلى المنظومة الأخلاقية للمجتمع المستمدة من الدين والعرف، فهي تستبعد قيم الضخامة والإثارة والشهرة والإفراط في حرية التعبير، التي جنت على تماسك البنيان الاجتماعي في أبعاده السياسية والاقتصادية والأمنية والدينية، وخلقت فوضى واضطرابات، وكرّست مظاهر الانحراف والعنف والجريمة، وعليه فنصوص السنة النبوية كلها خير في ضبط الممارسة الاتصالية والإعلامية ولا يضر أي جهة من اعتمادها كمواد تشريعية لبناء المنظومة القانونية في مجال الإعلام والاتصال، وكل ذلك من أجل مقصد شرعي عظيم وهو حماية الوطن.

### توصيات البحث:

- العمل على وضع ميثاق شرف المهنة الإعلامية انطلاقاً من نصوص السنة النبوية وتفعيله في الدوائر الرسمية.
- إقرار برامج أخلاقيات الاتصال والإعلام في المقررات الجامعية دون استثناء لأهميتها في توجيه المجتمعات.
- ترجمة أعمال الندوة إلى اللغات العالمية وتبليغها إلى المجتمعات الغربية في إطار حوار الثقافات.
- تفعيل الدورات التدريبية في مجالي الاتصال والإعلام من منظور القرآن والسنة.

## المصادر والمراجع:

- الاتصال ونظرياته المعاصرة، حسن مكاوي وليلى السيد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٨م.
- الاتصال الجماهيري والمجتمع الحديث، سامية محمد جابر، دار المعرفة الجماهيرية، الإسكندرية، ١٩٨٤م.
- الاتصال والإعلام في الوطن العربي، راسم محمد الجمال، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩١م.
- الاتصال والإعلام في شبكة الإنترنت، محمد عبد الحميد، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- الاتصال بالجماهير بين الإعلام والتطوع والتنمية، أحمد غريب بدر، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.
- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٠٠م.
- الأخبار في الراديو والتلفزيون، حسن عماد مكاوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٠٥م.
- أخلاقيات الصحافة، جون هاتليج، ترجمة كمال عبد الرؤوف، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.
- أخلاقيات العمل الإعلامي، بسام عبد الرحمان المشابقة، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٢م.
- أخلاقيات ومبادئ العمل الصحفي الإعلامي، مركز هردو، القاهرة، ٢٠١٦م.
- الأخلاق الإعلامية بين المبادئ والواقع، جورج صدقة، مؤسسة مهارات، بيروت، د.ت.
- إدارة المؤسسات الإعلامية، عطا الله شاكر، دار أسامة، الأردن، ٢٠١١م.
- الأسس العلمية لنظريات الإعلام، جيهان أحمد رشتي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٢.
- الاصطفاء من سيرة المصطفى، عبد العزيز بن إبراهيم العمري، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ٢٠١٥م.
- الإعلام المتخصص، أديب حضور، المكتبة الإعلامية، دمشق، ط ٢، ٢٠٠٥م.
- الإعلام حقائق وأبعاد، إسماعيل معارف، ديوان المطبوعات الجامعية، ط ٢، ٢٠٠٧م.
- الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، سمير محمد حسن، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٤م.
- الإعلام والموضوعية محمد حجاب، دار الفجر، القاهرة، ٢٠١٠م.
- الإنترنت وسيلة اتصال جديدة، السيد بخت، دار الكتاب الجامعي، الإمارات، ٢٠٠٤م.
- التأصيل الشرعي للإعلام الدعائي وترويج الإشاعات، شريف علي حماد، جامعة القدس المفتوحة، خان يونس، د.ت.

## أخلاقيات القائم بالاتصال والدور المفترض ...

- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٣.
- دراسات في الفن الصحفي، إبراهيم إمام، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.
- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي، المحقق، بشار عواد معروف، درا الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية، صيدا، بيروت، د.ت.
- الشائعات، الوسيلة الإعلامية الأقدم في العالم، جان نويل كابفيرير، ترجمة، تانيا ناجيا، دار الساقى، لبنان، ٢٠٠٧م.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري أبو عبد الله، المحقق: محمد زهير ابن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ.
- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري أبو الحسين، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.
- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٨، ٢٠٠٥.
- القنوات التلفزيونية العربية المتخصصة، منصف العياري وآخرون، سلسلة بحوث ودراسات إذاعية، ع ٥٦٤، تونس، ٢٠٠٦م.
- العوامل المؤثرة في الأداء المهني للقائم بالاتصال، هادي مهدي صالح الجبوري، رسالة ماجستير، الآداب والعلوم الإنسانية العراق، ٢٠١٦م.
- لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣م.
- مبادئ الصحافة في عالم المتغيرات، سيد جاسم عزيز، دار الآفاق للصحافة والنشر، بغداد، ١٩٨٥م.
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.

- مصداقية وسائل الإعلام كما تراها النخبة في مصر، هويدا مصطفى، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، ع ٢١، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، ٢٠٠١م.
- مصداقية الإعلام العربي، عزة عبد العظيم، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق ابن عوض الله، محسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٩٩٥م.
- معايير إذاعة وترتيب الأخبار في نشرات الأخبار بالراديو والتلفزيون، فاروق أبو زيد، مجلة الفن الإذاعي، ع ١٨٣، اتحاد الإذاعة والتلفزيون، مصر، ٢٠٠٦م.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق، حمدي ابن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٩٩٤م.
- المعجم الفلسفي، مصطفى حسبية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٩م.
- مفردات غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ١٤١٢هـ.
- نشرات الإخبارية العمود الفقري للإذاعة المسموعة، عبد الله زلطة، مجلة الفن الإذاعي، ع ١٦٤، اتحاد الإذاعة والتلفزيون، مصر، ٢٠٠١م.
- نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، محمد عبد الحميد، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧م.
- نظريات الاتصال، محمد حجاب، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١م.
- نظريات وسائل الإعلام، ملفين ل. ديطير، ساندر بول روكيتش، ترجمة كمال عبد الرؤوف، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٣م.
- Martin Mayer, " Making News: Revised and Updated" 1st Edition (Boston: Harvard Business School Press, 1993.
- Melvin Mencher: Basic Media Writing, opcit, Published July 10th 1998 by McGraw-Hill Companies
- Mitchell. Stephens: Broad cast news ,4th Edition, Thomson Wadsworth , United states of America, 2002.
- Ted White: Broadcast News Writing, Reporting and Producing, 4th Edition ,focal press , London,2005,: Gill Branston. Roy Stafford.

أثر الشائعات في تهديد الوطن  
ودور السنة النبوية في مواجهتها

الدكتور / عماد حمدي إبراهيم  
أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد  
كلية الآداب - جامعة سوهاج / مصر





## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،،،

"فإن الأوطان هي بيوت الناس والأمم والحضارات، وأرض الله التي استخلف فيها المستخلفون لأجل العمارة والتعمير، فلا بدع إن نطقت الآي البيئات والأحاديث الواضحات، وسير السلف الصالح بضرورة الدود عن بيضة الأوطان، وصونها عن ذرائع التهارج وفوت الأمان؛ والحكمة في ذلك أنه لا قيام لدين أو حضارة أو رسالة في ظل تصدعات تنخر من الوطن بُنيانه الروحي والمادي"<sup>(١)</sup>.

"ولاشك أن تداول الشائعات وانتشارها؛ يُعدُّ واحداً من أخطر مُهدِّدات حماية الوطن، وخاصة ما يكون في الأمور الخطيرة والجليلة المتعلقة بالعرض أو الدين أو الكرامة أو مقدرات الوطن، تلك التي ما إن انتشرت في مجتمع إلا وتحول أمنه قلماً ورعباً، وترابطه فرقةً واحتراباً، وتآلفه حقداً، وبغضاً، ونفوراً.. ومن ثم زعزعة أمن المجتمعات وسلمها.."<sup>(٢)</sup>.

ومما يزيد خطورة الشائعات على الوطن والمواطنين: "أنها تدخل في كافة جوانب الحياة؛ السياسية والاقتصادية والعسكرية والأمنية والاجتماعية.. وعلى المستويين المحلي والعالمي، كما أنها تنتشر بسرعة مخيفة، لا سيما في أوقات الحن، والأزمات.. وخاصة مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي التي أسهمت في رواج الشائعات والأراجيف بشكل مُرعب ومُخيف، فالشائعة لم تعد منطوقةً فقط بل أصبحت مكتوبة، وتنشر عبر الصحف والمجلات والمواقع الإخبارية.. لتصل إلى الملايين خلال دقائق.. مما زاد من خطورتها وضاعف من قدرتها على التأثير في حياة الناس.."<sup>(٣)</sup>.

١- الندوة العلمية الدولية التاسعة للحديث الشريف (حماية الوطن في السنة النبوية.. مقصد شرعي وضرورة مجتمعية)، الدياجة، <http://www.nadwa-hadith.com>.

٢- الشائعات وأثرها في تهديد السلم المدني، د. مارية بسام محمد عبابنة، ص ٤٩.

٣- الشائعات في المواقع الإخبارية الأردنية، وتأثيرها في نشر الأخبار من وجهة نظر الصحفيين الأردنيين،

وإذا كانت الشائعات "تمثل أحد أهم الظواهر السلبية الكفيلة بإفساد المجتمعات وأخطرها، والتي لا يكاد يخلو منها مجتمع من المجتمعات، أو عصر من العصور.." (١).

"فقد جاءت السنة النبوية تصور أثر الشائعات وتبين خطر الأراجيف على الأوطان والمجتمعات، من خلال بعض الحوادث اليسيرة التي وقعت في المجتمع النبوي، والتي قام على إثرها الماكرون من المنافقين، وأخذت في طريقها وأوقعت بعض الصالحين، من أصحاب الفضل، وشاء الله (ﷺ) أن يكون ذلك في العصر النبوي - وهو خير القرون - لتكون عبرةً ودرسًا للخلف من بعدهم، فيدركوا خطر الشائعات التي لا يسلم من نارها إلا من تمسك بالقيم الربانية، والهدي النبوي الشريف.." (٢). وهذا بحثٌ مخصصٌ للحديث عن آثار الشائعات على الأوطان، ودور السنة النبوية المطهرة في مواجهتها والتصدي لها، وذلك بغية تحقيق مجموعة من الأهداف، من بينها:

#### أهداف البحث:

- بيان مخاطر الشائعات وأضرارها، وآثارها السلبية على الوطن والمواطنين.
- التأكيد على أن حماية الوطن من الشائعات، مقصد شرعيٌّ وضرورة مجتمعية.
- استشراف معالم المنهج النبوي في الوقاية من الشائعات، وسد ذرائع انتشارها ومواجهتها والتصدي لها، وتقويض أركانها والحد من آثارها، وتفادي أضرارها حال ذبوعها وانتشارها.

#### منهجية الدراسة:

اقتضت طبيعة البحث الاعتماد على المنهج الاستقرائي؛ لتتبع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تتناول قضية الشائعات واستقرائها، ثم المنهج التحليلي والاستنباطي؛ لمحاولة

رضا عيد حمودة أكحيل، ص ٢.

١- حكم الشائعات في الشريعة الإسلامية، نجلاء عبده محمد العدلي، ص ٣.

٢- الشائعات وأثرها في تهديد السلم المدني، د. مارية بسام محمد عبابنة، ص ٤٩.

دراسة هذه النصوص وتحليلها، واستنباط أهم أسس مواجهة الشائعات وآلياتها في السنة النبوية الشريفة.

### الدراسات السابقة:

- موقف الشريعة الإسلامية من الإشاعة في السلم والحرب، دراسة مقارنة، عبد الله بن متعب الحريبي<sup>(١)</sup>: وقد حاولت الدراسة بيان ماهية الإشاعة وتاريخها وأهدافها وأنواعها، وأسباب ظهورها، ومراحل انتشارها، وفكرة تجريم الإشاعة في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي والنظام السعودي، وعقوباتها، ودراسة دور المؤسسات التربوية والإعلامية في مكافحة الإشاعة.
- الإشاعة وأضرارها على المجتمع، وطرق وقايتها في ضوء آية الإفك، قطب الدين أحمد زاهدان، وعبد الكريم علي<sup>(٢)</sup>: وقد تناول فيه الباحثان حادثة الإفك على وجه الخصوص في ضوء الآيات القرآنية، دون أن يعرج على بقية الشائعات التي أثرت في المجتمع النبوي.
- الشائعات وأثرها في تهديد السلم المدني، وطرق معالجتها، دراسة في ضوء الهدى النبوي، د. مارية بسام محمد عبابنة<sup>(٣)</sup>: وقد تناولت فيه الباحثة نماذج من الشائعات التي أثرت في المجتمع النبوي، وهددت سلمه المدني، من شائعة الإفك، وخبر طلاق النبي (ﷺ) أزواجه، وشائعة مقتل النبي (ﷺ)، وحاولت تحليلها مستنبطة أهم وسائل مواجهة الشائعات ودرء مخاطرها.

١- وهو بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في العدالة الجنائية، في جامعة نايف للعلوم الأمنية.

٢- بحث منشور في المجلة الدولية للبحوث الإسلامية والإنسانية المتقدمة، مج (٥)، عدد (٩)، (سبتمبر ٢٠١٥م).

٣- بحث منشور ضمن بحوث الندوة العلمية الدولية الثامنة (السلم المدني في السنة النبوية، مقوماته وأبعاده الحضارية) والتي عقدت في رحاب كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي (٢٨-٣٠ رجب ١٤٣٨هـ - ٢٥-٢٧ أبريل ٢٠١٧م).

- حكم الشائعات في الشريعة الإسلامية، د. نجلاء عبده محمد العدلي<sup>(١)</sup>: وقد حاولت الباحثة تعريف الشائعة وبيان أضرارها ودوافعها، وموقف الشريعة منها، ثم استقرأ وجمع أشهر الشائعات التي روجت في عصر النبوة، محاولة بيان منهج الإسلام في مواجهة الشائعات.
- كما عقدت ندوة علمية بعنوان (أساليب مواجهة الشائعات) بمركز البحوث والدراسات، بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م)، وقدم المشاركون في هذه الندوة مجموعة من أوراق العمل عن هذا الموضوع من بينها: الإسلام والشائعة، للدكتور: سعيد العرابي الحارثي والأساليب الحديثة في التحصين النفسي والاجتماعي ضد الشائعات، للدكتور: نايل محمود البكور، الإسلام والشائعة، مقاصد الشريعة في المحافظة على ضرورة العرض ووسائلها، من خلال محاربة الشائعات، للدكتور سعد ناصر الشثري، بيد أن معظم هذه البحوث والدراسات تُعالج قضية الشائعات من خلال النظرة التربوية وفي ضوء علمي النفس والاجتماع، وموقف الشريعة بشكل عام.

ولا شك أن هذه الدراسات لها أهميتها الكبرى في التعريف بهذه القضية، وتسييل الضوء عليها.. إلا أنه لا توجد دراسة علمية - على حد علمي - تناولت قضية الشائعة بوصفها أحد مَهْدَدَاتِ حماية الوطن، مُحاولَةً إبراز دور السنة النبوية الشريفة في الوقاية منها وسد ذرائع انتشارها.. وفي مواجهتها والتصدي لها حال حدوث ذلك.. وبهذا تظهر أهمية هذا البحث الموسوم بـ ( أثر الشائعات في تهديد الوطن، ودور السنة النبوية في مواجهتها ).

## المبحث الأول: الشائعات وأثرها في تهديد الوطن والمواطنين

### المطلب الأول: مفهوم الشائعات وخصائصها

#### أولاً: مفهوم الشائعة:

لغة: "شَاعَ الحَبْرُ فِي النَّاسِ يَشِيْعُ شَيْعًا وَشَيْعَانًا وَمَشَاعًا وَشَيْعُوعَةً، فَهُوَ شَائِعٌ: إِذَا انْتَشَرَ وَافْتَرَقَ وَذَاعَ وَظَهَرَ، وَأَشَاعَهُ هُوَ وَأَشَاعَ ذَكَرَ الشَّيْءَ: أَطَارَهُ وَأَظْهَرَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: هَذَا خَبْرٌ شَائِعٌ وَقَدْ شَاعَ فِي النَّاسِ، مَعْنَاهُ قَدْ اتَّصَلَ بِكُلِّ أَحَدٍ فَاسْتَوَى عِلْمُ النَّاسِ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ عِلْمُهُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ

١- بحث منشور في مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، السنة (٢٩) العدد (١١٣) (إبريل ٢٠١٨ م).

دُونَ بَعْضٍ. والشائعةُ: الأَخْبَارُ المُنْتَشِرَةُ" (١). وهي: "الخَبَرُ ينتشر غير مثبتٍ مِنْهُ..". (٢).

**اصطلاحًا:** عَرَفَهَا بعض الباحثين بأنها: "أخبار مشكوك في صحتها ويتعذر التحقق من أصلها، وتعلق بموضوعات لها أهمية لدى الموجهة إليهم، ويؤدي تصديقهم أو نشرهم لها إلى إضعاف روحهم المعنوية" (٣).

**وعرفها آخر بأنها:** "عبارة عن أقوال أو أخبار أو أحاديث يختلقها البعض لغرض خبيث، ويتناقلها الناس بحسن نية، دون التثبت في صحتها ودون التحقق من صدقها" (٤). **وقد أضافت الباحثة ( مارية بسام )** إلى هذا التعريف قيداً آخر، وهو: **(الغموض)** حيث عرفتُها بأنها: "عبارة عن أقوال أو أخبار أو أحاديث يختلقها البعض لغرض خبيث، ويتناقلها الناس بحسن نية، دون التثبت في صحتها، ودون التحقق من صدقها، ويكتنف ظروفها بعض الغموض" (٥).

وإذا كنا نتحدث عن الشائعة بوصفها أحد مهددات الوطن، وأحد الظواهر التي يمكنها إحداث العديد من الآثار السلبية على الوطن والمواطنين، فكان لا بد من إضافة قيد لهذا التعريف يُظهر تلك الآثار التي يمكن أن تخلفها الشائعة على أمن الوطن وسلامته واستقراره، وعلى هذا يمكن تعريف الشائعة بأنها:

عبارة عن أقوال أو أخبار أو أحاديث يختلقها البعض لأغراض خبيثة، ويتناقلها الناس بحسن نية، دون التثبت من صحتها، ودون التحقق من صدقها، ويكتنف ظروفها بعض الغموض، وتكون قادرة على تهديد أمن الوطن وزعزعة هدوئه واستقراره.

١- لسان العرب، لابن منظور (١٩١/٨).

٢- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (٥٠٣/١).

٣- الإشاعة، أحمد نوفل، ص ١٦.

٤- وسائل وأساليب الاتصال في المجالات الاجتماعية والتربوية والإدارية والإعلامية، زيدان عبد الباقي، ص ٤٤٧.

٥- الشائعات وأثرها في تهديد السلم المدني، وطرق معالجتها، دراسة في ضوء الهدى النبوي، مارية بسام محمد عبابنة، ص ٥٧.

## ثانيًا: خصائص الشائعة:

- تتسم الشائعات بمجموعة من الخصائص والسمات، ولعل من أبرزها:
  - سرعة الانتشار: حيث تروج الشائعات وتنتشر بسرعة كبيرة، لا سيما في المجتمعات التي يغلب عليها الجهل والتخلف، فالجاهل لا يعي مخاطر الشائعة وأضرارها وما تخلفه من آثار، كما أنه يسهل التأثير فيه، وإقناعه بالشائعات والأراجيف دون السؤال عن مصدرها"<sup>(١)</sup>.
  - الأهمية: فكلما كان موضوع الشائعة مهمًا بالنسبة للناس، كلما أصبحت الظروف مهيأة والفرصة سانحة لسرعة انتشار الشائعة وترويجهما بنسبة كبيرة، ففوة الشائعة وسرعة انتشارها ترتبط ارتباطًا طرديًا مع أهمية موضوعها"<sup>(٢)</sup>.
  - الغموض: وهو كون الوقائع الحقيقية تتسم بشيءٍ من عدم الوضوح، وقد ينشأ الغموض من انعدام الأخبار أو تضاربها أو عدم الثقة بها، أو ينشأ عن بعض التصرفات الانفعالية التي تجعل الفرد غير قادر أو متهيئ لتقبل الوقائع التي تقدمها وسائل الإعلام المعروفة"<sup>(٣)</sup>.
  - الإيجاز: كما تتسم الإشاعة بالإيجاز وسهولة التذكير، وسهولة النقل والرواية والتداول"<sup>(٤)</sup>.

١- حكم الشائعات في الشريعة الإسلامية، نجلاء عبده محمد العدلي، ص ٣.

٢- الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد، صلاح نصر، (٢/٣١٧).

٣- الشائعة والأمن، مهدي على دومان، ص ١٩٥.

٤- علم النفس الاجتماعي، حامد عبد السلام زهران، ص ٣٦٠.

## المطلب الثاني: آثار الشائعات على الوطن والمواطنين

### أولاً: إثارة الرعب والفرع وزلزلة القلوب، وتحطيم الروح المعنوية:

يقول الدكتور: (محمد سيد طنطاوي): "ويقصد بها - أي الإشاعة - في الأعم الأغلب؛ التأثير السلبي في النفوس، والعمل على نشر الاضطراب والفوضى، والقلق وعدم الثقة في قلوب الأفراد والجماعات" <sup>(١)</sup>. ولعل من أبرز النماذج التي توضح أثر الشائعة في نشر الرعب والفرع وإرهاب القلوب، وتحطيم الروح المعنوية: إشاعة مقتل النبي (ﷺ) في غزوة أحد.

فبعد أن ترك الرماة مواقعهم التي حددها لهم المصطفى (ﷺ) على جبل أحد، ونزلوا إلى ساحة المعركة لجمع الغنائم، وانتهم المشركون بقيادة خالد بن الوليد انشغال المسلمين بجمع الغنائم والتفوا حولهم، بعد أن قتلوا من بقي من الرماة في مواقعهم، واضطربت صفوف المسلمين؛ انتشرت في هذه اللحظة إشاعة خبيثة في صفوف المسلمين مفادها أن الرسول (ﷺ) قد قتل؛ وسبب هذه الإشاعة أن واحداً من المشركين - وهو ابن قميئة - اعتدى على النبي (ﷺ) خلال اضطراب صفوف المسلمين بأن ضربه على عاتقه ضربة شديدة، ثم أخذ يصيح في الناس: قتل محمدًا قتل محمدًا <sup>(٢)</sup>.

وقد كان لهذه الإشاعة أسوأ الأثر في نفوس المسلمين؛ فقد أصابهم الوهن والضعف والفرع والخوف الشديد؛ فقد أصيب المصطفى (ﷺ) واستشهد خلق كثير من خيار الصحابة، وهكذا يتبين بما لا يدع مجالاً للشك أن تصديق الإشاعات الكاذبة كان له أسوأ الآثار، وأقبح النتائج والأضرار، لا سيما في أوقات الحن والأزمات، وما من أمة تفشو فيها الإشاعات الكاذبة، فتصدقها إلا وكانت عاقبتها الخسران.

### ثانياً: النيل من رموز الوطن، وتشويه صورة قادته وزعمائه:

"ولعل هذا الأثر من أهم الآثار وأشدّها خطراً على حاضر الوطن ومستقبله، حيث تهدف الشائعة إلى هدم الرموز والقداوات، وتشويه صورة الزعماء والقيادات، من خلال الغمز واللمز

١- الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام، محمد سيد طنطاوي، ص ١.

٢- السيرة النبوية، لابن هشام، (٢/٩٤).

والنيل من عرض هذا القائد أو العالم.. وحينئذٍ تخلو الساحة من القيادات والزعامات السياسية والفكرية والاجتماعية والدينية.. التي يحترمها أبناء الوطن ويثق فيها، ويتخذها نماذج يُتذى بها؛ فيسهل الطريق أمام الأعداء للغزو الفكري والثقافي، وتتاح لهم الفرصة لنيل مآربهم، وتحقيق أهدافهم، وتمير أفكارهم<sup>(١)</sup>.

وكما يقول (زاهدان): "ولعل هذا ما يفسر لنا سر استهداف المنافقين في شائعة الإفك، لرأس الأمة وزعيمها وقائدها وقودتها.. رسول الله (ﷺ) ولأحب الناس إليه وخليفته الأول، وهو الصديق (ﷺ) وكذلك ابنته أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، التي هي أحب نسائه إليه (ﷺ)"<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: تفريق الكلمة وشق الصفوف والنيل من وحدة الوطن:

ولعل من أخطر الآثار وأعظم الأضرار التي يمكن أن تخلفها الشائعات، وتلحقها بالوطن وأبنائه، تلك القدرة العجيبة على تفتيت الصف الواحد، والرأي الواحد وتوزيعه وبعثرته: "ذلك أن اجتماع أبناء الوطن وتوحيد كلمتهم ونبد الفرقة فيما بينهم، أصل عظيم من أصول الدين، ومقصد أصيل من مقاصد الشريعة، وغاية من أهم غاياتها، وقد دعت إليه النصوص الصريحة الصحيحة من قرآن وسنة.."<sup>(٣)</sup>.

ولعل من أبرز الأمثلة على خطورة الشائعات وأثرها في بث الفرقة بين أبناء الوطن، ما جاء في حديث الإفك، عن السيدة عائشة (رضي الله عنها) قالت: ".. فقام رسول الله (ﷺ) من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي، وهو على المنبر، فقال: يا معشر المسلمين، من يعذري من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما يدخل على أهلي إلا معي. قالت: فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل فقال: أنا يا رسول الله، أعذرك فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج، أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت: فقام رجل من الخزرج، وكانت أم حسان بنت عمه من فخذ، وهو سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج، قالت: وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحمية، فقال

١- الشائعات وأثرها على الروح المعنوية للجند، فهد سعيد الحربي، ص ٨٢.

٢- الإشاعة وأضرارها على المجتمع، قطب الدين أحمد زاهدان، وعبد الكريم على، ص ٢٤.

٣- الاجتماع ونبد الفرقة، د. صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ص ٥.

لِسَعْدٍ: كَذَبَتْ لَعْمُرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مِنْ رَهْطِكَ مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يُقْتَلَ. فَقَامَ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدٍ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعْمُرُ اللَّهِ لَنَقُتْلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ. قَالَتْ: فَتَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالخَزْرَجُ، حَتَّى هُمَا أَنْ يَفْتَتِلُوا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ، حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ..<sup>(١)</sup>.

فإذا وقع هذا التشاحن والشجار بين خير القرون، وعلى مرأى ومسمع من خير البرية، وسيد البشرية، وبين يديه ﷺ.. وفي خير وأطهر بقاع الأرض، في مسجده ﷺ وهو واقف على منبره الشريف..!! فكيف بنا نحن، وماذا يمكن للشائعات أن تصنع من الفتن والمحن والأزمات؟!

#### رابعاً: تهديد أمن الوطن، وزعزعة هدوئه واستقراره:

"والأمن في مفهومه العام هو: الوصول إلى أعلى درجات الاطمئنان، والشعور بالسلام، واختفاء مشاعر الخوف لدى أفراد المجتمع؛ مما يحفزهم على العمل، ويوفر لهم مناخ الاستقرار اللازم لاستمرار عملية التنمية والتقدم والإنتاج، وهو أحد المطالب الحيوية التي لا يستغني عنها أحد، بل هو مطلب الشعوب كافة، بلا استثناء، ولأهميته دعا به نبي الله إبراهيم ﷺ قائلاً: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴿١٦﴾﴾<sup>(٢)</sup>. وذكره الحق ﷻ في معرض الحديث عن إنعامه على قريش، قائلاً: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

بل وعدّه المصطفى ﷺ ثالث ثلاثة من الأسباب التي إذا توافرت للإنسان كان كمن حيزت له الدنيا بخذافيرها، فعن سلمة بن عبید الله بن محصن الخَطَمِيِّ، عن أبيه، وكانت له صُحْبَةٌ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوْتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّهَا

١- متفق عليه، واللفظ للبخاري في الصحيح، كتاب الشهادات، باب تَعْدِيلِ النَّسَاءِ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا، حديث رقم (٢٦٦١) وأورده مطولاً، مع بعض الزيادات في كتاب المغازي، باب حديث الإفك، حديث رقم (٤١٤١) وأخرجه مسلم في الصحيح، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، حديث رقم (٢٧٧٠).

٢- سورة: البقرة، آية [١٢٦].

٣- سورة: قريش، آية [٤].

حيزت له الدُّنْيَا" (١).

### خامسًا: التلاعب بعقول أبناء الوطن، وإرباك وبلبلة الرأي العام:

ذلك أن للشائعات قدرة عجيبة على التلاعب بعقول المواطنين وتشتيت آرائهم، وأنهم أمامها بين مصدق ومكذب، ومتردد ومشوش الذهن.. حيث تتناقض الأخبار وتتضارب الأنباء، فهذا يثبت وذاك ينفي، وهذا يثبت وذاك يشكك، وآخر يجزم ويؤكد.

"وقد تلعب الشائعة دورًا مهمًا وخطيرًا في جذب انتباه الناس نحو اتجاه ديني، أو تيار فكري، أو سياسي.. وذلك لما لها من قدرة خطيرة في التأثير على الرأي العام، وتسييره إلى الوجهة المرجوة كما أنها قد تجذب العامة إلى فكر معين؛ لتشويه سمعة حاكم أو قائد أو عالم معروف أو جيش أو مؤسسة.." (٢).

### سادسًا: تهديد السلم المدني، وإثارة الفتن والاضطرابات، وصناعة الأزمات:

"حيث تُعد الشائعات من أهم أسباب وذرائع إثارة الفتن وشق الصفوف وتفريق الكلمة، وإحداث الفرقة والانقسام بين أبناء الوطن الواحد، مما يورق أمن المجتمعات على صعيد الأفراد والجماعات والحكومات، ويفتح الباب على مصراعيه لوقوع العديد من الأزمات، ومن هنا وجب

١- الأمن الفكري وعلاقة الجماعات المتطرفة بوسائل التواصل الاجتماعي، سعود حسن العجمي، (٥٠٣/١)، والحديث حسن بمجموع طرقه وشواهد، وقد أخرجته: الترمذي، السنن، أبواب الزهد (٥٧٤/٤) حديث رقم (٢٣٤٦) من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي شَمَيْلَةَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنِ النَّخْطِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، مَرْفُوعًا، وقال الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ مَرْوَانَ بْنِ مُعَاوِيَةَ" وقد أخرجته من هذه الطريق البخاري في "الأدب المفرد" (٣٠٠) والتاريخ الكبير (١١٨١) وابن ماجه، السنن، أبواب الزهد، باب القناعة (٤١٤١) والحميدي في "مسنده" رقم (٤٤٣)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٩٨٧٨) وقال: "هَذَا أَصْحَحُ مَا رُوِيَ فِي هَذَا الْبَابِ..". وفي الباب عن ابن عمر، أخرجته الطبراني في "الأوسط" (١٨٢٨)، وفي إسناده عطية العوفي، وهو ضعيف [الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٢١٣١)]، وفي الباب عن أبي الدرداء وابن حبان، في الصحيح، كتاب الرقائق، باب الفقر والزهد والقناعة - ذكر الإخبار عن طيب الله جل وعلا عيشه في هذه الدنيا (٦٧١) وأبي نعيم في "الحلية" (٢٤٩/٥).

٢- حكم الشائعات في الشريعة الإسلامية، نجلاء عبده محمد العدلي، ص ٣.

على القادة وأولي الأمر أن يديروا تلك الأزمات الناشئة عن الشائعات بحكمة وروية، ولا يحملنهم الغضب على اتخاذ القرارات التي تفتك بأمن المجتمع، وتعصف بهدوئه واستقراره، وتحقق للماكرين أهدافهم وغاياتهم، ولنا في رسول الله (ﷺ) أسوة حسنة؛ وقد سبقت الإشارة، إلى ما وقع من الفرقة والاختلاف وتفرق الكلمة، عندما استعذر النبي (ﷺ) الأوس والخزرج من عبد الله بن أبي بن سلول<sup>(١)</sup>.. حتى كاد الحيان يقتتلان عصبية وحمية، ورسول قائم بينهم وواقف على منبره الشريف، فما كان منه (ﷺ) إلا أن أخذ يخفضهم ويرجئ أمر ابن أبي بن سلول درءًا للفتنة، ونزعًا لفتيل الأزمة، مستعينًا بالله (ﷻ).. " (٢).

### سابعًا: إشاعة الانحلال الخلقي، والانحراف السلوكي بين أبناء الوطن

وقد تبّه ابنُ عاشور إلى هذا الأثر الخطير من آثار الشائعات وما تلحقه من أضرار سلوكية وأخلاقية بالوطن والمواطنين، وهو في معرض تفسيره لتلك الآيات التي تقص علينا خبر شائعة الإفك، فيقول شارحًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

"ولشيوع أخبار الفواحش بين المؤمنين بالصدق أو بالكذب مفسدة أخلاقية، فإن مما يزع الناس عن المفاصد تهييمهم وقوعها وتجهيمهم وكراحتهم سوء سمعتها، وذلك مما يصرف تفكيرهم عن تذكرها بله الإقدام عليها رويدا رويدا حتى تنسى وتنمحي صورها من النفوس، فإذا انتشر بين الأمة الحديث بوقوع شيء من الفواحش تذكرتها الخواطر وخف وقع خبرها على الأسماع، فدبّ بذلك إلى النفوس التهاون بوقوعها وخفة وقعها على الأسماع، فلا تلبث النفوس الخبيثة أن تقدم على افترافها، وبمقدار تكرر وقوعها وتكرر الحديث عنها تصير متداولة، هذا إلى ما في إشاعة الفاحشة من إلحاق الأذى والضرر بالناس ضررًا متفاوت المقدار على تفاوت الأخبار في الصدق والكذب، ولهذا ذيل هذا الأدب الجليل بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي يعلم ما في ذلك من المفاصد فيعظكم لتجتنبوا وأنتم لا تعلمون، فتحسبون التحدث بذلك لا يترتب عليه ضرر وهذا

١- راجع الأثر الثالث من آثار الشائعات ص ٩.

٢- الشائعات وأثرها في تهديد السلم المدني، مارية بسام محمد عبابنة، ص ٨٥.

٣- سورة: النور، آية [١٩].

كقوله: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (١٥) (١).

## المبحث الثاني: دور السنة النبوية في مواجهة الشائعات والتصدي لها

توطئة:

إن حماية الوطن وصيانتة والحفاظ عليه من أخطار وآثار ومضار الشائعات ليس مسؤولية القيادة السياسية وأولو الأمر فحسب، أو هي مسؤولية العلماء والفقهاء وحدهم، كما أنها - وبطبيعة الحال - ليست مسؤولية عامة الشعب.. لكنها مسؤولية مشتركة تتوزع فيها الأدوار والأعباء والمهام، وتتكاتف فيها الجهود؛ ولذلك حرص المهدي النبوي الشريف في التعامل مع الشائعات على تقسيم الأدوار وتوزيع المسؤوليات.

ولا عجب في ذلك فالوطن وحمانيته والدفاع عنه والحفاظ عليه من كل ما يحيط به من أخطار، وما يهدده من شائعات وأراجيف وغلو وتطرف وأميه وجهل وعصيان وتمرد وخيانة وغيرها.. أشبه بالسفينة التي نركبها جميعاً على اختلاف أماكننا ودرجاتنا وأحوالنا، وحماية هذه السفينة من الأمواج العاتية، مسؤولية مشتركة، فعن التُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ (رضي الله عنه)، عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَأَقِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ جَنَّوْا وَجُحُوا جَمِيعًا.. " (٢).

وانطلاقاً من هذه الرؤية النبوية لسفينة الوطن، كان المهدي النبوي في مواجهة الشائعات التي تعصف بهذه السفينة، وتهدد أمنها وسلامتها يقوم على محورين:

- المحور الأول: الذين هم في أعلاها (وهم أولي الأمر من القادة والعلماء).
- المحور الثاني: الذين هم في أسفلها (وهم عامة الناس وجمهور المواطنين).

١- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور (١٨٥/١٨)، والآية من سورة: النور، رقم [١٥].

٢- البخاري، الصحيح، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، حديث رقم (٢٤٩٣).

وسوف أحاول دراسة كل محور من هذين المحورين في مطلب مستقل، مبيّناً فيه الدور المنوط بكل فئة من هذه الفئات في مواجهة الشائعات والتصدي لها.

### المطلب الأول: دور أولي الأمر من الزعماء والقادة والعلماء في مواجهة الشائعات

#### أولاً: مواجهتها بالحقائق الثابتة، والأدلة القاطعة:

إن من أفضل الوسائل لدحض الإشاعات الكاذبة: مواجهتها بالحقائق الثابتة التي تدمغها وتزهقها، وبالمنطق الحكيم الذي يفضح المتفوهين بها والناشرين لها، ومثال ذلك ما حدث في بداية البعثة النبوية حيث كثر إيذاء المشركين لمن أسلم مع رسول الله (ﷺ) فلم يجد لهم الرسول (ﷺ) مخرجاً إلا بالهجرة إلى الحبشة، فهاجروا، وبعد وصولهم إلى الحبشة بفترة من الزمن عادوا إلى مكة؛ لأنهم سمعوا أن المشركين قد هادنوا المسلمين وتركوهم أحراراً، لكنهم وجدوا الأمر خلاف ذلك، فأمرهم الرسول (ﷺ) بمعاودة الهجرة إلى الحبشة، وكانت الهجرة الثانية أشق من الأولى؛ لأن كفار مكة قد تنبهوا للأمر وقرروا إفشالها، لكن استطاع المسلمون الإفلات من حصار المشركين ووصلوا إلى الحبشة، فجز عليهم أن يجد من هاجر من المسلمين مأمناً لهم في بلاد الحبشة، فأرسلوا وفداً منهم يحمل الهدايا لملك الحبشة، وزودوه بالإشاعات الكاذبة عن المسلمين، وكان مما قاله (عمرو بن العاص) قبل أن يسلم: "أيها الملك إن ناساً من سفهائنا فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، ونرجو أن تطردهم من بلادك.." (١).

لكن النجاشي - وكان معروفاً بالعدل والحكمة - رأى أن من العدل والإنصاف تمحيص القضية وسماع جميع الأطراف، فأرسل إلى أصحاب محمد (ﷺ) فحضرُوا وسألهم وكان المتحدث عنهم (جعفر بن أبي طالب) (رضي الله عنه) قال: "فَأَنْتَهَيْتَنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ وَهُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسِهِ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَنِ بَيْتِهِ، وَعُمَارَةُ عَنْ يَسَارِهِ، وَالْقَسِيسِيُّونَ مِنَ الرُّهْبَانِ جُلُوسٌ سِمَاطِينَ<sup>(٢)</sup>. فَقَالَ لَهُ عَمْرُو وَعُمَارَةُ: إِنَّهُمْ لَا يَسْجُدُونَ لَكَ، فَلَمَّا أَنْتَهَيْتَنَا إِلَيْهِ زَرْنَا مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْقَسِيسِيِّينَ وَالرُّهْبَانِ: اسْجُدُوا لِلْمَلِكِ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: لَا نَسْجُدُ إِلَّا لِلَّهِ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ

١- البداية والنهاية، لابن كثير، (٧٠/٣).

٢- سِمَاطِينَ: أي صفين، وسِمَاطُ القوم: صفُّهم. ويُقال: قامَ القومُ حوله سِمَاطِينَ أي صفين. ينظر: لسان العرب، لابن منظور (٣٢٥/٧).

بَعَثَ فِينَا رَسُولَهُ، وَهُوَ الرَّسُولُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِ اسْمُهُ أَحْمَدُ، فَأَمَرْنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَنُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَنُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَأَمَرْنَا بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَالَ: فَأَعْجَبَ النَّاسَ قَوْلُهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَمَرُوهُ، قَالَ لَهُ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْمَلِكَ، إِنَّهُمْ يُخَالِفُونَكَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَقَالَ النَّجَاشِيُّ لَجَعْفَرٍ: مَا يَقُولُ صَاحِبُكَ فِي ابْنِ مَرْيَمَ؟ قَالَ: يَقُولُ فِيهِ قَوْلَ اللَّهِ: هُوَ رُوحُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ، أَخْرَجَهُ مِنَ الْبُتُولِ الْعُدْرَاءِ، لَمْ يَقْرُبَهَا بَشَرٌ، قَالَ: فَتَنَاوَلَ النَّجَاشِيُّ عُدْوًا مِنَ الْأَرْضِ، فَرَفَعَهُ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْقَسِيسِينَ وَالرُّهْبَانَ، مَا يَزِيدُ هَؤُلَاءِ عَلَى مَا تَقُولُونَ فِي ابْنِ مَرْيَمَ مَا يَزِنُ هَذِهِ، مَرْجَبًا بِكُمْ، وَبِمَنْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِهِ، فَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَّهُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَلَوْلَا مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ، لَأَتَيْتُهُ حَتَّى أَحْمِلَ نَعْلَيْهِ، امْكُثُوا فِي أَرْضِي مَا شِئْتُمْ، وَأَمْرٌ لَهُمْ بِطَعَامٍ وَكِسْوَةٍ، وَقَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ هَذَيْنِ هَدَيْتَهُمْ" (١).

ولنا أن تتأمل كيف أدت مواجهة الشائعة بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة، إلى القضاء عليها وتبديدها، وكيف أدت إلى فتح جديد ونصرٍ عظيم، وقوةٍ وعزةٍ ومنعةٍ للمستضعفين.. وخيبةٍ وخسارةٍ وخذلانٍ للمرجفين.

### ثانيًا: منع من يثير الشائعات عن قوة العدو (المُخْذَل) من البقاء بين الجنود:

من المعلوم أن الشائعات تكثر في زمن الحروب والنزاعات المسلحة، حيث يغيب الأمن، ويسود الخوف والقلق والاضطراب فيكون الجو مهيبًا، والتربة خصبة لنمو الشائعات وذيوعتها وانتشارها، ولذا فإن من التدابير الوقائية التي ينبغي على ولي الأمر اتخاذها دون تردد؛ منع من يثير الشائعات عن قوة العدو (المُخْذَل) من البقاء بين الجنود؛ بل إن من واجبات الإمام أن يمنع

١- رجاله ثقات، أخرجه الحاكم، في المستدرک، کتاب التفسیر - تفسیر سورة النساء - قصة إسلام النجاشي وغلبة وفد المسلمين على الكافرين عنده، حديث رقم (٣٢٠٨) وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" وقال الذهبي: "على شرط البخاري ومسلم". وقد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، رقم (٣٦٦٤٠) مطولاً، وعبد بن حميد، في المسند رقم: (٥٥٠) جميعهم من طريق: عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، أَنبَأَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى.. وأخرجه أبو نعيم في "الحلية" (١/ ١١٤) من طريق عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ رَجَاءٍ، ثَنَا إِسْرَائِيلُ.. وأخرجه أبو داود، في السنن، كتاب الجنائز، باب في الصلاة على المسلم يموت في بلاد الشرك، رقم (٣٢٠٥) من طريق: إسماعيل بن جعفر عن إسرائيل.. بهذا الإسناد.

المخذّل من الخروج في الجيش يقول صاحب ( الفروع ): " وَيَلْزَمُ الْإِمَامَ، وَقِيلَ يُسْتَحَبُّ، تَعَاهُدُ خَيْلٍ وَرِجَالٍ، فَيَمْنَعُ مَا لَا يَصْلُحُ لِحَرْبٍ كَمُخَذَّلٍ يَفْنَدُ عَنِ الْعَزْوِ، وَمُرْجِفٍ يَحْدُثُ بِقُوَّةِ الْكُفَّارِ وَضَعْفِنَا، وَمُكَاتِبٍ بِأَخْبَارِنَا، وَرَامٍ بَيْنِنَا، وَمَعْرُوفٍ بِنِفَاقٍ وَزَنْدَقَةٍ.. " (١). وهذا إجراء وقائي واستباقي لمواجهة الشائعة.

ولعل الحكمة في هذا الإجراء الوقائي: " أن مَنْ يقومون بترويح الشائعات هم في حقيقة الأمر جماعة من المعسكر الإسلامي، لم تألف نفوسهم النظام، ولم يدركوا خطورة الإشاعة في خلخلة المعسكر، وفي النتائج التي تترتب عليها، وقد تكون قاصمة؛ لأنهم لم يرتفعوا إلى مستوى الأحداث، ولم يدركوا جدية الموقف وحساسية الظرف، وإن كانت كلمة عابرة أو فلتة لسان، فقد تجر من العواقب على الشخص ذاته، وعلى جماعته، ووطنه، ما لا يخطر له ببال، وما لا يتدارك بعد وقوعه بحال، أو لأنهم لا يشعرون بالولاء الحقيقي الكامل لهذا المعسكر، فلا يعينهم ما يقع له من جراء أخذ كل شائعة، والجري بما هنا وهناك، وإذاعتها حين يتلقاها لسان عن لسان.. " (٢).

### ثالثاً: رفع الروح المعنوية، وبث الأمل والتفاؤل:

ذلك أن من سمات الأمم العاقلة القوية، أن ترى أبناءها كالبنين المرصوص يشد بعضه بعضاً، وأن أفرادها يتعاونون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وأن حبهم لدينهم وأوطانهم يجعلهم ينبذون كل إشاعة كاذبة من شأنها إن صدقها الناس أن يلحقهم الأذى والضرر.

والقائد الحكيم صاحب البصيرة النافذة والعزيمة القوية والهمة العالية والشجاعة الفائقة، هو الذي يستطيع - لا سيما في أوقات المحن والأزمات - أن يجمع شمل جنوده، وأن يقوي الروح المعنوية في أبناء وطنه، وأن يجعل الجميع ينبذون الإشاعات الكاذبة، ويحتقرون الأراجيف الباطلة، ويلقون خلف ظهورهم كل ما يؤثر في أخوتهم واتحادهم وتماسكهم.

والذي يقرأ سيرة المصطفى (ﷺ) يجده يضرب أروع الأمثلة بقوله وفعله في تقوية الروح المعنوية في نفوس أتباعه، وفي شحذ هممهم من أجل التغلب على الأزمات ومواجهة المحن والشدائد، وكذا

١- الفروع، لابن مفلح، (١٩٢/٦).

٢- حكم الشائعات في الشريعة الإسلامية، نجلاء عبده محمد العدلي، ص ٢١.

في وقايتهم من التأثر بما يشيعه أعداؤهم عنهم من أقوال باطلة.

ومن ذلك ما فعله الرسول (ﷺ) يوم الأحزاب، حين عرضت لهم صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ فيها المعاول، يقول البراء بن عازب (رضي الله عنه): "وَعَرَضَ لَنَا صَخْرَةٌ فِي مَكَانٍ مِنَ الْخَنْدَقِ لَا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ، قَالَ: فَشَكَّوْهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ عَوْفٌ: وَأَحْسَبُهُ قَالَ: وَضَعَ ثَوْبَهُ ثُمَّ هَبَطَ إِلَى الصَّخْرَةِ فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ فَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ فَضْرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهُ إِلَيَّ لِأُبْصِرَ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ وَضْرَبَ أُخْرَى فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللَّهُ إِلَيَّ لِأُبْصِرَ الْمَدَائِنَ، وَأُبْصِرَ قُصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ وَضْرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَمَلَأَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ"<sup>(١)</sup>.

رابعاً: استثمار طاقات الشباب و شغل أوقات فراغهم بالعمل الجاد النافع لهم ولأوطانهم:

فقد خلق الله الإنسان للعبادة والعمل، ومن لم يشغل نفسه بما يعود عليه وعلى مجتمعه ووطنه بالنفع؛ يعيش في فراغ قاتل ويكن تربة خصبة لنقل وتداول الشائعات، فالعقول الفارغة يسهل ملؤها بالتوافه والأكاذيب، ويزداد الأمر سوءاً إن اقترن هذا الفراغ بالشباب، والغنى، وذلك لما في مرحلة الشباب من طاقة كبيرة، إن لم تستغل وتستثمر بشكل جيد في العمل والإنتاج؛ فإنها تكون وبالاً على الإنسان والأوطان، فاستغناء الشاب عن العمل الذي يشغله، مع توافر المال بين يديه، يتيح له فرصة كبيرة ( للقليل والقال ) لاسيما إن كان ممن يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة، والتي أصبحت من أهم وأخطر وسائل نقل وتداول الشائعات، وقد أخبر المصطفى (ﷺ) عن غبن كثير من الناس لهاتين نعمتين، وسوء استعمالهما، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ

١- إسناده حسن، أخرجه أحمد في المسند، حديث رقم ( ١٨٦٩٤ ) واللفظ له، والنسائي في "الكبرى، كتاب السير، حفر الخندق (٨٨٠٧)، وأبو يعلى (١٦٨٥) من طرق عن عوف، عن أبي عبد الله ميمون، عن البراء.. وله أصل في الصحيح من حديث جابر عند البخاري، في الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، حديث رقم: (٤١٠١)، وفيه: " فأخذ النبي ﷺ المِعْوَلَ، فَضْرَبَ فِي الْكُدْيَةِ، فَعَادَ كَثِيلاً أَهْيَلٌ أَوْ أَهْيَمٌ.. " وليس فيه الزيادة التي في رواية أحمد، وحسن الحافظ ابن حجر إسناده في الفتح [فتح الباري (٤٥٧/٧)].

﴿وَلَا تَقْرَأُ الْكِتَابَ إِلَّا نُورًا فَتُبِينُ﴾ (١).

#### خامساً: تنمية منهج التقويم والنقد والمراجعة لدى أبناء الوطن:

"النقد والتقويم والمراجعة من القيم الإيجابية في المنظور القيمي الإسلامي، وقد حثَّ القرآن الكريم على تفعيل تلك القيمة، فقال (ﷺ): ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (٢).

ولعل من الصور والتطبيقات العملية لهذا المنهج الإلهي في مواجهة الشائعات، ما رواه الطبري في تفسيره، عن أبي أيوب الأنصاري وزوجه - (ﷺ) - وقد خاض الناس في حديث الإفك أن: "أبا أيوب خالد بن زيد، قالت له امرأته أم أيوب: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك" (٣).

#### سادساً: الشفافية والوضوح، وفتح قنوات الحوار والتواصل:

إن الشفافية والوضوح وتقديم التفسيرات للقرارات السياسية، وفتح قنوات الحوار والتواصل، والإبقاء عليها بين القادة وصناع القرار وبين أبناء الوطن تعد أحد أهم الآليات الكفيلة بسد ذرائع الفوضى والهرج، وقطع الطريق أمام مروجي الشائعات لبث السموم والأراجيف..

ومن الأمثلة العملية على هذه الآلية وهذه السياسة النبوية في مواجهة الشائعات، والقضاء عليها في مهدها؛ ما حدث في أزمة توزيع الغنائم، في أعقاب غزوة حنين؛ فبعد انتصار المسلمين في هذه الغزوة، نال المسلمون غنائم وفيرة، تطلعت لها مطامع الناس، وتاقت إليها نفوس العباد "وأعطى رسول الله (ﷺ) المؤلفة قلوبهم، وكانوا أشرفاً من أشرف الناس، يتألفهم ويتألف بهم قومهم، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير، وأعطى حكيم بن

١- البخاري، الصحيح، كتاب الرقاق، باب لا عيش إلا عيش الآخرة، حديث رقم (٦٤١٢).

٢- سورة: الزمر، آية [١٨].

٣- جامع البيان، للطبري، (١٢٩/١٢٩).

حزام مائة بعير، وأعطى الحارث بن كلدة أخوا بني عبد الدار مائة بعير<sup>(١)</sup>.

فلما أعطى الرسول (ﷺ) هؤلاء الأشراف تلك العطايا ولم يجعل للأنصار شيء، وجد الأنصار شيئاً في أنفسهم تجاه رسول الله (ﷺ)، فعن أبي سعيد الخدري قال: "لَمَّا أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) مَا أُعْطِيَ مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَجَدَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) قَوْمَهُ. فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفِيءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ، قَالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي، وَمَا أَنَا؟ قَالَ: فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ، فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ فَزَدَهُمْ. فَلَمَّا اجْتَمَعُوا لَهُ أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَاتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةَ بَلْغَنِي عَنْكُمْ وَجِدَّةً وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ، وَأَعْدَاءَ فَأَلْفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟ قَالُوا: بَلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرٌ وَأَفْضَلُ. قَالَ: أَلَا بُجَيُّونِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟ قَالُوا: وَمَاذَا بُجِيئُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ، قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلِصَدَقْتُمْ وَلِصِدْقَتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذِّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَأَوْيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَاسْتَيْنَاكَ، أَوْجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفَتْ بِهَا قَوْمًا لِيُسَلِّمُوا وَوَكَلْتُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ، أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ فِي رِحَالِكُمْ، فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكَتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَحْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحِطًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَتَفَرَّقُوا"<sup>(٢)</sup>.

١- السيرة النبوية، لابن هشام (٤٩٢/٢).

٢- إسناده حسن، أخرجه أحمد في المسند، (٢٥٣/١٨) رقم (١١٧٣٠) وابن أبي شيبة، في المصنف، (٤١٨/٧) رقم (٣٦٩٩٧) وأبو يعلى في المسند (٥٠٩/٢) رقم (١٣٥٨) وأورده الهيثمي، في مجمع

وهنا تظهر أهمية فتح قنوات الاتصال والحوار والتواصل، وضرورة الإبقاء عليها بين القادة والزعماء، وبين أبناء الوطن فسياسة الباب المفتوح، والمفاتيحة والمعاينة من المصادر المهمة للمهمة للتزويد بالمعلومات، والمتابعة الدقيقة لتطورات الأحداث، ومن ثم التدخل متى دعت الحاجة والضرورة إلى ذلك.

" كما لا بد من ملاحظة كيف واجه رسول الله (ﷺ) اعتراض الأنصار، وحاوهم ولم يرض بسكوتهم أول مرة، فالنفوس تهاب الزعيم والقائد، ولهذا يقولون بأدب (بَلِ اللّٰهُ وَرَسُوْلُهُ اَمْنٌ وَّافْضَلُ) وكان بإمكانه (ﷺ) أن يستند إلى سكوتهم المشوب بالخجل منه (ﷺ) في تبرير موقفه من توزيع الغنائم، إلا أنه (ﷺ) فضّل أن يحاورهم، ويقر لهم بالفضل، ويعلمهم بالهدف من وراء هذه القسمة، حتى يقضي على هذه الشائعة في مهدها، ولينزح بذلك فتيل الأزمة من نفوسهم، ويكون سكوتهم عن رضا وارتياح، لا عن خوف وخجل.. " (١).

### المطلب الثاني: دور أفراد الشعب وأبناء الوطن في مواجهة الشائعات

قبل الحديث عن الدور المنوط بأفراد المجتمع في مواجهة الشائعات، لا بد من تقرير حقيقة، وهي أن الشائعة: " مرض وبائي خطير، فما يلبث المرجف أن يطلق إشاعته، حتى تراها قد ذاعت وشاعت وانتشرت كالنار في الهشيم، ولا يتسنى لها ذلك لولا وجود صنفين من الناس، أولهما: من وقع في الجهل فلم يتنبّت ولم يتروّ، وقد يكون في هذا الصنف من هو من أهل الصلاح والنوايا الحسنة، ولكن الخبر يسترعي اهتمامه فيأخذ في نشره والتحدث به والسؤال عنه، والثاني: هم المنافقون والحاقدون، الذين تقع منهم الشائعة موقع الموافقة، والقبول والسرور لنيل مأربهم، وتحقيق مرادهم، من إلحاق الأذى بمن لا يرتضون.. " (٢).

الزوائد ومنبع الفوائد، (٣٠/١٠) رقم (١٦٤٧٧) وقال: " رَوَاهَا أَحْمَدُ كُلَّهَا، وَأَبُو يَعْلَى بِالرَّوَايَةِ الَّتِي قَالَ فِيهَا: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لِأَصْحَابِهِ.. وَرِجَالُ الرَّوَايَةِ الْأُولَى لِأَحْمَدَ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، وَقَدْ صَرَّحَ بِالسَّمَاعِ.. " وتصريح محمد بن إسحاق، بالتحديث هنا، ينفي عنه شبهة التدليس، والله أعلم.

١- إدارة الأزمة، عبد الله الكيلاني، ص ١٣٤.

٢- الشائعات وأثرها في تهديد السلم المدني..، مارية بسلام محمد عبابنة، ص ٦١.

فنحن إذاً أمام صنفين من الناس في التعامل مع الشائعة، صنف: أراد ببثها الفتنة، وآخر وقع فيها بسبب العجلة وعدم التروي والتثبت؛ اغتاراً بما أُشيع، وبالظروف والملابسات التي رافقت الشائعة..

ولعل هذا ما يفسر لنا سبب وقوع بعض مَنْ يُتَيَّمَنُ فيهم الخير والصلاح من خير القرون، من أصحاب النبي (ﷺ) في الفتنة والخوض في شائعة الإفك، كما أشارت إلى ذلك رواية أم المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها) قائلة: "أَمَا زَيْنَبُ ابْنَةُ جَحْشٍ فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِدِينِهَا، فَلَمْ تَقُلْ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا أُخْتُهَا حَمْنَةُ فَهَلَكَتْ فِيْمَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيهِ مِسْطَحٌ وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَالْمُنَافِقُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِيٍّ وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَسْتَوْشِيهِ وَيَجْمَعُهُ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ، هُوَ وَحَمْنَةُ.. " (١).

وقد حفلت السنة النبوية بالعديد من الوصايا القولية، والمواقف العملية، التي تحدد مسؤولية كل من الصنفين السابقين من أبناء الوطن، وتبرز دوره في مواجهة الشائعات، والقضاء عليها، وذلك على النحو التالي:

#### أولاً: تقديم حسن الظن من المسلم بأخيه المسلم عن سماع الشائعة:

وقد وجهنا القرآن الكريم مباشرة إلى هذا السلوك الإيماني قائلاً: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ (١٢) ولنا فيما فعله الصحابة الكرام - ﷺ - أجمعين - في حادثة الإفك خير شاهد ودليل:

فهذا أسامة بن زيد (رضي الله عنه) حين استشاره رسول الله (ﷺ) في فراق أهله، يجب بلا تردد: "أَهْلَكَ، وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا" (٣).

وهذه بريرة حين سألتها (رضي الله عنها) عن السيدة عائشة تقول: "وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَعْمِصُهُ غَيْرَ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ" (٤).

١- البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، حديث رقم (٤١٤١).

٢- سورة: النور [١٢].

٣- البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، حديث رقم (٤١٤١).

٤- المصدر السابق، نفسه، وبريرة هي: مولاة عائشة (رضي الله عنها) [ ابن الأثير، أسد الغابة: (٣٧/٧)].

ويسأل السيدة زينب بنت جحش فتقول: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا"<sup>(١)</sup>.

ويعصد هو (ﷺ) على المنبر فيقول: "مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَدَاهُ فِي أَهْلِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي.." <sup>(٢)</sup>.

### ثانيًا: وجوب الثبوت من صحة ما يُقال ويُسمع:

وقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تحث المسلمين على الثبوت من صحة ما ينطقون به، وما يسمعونه من غيرهم، وما يقرءونه في صحفهم، وما يدور بينهم من أحاديث، ومن الآيات الجامعة في هذا الشأن، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ <sup>(٣)</sup>.

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية أنها نزلت في ( الوليد بن عقبة بن أبي معيط)، فقد روي أن النبي (ﷺ) بعثه مصدقا <sup>(٤)</sup>. إلى بني المصطلق، فلما أبصروه أقبلوا نحوه فهاجم لإحنة <sup>(٥)</sup> كانت بينه وبينهم، فرجع إلى النبي (ﷺ) فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام، فبعث نبي الله (ﷺ) خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق خالد حتى أتاهم ليلا، فبعث عينونه فلما جاءوا أخبروا خالدًا أنهم متمسكون بالإسلام، وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا أتاهم خالد ورأى صحة ما ذكره، فعاد إلى نبي الله (ﷺ) فأخبره، فنزلت هذه الآية، وفي رواية: أن النبي (ﷺ) بعثه إلى بني المصطلق بعد إسلامهم، فلما سمعوا به ركبوا إليه، فلما سمع بهم خافهم، فرجع إلى رسول الله (ﷺ) فأخبره أن القوم قد هموا بقتله، ومنعوا صدقاتهم، فهم رسول الله (ﷺ) بغزوهم، فبينما هم كذلك إذ قدم وفدهم على رسول الله (ﷺ) فقالوا: يا رسول الله، سمعنا برسولك فخرجنا إليه لنُكرمه، ونؤدي

١- البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، حديث رقم (٤١٤١).

٢- المصدر السابق، نفسه.

٣- سورة: الحجرات [٦].

٤- والمُصَدِّقُ: الَّذِي يَأْخُذُ الْحُقُوقَ مِنَ الْإِبْلِ وَالْغَنَمِ [ابن منظور، لسان العرب، (١٠/١٩٦)].

٥- الإحنة: " الحقد والعداوة والجمع إحن " [ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (١/٢٧)].

إليه ما قبلنا من الصدقة، فاستمر راجعاً، وبلغنا أنه يزعم لرسول الله (ﷺ) أنا خرجنا لنقاتله، والله ما خرجنا لذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وسمى الوليد فاسقاً أي كاذباً..<sup>(١)</sup>.

يقول الدكتور (محمد سيد طنطاوي) والمعنى: "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بخبز من الأخبار، فلا تقبلوه دون تثبت، بل تأكدوا من صحته، والتعبير (بان) المفيدة للشك، للإشعار بأن الغالب في العقلاء اليقظة، ومعرفة مداخل الأمور ومخارجها وما يترتب عليها من نتائج، وأنهم يحكمون عقولهم فيما يسمعون من أنباء، ولا يقيمون وزناً للإشاعات والأراجيف.."<sup>(٢)</sup>.

ولعل فيما سبق ذكره - في العنصر السابق - من تَبَيَّنَ النبي (ﷺ) في شائعة الإفك، وسؤاله (لأسامة بن زيد) واستيثاقه وسؤاله للحارية (بريرة) وللسيدة (زينب بنت جحش) - ﷺ أجمعين - دليل عملي وتطبيقي منه (ﷺ) لمنهج التثبت والاستبيان عند سماع الأخبار والشائعات.

### ثالثاً: رد الأمور إلى مصادرها الأصلية:

فرد الأمور إلى مصادرها الأصلية وذلك بسؤال أهل العلم والخبرة وذوي البصائر المستنيرة دليل على سلامة التفكير وصلاح الحال، وصفة ينبغي للعقلاء أن يتصفوا بها، وهي صفة من صفات الأخيار من الناس، وعلى النقيض من ذلك فإن القول بغير علم، والحكم دون بينة، يُعد من أقبح الصفات التي لا تلتصق إلا بالسفهاء الأشرار، والتي تشكل ذريعة قوية لنشر وترويج الشائعات، التي تهدد أمن الوطن واستقراره، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٧) . لقد جاءت هذه الآية في سياق الرد على من زعموا أن الأنبياء لا يكونون من البشر، وأشاعوا أن الرسول (ﷺ) لا يصلح أن يكون رسولاً؛ لأنه بشر كسائر البشر، والرسول في زعمهم يجب أن يكون من الملائكة، فرد القرآن عليهم بهذا الرد الدامغ، وأمرهم بسؤال أهل العلم وأصحاب الخبرة والفهم عند اختلاط الأمور عليهم.

١- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٣١١/١٦).

٢- الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام، د. محمد سيد طنطاوي، ص ١٩٠.

٣- سورة: الأنبياء [٧].

فقوله تعالى: ﴿ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٣).<sup>(١)</sup> توبيخ لهؤلاء الغافلين، لأنهم تكلموا بهذا الكلام دون تعقل، أو تدبر، أي: ما دامت قد بلغت بكم الغفلة أن تستبعدوا أن يكون الرسل من البشر، فاسألوا أهل العلم لكي يوضحوا لكم بالمنطق والبرهان أن الرسل السابقين لم يكونوا إلا رجالاً، فإن شفاء الجهل سؤال أهل الخبرة في كل علم وفن، وإن السفهاء وحدهم هم الذين يفتنون بغير علم، ثم يشيعون ذلك بين الناس عن سوء نية وقبح طوية..<sup>(٢)</sup>

ومن الجدير بالذكر: "أن أمتنا وأوطاننا تعاني اليوم حالة من ( الغنائية الثقافية ) تملأ الفضاء والأجواء، ويسيطر عليها الإعلام بكل وسائله وأدواته، ويسهم الكثير منه في صناعتها وترويجها، من خلال ما يبثه من حوارات ومناقشات ومقابلات وتحليلات، وإن شئت فقل: (تضليلات).. هذا الواقع الغوغائي وهذه الحالة الغنائية، غالباً ما تقتصر على الإذاعة والإشاعة، والدوران ضمن الحلقات نفسها، وهي الحالة التي أشار إليها القرآن الكريم قائلاً: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾ (٨٣).<sup>(٣)</sup>

هذا الواقع الغوغائي، وهذه الحالة الغنائية من الإشاعة والإذاعة، والهيجان، والحماسة، والأخذ والرد، والضجيج والخوض، والتي تشبه إلى حد كبير، آلة تصويرٍ لاقطه، أو شاشة تليفزيونية أمام المشاهدين جميعاً تشد أبصارهم، وتجذب انتباههم، وتستحوذ على اهتمامهم، وتشكل أحاديثهم، وتداولهم الكلامي.. تفتقر إلى الأجدية الصحيحة، التي تحسن قراءتها بشكل صحيح، وتدرك أبعادها وتخلص إلى الحلول من ظواهرها، وتستنبط الأوعية الشرعية الملائمة لواقع الأمة ومسيرتها، وهنا يأتي القرآن الكريم ليقدم الحل الأمثل لهذا الواقع فيقول الحق سبحانه: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (٨٣).<sup>(٤)</sup>

والسؤال الذي يطرح نفسه بالحاح: "أين الذين يستنبطونه منا؟! أين الاختصاصات التي تؤهل وتمكن لذلك؟ أين الفقهاء بالمعنى الأعم للفقهاء؟ أين المؤهلون للحوار؟ أين القادرون على

١- سورة: النحل [٤٣].

٢- الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام، د. محمد سيد طنطاوي، ص ١٩٠.

٣- سورة: النساء، آية [٨٣].

٤- سورة: النساء، آية [٨٣].

الإبصار، المؤهلون لتجاوز الصورة إلى الحقيقة؟! أين من يمتلكون إمكانية قراءة وتحليل ما وراء الصورة؛ للتعرف على الحقيقة ومن ثم وضع الخارطة المناسبة للتعامل معها.. وهذا لا يتحقق إلا برد كل قضية إلى متخصصيها من المؤهلين القادرين على الاجتهاد واستنباط الحلول، ولكل إشكالية متخصصوها"<sup>(١)</sup>.

ومن الجدير بالذكر: "أن الدول المتقدمة قد أدركت أهمية ذلك من وقت مبكر، أدركته بالتجربة والاختبار، والخطأ والصواب، فجعلته عملاً مؤسسياً، فأنشأت مراكز متخصصة للبحوث والدراسات، ورصد ومتابعة الأخبار والمستجدات.. مهمتها قراءة الصورة وتحليل مضمونها، ورصد ظواهر الواقع، وفقه أسبابها وأهدافها، وإصدار الدراسات والأبحاث، التي تشكل دليل عمل وخارطة طريق، للمواطن وصاحب القرار على حد سواء، حتى إنه ليوجد في بعض الدول المتقدمة اليوم أكثر من ألفي مركز بحوث ودراسات في شتى التخصصات!

فأين نحن من وحي ربنا وسنة نبينا التي اختصرت لنا الطريق؟! أين نحن من إقامة المراكز المتخصصة، التي تقرأ إذاعات وإشاعات الأمن والخوف، وشتى شؤون الواقع الإنساني، وتستنبط الحلول، وتخلصنا من حالة التبعر والضياح والهيجان والإشاعة والادعاء؟! وكيف لنا أن نصل إلى القناعة بأن لكل شأن من شؤون الحياة متخصصوه، وأهل الخبرة والدراية به"<sup>(٢)</sup>.

#### رابعاً: كتمان الشائعة، وعدم تكرار الحديث عنها:

إن من أنجح الوسائل، وأيسر الأساليب للقضاء على الإشاعات الكاذبة والأراجيف الباطلة، التي تكثر في أوقات المحن والأزمات والاضطرابات: هو كتمانها وعدم نقلها من شخص لآخر، أو من جماعة لأخرى، أو من مكان لآخر، لأن كتمانها يُميتها، ويدل على احتقارها، وعلى الاستخفاف بها، ومتى حدث ذلك في بلد من البلدان؛ ساد فيه الأمن والأمان، والهدوء والاطمئنان، ولقد كان من الآداب القرآنية السامية، والتوجيهات الحكيمة التي أمر الله (ﷺ) عباده المؤمنين بالتزامها، أنهم إذا سمعوا إشاعة خبيثة أشاعها المنافقون، ومن في قلوبهم مرض، فإن عليهم كتمانها وعدم نقلها وتداولها، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا

١- منهج النبوة وإشكالية النهوض، عمر عبيد حسنة، ص ١٤٩.

٢- المصدر السابق، ص ١٥٠.

## سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾<sup>(١)</sup>.

وقد وردت هذه الآيات الكريمة، تعقيماً على ما أشاعه المنافقون من تهم كاذبة وأراجيف باطلة، عن السيدة عائشة رضي الله عنها، مما تسبب في إحداث أزمة خطيرة في بيت النبوة كادت أن تتسبب في تدمير أشرف وأطهر البيوت على ظهر الأرض، لولا أن أظهر الله ﷻ براءتها من فوق سبع سماوات.

### خامساً: الحذر من تداول وترديد كل ما يُقال ويُسمع:

فَعَنْ أَبِي قَلَابَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَوْ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لِأَبِي مَسْعُودٍ مَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بِي: زَعَمُوا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: بِئْسَ مَطِيئَةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا<sup>(٢)</sup>. وقال ابن حجر: "الأصل في زعم أنها تُقال في الأمر الذي لا يوقف على حقيقته" <sup>(٣)</sup>.

وقال ابن بطال: "معنى حديث أبي مسعود أن من أكثر من الحديث بما لا يتحقق صحته، لم يؤمن عليه الكذب" <sup>(٤)</sup>. وقال البغوي في شرح السنة: "إنما ذم هذه اللفظة؛ لأنها تستعمل غالباً في حديث لا سند له ولا ثبت فيه، إنما هو شيء يحكى عن الألسن، فشبّه النبي ﷺ ما يقدمه الرجل أمام كلامه، ليتوصل به إلى حاجته من قولهم: (زَعَمُوا) بالمطية التي يتوصل بها الرجل إلى مقصده الذي يؤمنه، فأمر النبي ﷺ بالثبوت فيما يحكيه، والاحتياط فيما يرويه، فلا يروي حديثاً

١- سورة: النور [١٦].

٢- إسناده صحيح، ورجاله ثقات رجال الشيخين، أخرجه أبو داود، في السنن، كتاب الأدب، باب في قول الرجل: زَعَمُوا، حديث رقم (٤٩٧٢) وابن المبارك في "الزهد" (١٢٧/١) رقم (٣٧٧) والبخاري في "الأدب المفرد" رقم (٧٦٢) والطحاوي في "المشکل" رقم (١٨٦) من طرق عن الأوزاعي به.. إلا أنهم قالوا: "عن أبي قلابة قال: قال أبو مسعود لأبي عبد الله، أو قال أبو عبد الله لأبي مسعود: ما سمعت.. إلخ.. وقد صرح أبو قلابة بالتحديث في رواية الوليد ابن مسلم، وبذلك قد أمنا تدليسه؛ لأنه يدلّس تدليس التسوية، ولا بد من التصريح بالسماع في كل طبقة من طبقات الإسناد قال: أنبأنا الأوزاعي أنبأنا يحيى بن أبي كثير أنبأنا أبو قلابة أنبأنا أبو عبد الله مرفوعاً به، والتي أخرجه الطحاوي، في المشکل (١٨٦) وقال أبو داود: "أبو عبد الله هذا حذيفة".

٣- فتح الباري، لابن حجر، (٥٥١/١٠).

٤- شرح صحيح البخاري، لابن بطال، (٣٣٠/٩).

حتى يكون مروياً عن ثقة..<sup>(١)</sup>

### سادساً: البعد عن (القييل والقال) وعدم الإكثار من الكلام دون داع:

يقول الأستاذ (فتح الله كولن) في تعقيبه على حديث المغيرة بن شعبة: سَمِعْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) يَقُولُ: " .. إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ"<sup>(٢)</sup>.

"رمز إلى الشائعات هنا ب ( قيل وقال ) وهو الكلام الذي لا ينفذ في الدنيا ولا في الآخرة، وهو الكلام التافه غير الضروري.. ونشر الشائعات مرض اجتماعي يختلف في شدته باختلاف المستوى الاجتماعي للناشرين، وباختلاف واسطة الشائعة – التي قد تكون جريدة أو مجلة أو إذاعة أو تليفزيوناً – ومدى وسعة دائرة انتشارها، وهذا مرض اجتماعي يسري في المجتمعات التي تعطلت فيها مواهب الأفراد، وتسطحت فيها مشاعر الجماهير وضاعت آفاق تفكيرهم.."<sup>(٣)</sup>.

### سابعاً: الحرص على القول النافع أو التزام الصمت:

"إن كل الآثام والشُرور القاتلة التي يكون الفم مصدرها، والتي حرمها الإسلام، تنمو وتنتشر من خلال هذا الطريق وهذه الذريعة، وهي ( القييل والقال ) ولهذا نجد الهدي النبوي المبارك في هذا الشأن يقدم لنا وصية جليلة، وآلية في غاية التأثير للحد من ذبوع الشائعة، والحيلولة دون انتشارها، وهي قول الخير أو التزام الصمت، واعتبارها شرطاً أساسياً ودليلاً قاطعاً على صدق الإيمان بالله واليوم الآخر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): " .. وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"<sup>(٤)</sup>. وقد تنبّه إلى هذا المعنى صاحب كتاب ( الشائعات ) فقال مؤكداً أهمية التزام الصمت وأثره في الوقاية منها: "الواقع أن الوقاية من الشائعات، تتحقق بطريقة

١- شرح السنة، للبعوي، (١٢/٣٦٢).

٢- البخاري، الصحيح، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (١٧٣) [البقرة: ٢٧٣] وكم الغنى، حديث رقم (١٤٧٧).

٣- النور الخالد، فتح الله كولن، ص ٢٤١.

٤- النور الخالد، فتح الله كولن، ص ٢٤١، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره حديث رقم (٦٠١٨).

واحدة هي: منع الناس من الكلام..<sup>(١)</sup>.

ثامناً: التخفيف من وقع الإشاعة ومواساة مَنْ أُوذِي بها:

وهذا الدور قريب من الدور السابق، أو هو متفرع عنه، وهو من قبيل محاولة تلافي الأضرار النفسية والمعنوية التي تخلفها الشائعة، وتلحقها بمن ابتلي بها، ولعل من الدلائل على هذا السلوك النبيل، ما فعلته أم السيدة عائشة (رضي الله عنها)، حين قالت لها أثناء انتشار شائعة الإفك: " قَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ، هَوِّنِي عَلَيْكَ، فَوَ اللَّهُ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةً قَطُّ وَضِيعةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، لَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا."<sup>(٢)</sup>.

تاسعاً: اجتناب الكذب والافتراء:

فقد حذرنا الإسلام من إشاعة الخبر الكاذب، ووصف الله (ﷻ) ورسوله الكريم مبتدع الإشاعة ومروجها بأقبح الأوصاف، فقد وصفه بالفسق في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾<sup>(٣)</sup>. ووصفه بالكذب في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾<sup>(٤)</sup>. وبالنفاق كما في حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ.."<sup>(٥)</sup>.

- ١- الشائعات الوسيلة الإعلامية الأقدم في العالم، جان - نويل كافيرير، ص ٣٠٩.
- ٢- البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، حديث رقم (٤١٤١).
- ٣- سورة: الحجرات، آية [٦].
- ٤- سورة: النحل، آية [١٠٥].
- ٥- البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، حديث رقم (٣٣).

## الخاتمة

### أهم النتائج:

- كشفت الدراسة عن أهم الآثار والمخاطر والأضرار، التي يمكن أن تلحقها الشائعات بالوطن وأبنائه، من إثارة الرعب والقلق والفرع وزلزلة القلوب، وتحطيم الروح المعنوية لأبناء الوطن، والنيل من رموز الوطن، وتشويه صورة قادته وزعمائه، وتهديد أمن الوطن وسلمه، وزعزعة هدوئه واستقراره، وإثارة الفتن والاضطرابات، وصناعة الأزمات، وإشاعة الانحلال الخلقي، والانحراف السلوكي بين أبناء الوطن.
- كما أن للشائعات قدرة عجيبة على تفريق الكلمة وشق الصفوف، والنيل من وحدة الوطن والتلاعب بعقول أبنائه، وإرباك وبلبله الرأي العام.
- إن مَنْ يحاولون نشر الأراجيف وترويج الشائعات هم - وبلا شك - بؤرة فاسدة في جسد الوطن، وطفح جلدي منتن، وآفة فتاكة، تهدد أمن الوطن وسلمه والعمل على محاربتها واستئصالها، وانتزاعها من جذورها واجب شرعي، وضرورة مجتمعية؛ لتبقى الأوطان قوية متماسكة مترابطة ذات هدف واحد، ولتبنى مستقبلها وتقف ضد أي أخطار تعترض مسيرتها.
- كما أوضحت الدراسة أن الوطن في ضوء الهدى والرؤية النبوية أشبه بالسفينة التي يركب على ظهرها جميع مَنْ يعيشون على تراب هذا الوطن، ويستظلون بسمائه وحماية هذه السفينة، والحفاظ عليها من كل ما يحيط بها من أخطار، وما يهددها من مهددات؛ كالشائعات، والأراجيف، وأفكار الغلو، والتطرف، والأمية، والجهل، والعصيان، والتمرد والخيانة، وغيرها.. مقصد شرعي وضرورة مجتمعية.
- بينت الدراسة عظمة السنة النبوية، وعبقرية المنهج النبوي، في حماية الأوطان من آثار وأضرار ومخاطر الشائعات، وقد ظهر ذلك جلياً في توزيع المسؤوليات، وتقسيم الأدوار أثناء عملية المواجهة، فللزماء والقادة والعلماء دورهم ومسؤوليتهم في مواجهة الشائعات، كما أن

## أثر الشائعات في تهديد الوطن ودور السنة النبوية في مواجهتها

لجماهير الشعب وأبناء الوطن كافة دورهم أيضاً، فالمسؤولية عن حماية الوطن من كل ما يهدده مسؤولية مشتركة.

- كما كشفت الدراسة عن استخدام السنة النبوية لنوعين من الوسائل والآليات في التعامل مع الشائعات، وذلك النحو الآتي:

- آليات ووسائل: للوقاية من الشائعات وسد ذرائع ذبوعها وانتشارها، (قبل وقوعها) من اجتناب الكذب والافتراء، والحرص على القول النافع أو التزام الصمت، والبعد عن القيل والقال، وعدم الإكثار من الكلام دون داع، والحذر من تداول وترديد كل ما يُقال ويُسمع، وضرورة رد الأمور إلى مصادرها الأصلية، والتثبت من صحة ما يُقال ويُسمع، والعمل على تنمية منهج التقويم والنقد والمراجعة لدى أبناء الوطن، بالإضافة إلى الشفافية والوضوح، وفتح قنوات الحوار والتواصل، بين القادة والزعماء وبين أبناء الوطن، وضرورة استثمار طاقات شباب الوطن، وشغل أوقات فراغهم بالعمل الجاد النافع لهم ولأوطانهم..

- آليات ووسائل: لمواجهة الشائعات، والحد من آثارها، وتخفيف أضرارها على الوطن والمواطنين (بعد وقوعها) وانتشارها، من كتمان الشائعة، وعدم تكرار الحديث عنها، التخفيف من وقعها السيئ، ومواساة من أُوذي بها، ومواجهتها بالحقائق الثابتة والأدلة القاطعة ومحاولة رفع الروح المعنوية لأبناء الوطن، وبث الأمل والتفاؤل بين جماهير المواطنين.

### التوصيات المقترحة:

- العمل على تفعيل قوانين محاسبة مَنْ يحاولون نشر الأراجيف وترويج الشائعات، في كل المجالات وليس السياسي فقط، فالشائعات الاقتصادية، والدينية، والأخلاقية، والفنية.. تهيئ المناخ لأي شائعات أخرى.

- ضرورة فتح الآفاق لحرية الصحافة والتعبير والبحث العلمي وتخفيف حدة الرقابة القبليّة من الجهات الرسمية؛ لأنها تفتح أبواباً كثيرة للتكهنات والاحتمالات في أي قرار.

- ضرورة التزام الشفافية والوضوح، والحرص على تقديم التفسيرات للقرارات السياسية، وفتح قنوات الحوار والتواصل والإبقاء عليها بين القادة وصناع القرار، وبين أبناء الوطن؛ سداً لذرائع الفوضى والهرج، وقطعاً للطريق أمام مروجي الشائعات لبث السموم والأراجيف..
- ضرورة استشعار المؤسسة الإعلامية لدورها ومسئوليتها الوطنية، في حماية الوطن من الشائعات، وذلك من خلال رد الأمور إلى مصادرها الأصلية، والاستعانة بأهل الخبرة والاختصاص كل في تخصصه ومجاله.
- كما يجب على المؤسسة الإعلامية أن تكون على قدر ومستوى المسؤولية، عند نشر وإذاعة الأخبار والمعلومات المتعلقة بالظروف العسكرية والاقتصادية والاجتماعية للوطن، وذلك لتفويت الفرصة على أعداء الوطن، في محاولة تصيُّدها والتقاطها، ومن ثم جمعها والإفادة منها، والتعامل مع أسرار الوطن على أنها مصلحة عليا مُقدَّسة، وأن المساس بها مساس وإضرار بالوطن نفسه.

## قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الاجتماع ونبد الفرقة، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، اعتنى به: عادل بن علي بن أحمد الفريدان، المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بسلطنة، ط (١٤٢٥هـ).
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (١٤٠٨هـ).
- إدارة الأزمة: مقارنة التراث.. الآخر، عبد الله إبراهيم الكيلاني، سلسلة (كتاب الأمة) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الدوحة، عدد (١٣١) (جمادى الأولى ١٤٣٠هـ).
- الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام، محمد سيد طنطاوي، دار الشروق، ط (٢٠٠١).
- الإشاعة وأضرارها على المجتمع، وطرق وقايتها في ضوء آية الإفك، قطب الدين أحمد زاهدان، وعبد الكريم علي، بحث منشور بالمجلة الدولية للبحوث الإسلامية والإنسانية المتقدمة، مجلد (٥) عدد (٩) (سبتمبر ٢٠١٥م).
- الإشاعة، أحمد نوفل، دار الفرقان، عمان، الأردن ط (١٩٨٣م).
- الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ) حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط (١٤١٩هـ).
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين بن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
- الأمن الفكري وعلاقة الجماعات المتطرفة بوسائل التواصل الاجتماعي، سعود حسن العجمي، بحث منشور بالعدد (١١٢) من مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، السنة (٢٩) عدد (١١٢) (يناير ٢٠١٨م).
- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، دار الفكر، ط (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م).
- التاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ) دائرة المعارف

- العثمانية، حيدر آباد، الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، ط.د.ت.
- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، (١٩٨٤ هـ).
- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١ (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م)
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢ (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م).
- الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بجيدر آباد الدكن، الهند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ (١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م).
- الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد، صلاح نصر، دار القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة، ط١ (١٩٦٦ م).
- حكم الشائعات في الشريعة الإسلامية، نجلاء عبده محمد العدلي، بحث منشور بمجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، السنة (٢٩) العدد (١١٣) (إبريل ٢٠١٨ م).
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١٤٠٩هـ).
- دور المؤسسات التربوية في مكافحة الشائعات، د: فهمي توفيق مقبل، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ط (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م).
- دياحة الندوة العلمية الدولية التاسعة للحديث الشريف (حماية الوطن في السنة النبوية.. مقصد شرعي وضرورة مجتمعية) <http://www.nadwa-hadith.com>
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤١٥ هـ).
- الزهد والرفائق، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرزوي (ت: ١٨١هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.د.ت.

## أثر الشائعات في تهديد الوطن ودور السنة النبوية في مواجهتها

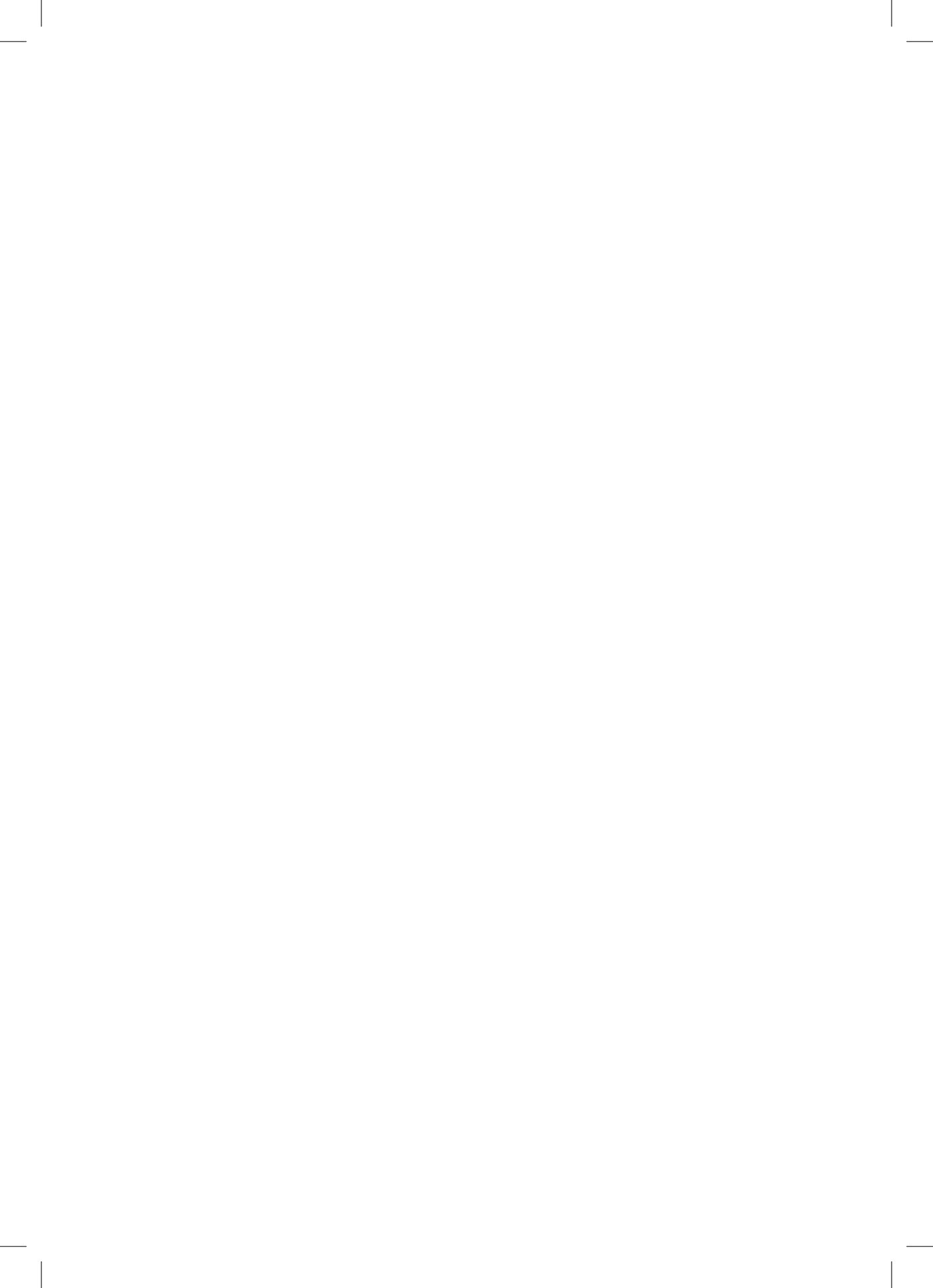
- السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ) حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
- السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُشْرُوجَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣ (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
- السنن، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ بن موسى بن الضحاك، الترمذي، (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢ (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).
- السيرة النبوية، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط.د.ت.
- الشائعات الوسيلة الإعلامية الأقدم في العالم، جان - نويل كابفيرير، ترجمة: تانيا ناجيا، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط١ (٢٠٠٧م).
- الشائعات في المواقع الإخبارية الأردنية، وتأثيرها في نشر الأخبار من وجهة نظر الصحفيين الأردنيين، رضا عيد حمودة اكحيل، رسالة علمية غير منشورة، تقدم بها الباحث لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في كلية الإعلام، جامعة الشرق الأوسط، (٢٠١٥م).
- الشائعات وأثرها على الروح المعنوية للجنود، فهد سعيد الحري، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في السياسية الشرعية، من جامعة الإمام محمد بن سعود، (١٤٢١هـ).
- الشائعات وأثرها في تهديد السلم المدني، وطرق معالجتها.. دراسة في ضوء الهدى النبوي، مارية بسام محمد عباينة، الندوة العلمية الدولية الثامنة ( السلم المدني في السنة النبوية.. مقوماته وأبعاده الحضارية) كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، (٢٨-٣٠ رجب ١٤٣٨هـ - ٢٥-٢٧ أبريل ٢٠١٧م).
- الشائعات والأمن، مهدي على دومان، بحث منشور ضمن فعاليات ندوة (أساليب مواجهة الشائعات) والتي عقدت بمركز البحوث والدراسات، بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، بالرياض، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- شرح السنة، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط٢

(١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).

- شرح صحيح البخارى، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال (ت: ٤٤٩ هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٢ (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م).
- شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت: ٣٢١ هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١ (١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م).
- شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخرجه أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي، الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١ (١٤٢٣ هـ).
- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١ (١٤٢٢ هـ).
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١ هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط.د.ت.
- علم النفس الإجتماعي، حامد عبد السلام زهران، عالم الكتب، القاهرة، ط٤ (١٩٧٧ م).
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، اعتنى به: محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون، دار المعرفة، بيروت، ط (١٣٧٩ هـ).
- لسان العرب: ابن منظور الإفريقي ت (٧١١ هـ)، ط دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- الفروع، محمد بن مفلح المقدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤١٨ هـ).
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧ هـ) تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، (١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م).
- المستدرک علی الصحیحین، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥ هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م).
- المسند، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثني بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت: ٣٠٧ هـ) تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١ (١٤٠٤ - ١٩٨٤ م).

## أثر الشائعات في تهديد الوطن ودور السنة النبوية في مواجهتها

- المسند، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط١ (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)
- المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواسطي العبسي (ت: ٢٣٥هـ) تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١ (١٤٠٩هـ).
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، د.ت.ط.
- مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣ (١٤٢٠هـ).
- منهج النبوة وإشكالية النهوض، عمر عبيد حسنة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١ (١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م).
- النقد الإيجابي، صالح سالم النهام، مقال منشور بمجلة الوعي الإسلامي، الكويت، عدد (٦٢٤) (شعبان ١٢٣٨هـ - إبريل ٢٠١٧م).
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ط (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- النور الخالد محمد (ﷺ) مفخرة الإنسانية، فتح الله كولن، دار النيل، القاهرة، ط١ (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).
- وسائل وأساليب الاتصال في المجالات الاجتماعية والتربوية والادارية والاعلامية، زيدان عبد الباقي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢ (١٩٧٩م).



مجالات حماية الوطن في السنّة النبويّة  
ومنهج الإدارة النبويّة في بنائها

الدكتور / محمد شريف مشوّح  
(سوريا)





## المقدمة

الحمد لله الذي ألّف بين قلوب المؤمنين بمنّه وفضله، الذي أمرهم بالاعتصام بحبله، فجعلهم بنعمته إخواناً، وجنبهم بائتلاف قلوبهم ذنوباً ونيراناً، ممثلين بذلك لأمره في قوله:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران: ١٠٣).

والصلاة والسلام على من أرسله ربه للعالمين رحمة، الذي حمى وطن الإسلام بالعدل والحزم والحكمة، وبعد:

فإن حماية الوطن والدود عنه لا يمكن أن تكون بالشعارات، ولا بالصورة التقليدية والمتمثلة بالجيش الذي يربط على الحدود ويعمل ليل نهار على حماية الامن في البلد فقط، بل تتعدى تلك الصورة النمطية إلى مفهوم أوسع وأشمل، لتغطي التأسيس القيمي للمجتمع، ولتهتمّ بالتشريع والسياسة، وبالروابط الاجتماعية الموحدة للمجتمع، وبتحسين الأوضاع الاقتصادية للمواطنين، وذلك عن طريق حكومة قوية قادرة على إدارة شؤون البلاد، وقادرة على قيادة عجلة التنمية بكافة المجالات؛ ليتشكّل بذلك وحدة مجتمعية متجانسة فكرياً وثقافياً ومادياً، فتكون قادرة فعلاً على حماية الوطن في كل حين، ومن كل خطر، وعليه:

يأتي بحث: "مجالات حماية الوطن في السنة النبوية ومنهج الإدارة النبوية في بنائها" نتيجة الحاجة للتأصيل لآليات التطبيق النبوي، ولمنهج الإدارة النبوية في حماية الوطن في مختلف مجالات حمايته، والتي تشمل المجالات: الدينية، والتشريعية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعسكرية، والتي قام النبي ﷺ ببنائها وتطبيقها وتوحيد المجتمع الإسلامي وجمعه - على المستويين القيمي والتطبيقي - على مبادئها؛ وذلك لاستلهاج التجربة النبوية الشريفة المؤيدة بالوحي، واعتمادها نموذجاً يمكن الاستفادة منه في إدارة وحماية وتحصين الأوطان في كل زمان ومكان، وذلك ضمن المشاركة في الدورة التي تقيمها الأمانة العامة لندوة الحديث الشريف، والموسومة

ب: "حماية الوطن في السنّة النبوية: مقصد شرعي وضرورة مجتمعية"، وذلك ضمن محور: "مجالات حماية الوطن في السنّة النبوية"، وقد تناوله الباحث في التقديم لبحثه وفق المنهجية التالية:

**أهمية البحث:** تتجلى أهمية البحث في الإضافة العلمية التي سيقدمها البحث إلى مجال الدراسة، وفي إمكانية تطبيق نتائجها في الواقع العملي، ولما كانت السنّة النبوية الشريفة صنو القرآن الكريم في الوحي الإلهي، فإن تطبيقاتها - بلا شك - تمثل النموذج الأمثل المناسب لصلاح حال الإنسان في كل زمان ومكان، وبذلك تكون أهمية البحث في التأصيل لمجالات حماية الوطن في السنّة النبوية، والاستفادة من تطبيقات منهج الإدارة النبوية في بنائها وإقرار مبادئها في المجتمع الإسلامي، ثم في تفعيلها في حماية الوطن في واقع اليوم؛ لما يعترى هذا الواقع من اضطراب وابتلاءات وفتن تستدعي وحدة المجتمع وتحصينه في مختلف المجالات؛ لحمايته وفق مقررات وتوجيهات السنّة النبوية الشريفة.

**مشكلة البحث:** يمكن تبسيطها في إشكالين أثارا في ذهن الباحث الحاجة إلى بحث علمي يسر أغوارهما، ويجيب عليهما، وهما:

- **الأول:** ظنُّ بعض الناس أنّ حماية الوطن تكون فقط من خلال حماية حدوده بالقوّة العسكرية والسيف!

- **الثاني:** أن كثيراً من "الحداثيين" لا يعتقدون أصلاً أنّ في السنّة النبوية الشريفة ما يفيد عصرنا الحاضر من أدوات وأساليب ومناهج: لا في حماية الأوطان ولا في غيره؛ لأنّها تمثّل بالنسبة إليهم مرحلة زمنية غابرة، ناسبت وقتها ومجتمعاتها، وانقضت برجالها وأحوالها.

في حين يرى الباحث الآتي:

- **أولاً:** أن السنّة النبوية "صيدلية" كل عصر، وشفاء كل معضلة، وأنها في مجال حماية الوطن قد أعطت الدواء الناجع لكل زمان ومكان؛ حيث أتت بترايب إدارية ومنهجية فذّة، ووجهت بها أفراد المجتمع نحو الوحدة في مختلف المجالات، وجعلت من تكامل مجالات حماية الوطن مقصداً شرعياً وضرورة مجتمعية، وأهلتهم بذلك ليكونوا قادرين على حمايته ممّا يهدّده من أخطارٍ داخليةٍ أو خارجيةٍ.

- **ثانياً:** أنّ حماية الوطن في الجانب العسكري جزء من منظومة متكاملة من الجوانب والمجالات التي يجب تأسيسها، وتوحيدها وتنظيمها وبنائها على قاعدة وحدة المجتمع - قيمياً وتطبيقياً - وأن أهم المجالات التي اعتبرتها السنة مهمّة في حماية الوطن فقامت ببنائها وفق منهجية هي المجالات: الدينية، والتشريعية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعسكرية، وأنها دأبت على إخراجها وحدة واحدة متكاملة، تعمل بتراتبية تكاملية وتنسيق في تحسين المجتمع وحماية الوطن.

**أسئلة البحث:** ومن الإشكالية المطروحة انبثقت أسئلة البحث التالية: ما منهج الإدارة النبوية في حماية الوطن في المجال: الديني؟ والتشريعي والسياسي والاجتماعي؟ والاقتصادي؟ والعسكري؟

**أهداف البحث:** وتتلخص أهداف البحث بالتعريف بمنهج الإدارة النبوية في حماية الوطن في المجال: الديني؟ والتشريعي والسياسي والاجتماعي؟ والاقتصادي؟ والعسكري؟

**فرضية البحث:** تفترض الدراسة أن مكونات السنة النبوية المطهّرة تحتوي على كنوز المعرفة الإنسانية التي جمعت بين المثالية القيمية وقابلية التطبيق، وأنها تحوي نماذج حلول العضلات الإنسانية في كل مجال، وأنها قادرة على تكيف مشاكل الزمان والمكان والتعامل معها بإيجابية تحدم البشرية؛ لأنها وحي ممن خلق الزمان والإنسان، وأنها في مجال حماية الأوطان أعطت الوصفة المنهجية المتكاملة في: توحيده، وتحسينه، وحمايته في مختلف المجالات.

**الدراسات السابقة:** لم يتسنّ للباحث الاطلاع على دراسات مستقلة أفردت جهودها لموضوع حماية الأوطان في السنة النبوية عموماً، ولا لدراسات بحثت في التراتيب الإدارية النبوية في حماية الوطن خصوصاً، ما يعطي قصب السبق والتميّز للأمانة العامة لندوة الحديث الشريف في طرح هذا الموضوع، ما أعطى الباحث شرف المشاركة فيها ببحثه من خلال محور: "مجالات حماية الوطن في السنة النبوية".

ولكننا قد نجد الموضوع مفرّقاً في بطون الكتب، وقد يكون هناك دراسات توسعت في التراتيب النبوية، فوجد الباحث بعض مبتغاه فيها، ومنها:

● دراسة الدكتور حافظ أحمد عجاج الكرمي، والمعنونة ب: الإدارة في عصر الرسول ﷺ: "دراسة

تاريخية للنظم الإدارية في الدولة الإسلامية الأولى.

● دراسة الدكتور علاء الدين عبد الرزاق جنكوي، وعنوانها: "المواطنة بين السياسة الشرعية والتحديات المعاصرة"<sup>(١)</sup>، وفيها تقصى الباحث الجذور الأيدولوجية للمواطنة بوصفها مفهومًا مستحدثًا، ثم بحث في إسقاطاتها المعاصرة، في محاولة لبناء مواطنة حقيقية مستمدة من قيم الإسلام.

وأما جديد بحثي فيتلخص في الآتي:

١- لفت النظر إلى كون حماية الوطن لا تكون من خلال الاهتمام بجانب واحد على حساب جوانب أخرى، بل لا تكتمل إلا بالاهتمام بمجالات عدّة، يتشكّل باجتماعهّن توحيد المجتمع وحماية الوطن من خلال وحدته، وأنّ السنّة النبوية لاحظت ذلك مبكرًا، فبرز اهتمامها بتوحيد المجتمع بمنهجية في: المجال الديني، والتشريعي، والسياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والعسكري.

٢- أنّ لحماية الوطن تراتيب إدارية تقتضي من الإدارة العليا للمجتمعات مراعاتها، ولا يمكن أن تكون ارتجالية، وأنّ السنّة النبوية كانت السبّاقة في تكريس ذلك واعتباره، فشكّلت من مجموع المجالات الضرورية لحماية الوطن كتلة واحدة، وجهتها بمنهجية في توحيد المجتمع الإسلامي الأول وحماية دياره.

٣- جمع ما يمكن من الأحاديث والتوجيهات النبوية الشريفة الخاصة بحماية الوطن بمختلف مجالاتها، وتلمّس دلالاتها في بحث علمي موثّق، يمكن من خلاله الاطلاع على منهجية السنّة النبوية في حماية الأوطان وأساليبها في توحيدها، وتقديمها نموذجًا صالحًا للعمل به دون إغفال خصوصية المكان والزمان والإمكان.

---

١- وهي ورقة مشاركة في المؤتمر العلمي الثالث لمركز الزهاوي للدراسات الفكرية، ١٦ / ٥ / ٢٠١٤، السلیمانية، كردستان العراق، تحت عنوان: (النظام السياسي في الفكر الإسلامي: تحديات الواقع وآفاق المستقبل).

## تمهيد: في الوطن وحبّه ومجالات حمايته

يُعرّفُ الوطن في اللغة: بالمنزل تقيم فيه، وهو موطن الإنسان، ومحله، ويقال: أوطن فلان أرض كذا وكذا، أي: اتخذها محلاً ومسكناً يقيم فيه<sup>(١)</sup>، وعرفه الجرجاني بقوله: الوطن الأصلي هو مولد الرجل، والبلد الذي هو فيه<sup>(٢)</sup>، وأما الوطنية، فهي: الشعور العاطفي للفرد بارتباطه ببيئته معينة، وهي عبارة عن الدفاع الذي يؤدي إلى تماسك الأفراد وتوحدتهم وولائهم للوطن وتقاليدهم وقيمه والدفاع عنه بالغالي والنفيس<sup>(٣)</sup>... إنه ارتباط الإنسان بالوطن الذي فيه احتياجاته الروحية والعاطفية المتولدة من تعلق الإنسان بأرضه التي عاش عليها وترعرع بين جنبها<sup>(٤)</sup>.

وقد أقرت السنة الشريفة بمشروعية حبّ الوطن والحنين إليه، فهذا رسول الله ﷺ يناجي مكة يوم فراقها فيقول: (ما أطيبك من بلدٍ، وأحبك إليّ، ولولا أنّ قومي أخرجوني منك ما سكنتُ غيرك)<sup>(٥)</sup>، وكان إذا قَدِمَ من سفرٍ، فأبصر درجات المدينة، أَوْضَعَ ناقته، وإن كانت دابةً حركها من حبّها<sup>(٦)</sup>، وفي الحديث دلالة على فضل المدينة، وعلى مشروعية حبّ الوطن والحنين إليه<sup>(٧)</sup>.

ولقد ظهر دور السنة النبوية في توجيهها للعاطفة المتقدمة في حبّ الأوطان إلى: "مقصد شرعي وضرورة مجتمعية" في حماية الوطن، فراه ﷺ قد أصّل لتلك الحماية من خلال ترسيخه لمفهوم الوحدة المجتمعية وتكاملها في مجالات: الدين، والتشريع، والاقتصاد، والاجتماع، والقوة العسكرية؛ لتشكيل سدّ منيع من القيم الاعتقادية والعملية، يحصّن بها المجتمع ويوحده ضدّ ما قد يحدق به، وسيقوم الباحث بعرض تلك المجالات التي وظّفها السنة الشريفة في توحيد المجتمع

١- ابن منظور، لسان العرب، مادة وطن، ج ١٣/٤٥١.

٢- الجرجاني، التعريفات، ص ٢٥٣.

٣- إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، ص ٤٨٩، موقع: كتب عربية.

٤- التأصيل الشرعي لمفهوم الوطنية - أوراق عمل، موقع السكينة، <https://www.assakina.com/book/57990.html>، تاريخ الإدراج: ١٤/١١/٢٠١٤م. "بتصرف".

٥- أخرجه الترمذي، عن ابن عباس، كتاب المناقب، باب فضل مكة، رقم: ٣٩٢٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

٦- أخرجه البخاري، كتاب: العمرة، باب: من أسرع ناقته إذا بلغ المدينة، رقم: ١٨٠٢.

٧- ابن حجر، فتح الباري، ج ٣/٦٢١.

وتوجيهه من خلالها نحو "مقصد" حماية الوطن، وذلك في المباحث الآتية:

## المبحث الأول: منهج الإدارة النبوية في حماية الوطن في المجال الديني

والدين يشمل في ثلاثيته المعهودة: العقيدة، والعبادة، والأخلاق، ودعوى الباحث فيه هو: أن السُّنة النبوية اتخذت تراتيب منهجية أسست من خلالها قواعد التقبل في وجدان المسلم على صعيد العقيدة والعبادة والأخلاق، وأنها أدارت توجيه أفراد المجتمع المسلم على أصول مرعية؛ لضرورات مقصودة، يتحقّق باجتماعها مقصد الوحدة المجتمعية، والحماية للجماعة المسلمة في أوطانها، وذلك من خلال التأسيس لوحدة المجتمع في المجال الديني: عقيدة، وعبادة، وأخلاقاً، على أنها أصل في حماية الوطن، وسيسلّط الباحث الضوء على أبرز المسائل المتعلقة في هذا المجال بوصفها أدلة من السُّنة المطهّرة على ما ذهب إليه في دعواه، وذلك في المطالب الآتية:

## المطلب الأول: منهج الإدارة النبوية في حماية الوطن في الجانب العقدي

إنّ تحقيق التجانس العقديّ في أيّ مجتمع، هو الكفيل بتوحيد الوجدان الجمعي بين أفرادهِ، وضمان يُسر التوجيه لأحاديثهم ككتلة واحدة باتجاه تحقيق أهدافهم المشتركة، وما من بابٍ أحوج إلى اجتماع الكلمة وتوحيد التوجّه الجماعي من باب حماية الأوطان، ولذلك نلحظ أن منهجية التوجيهات النبوية بقيت على الدوام ترسم في وجدان المسلمين قيم الوحدة العقدية، وتؤصّل لمشروعية العمل بمقتضاها؛ لأنها ستكون فيما بعد قاعدة الانطلاق والعمل والولاء، فكان الصحابة يلتقطون الإشارات والإرشادات النبوية ليصنعوا منها منهج حياة، وكان النبي ﷺ يقوم بإدارة البناء العقدي والمادي عند الصحابة ﷺ بمنهجية ربانية محكمة، حيث أرست تراتيبه الشريفة في الوجدان الجمعي لجماعة المسلمين قيم التوحيد، ونبد الشرك يكون أصلاً ثابتاً، ويثبت ذلك في أحاديث كثيرة يخطئها العدوّ، منها قوله ﷺ: (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف...) (١)، وقوله حين بعث معاذاً ﷺ إلى اليمن: (ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كلّ يوم وليلة؛ فإن هم أطاعوا

١- أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حبّ الأنصار، رقم: ١٨.

لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم<sup>(١)</sup>، وقوله: (اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأطيعوا من ولاة الله أمركم، ولا تنازعوا الأمر أهله، ولو كان عبداً سوداً، وعليكم بما تعرفون من سنة نبيكم والخلفاء الراشدين المهديين، وعضوا على نواجذكم بالحق)<sup>(٢)</sup>، فقدّم ﷺ التوحيد العقدي للجماعة المسلمة القائم على توحيد الله سبحانه وتعالى ونبذ الشرك - وهو عمل قلبي محض - على سائر العمل، ليشكل في ضمائر ووجدانات أفراد المجتمع ذاك التجانس الاعتقادي والوحدة الفكرية والوجدانية التي ستكون قاعدة الانطلاق وموجه السلوك في كل عمل.

### المطلب الثاني: منهج الإدارة النبوية في حماية الوطن في الجانب التعبدي

وأصول العبادات في السنة النبوية هنّ أركان الإسلام، وقرّرها النبي ﷺ بقوله: الإسلام: (أنّ تشهد أنّ لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت إن استطعت إليه سبيلاً)<sup>(٣)</sup>، والحديث أصل في تقرير كون الدين الإسلامي ديناً اجتماعياً، ويستدل به الباحث على منهجية السنة النبوية في توحيد الناس في عبادات اجتماعية تزيد اللّحمة المجتمعية وتقوي الأخوة الإيمانية بينهم، ووحدهم هذه تعني أيضاً: النأي بهم عن الفرقة المبدّدة للقوة، وهي أصل يمكن الاتكاء عليه في حماية الوطن ممّا يدهمه من أخطار ودواهِ.

وتوحيد المجتمع المسلم من خلال توحيد العبادات ظاهر، ففي الصلاة المفروضة اجتماع الناس في القبلة، وفي المسجد، وفي الاصطفاف، وفي الوقت كلّ بحسب دخوله في مكانه، وفي أداء الزكاة وحدة الشعور الاجتماعي بحاجة المحتاج ووجوب التكافل، ووحدة اقتصادية بالاشتراك النسبي في الأموال، وفي صوم رمضان وحدة الناس في العبادة في الوقت والشعور والجوع والعطش والإحساس بالجائعين، وفي الحج اجتماع عام لمن استطاع إليه سبيلاً، ومؤتمر أممي فذ، ووحدة في الوقت والمكان واللبس والمناسك.

١- أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم: ١٣٩٥.

٢- أخرجه الحاكم، المستدرک، عن ابن مسعود، كتاب العلم، باب عليكم بسنتي، رقم: ٣٣٤، وقال: إسناده صحيح على شرطهما، ولا أعرف له علة.

٣- أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، رقم: ٨.

ومن الإجراءات المنهجية التي قام بها النبي ﷺ، وكان لها آثارها العميقة في تفعيل الجانب التعبدية في توحيد المجتمع الإسلامي وبنائه على أساس التعبد كقوة موحدة فاعلة في حماية الوطن، سيسلط الباحث الضوء على أبرز المسائل المتعلقة في هذا المجال على سبيل المثال لا الحصر، دون إغفال لدور باقي العبادات من صيام وزكاة وحج، والتي لا يسمح المقام للإفاضة والتفصيل فيها، وذلك بما يأتي:

١- **بناء المسجد:** قَدِمَ النبي ﷺ المدينة، فنزل أعلى المدينة في حيِّ يقال لهم بنو عمرو بن عوفٍ، فأقام النبي ﷺ فيهم أربعَ عَشْرَةَ ليلةً، ثم أرسل إلى بني النجار، فجاؤوا مُتقلِّدي السيوفِ، كأني أنظرُ إلى النبي ﷺ على راحلته، وأبو بكرٍ رِدْفُه، وملاً بني النجارِ حوله، حتى ألقى بفناءِ أبي أيوب، وكان يُحِبُّ أن يصلي حيث أدركته الصلاةُ، ويصلي في مرابضِ الغنمِ، وأنه أمر ببناءِ المسجدِ، فأرسل إلى ملاً من بني النجارِ، فقال: يا بني النجارِ ثامنوني بحائطِكم هذا، قالوا: لا والله، لا نطلبُ ثمنه إلا إلى الله، فقال أنسٌ: فكان فيه ما أقول لكم، قبورُ المشركين، وفيه حربٌ، وفيه نخلٌ، فأمر النبي ﷺ بقبورِ المشركين فنبِشَتْ، ثم بالحربِ فسويَتْ، وبالنخلِ فقطِعَ، فصَفُّوا النخلَ قِبَلَةَ المسجدِ، وجعلوا عِضَادَتِيهِ الحِجَارَةَ، وجعلوا يَنْقُلُون الصخرَ وهم يَرْتَجِرُونَ، والنبي ﷺ معهم، وهو يقول: اللهم لا خيرَ إلا خيرُ الآخرةِ، فاغفر للأَنْصارِ والمهاجرة<sup>(١)</sup>.

٢- **الحض على صلاة الجماعة:** صلاةُ الجماعةِ تَفْضَلُ صلاةَ الفَدِّ بسبعٍ وعشرين دَرَجَةً<sup>(٢)</sup>.

٣- **تسوية الصفوف:** والأحاديث الشريفة في تسوية الصفوف كثيرة، منها: قوله ﷺ: (سُوُّوا صفوفَكم، فإنَّ تَسْوِيَةَ الصفوفِ من إقامةِ الصلاةِ<sup>(٣)</sup>)، والحديثان المذكوران دليل على منهجية السَّنة النبوية في دأبها - فضلاً عن التعبد لله بها - على غرس قيمة النظام والوحدة المجتمعية - حيث المنهج يثبت بمتابعة سلوك ذات الأمر على التكرار، وهو في الصلاة لا ينقطع -

١- أخرجه البخاري، كتاب: الصلاة، باب: هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد، رقم: ٤٢٨.

٢- أخرجه البخاري، كتاب الأذان، فضل صلاة الجماعة، رقم: ٦٤٥.

٣- أخرجه البخاري، كتاب: الأذان، باب: إقامة الصف من تمام الصلاة، رقم: ٧٢٣.

بوصفهما عاملاً حاسماً في ضبط وتوجيه سلوك الأفراد نحو حماية الوطن؛ ذلك أن المسجد هو مكان الصلاة للجماعة وللجمعة مراراً وتكراراً، وهو أيضاً تعبير ورمز عن وحدة المجتمع الإسلامي، وهو منطلق أنشطة كثيرة: فكان النبي ﷺ يعقد فيه الاجتماعات، ويستقبل به الوفود، ويقوم فيه حلق الذكر والعلم والإعلام، وهو منطلق الدعوة والبعوث وإبرام كل أمر ذي بال يهم المسلمين في السلم والحرب، ولذا كان دوره مركزياً في تجميع وتوحيد الجماعة المسلمة كوحدة مجتمعية واحدة، والعمل على جعلها أحد أسباب تماسك وقوة المجتمع المساعدة والمؤثرة حتماً في حماية الوطن.

### المطلب الثالث: منهج الإدارة النبوية في حماية الوطن في الجانب الأخلاقي

تمثل الأخلاق مجموعة من القواعد والقيم المبدئية التي تحكم سلوك الفرد والجماعة بشأن ما هو صواب وما هو خطأ، أي: تمثل قيماً معيارية يتم الحكم بما على ما هو صواب، وما هو خطأ، في سلوك الفرد، أو الجماعة؛ والسلوك الأخلاقي للفرد يتأثر حتماً بصفاته وخصائصه الشخصية، مثلما يتأثر بالبيئة التي يعمل ويعيش فيها<sup>(١)</sup>.

ولقد دأب النبي ﷺ على ترسيخ الأخلاق الحميدة في نفوس المسلمين لكونه أحد الأسس الضرورية في وحدة المجتمع وتجانسه بما يتسق وقيم دين الإسلام حتى التمام، فهو ﷺ الذي قال: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ"<sup>(٢)</sup>، ثم جهد ﷺ، ومن خلال منهجية بناء صرح الأخلاق في الأمة في ترسيخ القيم الفاضلة؛ لتكون تعبيراً عن لون المجتمع الإسلامي الموحد، وكأحد أسباب قوته الفاعلة في حمايته عند الحاجة، ومن ذلك يذكر الباحث باختصار لضيق المقام حرصه ﷺ على إقامة القيم التالية أساساً لوحدة المجتمع من الناحية الأخلاقية:

١- العاني، أخلاقيات إدارة التسويق في الإدارة العربية الإسلامية (مصدر سابق)، ج ١/١١١، وما بعدها بتصرف واختصار.

٢- أخرجه أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب: مسند أبي هريرة، ج ٤/٥١٣، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح، وهذا إسناد قوي، رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان.

- أولاً: قيم الصدق والأمانة: فما كان خُلُقُ أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب<sup>(١)</sup>، وهو الذي أمر بالصدق فقال: عليكم بالصدق، فإنَّ الصِّدْقَ يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّةِ، وما يزالُ الرَّجُلُ يصدِّقُ ويتحرَّى الصِّدْقَ حتَّى يُكتبَ عند الله صديقاً، وإيَّاكم والكذبَ، فإنَّ الكذبَ يهدي إلى الفجورِ، وإنَّ الفجورَ يهدي إلى النَّارِ، وما يزالُ الرَّجُلُ يكذبُ ويتحرَّى الكذبَ حتَّى يُكتبَ عند الله كذاباً<sup>(٢)</sup>، وقال ﷺ: أدُّ الأمانةَ إلى من ائتمنك، ولا تخنُ من خانك<sup>(٣)</sup>، وقال: إنَّ الأمانةَ نزلتْ في جذرِ قلوبِ الرجالِ<sup>(٤)</sup>.

- ثانياً: قيم الوُدِّ والإخاء والترابط والتراحم بين أفراد المجتمع الإسلامي: وذلك من خلال الحضِّ على التزام قيم العفو، واللين، والتجاوز، والتيسير، والسماحة في سائر التعاملات، وذلك بعد الإفاضة بالنهي عن جميع أساليب الغشِّ والخداع والتدليس والغبن والغرر والخيانة فيهما؛ لينأى بالمجتمع المسلم عن أسباب الفساد والتقاطع والتناحر والتدابير والتحاسد، فيصل إلى تحقيق مقصده في إيجاد مجتمع موحد متماسك، بصبغة مميزة وشخصية مستقلة، ويؤكد ذلك قول النبي ﷺ: (لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تداربوا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)<sup>(٥)</sup>، وواضح من الحديث الشريف أنَّ الانتهاء عن المنهي عنه سببٌ للإتيان بضدِّه، فلا تخلية إلا بعد التخلية، فنبذ الحسد والبغضاء والتناحر والتدابير سبب تحقق الأخوة الإيمانية في مجتمع متعاظم متناغم كالجسد الواحد، يشدُّ بعضه بعضاً، وفي ذلك يقول النووي في شرحه على مسلم: "ومعنى كونوا عباد الله إخواناً، أي: تعاملوا وتعاشروا معاملة الإخوة، ومعاشرتهم في المودة والرفق

١- أخرجه الترمذي، عن عائشة ؓ، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الصدق والكذب، رقم: ١٩٧٣، ص ٤٥٧، وقال: هذا حديث حسن.

٢- أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، رقم: ٢٦٠٧.

٣- أخرجه الترمذي، عن أبي هريرة، كتاب البيوع، باب أدُّ الأمانة إلى من ائتمنك، رقم: ١٢٦٤، وقال: حديث حسن غريب.

٤- أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب إذا بقي في حثالة من الناس، رقم: ٧٠٨٦.

٥- أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، رقم: ٢٥٦٤.

والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير ونحو ذلك من صفاء القلوب والنصيحة بكل حال<sup>(١)</sup>.

## المبحث الثاني:

### منهج الإدارة النبوية في حماية الوطن في المجال التشريعي والسياسي

إنَّ إيجاد مجتمع موحد متماسك يستطيع على القيام بواجباته في حماية وطنه لا يمكن أن ينشأ وينمو ويستمر من غير دستور موحد يشترك في الخضوع لقوانينه ومقرراته جميع شرائح المجتمع وطبقاته، ولذلك نلاحظ أن الإدارة النبوية - وفور وصوله ﷺ إلى المدينة المنورة - قد قام بخطوات تشريعية وسياسية توحيدية؛ لتكون سبباً في تنظيم المجتمع وانتظام أفراده في قانون يوحد بينهم، ويعرّف كل شريحة منهم حقوقها وواجباتها تجاه الجماعة وتجاه الوطن، وإليك الدليل في المطلبين الآتين:

### المطلب الأول: منهج الإدارة النبوية في حماية الوطن في المجال التشريعي

وسيسلّط الباحث الضوء على أبرز المسائل المتعلقة في هذا المجال في الفرعين الآتين:

**الفرع الأول: وضع دستور المدينة، أو كتابة "الوثيقة"<sup>(٢)</sup>: وفيها كتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار، ودُعي إليه اليهود، وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم وشرط لهم، ومما ورد فيها:**

"بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي الأمي، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يقدون عانيهم بالمعروف والقسط، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين... وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وإن سلم المؤمنين واحدة، لا

١- النووي، المنهاج شرح مسلم بن الحجاج، ج ١٦/ ١١٥.

٢- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢/ ٨٥، وانظر: ابن كثير، السيرة النبوية، تحقيق: جميل صدقي، ط ١، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٧م، ج ٢/ ١٥٢- ١٥٣، وينظر: السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ج ٤/ ٢٤٠.

يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم... وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم: مواليتهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ<sup>(١)</sup> إلا نفسه وأهل بيته.

**ووجه الاستدلال بالوثيقة هو:** أنها أظهرت أعلى مستويات التنظيم الإداري في الجانب التشريعي، وأنها كانت البذرة الدستورية الأولى في مسار بناء الدولة الإسلامية وأنها أعطت بمحدداتها ومقرراتها المكتوبة إجراءات العمل التنفيذية على الصعيد السياسي والاجتماعي والاقتصادي أيضاً، حيث جاءت لضبط وتنظيم العلاقات وتنسيق العمل بين مكونات المجتمع المدني برباط قانوني مكتوب يمثل أول وأسبق نظام دستوري في تاريخ الدولة الإسلامية، بل به وُضعت أسس التعامل بين مكونات المجتمع المدني في تعاملها مع بعضها ومع غيرها؛ فكانت بمثابة إجراءات عمل تنفيذية واضحة حدّدت المواضيع والنقاط الآتية:

١. أنها نصّت على وحدة الأمة كأساس في حماية الوطن ضدّ ما قد يدهمه من أخطار، فقال: "إنهم أمة واحدة من دون الناس".
٢. نظّمت العلاقة بين المؤمنين ومحيطهم من غير المسلمين.
٣. حدّدت مسار التعامل في مواجهة الحوادث بين جميع مكونات المجتمع المدني.
٤. حدّدت المسؤوليات بين الجماعات بعضها ببعض، وبين الأفراد بعضهم بعضاً، وبين الأفراد والجماعات.
٥. أظهرت وحدة المجتمع الإسلامي، وتساوي أعضائه، وتكاتفهم، واشتراكهم في تقرير العلاقات مع محيطهم، ومنعت البغي والظلم بين كل المكونات.

**الفرع الثاني: تشريع قيم الانتماء للوطن<sup>(٢)</sup>:** ومن الترتيبات النبوية الشريفة في بناء المنهج

١- الوَتَغُ بالتحريك: الهلاك، وَتَغٌ يَوْتُغُ وَتَغًا: فَسَدَ وَهَلَكَ وَأَثِمَ، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: وتغ، ج٤٥٨/٨.

٢- ينظر: العبد القادر، بدر بن علي بن عبد الله، الانتماء إلى الوطن وأثره في حماية الشباب من الانحراف، السجل العلمي لمؤتمر: واجب الجامعات السعودية وأثرها في حماية الشباب من الجماعات والأحزاب

النبوي في مجالات حماية الوطن وإدارتها وبنائها في الجانب التشريعي: جعله عليه الصلاة والسلام من قيم الانتماء للوطن تشريعاً وحافزاً ودينياً يتقرب أفراد المجتمع المسلم بإقامتها إلى ربهم، وقد تجلّى ذلك في التصرفات النبوية التي يمكن رصدها في النقاط الآتية:

**أولاً: حبّ الوطن والحنين إليه:** ومن أدلته ما رواه أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (كان إذا قدم من سفر، فأبصر درجات المدينة أوضع ناقته، وإن كانت دابةً حرّكها)<sup>(١)</sup>، أي: أسرع السير، وفي الحديث دلالة على فضل المدينة وعلى مشروعية حب الوطن والحنّة إليه<sup>(٢)</sup>.

**ثانياً: حب الخير للوطن:** ودليل حبّ الوطن الحرص على رقيته ونمائه، وهو أحد أسباب حمايته، وشاهده من السنة النبوية قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (اللهم اجعل لي بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة)<sup>(٣)</sup>، وقوله: (اللهم بارك لنا في مدينتنا، وفي ثمارنا، وفي مدنا وفي صاعنا بركة مع بركة)<sup>(٤)</sup>.

**ثالثاً: التعلّق بالوطن وصعوبة مفارقتة:** ومن أسباب حماية الوطن ترسيخ التعلّق بالوطن وصعوبة مفارقتة، وقد ثبت حبّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لوطنه وتعلقه به بقوله حين أخرج من مكة: (ما أطيبك من بلد، وأحبّك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك)<sup>(٥)</sup>.

**رابعاً: ذكر فضائل الوطن:** وذكر فضائل الوطن تجسيد لمعنى الانتماء الصادق، وينمي في المجتمع قيم التآلف والتماسك المفضيان إلى الاستعداد التام والدائم لحماية الوطن، وثبت ذلك في السنة النبوية المطهّرة بقوله مخاطباً مكة ليلة الهجرة عنها: (علمتُ أنك خير أرض الله، وأحب

---

والانحراف، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٨-٢٩ / ١ / ٢٠١٨، مج ٥، ص ١٥٧٠ وما بعدها بتصريف واختصار.

١- رواه البخاري في صحيحه، عن أنس، كتاب: العمرة، باب: من أسرع ناقته إذا بلغ المدينة، رقم: ١٨٠٢، ص: ٢٩٠.

٢- العيني، بدر الدين محمود العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ضبطه وصححه: عبد الله محمود عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، ج ١٠/١٩١.

٣- رواه البخاري في صحيحه، عن أنس، كتاب فضائل المدينة، رقم ١٨٨٥، ص: ٣٠٣.

٤- رواه مسلم، عن أبي هريرة، كتاب الحج، باب فضل المدينة، رقم ١٣٧٣، ص: ٥٧٦.

٥- رواه الترمذي، عن ابن عباس، كتاب المناقب، باب فضل مكة، رقم: ٣٩٢٦، ص: ٨٨٣، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

الأرض إلى الله، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت<sup>(١)</sup>.

إن تشريع النبي ﷺ لقيم الانتماء للوطن، جعل منها قضية جوهرية تساهم في إعداد المواطن القادر على التضحية في سبيل حماية الوطن، فضلاً عن جعله ركيزة بناء الأوطان، والمساهمة الفعالة في تقدّمها ونهضتها وتطورها.

### المطلب الثاني: منهج الإدارة النبوية في حماية الوطن في المجال السياسي

ويمكن رصد أبرز المسائل المنهجية التي اتبعتها السّنة النبوية في هذا المجال في الفرعين الآتيين:

**الفرع الأول: على المستوى الداخلي: اعتماد القيم السياسية الإسلامية:** وأمها ست عشرة قيمة، وهي: الشورى، والعدل، والمساواة، والحرية، والطاعة، والأخوة، والبيعة، والوحدة، والمسؤولية، والمحاسبة، وسيادة الشرع، وسيادة الأمة، والحقوق الإنسانية، والتكافل الاجتماعي، والتكامل بين الشؤون الدينية والدنيوية، والاستعانة بالأقوياء الأمناء... وأوصلها بعض الباحثين من خلال استقراء أدلة الشريعة إلى ثلاثين، فأضاف قيم: قيام الناس بالقسط، وولزوم الجماعة، وغيرها، وهي مصطلحات تجيب إجابة مباشرة عن أهم أسئلة فلاسفة السياسة، كضرورة وحاجة الاجتماع الإنساني لوجود سلطة سياسية.

إنّ اعتماد القيم السياسية المذكورة في السّنة النبوية كان الأساس لوضع نظام سياسي قيمي يتوحد المجتمع في ظله، وتتوحد قواه في حماية الوطن، وما من قيمة مذكورة إلا ولها أصل في كتاب الله أو سنة نبيه، ويذكر الباحث بعض الأحاديث دليلاً على بعض تلك القيم، لضيق المقام عن استيعابها كلّها، ومنها:

**أولاً: في الشورى والاستعانة بالأقوياء الأمناء:** قال رسول الله ﷺ: "إذا كان أمراًؤكم خياركم، وأغنياؤكم شمعاءكم، وأموركم شورى بينكم؛ فظهُرُ الأرضِ خيرٌ لكم من بطنها"<sup>(٢)</sup>، وقد

١- رواه أحمد في مسنده، عن أبي هريرة، ج ١٣/٣١، رقم: ١٨٧١٧، وقال الأرئوط: حديث صحيح على وهم في إسناده، فقد خالف فيه معمر الرواة، والصحيح: رواية من رواه عن الزهري عن أبي سلمة عن عبد الله بن عدي بن الحمراء.

٢- أخرجه الترمذي، كتاب الفتن، باب في خيار الأمراء وشرارهم، رقم: ٢٢٦٦، وقال: غريب لا نعرفه إلا

شاوَر النبي ﷺ أصحابه يوم أحد في المقام والخروج، فأوا له الخروج... وشاور عليًا، وأسامة فيما رمى به أهل الإفك عائشة فسمع منهما... وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأئمء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره، اقتداء بالنبي ﷺ (١).

**ثانيا: في لزوم الجماعة: كمثل قوله ﷺ: "عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإنَّ الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوة الجنة فليزِم الجماعة" (٢).**

**الفرع الثاني: على المستوى الخارجي: "مراسلة الملوك":** وفي بلورة الشكل السياسي في المنهجية النبوية واستكمال الوحدة المجتمعية وإبراز الهيئة المتناسكة للمجتمع إزاء الدول والممالك والامبراطوريات الأخرى: مراسلة الملوك؛ ليصنع بذلك الوجود المادي والمعنوي لأُمَّته، فيكسب مجتمع المسلمين ودولتها الوليدة الهيبة والقوة على خارطة العالم، فيكون ذلك سببًا وقائيًا أو احترازيًا أو استباقيًا في تحصين وحماية الوطن، ومن مراسلاته ﷺ يذكر الباحث الشواهد الآتية:

- **أولًا: كتابه ﷺ إلى هرقل عظيم الروم:** إذ أنَّ النبي ﷺ كتب إلى هرقل: "من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين" (٣).

- **ثانيًا: كتابه ﷺ إلى كسرى وقيصر والنجاشي وكل جبار:** فعن أنس رضي الله عنه أنَّ نبيَّ الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كلِّ جبارٍ، يدعوهم إلى الله تعالى (٤).

---

من حديث صالح المري، وصالح المري في حديثه غرائب ينفرد بها، لا يتابع عليها، وهو رجل صالح.  
١- البخاري، الجامع الصحيح، باب قول الله تعالى: وشاورهم في الأمر، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ص ١٢٦٧.

٢- أخرجه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم: ٢١٦٥، وقال: حسن صحيح.

٣- أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، رقم: ٧.

٤- أخرجه مسلم، كتاب الجهاد، باب: كتب النبي إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الإسلام، رقم: ١٧٧٤.

## المبحث الثالث: منهج الإدارة النبوية في حماية الوطن في المجال الاجتماعي

ويسلّط الباحث الضوء على أبرز المسائل المتعلقة في هذا المجال في المطلبين الآتين:

### المطلب الأول: منهج الإدارة النبوية في حماية الوطن في المجال الاجتماعي بين أفراد الجماعة المسلمة

لقد اتضحت المنهجية النبوية في حماية الوطن في المجال الاجتماعي من خلال الإجراءات النبوية التي سلكت مسلكين متوازيين على الصعيدين التأصيل والتطبيقي، فاستوعب التأصيل المجالَ القيمي الذي سعى من خلاله النبي ﷺ إلى إرساء قيم اجتماعية توحيدية تكون دافعاً معنوياً نحو الجدّ في حماية الوطن؛ واستوعب التطبيق ترسيخ تلك القيم من خلال التطبيق العملي، ويمكن تلمّس بعض أدلة ذلك في الفرعين التاليين:

**الفرع الأول: إرساء القيم الاجتماعية التوحيدية:** نحو قيمتي العدل والمساواة اللتين أتينا على ذكرهما عند الحديث عن المنهج النبوي في حماية الوطن في المجال الأخلاق بوصفها قيمتين توحيديتين لأخلاق المجتمع، وهما قيمتان متلازمتان غالباً، وإن كانت قيمة العدل أعم وأشمل، وغالباً ما عبّر عنها القرآن الكريم بلفظ: القسط، واعتبرها بعض الباحثين القيمة الجوهرية العليا التي تتمحور حولها كل القيم الإنسانية الأخرى، لأنها اختيار إلهي من جهة، ولأنها القيمة التوحيدية الوحيدة التي تضمن التوازن في النظام الحضاري العام للناس<sup>(١)</sup>، فكثيراً ما كان رسول الله ﷺ يقول: يا أيها الناس! إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربيّ على عجميّ، ولا لعجميّ على عربيّ، ولا لأحمرّ على أسودّ، ولا لأسودّ على أحمرّ إلا بالتقوى، أبلغت؟<sup>(٢)</sup>، وكان يقول أيضاً: (سلمان منّا أهل البيت)<sup>(٣)</sup>، والحديثان دليلان - فضلاً عن غيرهما وعن آيات القرآن الكريم - على

١- عساف، النظرية الإسلامية العلمية في الإدارة، ص ٤٩٤، وما بعدها باختصار.

٢- أخرجه أحمد في مسند، عن أبي نضرة المنذر بن مالك، باب حديث رجل من أصحاب النبي، ج ٤٧٤/٣٨، وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة رقم: ٢٧٠٠، ج ٤٤٩/٦، وقال: إسناده صحيح.

٣- رواه الحاكم في مستدرکه، عن كثير بن عبد الله المزني، عن أبيه عن جده، باب ذكر سلمان الفارسي، ج ٣/٦٩١، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، باب غزوة الخندق وقريظة، ج ١١٦/٦، رقم: ١٠١٣٧، وقال: أخرجه الطبراني، وفيه كثير بن عبد الله المزني، وقد ضعّفه الجمهور وحسّن الترمذي حديثه، وبقيّة رجاله ثقات.

حثه على المساواة وإرساء قيم العدل بين أفراد المجتمع المسلم.

**الفرع الثاني: تطبيق مبدأ المؤاخاة:** والذي ثبت بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار كأول إجراء اجتماعي له أبعاد اقتصادية ونفسية، حيث كانت المؤاخاة تعني عملية تنظيم ودمج جذرية للمجتمع الإيماني وإظهاره جسداً واحداً متجانساً، فكانت ضرورية لإذهاب الوحشة وإثبات مبدأ المساواة بين المسلمين، لا سيما أن المهاجرين تركوا كل المقومات الأساسية المادية للحياة في مكة، فكانت المؤاخاة خطوة مهمة في توحيد المجتمع الجديد تُضاف إلى ما سبقها من خطوات<sup>(١)</sup>، وأدلتها في السنة كثيرة منها: مارواه أنس: (... أنه لما قدموا المدينة، نزل المهاجرون على الأنصار، فنزل عبد الرحمن بن عوف على سعد بن الربيع، فقال: أفاسمع مالي، وأنزل لك عن إحدى امرأتي...)<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن مبدأ المؤاخاة مبدأ نبوي شريف، عمل به النبي ﷺ في المرحلة المكية قبل الهجرة أيضاً، حيث ذكر ابن حجر في الإصابة أنه ﷺ آخى بين أصحابه بمكة قبل الهجرة، فأخى بين طلحة والزبير<sup>(٣)</sup>.

### المطلب الثاني: منهج الإدارة النبوية في حماية الوطن في المجال الاجتماعي بين أفراد الجماعة المسلمة وغيرهم من غير المسلمين: "المواطنة"

والتأصيل الشرعي لقضية المواطنة يقوم على أساس: وحدة الأصل البشري، والمصالح المشتركة، ودعوة الإسلام للعدل والإنصاف، وضرورة الاجتماع البشري، وتمثل وثيقة المدينة القاعدة الأساسية لمبادئ المواطنة في الإسلام، بوصفها أول دستور مدنيّ شامل في الإسلام<sup>(٤)</sup>.

وفي بنود الوثيقة التي أتينا على ذكرها عند الحديث عن منهجية الإدارة النبوية في توحيد المجتمع في الجانب التشريعي بكونها أول دستور إسلامي، نعيد هنا لضرورة المقام ذكر الجوانب التي أتت عليها الوثيقة في التأسيس لتوحيد المجتمع في المجال الاجتماعي بين أفراد الجماعة المسلمة وغيرهم

١- الكرمي، الإدارة في عصر الرسول ﷺ، ص ٧٧، ٧٨، "بتصرف بسيط".

٢- أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الوليمة ولو بشاة، رقم: ٥١٦٧.

٣- انظر: ابن حجر، الإصابة، ج ٣/٥٣١، (بتصرف).

٤- علاء الدين عبد الرزاق جنكو، المواطنة بين السياسة الشرعية والتحديات المعاصرة، ص ٥٩.

من غير المسلمين، والذي يُعدّ أصلاً في التأسيس لقضية المواطنة بكونها توجّهًا توحيدياً يسهم بشكل مباشر في حماية الوطن، ويمكن رصد المنهجية النبوية في هذا الباب في النقاط الآتية<sup>(١)</sup>:

١. هذا كتاب من محمد النبي الأمي، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس.

٢. وإنه مَنْ تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم.

٣. وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين.

٤. لليهود دينهم وللمسلمين دينهم: مواليتهم وأنفسهم، إلا مَنْ ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

### المبحث الرابع: منهج الإدارة النبوية في حماية الوطن في المجال الاقتصادي

لقد اتخذت الإدارة النبوية سلسلة من الإجراءات العملية المنهجية بقصد توحيد المجتمع واستقلاله في المجال الاقتصادي؛ ليقينه ﷺ بأن قوة الاقتصاد واستقلاله وتوحيد المجتمع فيه فكرياً وعملاً هو أحد أسباب وسبل الدفاع عن الوطن، وسيسلط الباحث الضوء على أبرز المسائل المتعلقة في هذا الموضوع في المطالب الآتية:

#### المطلب الأول: الاستقلال الاقتصادي: "بناء سوق المدينة ومتابعته ومراقبته"

إنّ الاستقلال الاقتصادي يبدأ من استقلال السوق، ومن عدم تبعيته لغير أبناء مجتمعه، ومن ثمّ دأب ﷺ إلى وضع منهجية خاصة به، فقد روي أنه ﷺ لما قدم المدينة المنورة نظر في السوق، وفي الحالة التجارية والاقتصادية السائدة آنذاك، فإذا باليهود وقد سيطروا بشكل كامل على حركة المال والتجارة واستبدّوا بها، (ذهب إلى سوق النبيط، فنظر إليه، فقال: ليس هذا لكم بسوق؛ ثم ذهب إلى سوقٍ، فنظر إليه، فقال: ليس هذا لكم بسوق؛ ثم رجع إلى هذا السوق، فطاف فيه ثم

١- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢/٨٥، وانظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٢/١٥٢ - ١٥٣، وانظر: السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ج ٤/٢٤٠.

قال: هذا سوقكم فلا ينتقصن ولا يضرين عليه خراج<sup>(١)</sup>.

ودأب ﷺ بعدها على متابعته ومراقبة من يتجر فيه، والدليل ما روي أنه: "مرّ ﷺ على صبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟، قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟! من غشّ فليس مني"<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثاني: التشجيع على الإنتاج والعمل

وذلك لأنّ الإنتاج والعمل يزيدان من قوة المجتمع، فقد حرص ﷺ على اتخاذ خطوات عملية في تنظيم الأمور في جميع المجالات الإنتاجية أو المساعدة على التنمية، ولا سيما على الأصعدة الآتية:

**أولاً: على صعيد الزراعة:** حثّ ﷺ على استغلال الأراضي وزراعتها، وكره حبسها بوراً دون إنتاج، ذلك أنه ﷺ نظر في المدينة، فرأى أن المجتمع المدني في غالبه مجتمعاً زراعياً، فوجد الأراضي الصالحة للزراعة لم تُستغل بشكل صحيح أو كامل، ووجدها بأيدي من حبسها دون استثمار، فدأب على التشجيع على استغلالها وإحياء مواتها، فقال: "من كانت له أرضٌ فليزرعها، فإن لم يستطع أن يزرعها، وعجز عنها، فليمنحها أخاه المسلم، ولا يؤجرها إياه"<sup>(٣)</sup>، وأما موات الأراضي التي لا تعود ملكيتها لأحد، فقد شرّع امتلاكها بإحيائها لمحييها باستغلالها فقال: (من أحيى أرضاً ميتةً فهي له...)"<sup>(٤)</sup>.

**ثانياً: على صعيد الصناعة:** ويمكن رصد التطبيقات المنهجية النبوية على صعيد الصناعة - والتي وضع من خلالها اللبنة الأولى لمجتمع صناعي يعتمد على أبنائه، ليكون في المستقبل قوة

١- أخرجه ابن ماجه، كتاب التجارات، باب الأسواق ودخولها، رقم: ٢٢٣٣، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف؛ لضعف إسحاق بن إبراهيم، انظر: سنن ابن ماجه، تحقيق الأرنؤوط وآخرون، طبعة دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩م، ج ٣/٣٤٤.

٢- أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي من غشنا فليس منا، رقم: ١٠٢.

٣- أخرجه مسلم كتاب البيوع، باب كراء الأرض، رقم: ٣٩٢٠.

٤- أخرجه أبو داود، عن جابر، كتاب الخراج، باب في إحياء الموات، رقم: ٣٠٧٣، وعلق عليه الأرنؤوط بقوله: إسناده على شرط مسلم.

اقتصادية تسهم بإنتاجها في تحصين وحماية الوطن- في النقاط الآتية:

١- كانت العرب قبل الإسلام تأنف الصناعة وتنظر إلى محترفها بدونيّة واحتقار، فجاء النبي ﷺ ليرفع هذه النظرة، ويزيل الاحتقار عن محترفي الصناعة وأهل المهن؛ تشجيعاً لهم ودفعاً لهم على الاحتراف والإنتاج، ويبين أنهم جزء من المجتمع ويساؤون باقي الناس في الحقوق والواجبات، والدليل: ما رواه البخاري رحمه الله عن أنس رضي الله عنه قال: "إِنَّ خِيَّاطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَطَعَامَ صِنْعِهِ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَذَهَبَتْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى ذَلِكَ الطَّعَامِ"<sup>(١)</sup>.

٢- شجّع رسول الله ﷺ على الاحتراف والكّد والأكل من عمل اليد، فقال: "إن الله يحب المؤمن المحترف"<sup>(٢)</sup> وقال: "كان زكرياء عليه السلام نجاراً"<sup>(٣)</sup>، وقال أيضاً: "ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده"<sup>(٤)</sup>، وكان داود عليه السلام يصنع من الحديد عُدد الحرب ولبوسها، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجْعَلُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِيغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَليحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ (سبأ: ١٠-١١).

٣- أنه ﷺ أبقى ثلاثين حدّادًا وصائغًا من سبي خيبر في السنة السابعة للهجرة؛ لينتفع المسلمون من صنعتهم، ويتقوّن بها على جهاد عدوهم<sup>(٥)</sup>.

٤- عمد ﷺ إلى استغلال ثروات الأرض الباطنية؛ لتستفيد الدولة والناس من معادنها، فأقطع النبي ﷺ بلال بن الحارث المزني معادن قبيلته، وهي من أعمال الفرع بالمدينة وكتب له بذلك كتابًا، ونصّه: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى محمد رسول الله ﷺ بلال بن الحارث المزني: أعطاه معادن القبليّة غوريّها وجلسيّها، عشبة وذات النصب، وحيث يصلح الزرع من

١- أخرجه البخاري كتاب الأطعمة، باب من ناول أو قدم إلى صاحبه على المائدة شيئًا، رقم: ٥٤٣٩.

٢- أخرجه البيهقي، باب التوكل بالله، ج ٢/٤٤١، وقال: تفرد به أبو الربيع عن عاصم، وليس بالقويين.

٣- أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل زكرياء عليه السلام، رقم: ٢٣٧٩.

٤- أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، رقم: ٢٠٧٢.

٥- الكتاني، التراتيب الإدارية، ج ٢/٥٢.

قدس، ولم يُعطه حقَّ مسلم<sup>(١)</sup>، وهو ما يُعرف اليوم بصناعة التعدين.

٥- ثالثاً: على صعيد إدارة الموارد وترشيد الاستهلاك الخاص والعام: ومقتضاه الاقتصاد في استخدام الموارد والاستفادة من التوالف وإعادة استخدام ما يمكن استخدامه من المواد المستعملة، وهو ما يُعرف اليوم ب: إعادة التدوير، إذ لم يكتفِ ﷺ بالنظر والتركيز على الإنتاج وإدارة أدواته، وإنما حرص على المحافظة على المواد الأولية والموارد العامة، تلك التي يمثل الاقتصاد فيها تخفيض المصاريف والحد من تبديدها، ما يعني رفع نسبة الربح والمردود المادي كماً ونوعاً، بما يعود بالفائدة على المجتمع كله، ومن تلك التوجيهات النبوية الشريفة التي تبرز المنهجية النبوية في تأهيل أفراد المجتمع وتوحيدهم للقيام بدورهم الاقتصادي المفضي حتماً إلى قوة إضافية تساعد وتدعم في تحصين المجتمع وحماية الوطن يذكر الباحث الإجراءات النبوية الآتية دليلاً:

أ- نهى ﷺ عن السرف في استخدام الموارد وأنكر على المسرفين، ولاسيما المياه التي تشكل الحياة لعموم العوالم، فعن عبد الله بن عمرو: "أن رسول الله ﷺ مرّ بسعد وهو يتوضأ فقال: ما هذا السرف؟! فقال سعد: أفي الوضوء إسراف؟ قال: نعم وإن كنت على نهر جار<sup>(٢)</sup>، وطبّق ذلك في نفسه، "فكان النبي ﷺ يتوضأ بالمدّ ويغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد"<sup>(٣)</sup>.

ب- أمر ﷺ بالحفاظ على الطاقة وأخذ أسباب الأمان في استخدامها، فقال رسول الله ﷺ: "خمروا الآنية، وأوكوا السقية، وأجيفوا الأبواب... وأطفئوا المصابيح عند الرقاد، فإن الفويسقة ربما اجترت الفتيلة فأحرقت أهل البيت"<sup>(٤)</sup>.

١- أخرجه أبو داود، كتاب الخراج، باب في إقطاع الأرضين، رقم: ٣٠٦٢، وعلق عليه الأرناؤوط بقوله: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن في المتابعات والشواهد.

٢- أخرجه ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهية التعدّي، رقم: ٤٢٥، ص ٦٢، وقال ابن حجر: أخرجه ابن ماجه وغيره وإسناده ضعيف، ينظر: ابن حجر، التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ج ١/٣٨٧.

٣- أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة، رقم: ٣٢٥.

٤- أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم، رقم: ٣٣١٦.

ج- أمر ﷺ بالإفادة من المخلفات والتواف، ومن ذلك: "أن رسول الله ﷺ مرّ بشاة ميتة، فقال هلا استمتعتم بإهابها؟ قالوا: إنها ميتة!، قال: إنما حُرِّمَ أكلها"<sup>(١)</sup>.

## المبحث الخامس: منهج الإدارة النبوية في حماية الوطن في المجال العسكري

لقد نهجت الإدارة النبوية في حماية الوطن في المجال العسكري منهجًا منطقيًا مميزًا، حيث اهتمت بالإعداد الذي شمل التدريب على مهارات الدفاع عن الوطن، والاهتمام بتصنيع أدوات وأسلحة الدفاع والهجوم العسكري، وذلك بعد التأسيس المعنوي الذي شمل العقيدة والعبادة والأخلاق، وقبل النزج بفلذات الأكباد في أتون المواجهة، وهذا ما سيسلط الباحث الضوء على أبرز المسائل المتعلقة بهذا المجال في المطلبين الآتيين:

**المطلب الأول: إجراءات الإعداد:** وذلك امتثالًا للأمر الإلهي المتمثل بقوله سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٦٠)، وقد ظهرت إجراءات الإعداد النبوي في الخطوات الآتية:

**الأول: تضمير الخيل وإجرائها في التسابق:** فقد أجرى النبي ﷺ ما ضم من الخيل من الحفياء إلى ثنية الوداع، وأجرى ما لم يضم من الثنية إلى مسجد بني زريق، قال ابن عمر: وكنث فيمن أجرى<sup>(٢)</sup>.

**الثاني: التدريب على الرمي والتشجيع عليه:** وثبت ذلك بأحاديث كثيرة، منها: مرّ النبي ﷺ على نفرٍ من أسلم ينتضلون، فقال النبي ﷺ: ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً، ارموا وأنا مع بني فلان، قال: فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: ما لكم لا ترمون، قالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال النبي ﷺ: ارموا فأنا معكم كلكم<sup>(٣)</sup>.

١- أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب جلود الميتة قبل أن تدبغ، رقم: ٢٢٢١.

٢- أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب السبق بين الخيل، رقم: ٢٨٦٨.

٣- أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي، رقم: ٢٨٩٩.

الثالث: تشجيع صناعة الأدوات العسكرية: ومن ذلك:

١- صناعة السهام إِنَّ اللَّهَ لَيُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ الْجَنَّةِ: صَانِعُهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ، وَالرَّامِيَ بِهِ، وَالْمُدَّ بِهِ، وَقَالَ ارْمُوا وَارْكَبُوا وَلَا أَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا، كُلُّ مَا يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ بَاطِلٌ إِلَّا رَمِيَهُ بِقَوْسِهِ وَتَأْدِيهِهِ فَرَسَهُ وَمُلَاعَبَتِهِ أَهْلُهُ فَإِنَّهُمْ مِنَ الْحَقِّ<sup>(١)</sup>.

٢- صناعة المنجنيق: فقد روي أن رسول الله ﷺ أرسل عروة بن مسعود، وغيلان بن سلمة إلى جرش؛ ليتعلَّمَا صناعة الدَّبَابَاتِ وَالْمَنْجَنِقَاتِ وَالْعَرَادَاتِ، وَهِيَ أَضْحَمُ الْأَلَاتِ الْحَرْبِيَّةِ آنَذَاكَ، وَذَلِكَ بِنَاءً عَلَى حَاجَةِ الْمُنْظَمَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ إِلَيْهَا آنَذَاكَ<sup>(٢)</sup>.

المطلب الثاني: إجراءات التطبيق: ويستشهد الباحث على إجراءات التطبيق النبوي في حماية الوطن والدفاع عنه في المجال العسكري بالنقاط الآتية:

- أولاً: حفر الخندق: فقد ندب ﷺ المهاجرين والأنصار إلى حفر الخندق حول المدينة، وكانوا ينقلون التراب على متونهم<sup>(٣)</sup>، وقد شارك ﷺ بنفسه في حفر الخندق حتى وارى التراب بياض بطنه<sup>(٤)</sup>، والحديث دليل على وجوب حماية الوطن عندما تهدده الأخطار، أو يُنذَرُ بِالْغَزْوِ الْخَارِجِيِّ.

- ثانيًا: الخروج إلى أحد لملاقاة المشركين والدفاع عن المدينة: وذلك أن رسول الله ﷺ شاوَرَ أَصْحَابَهُ يَوْمَ أَحَدٍ فِي الْمَقَامِ وَالْخُرُوجِ، فَرَأَوْا الْخُرُوجَ، فَلَمَّا لَبَسَ لِأُمَّتِهِ وَعَزَمَ قَالُوا: أقم، فلم يمل إليهم بعد العزم<sup>(٥)</sup>، والحديث دليل على تحفزهم لملاقاة عدوهم والدفاع عن مدينتهم وحماية وطنهم.

- ثالثًا: مطاردة العرنيين ومعاقتهم: وذلك من إجراءات الدفاع عن الأوطان فلا تكون

١- أخرجه الترمذي، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله، رقم: ١٦٣٧، وقال: حسن صحيح.

٢- الكرمي، الإدارة في عصر الرسول ﷺ، ص ١٩١، باختصار.

٣- أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب حفر الخندق، رقم: ٢٨٣٥.

٤- أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: حفر الخندق، رقم: ٢٨٣٧.

٥- رواه البخاري، باب قوله تعالى: وأمرهم شورى بينهم، بعد الحديث رقم: ٧٣٦٨، ص ١٢٦٧.

نَهَبًا لِكُلِّ لَصٍّ، وَثَبَتَ ذَلِكَ فِيمَا رَوَاهُ أَنَسٌ: أَنَّ نَاسًا مِنْ عُرَيْنَةَ، اجْتَوَوْا الْمَدِينَةَ، فَرَحَّصَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْتُوا إِبِلَ الصَّدَقَةِ، فَيَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا، فَقَتَلُوا الرَّاعِيَ وَاسْتَقَوْا الدَّوْدَ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأُتِيَ بِهِمْ، فَقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَسَمَّرَ أَعْيُنَهُمْ، وَتَرَكَهُمْ بِالْحَرَّةِ يُعْضُونَ الْحِجَارَةَ<sup>(١)</sup>.

الخاتمة: وعرض فيها الباحث: نتائج البحث، والتوصيات، وذلك على النحو الآتي:

### أولاً: نتائج البحث: حيث وصل البحث إلى نتائج عديدة، كان أهمها:

١- إنَّ حماية الوطن والدود عنه لا يمكن أن تكون بالشعارات، ولا بالصورة التقليدية والمتمثلة بالجيش الذي يربط على الحدود وحسب، بل لا بدَّ أن تتعدى حماية الوطن تلك الصورة النمطية إلى مفهوم أوسع وأشمل، لتغطّي التأسيس القيمي للمجتمع، ولتتهتمّ بالتشريع والسياسة، وبالروابط الاجتماعية الموحّدة للمجتمع، وبتحسين الأوضاع الاقتصادية للمواطنين، وتقوية الجانب العسكري إعدادًا وتأسيسًا؛ ليتكثّل بذلك مجتمع موحد متجانس فكريًا وثقافيًا وماديًا، فيكون قادرًا فعلاً على حماية الوطن في كل حين، وضدّ كل ما يدهمه من أخطار.

٢- إن كلمة السرِّ والأساس الأول والقاعدة الأقوى في منهج الإدارة النبوية في بناء المجتمع وتأهيل أفرادها على حماية الوطن هي في: تركيزه ﷺ على الوحدة "الوطنية"، وإرساء مبدأ المواطنة، وتكثيل المجتمع قوةً موحّدةً في مختلف المجالات، وتوحيد تلك المجالات في تكاملية ممنهجة في حماية الوطن.

٣- إنَّ منهج الإدارة النبوية في حماية الوطن في المجال الديني شمل توحيد المجتمع في مجال العقيدة، والعبادة، والأخلاق.

٤- إنَّ منهج الإدارة النبوية في حماية الوطن في المجال التشريعي والسياسي بدأ بوضع أول بذرة دستورية في تاريخ الدولة الإسلامية، من خلال: كتابة "الوثيقة"، ثمّ باعتماد القيم السياسية الإسلامية داخل المجتمع الإسلامي، ثمّ بممارسة قادة الإمبراطوريات المحيطة بالدولة الإسلامية الوليدة.

١- رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب استعمال إبل الصدقة وألبانها لأبناء السبيل، رقم: ١٥٠١.

- ٥- إنَّ منهج الإدارة النبوية في حماية الوطن في المجال الاجتماعي تعرّض لإرساء القيم الاجتماعية التوحيدية: كقيمتي العدل والمساواة، وبالقضاء على الطبقية، وبتطبيق مبدأ المؤاخاة بين المؤمنين في المرحلتين المكية والمدنية.
- ٦- إنَّ الإدارة النبوية نهجت في حماية الوطن في المجال الاقتصادي مبادئ تقوية المجتمع في مختلف المجالات الاقتصادية، فعمدت إلى الاستقلال الاقتصادي ونبت التبعية للسيطرة اليهودية على التجارة ببناء السوق الخاصة بالمسلمين، ثم وسّعت الزراعة ودعمتها من خلال إحياء الأراضي الميتة واستغلالها، وشجّعت الصناعة باتباع أساليب جديدة حينها.
- ٧- إنَّ منهج الإدارة النبوية في حماية الوطن في المجال العسكري ركّز على الإعداد من خلال التشجيع على التدريب، وأسس للصناعة الحربية لتكون وسيلة في حماية الوطن، وطبّق حماية الوطن عند الحاجة باستخدام تقنيات لم تكن العرب تعرفها، كحفر الخندق يوم الأحزاب.

ثانيًا: التوصيات: وقد أوصى الباحث بالآتي:

١. ضرورة تكثيف الجهود البحثية في دراسة السنة النبوية، والعمل على استنباط المناهج النبوية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية.
٢. تعميم نتائج البحوث والدراسات على مختلف فروع الإدارات في المجتمع والتعريف بها بمختلف الطرق، ولاسيما الندوات واللقاءات المباشرة.
٣. اعتماد نتائج البحوث والدراسات في السنة النبوية في مناهج التربية والتعليم؛ لتربية الأجيال عليها.

### قائمة المصادر والمراجع:

- الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٧٧٢هـ)، نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م.
- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الرياض، مكتبة المعارف للنشر، (د. ط)، ١٩٩٦م.
- البخاري، أبو عبد الله، محمد بن اسماعيل بن بردزبه البخاري الجعفي، المتوفى: (٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، ط ٢، الرياض، السعودية، دار السلام للنشر، ١٩٩٩م.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجدي البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط ١، ١٤٠١هـ.
- الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي، (المتوفى: ٢٧٩هـ)، الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل، ط ١، السعودية، الرياض، دار السلام للنشر، ١٩٩٩م.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، كتاب التعريفات، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م.
- جنكو، علاء الدين عبد الرزاق جنكو، المواطنة بين السياسة الشرعية والتحديات المعاصرة، المؤتمر العلمي الثالث لمركز الزهاوي للدراسات الفكرية، ١٦ / ٥ / ٢٠١٤، السليمانية، كردستان العراق، تحت عنوان: (النظام السياسي في الفكر الإسلامي: تحديات الواقع وآفاق المستقبل).
- الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، (المتوفى: ٤٠٥هـ)، المستدرک على الصحيحين، ط ١، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.
- حامد، خالد حامد، منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، ط ١، الجزائر، جسر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.
- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، ط ١، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

## مجالات حماية الوطن في السنة النبوية ...

- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٩م.
- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة للنشر، ط ١، ٢٠٠١م.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني، (المتوفى ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، ط ١، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار السلام للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.
- دويدري، رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي: أساسياته النظرية وممارسته العملية، (د.ط). بيروت، دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٥م.
- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، (بدون رقم طبعة)، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ١٩٩٠م.
- العاني، أنور شريف العاني، أخلاقيات إدارة التسويق في الإدارة العربية الإسلامية، الندوة العلمية الدولية السابعة: إدارة المال والأعمال في السنة النبوية، (بحث محكم)، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ٢١-٢٣/٤/٢٠١٥م، دبي، الإمارات العربية المتحدة.
- العجلوني، محمد محمود العجلوني، النظرية الإدارية الإسلامية: استنباط الأسس والمبادئ، ط ١، عمان، الأردن، دار المسيرة للنشر.
- عساف، عبد المعطي عساف، النظرية الإسلامية العلمية في الإدارة: (I Theory): نظرية الإدارة بالقيم: MBV، ط ١، الأردن، دار زهران للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م.
- العيسوي، عبد الفتاح محمد العيسوي، وعبد الرحمن محمد العيسوي، مناهج البحث في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، ط ١، بيروت، دار الراتب الجامعية، ١٩٩٧م.
- الكتاني، محمد عبّد الحّي بن عبد الكبير بن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني، (المتوفى: ١٣٨٢هـ)، التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة، تحقيق: عبد الله الخالدي، ط ٢، بيروت، دار الأرقم، (د. ت).

- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، (المتوفى: ٥٧٧٤هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: جميل صدقي، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٧م.
- الكرمي، حافظ أحمد عجاج الكرمي، الإدارة في عصر الرسول، دراسة تاريخية للنظم الإدارية في الدولة الإسلامية الأولى، ط١، القاهرة، دار السلام للطباعة، ٢٠٠٦م.
- ابن ماجه، أبي عبد الله محمد بن يزيد الربيعي، ابن ماجه القزويني، (المتوفى: ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، ط١، الرياض، السعودية، دار السلام للنشر، ١٩٩٩م.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٨٣م.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري، (المتوفى: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، ط٢، الرياض، السعودية، دار السلام للنشر، ٢٠٠٠م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (المتوفى: ٧١١هـ)، لسان العرب، ط٣، بيروت، لبنان، دار صادر، ١٤١٤هـ.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، (المتوفى: ٢١٨هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: أحمد شمس الدين، الطبعة الأخيرة (بدون رقم)، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٤م.
- الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٩٩٤م.
- **مواقع إلكترونية:**
- التأصيل الشرعي لمفهوم الوطنية - أوراق عمل، موقع السكينة،  
<https://www.assakina.com/book/57990.html> تاريخ الإدراج: ١٤/١١/٢٠١٤م.
- عبد الكافي، إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، نسخة PDF، موقع: كتب عربية (WWW.KOTOBARABIA.COM).

# أحاديث العهود وأثرها في حماية الأوطان

الدكتور/ عادل فائز

جامعة ابن زهر/ أكادير

المملكة المغربية





## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحابه  
أجمعين. أما بعد:

فقد جعل الإسلام العهد من مقتضيات الدين، ومن مقاصده الكبرى التي لا يتحقق مسمى  
الدين إلا بها، وذلك لما له من الأهمية البالغة في حياة الناس واستقرارهم، روحياً وجسدياً ودينياً.

إذ لا يمكن لأي فرد أو دولة أن تعيش بمفردها، معزولة عن غيرها، بل اقتضت سنة الوجود  
البشري، أن تكون الأمم متعاونة متآزرة، تتعايش وتتعاقد.

ولما كان الإسلام ديناً عالمياً جاء إلى الناس كافة، كان من الطبيعي أن يهتم الإسلام بتنظيم  
العلاقات بين المسلمين وغيرهم، حتى يعيش الناس في أمن وأمان. وإن من أبهى الصور التي تتجلى  
فيها تنظيم تلك العلاقات: ما يتعلق بالعهود سواء أكانت عهداً فردية أم جماعية.

وإننا نشهد في هذا العصر تحافياً لأحكام الشريعة فيما يتعلق بالمعاهدين والمستأمنين، وإنكاراً  
للطريقة المثلى التي سنها الإسلام في التعامل مع غير المسلمين، فكان ذلك سبباً في خراب الأوطان  
وتدميرها مادياً ومعنوياً، فقد فرضت عقوبات اقتصادية على كثير من بلدان المسلمين لأنها خالفت  
عهودها، كما شنت حروب على دول أخرى نتيجة عدم الوفاء بمعاهداتها، فكان من ذلك خراب  
الأوطان وتشريد الشعوب.

فكان لزاماً بيان أهمية المحافظة على العهود، وكيف نظم الإسلام المعاهدات، إذ من شأن  
ذلك أن يحافظ على الأوطان ويصونها من الخراب والدمار، ويحقق لها الأمن والاستقرار والازدهار.  
فلذلك اخترت أن يكون موضوع البحث: أحاديث العهود ودورها في حماية الأوطان.

وقد حظيت قضية العهد في الإسلام باهتمام كبير من لدن الباحثين، فكانت فيه دراسات  
عديدة، أكتفي بالإشارة إلى أهمها: تأصيل العلاقة مع غير المسلمين، من خلال أحداث السيرة

النبوية لحמיד الصغیر . والإسلام والمساواة بین المسلمین و غیر المسلمین، عبد المنعم أحمد بركة، رسالة دكتوراه، طبعها مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٠٤١ هـ. والتعايش السلمی بین المسلمین و غیرهم داخل دولة واحدة، سور الرحمن هدايات، رسالة ماجستير، طبعها دار السلام، مصر، ١٤٢١ هـ. والعلاقات الاجتماعية بین المسلمین و غیر المسلمین فی الشريعة الإسلامية واليهودية والمسيحية والقانون، بدران أبو العین بدران، رسالة دكتوراه، طبعها دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

هذه الدراسات، على أهميتها، فإني لم أجد من بينها من أفرد العهد في السنة بالبحث، بل كانت تلك الدراسات، تعتمد على نصوص القرآن، وبعض نصوص السنة؛ فقد عاجلت العهد في الشريعة بصفة عامة، كما ركزت على المقارنة بين الديانات في التعامل مع مخالفيها، ولم أجد من بينها دراسة خصصت لبحث العهد في السنة، وأثره في حماية الأوطان

أضف إلى ذلك أن هذه الدراسات أغفلت جانباً مهماً في قضايا العهود، وهي القيم الإنسانية التي ترمز إليها أحاديث العهود، وكيف كانت تلك القيم المثلى سبباً لبناء الأوطان و حمايتها وهو ما حاولت تجليلته في هذا البحث.

و حين يمتُّ البحث وجمعت مادته، كانت مادة غزيرة وفيرة، فلم يكن البحث متسعاً لعرضها ومعالجتها، فاقترعت على أهمها، مركزاً على ثلاث قضايا أساسية:

- بيان أنَّ ما شرعه الإسلام في قضايا العهود سواء أكانت بين الأفراد أم الجماعات، حيث إن الهدف العام منه هو حماية الأوطان من الخراب والدمار، وجعلها أوطاناً تنعم بالأمن والاستقرار، وقد تأكدت هذه الحقيقة عبر التاريخ فالدول التي لا تحترم معاهداتها، ولا تلتزم باتفاقياتها يكون ذلك سبباً في خراب أوطانها، وتشريد شعوبها، في حين أن الدول التي تلتزم بعهودها يكون ذلك سبباً في ازدهار أوطانها، واستقرار مجتمعاتها، وأمن شعوبها.

- بيان أن الحفاظ على العهد والوفاء به من المقاصد العظمى لهذا الدين؛ فلذلك رتب على نقضه أشد العقوبات، كما بينت التأصيل النبوي في المحافظة على العهود، والتعامل مع غير المسلمین. أما في الخطوة الثالثة، فقد بينت القيم الإنسانية التي تتضمنها أحاديث العهود، وأن نشر

تلك القيم كفيل بالمحافظة على الأوطان وصيانتها.

**تعريف العهد:** يدل الجذر اللغوي "عهد" في العربية على جملة من المعاني: يوضحها الجوهري بقوله: "العَهْدُ: الأمان، واليمين، والموثق، والذمة، والحفاظ، والوصية"<sup>(١)</sup>، وقد ذكر ابن فارس أن الأصل الذي ترجع إليه معاني هذه الكلمة هو: الاحتفاظ، يقول: "عَهْدَ العَيْنِ وَالْهَاءِ وَالذَّالُ أَصْلُ هَذَا الْبَابِ عِنْدَنَا ذَالٌ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ، قَدْ أَوْمَأَ إِلَيْهِ الْخَلِيلُ. قَالَ: أَصْلُهُ الْإِحْتِفَافُ بِالشَّيْءِ وَإِحْدَاثُ الْعَهْدِ بِهِ. وَالَّذِي ذَكَرَهُ مِنَ الْإِحْتِفَافِ هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي يَرْجِعُ إِلَيْهِ فُرُوعُ الْبَابِ. فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ عَهْدَ الرَّجُلِ يَعْهَدُ عَهْدًا، وَهُوَ مِنَ الْوَصِيَّةِ. وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْعَهْدَ مِمَّا يَنْبَغِي الْإِحْتِفَافُ بِهِ. وَمِنْهُ اسْتِنْقَاقُ الْعَهْدِ الَّذِي يُكْتَبُ لِلْوَلَاةِ مِنَ الْوَصِيَّةِ، وَجَمْعُهُ عُهُودٌ. وَالْعَهْدُ: الْمَوْثِقُ، وَجَمْعُهُ عُهُودٌ. وَمِنْ الْبَابِ الْعَهْدُ الَّذِي مَعْنَاهُ الْإِتِّفَاقُ وَالْإِلْمَامُ، يُقَالُ: هُوَ قَرِيبُ الْعَهْدِ بِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِمَامَةَ بِهِ احْتِفَافٌ بِهِ وَإِقْبَالٌ"<sup>(٢)</sup>.

فالأصل -إذا- في كلمة العهد هو الاحتفاظ؛ فالعهد هو عبارة عن الحفظ، حفظ الأمان، وحفظ الاستقرار، وحفظ العلاقات، وغير ذلك. فالأساس في العهد هو: الحفظ، وهناك مصطلحات أطلقت على ذوي العهد في الإسلام، كالمعاهدين، والمستأمنين، وأهل الذمة. وهي مصطلحات سيأتي تعريفها في البحث إن شاء الله.

## المبحث الأول: أثر أحاديث العهود في حماية الأوطان

هذا المبحث هو مقدمة للمباحث الآتية، أروم به بيان أثر أحاديث العهود في حماية الأوطان، بصفة عامة، على أن يتم تفصيل قضايا هذا المبحث في المباحث السالفة، وقد ارتأيت تجلية أثر أحاديث العهود في حماية الأوطان، في نقطتين اثنتين:

**أولاً: لا وطن دون أمن، ولا أمن دون عهد:** اقتضت سنة الوجود أن لا يعيش الإنسان معزولاً عن غيره، بل في هو في حاجة ماسة إلى غيره من البشر، فلذلك هم في حاجة إلى التعايش والتعاون والتساكن، ما يحقق للإنسان خلة الاستقرار والأمان، ولا ريب أن هذا التعايش والتساكن

١- الجوهري، الصحاح ٥١٥/٢.

٢- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ١٦٧/٤.

لا يمكن أن يحصل إلا عن طريق معاهدات تربط بين الأفراد والجماعات؛ هذه الجهود هي التي تحقق للمجتمعات الأمن والاستقرار، الذي هو مناط الحفاظ على الوطن، فما شرعته الأحاديث من حقوق المعاهدين، ما سلف في المباحث السالفة، إنما الغرض منه: أن يشعروا بالأمن في البلدان التي يعيشون فيها، وإذا شعروا فيها بالأمن، كان ذلك باعثاً لهم على الإسهام فيما ينفع الأوطان التي يعيشون فيها، فتزدهر تلك الأوطان، وتصير أوطاناً قوية: اقتصادياً، وسياسياً، واجتماعياً، في حين أن البلدان التي لا تحافظ على معاهداتها، ويروع فيها المستأمنون والمعاهدون، يكون ذلك سبباً في نشوب الحروب فيها، ما يعود بالضرر العميم على الوطن كله، فيصير وطناً مخرباً، يذوق أهله العذاب والويلات.

وهذا ما تأكد في عصرنا الحالي؛ فالبلدان التي يشعر فيها المعاهدون والمستأمنون بالأمن والأمان، نتيجة احترام الجهود التي تربطهم بتلك الدول، يتشجعون على الاستثمار فيها، ما يعود بالنفع على تلك البلدان التي يعيشون فيها، فيخلقون فرصاً للشغل، مما يقلل من البطالة، ويجعل اقتصاد البلد منتعشاً، ما يقلل من نسبة الفقر، ونتيجة ذلك تماسك اجتماعي، ووطن قوي.

في حين أن البلدان التي لا تحافظ على عهودها، فيروع فيها المستأمنون، ويخفر عهدهم، يفرون منها، ولا يتشجعون على الاستثمار فيها؛ فيكون ذلك سبباً في انتشار الفقر والبطالة، ما يكون سبباً في انتشار الجريمة، بل في نشوء الفكر المتطرف، ما يعود على الوطن بالخراب والدمار. كما أن الدول التي لا تحافظ على معاهداتها مع غيرها يكون ذلك سبباً في فرض حصار عليها، فتضعف اقتصادياً واجتماعياً، وتتخبط في مشكلات عويصة.

ومن ثم، فإن الحفاظ على العهد - كما شرعه الإسلام - هو من الأسباب الكبيرة للمحافظة على الأوطان، ووقايتها من الحروب والويلات، فنتيجة الحفاظ على العهد هو تماسك الأوطان، وعكسها خراب الأوطان، ومن ثم واجب تأكيد أن أحاديث العهود في الإسلام مقصدها العام، إنما هو حماية الأوطان.

**ثانياً: قيم العهود والحفاظ على الأوطان:** حماية الأوطان تقتضي وسائل الحماية، وهذه الوسائل قد تكون وسائل حسية، وقد تكون وسائل معنوية، ولربما كانت هذه الوسائل المعنوية

أنجع في حماية الأوطان من الوسائل المادية، وإن من أعظم الوسائل المعنوية هو القيم، فهي الرواسي التي تحمي الأوطان أن تميد.

والمأمل في أحداث العهود يبدو لائحا له أن أما ترمي إلى تحقيق مجموعة من القيم التي تحمي الأوطان، وتُسهم في أمنها واستقرارها، وازدهارها.

وقد تمَّ في المبحث السالف رصدُ بعض القيم التي تتوخى أحداث العهود تحقيقها، والقصد الآن بيان أن هذه القيم الغرض منها حماية الأوطان؛ فأحداث العهود تحقق قيمة الحرية، والتعايش، والتعاون، والرأفة، إلى غير ذلك. وإن كل مجتمع تشيع فيه تلك القيم، لا شك أن وطنه يحمي من الهجمات القيمة الخارجية؛ فيشيع فيه العدل، والمساواة والحرية، وهي قيم تجعل المجتمع متماسكاً، تنمحي فيه الفوارق الاجتماعية، وتزول فيه الفوارق الشاسعة بين الطبقات، ما يجعل المواطنين ينعمون بالاستقرار النفسي، والاجتماعي، وتكون النتيجة العامة لذلك هو: قوة الوطن، وحمانيته. ومن ثم، فإن أحداث العهود في أبعادها العامة، تحقق الوسائل المعنوية لحماية الأوطان، وهي الوسائل القيمة.

وإنَّ أحداث العهود وما تضمنته من أحكام، إنما ترمي في أبعادها العامة ومقاصدها الكبرى، إلى حماية الأوطان، واستقرارها وازدهارها، وقد دلَّ التاريخ على تصديق هذا الأمر، فما بنيت الدول ولا حميت الأوطان إلا حينما حافظت على عهودها ومعاهداتها، ولا خربت الأوطان وشردت الشعوب إلا حين نقضت الدول معاهداتها. ولذلك عني الإسلام العناية الفائقة بقضايا العهود، لأنها الركن الأساس في قيام البلدان وحماية الأوطان؛ فبالعهود تُحمى الأوطان، وبحمانيته الأوطان تُحمى شعائر الدين، لأنهما أمران متلازمان ضرورة.

### المبحث الثاني: الوفاء بالعهد من مقاصد الدين

جعل الله تعالى الإنسان خليفة في الأرض؛ قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ﴾ [البقرة ٣٠]، فكان المقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها.

ولا ريب أن استمرار صلاحها إنما يكون بصلاح المستخلفين فيها<sup>(١)</sup>، ولذلك كان الغرض من الشريعة: تحقيق مصالح الناس، ودرء الفساد عنهم؛ يقول العز بن عبد السلام: "اعلم أن الله سبحانه وتعالى لم يشرع حكماً من أحكامه إلا لمصلحة عاجلة أو آجلة، أو عاجلة وآجلة، تفضلاً منه على عباده. . . والشريعة كلها مصالح، إما تدرأ مفاسد، أو تجلب مصالح"<sup>(٢)</sup>.

فكان من مقاصد الدين العامة: الحفاظ على النفس؛ إذ عظم الإسلام حرمتها، وحرّم إذابتها، وإلحاق الضرر بها، بل جعل الاعتداء عليها بالقتل جريمة في حق الإنسانية جمعاء، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة ٣٢]، بيانا لعظم حقها.

وحفاظاً على النفس وحققها في العيش الكريم والحياة السعيدة، شرعت الشريعة الإسلامية مجموعة من الأحكام، وسنت مجموعة من القوانين، من بينها: المحافظة على العهود وتحريم نقضها، سواء أعلق الأمر بالعهد بين الإنسان وربه أم بين الإنسان وأخيه الإنسان، أو بين دولة ودولة.

ذلك أن احترام العهود والمواثيق من شأنه أن يحقق للناس الاستقرار والأمن، وأن يحفظ أوطانهم من الدمار والخراب، كما أن نقضه من شأنه أن يسبب نشوب الحروب، وإزهاق الأنفس والأرواح، وتخريب الأوطان والمجتمعات؛ فكان الحفاظ على العهد من مقاصد الدين العامة.

وقد وردت عن المصطفى ﷺ مجموعة من الأحاديث، تؤكد هذا الأمر وتجليه، أقتصر في ذا المقام على بعض منها:

أولاً.: قول النبي ﷺ "لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ"<sup>(٣)</sup>. دل هذا الحديث بصريح لفظه على نفي الدين على من ليس له عهد<sup>(٤)</sup>، ولا شك أن هذا الوعيد الشديد لا يرتب

١- علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها ص ٤٩.

٢- عز الدين بن عبد السلام: قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/٩.

٣- صحيح ابن خزيمة، كتاب الزكاة، - جماع أبواب ذكر السعاية على الصدقة - باب في التغليظ في الاعتداء في الصدقة وتمثيل المعتدى فيها بمعانيها، حديث رقم ٣٣٤.

٤- وقد ذهب جمع من الشراح إلى أن النفي هنا إنما هو نفي كمال، وحتى على هذا الرأي، فإن نفي الكمال دليل النقصان، وهو جرم لا يرتب إلا على الأمور العظيمة في الدين.

إلا على جرم عظيم في الشريعة، يمس بمقاصدها العامة، وبأسسها الكبرى، فلو لم يكن العهد من المقاصد الجامعة لهذا الدين، لما رتب عليه الشرع هذا الوعيد الشديد، يقول الزحيلي: "وجزاء ناكثي العهد، وخائني الأمانات، أشدّ عند الله من مرتكبي بقية الكبائر، كالزنا، والسرقه، وشرب الخمر، ولعب الميسر، وعقوق الوالدين، لأن مفسدة نقض العهد عامة شاملة، وضررها أعظم وأخطر"<sup>(١)</sup>. ولذلك كان النبي ﷺ يستعيذ منه، فيقول كما روى أبو هريرة رضي الله عنه: "كان رسول الله ﷺ يقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ؛ فَإِنَّهُ يَبْسُ الصَّحِيحُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ؛ فَإِنَّهَا يَبْسُ الْبَطَانَةَ"<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: جعل الشرع الحفاظ على العهد من علامات الإيمان، وجعل نقضه وإخلافه من علامات النفاق؛ فقد جاء في الحديث الصحيح "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا أُوْتِيَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ"<sup>(٣)</sup>.

فلو لم يكن الحفاظ على العهد من مقاصد الدين، لما جعله الشرع نقضه أمارة من أمارات النفاق، ولذلك جعل هرقل الوفاء بالعهد من دلالة صدق نبوة محمد - رضي الله عنه - في حديثه الطويل مع أبي سفيان، وقد جاء فيه " وَسَأَلْتُكَ: بِمَاذَا يَأْمُرُكُمْ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَأَكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالْعَفَافِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ النَّبِيِّ"<sup>(٤)</sup>.

وإذا كانت الأحاديث السالفة دالة على مكانة العهد في الإسلام، وكونه مقصداً عاماً من مقاصدها، فإن الأمر يزداد تأكيداً حين يتعلق الأمر بمن ليس على دين الإسلام، ممن تربطهم مع المسلمين عهود ومواثيق.

- ١- وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ٢/ ٢٧٠.
- ٢- سنن النسائي، كتاب الاستعادة، باب الاستعادة من الجوع، حديث رقم أبي داود، باب في الاستعادة حديث رقم ٥٤٨٣.
- ٣- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق حديث رقم ٣٤.
- ٤- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالنُّبُوَّةِ، وَأَنَّ لَا يَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ حديث رقم ٢٩٤٠.

فقد أكدت الشريعة احترام هذه العهود، وجاءت نصوص كثيرة في السنة تحتم على المسلمين احترام عهودهم مع غيرهم، وتحذره من نقضها، لما لذلك من الأهمية البالغة في الحفاظ على استقرار المجتمعات، وتعايش الناس، وهذا ما تكفل المبحث الثالث بمعالجته:

### المبحث الثالث: أحاديث العهود وتأصيل العلاقة بين المسلمين وغيرهم

الإسلام دين عالمي، شمولي كوني، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعث النبي ﷺ - إلى الناس كافة؛ فكان "من فضل الله على الأمة الإسلامية: أن الرسالة الخاتمة جاءت شاملة لكل ما يحتاج إليه المسلمون في حياتهم الدنيوية والدنيوية، موجهة لكل الثقليين، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ذاك أن الهدف هو هداية الله للإنسان، دون قصر الدعوة على جنس بذاته، أو مكان معين؛ إذ إن دعوة النبي ﷺ - موجهة إلى الناس كافة"<sup>(١)</sup>.

فهو دين جاء لتحقيق السعادة للبشرية جمعاء، ولذلك لم تقتصر تشريعاته وتعاليمه على أتباعه، بل شمل حتى من ليس معتنقاً له، فشرع جملة أحكام للتعامل مع غير المسلمين، سواء الذين يعيشون في بلاد المسلمين، أم الذين تربطهم مع المسلمين عهود ومواثيق، ما يحقق للطرفين التعايش والسلام، والأمن والاستقرار.

ويروم هذا المبحث بيان أهمية المحافظة على العهود التي تبرم مع غير المسلمين، سواء أكانوا قاطنين في بلاد المسلمين أم ليسوا كذلك، ومن ثم جعلت هذا المبحث في محورين؛ خصصت المحور الأول للعهود بين غير المسلمين ومن يقطن في بلادهم، والمحور الثاني للعهود بين المسلمين ومن لا يقطن في بلادهم؛ أي بين المسلمين والبلدان الأخرى.

**المحور الأول: العهود بين المسلمين وغيرهم ممن يقطن في بلاد المسلمين: جعل ابن القيم أهل العهد ممن يعيشون في بلاد المسلمين ثلاثة أصناف: "أهل ذمة، وأهل هدنة، وأهل أمان، يقول: "ولفظ الذمة والعهد يتناول هؤلاء كلهم في الأصل، وكذلك لفظ الصلح، فإن الذمة من جنس العهد والعقد"<sup>(٢)</sup>**

١- الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله ص ٤٨.

٢- ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة ٤٣/٢.

**أولاً:** - أهل الذمة<sup>(١)</sup>؛ هم مَنْ ليسوا بمسلمين، ويسكنون مع المسلمين في الوطن نفسه، ووصفهم بأهل الذمة لأنهم أهل عهد وأمان<sup>(٢)</sup>؛ فالمعاهد: هو كل مَنْ له مع المسلمين أمان بعهد شرعي.

**ثانياً:** - المستأمنون؛ هم الوافدون إلى بلاد الإسلام، لغرض التجارة أو العمل أو نحو ذلك، ويدخل في هذا الصنف: الدبلوماسيون، والمستثمرون، ورجال الأعمال؛ فالمستأمنون أنواع عدة؛ يقول ابن القيم: "المستأمن هو الذي يقدم بلاد المسلمين من غير استيطان لها، وهؤلاء أربعة أقسام: رسل، وتجار، ومستجبرون حتى يعرض عليهم الإسلام والقرآن. وطالبوا حاجة من زيارة وغيرها"<sup>(٣)</sup>. فكل هؤلاء مستأمنون؛ أي أعطي لهم الأمان.

فالحفاظ على العهود التي تربطها الدولة الإسلامية مع المعاهدين أو المستأمنين، من شأنه أن يجعل المسلمين مع غيرهم في تعايش وسلم، ما ينتج عنه تقدم البلدان وازدهارها؛ فالمستثمرون على سبيل المثال، حين يجدون الأمن والأمان في بلد من بلدان الإسلام، يتشجعون للاستثمار فيه، وبذلك يسهمون في خلق فرص الشغل التي تنمي البلد المستثمر فيه.

كما أن عدم المحافظة على العهود تجعل البلد في عزلة تامة، بل لربما كان نقض العهود سبباً في نشوب حروب طاحنة، تأتي على الأخضر واليابس.

ونظراً لأهمية المحافظة على عهود المعاهدين والمستأمنين في حماية الأوطان، جاءت مجموعة من الأحاديث تبين كيفية التعامل معهم، وتشرع لهم مجموعة من الأحكام والقوانين؛ أقتصر في ذا المقام على بعض منها:

**أولاً:** وجوب الوفاء بالعهد لمن أبرم معه العهد: سبق القول إن الوفاء بالعهد من المقاصد العظمى لهذا الدين، سواء أكان بين العبد وربّه أم بين الإنسان وأخيه الإنسان. ويزداد أمر الوفاء

١- أفرد العلماء كتباً لأحكام أهل الذمة وما يتعلق بهم في بلاد المسلمين، من أهم تلك الكتب: كتاب: أحكام أهل الذمة لابن القيم، وليس القصد في ذا المقال بيان أحكام أهل الذمة، وإنما بيان أهمية الحفاظ على عهودهم في حماية الأوطان، انطلاقاً من الأحاديث الواردة في ذلك.

٢- ينظر: وهبة الزحيلي، الإسلام وغير المسلمين ص ٦٠ - ٦١.

٣- ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة ٢/٤٧٦.

بالعهد تأكيداً حينما يتعلق بالمعاهدين والمستأمنين، ولذلك وردت أحاديث عدة تحذر من الغدر بعهدهم، فمن ذلك حديث سليم بن عامر، قال: "كان بين معاوية وبين الروم عهداً، وكان يسيرُ نحو بلادهم، حتى إذا انقضى العهدُ غزاهم، فجاء رجل على فرسٍ أو برَدُونٍ وهو يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وفاءٌ لا غدرٌ، فنظروا فإذا عمرو بن عَبَسَةَ، فأرسلَ إليه معاويةُ، فسأله، فقال: سمعتُ رسولَ الله - ﷺ - يقولُ: " مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلَا يَشُدُّ عُقْدَةً وَلَا يَحُلُّهَا حَتَّى يَنْقُضِيَ أَمْدُهَا أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سِوَاءٍ " فرجع معاوية" (١).

فقد دلَّ هذا الحديث على حرمة نقض العهد حتى تنقضي مدته، وإذا خاف منهم خيانة وأراد أن ينهي العقد فليعلمهم بذلك، حتى يكون في العلم بانتهاء العقد على حد سواء. ومن ذلك أيضاً قول النبي ﷺ: "لِكُلِّ عَادِرٍ لَوْاءٌ يُنْصَبُ بَعْدَ رَيْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (٢). ولا بد في ذا المقام تأكيد قضية من الأهمية بمكان، وهي أن حفظ العهد من الأمور التي فرضها القرآن الكريم في نصوصٍ كثيرة (٣)، سواء تعلق الأمر بالعهد العام، أم الخاص. ثم جاءت السنة فزادت الأمر تأكيداً وبيانا. وإن هذه الأحكام التي يشرعها القرآن والسنة، لها مرتبة عظيمة، ومنزلة سامقة، ولا تكون إلا في الأمور العظيمة في الدين، إذ ليس ما تفردت السنة بتشريعه في مرتبة ما شرع بالقرآن والسنة معا، فهناك تراتبية في الأحكام، انطلاقاً من مصدر تشريعها "ومن أخطأ هذه القاعدة الأصولية الجلييلة فاته كثير من فقه الدين" (٤).

**ثانياً:** حرمة دمائهم: عَظُمَ الإسلام أمر الدماء، فلذلك حرم القتل وجعله من أعظم الكبائر، وقد سبق أن حفظ النفس من المقاصد العامة لهذا الدين، ولذا ركز النبي ﷺ على هذه المسألة في خطبة حجة الوداع، فقال عليه الصلاة والسلام: "أَلَا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ،

١- سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير نحوه، حديث رقم ٢٧٥٥.

٢- صحيح البخاري كتاب الجزية، باب اثم الغادر للبر والفاجر، حديث رقم ٣١٨٨.

٣- هناك آيات عديدة أمر الله فيها المسلمين بالوفاء بالعهد، مع بعضهم ومع غيرهم ممن ليس على دينهم. للتوسع في موضوع العهد في القرآن ينظر: وفاء حيدر شقورة، الوفاء في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية.

٤- فريد الأنصاري، سيماء المرأة في الإسلام ص ٦٥.

كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ " قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: "اللَّهُمَّ اشْهَدْ - ثَلَاثًا - وَبَلَّغْتُمْ، أَوْ وَبَلَّغْتُمْ، أَنْظُرُوا، لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ" (١).

ويستوي في هذه الحرمة المسلم، والذمي، والمعاهد؛ فكما يحرم سفك دم المسلم دون حق شرعي، فكذلك لا يجوز سفك دم المعاهدين والمستأمنين، وقد وردت عدة أحاديث في هذا الأمر؛ من ذلك حديث أبي بكرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدَةً بَعِيرَ حَقِّهَا، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ أَنْ يَشْمَ رِيحَهَا" (٢). وفي رواية أبي هريرة أن النبي ﷺ، قَالَ: "أَلَا مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَقَدْ أَخْفَرَ بِذِمَّةِ اللَّهِ، فَلَا يُرِيحُ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ خَرِيفًا" (٣).

وقد أغلظ النبي ﷺ القول والوعيد لمن أَمَّنَ رجلاً ثم قتله؛ يقول ﷺ: "أَيُّمَا رَجُلٍ أَمَّنَ رَجُلًا عَلَى دَمِهِ ثُمَّ قَتَلَهُ، فَأَنَا مِنَ الْقَاتِلِ بَرِيءٌ، وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ كَافِرًا" (٤).

ولعظم حرمة دم المعاهدين جعل الشرع الحنيف المسلمين متكافئين في استئمان غيرهم، فكل من أجار من ليس على دين الإسلام، وأعطى له الأمان فلا يجوز لأحد من المسلمين إذابته، فقد جاء في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - "المسلمون تتكافأ دِمَاؤُهُمْ: يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَرُدُّ مُشَدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ، وَمُتَسَرِّبِهِمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ، لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ" (٥).

فكل من أجار من المسلمين أحداً وأعطى له أماناً، فلا يجوز لأحد الاعتداء عليه، ولو كان المستأمن امرأة، وقد دل على ذلك حديث أم هانئ: "قَالَتْ ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - عَامَ الْفَتْحِ فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ بِثَوْبٍ، قَالَتْ: فَسَلَّمْتُ، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ فَقُلْتُ: أَنَا

١- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، حديث رقم ٤٤٠٢.

٢- صحيح ابن حبان، كتاب السير، باب الذمي والجزية، حديث رقم ٤٨٨٢.

٣- المستدرک علی الصحیحین، کتاب الجهاد، حديث رقم ٢٥٩٦.

٤- صحيح ابن حبان باب ذكر الزجر عن قتل المرء من آمنه على دمه حديث رقم ٥٩٨٢.

٥- سنن النسائي، كتاب القسامة والقود، باب القود بين الأحرار والمماليك في النفس، حديث رقم ٤٧٤٩.

أُمُّ هَانِيٍّ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: "مَرَّحَبًا بِأُمِّ هَانِيٍّ"، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ قَامَ فَصَلَّى ثَمَانِي رَكَعَاتٍ مَلْتَحِفًا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ ابْنُ أُمِّي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَاتِلٌ رَجُلًا أَجْرْتُهُ فَلَانَ بْنُ هُبَيْرَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتَ يَا أُمَّ هَانِيٍّ"<sup>(١)</sup>.

ثالثًا: حرمة أموالهم: وردت أحاديث عدة يبين فيها النبي - ﷺ - أن أموال المعاهدين لا تحل استباحتها، ولا الاعتداء عليها، فحرمتها كحرمة أموال المسلمين؛ ومن ذلك حديث خالد بن الوليد قال: غزوت مع رسول الله - ﷺ - - خير، فأتت اليهود، فشكوا أن الناس قد أسرعوها إلى حظائرهم، فقال رسول الله - ﷺ -: "ألا لا تحلُّ أموال المعاهدين إلا بحقها، وحرامٌ عليكم حُمُرُ الأهلية، وخيلها، وبغالها، وكل ذي نابٍ من السباع، وكلُّ ذي مخالبٍ من الطير"<sup>(٢)</sup>.

فدل هذا الحديث على أن المعاهدين لهم من الحقوق ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، فلا يجوز الاعتداء على أموالهم، ولا أعراضهم، ولا نفوسهم، يقول القرافي: "إن عقد الذمة يوجب حقوقًا علينا لهم، لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا، وذمة الله تعالى، وذمة رسوله - ﷺ - ودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء، أو غيبة في عرض أحدهم، أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك، فقد ضيع ذمة الله تعالى، وذمة رسوله، وذمة الإسلام"<sup>(٣)</sup>.

رابعًا: الدفاع عنهم: كل من اعتدى عليهم يجب التصدي له، سواء أكان مواطنًا من دولة أخرى تحارب المسلمين، أو كان من أهل الذمة، أو من المسلمين. ولذلك وصَّى عمر بن الخطاب من تولى الخلافة من بعده بقوله: "وأوصيه بذمة الله، وذمة رسوله أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وألا يكلفوا إلا طاقتهم"<sup>(٤)</sup>.

خامسًا: حرمة إزايتهم بأي نوع من أنواع الإذاية: عمومًا فإن إلحاق أي نوع من أنواع الإذاية بالمعاهدين لا يجوز، سواء تعلق الأمر بالنفس، أو المال، أو العرض، فهذا بمثابة أصل جامع في التعامل مع المعاهدين.

١- صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفًا به، حديث رقم ٣٥٧.

٢- سنن أبي داود، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في أكل السباع. حديث رقم ٣٨٠٦.

٣- القرافي، الفروق ٣/١٤.

٤- صحيح البخاري باب ماجاء في قبر النبي ﷺ حديث رقم ١٣٩٢.

يقول جمال الدين القاسمي: "جاءت السنة المتواترة بالنهي عن إيذاء أهل الذمة، وبتقرير ما لهم من الحقوق على المسلمين، لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، ومن آذى ذمياً فليس منا. واستمر العمل على ذلك ما استمرت قوة الإسلام. ولست أبالي إذا انحرف بعض المسلمين عن هذه الأحكام، عند ما بدأ الضعف في الإسلام، وضيق الصدر من طبع الضعيف، فذلك مما لا يلصق بطبيعته، ويخلط بطيبته"<sup>(١)</sup>.

هكذا سوى الشرع الحنيف بين المسلمين والمعاهددين في الحقوق والواجبات؛ يقول الزحيلي: "قرر الإسلام المساواة بين المسلمين والذميين في كثير من الحقوق، أثبت لهم عصمة الدماء، والأموال، والأعراض، بل أعفى الذميين من بعض الواجبات، ومع ذلك فلهم ما للمسلمين من الحقوق المدنية، والسياسية، وعليهم ما على المسلمين من الواجبات التي تتعلق بأمن البلاد، ونظام التعامل والعقوبات"<sup>(٢)</sup>.

هذه بعض الحقوق التي جعلها الله تعالى للمعاهددين، وإن من شأن احترامها أن ينعم البلد الذي يعيشون فيه بالاستقرار، والأمن والنماء، فيحقق أمنًا اقتصاديًا، وثقافيًا، وسياسيًا، واجتماعيًا، وبذلك يحافظ الوطن على تماسكه واستقراره وتقدمه، وتلك فلسفة الإسلام في المحافظة على العهود.

**المحور الثاني: العهود مع الدول التي ليست مسلمة (المعاهدات الدولية):** معلوم أن دولة الإسلام تحتاج دومًا إلى عقد معاهدات مع غيرها، ممن ليس على دينها، وهو أمر من الأهمية بمكان، وقد بين النبي - ﷺ - أهمية المعاهدات الدولية، ودورها في بناء الأوطان، والحفاظ على استقرارها، بل إن سيرته - ﷺ - تعد درسًا في التعامل مع الدول الأخرى، وسأقف في ذا المقام مع معاهدة أبرمها النبي - ﷺ - لنتبين منها الهدى النبوي في بناء الأوطان، والمحافظة عليها، وهي المعاهدة التي أبرمها مع اليهود.

فقد كانت الخطوة الأولى التي أقدم عليها النبي - ﷺ - وهو يروم بناء دولة إسلامية: إبرام معاهدة مع من كان يسكن بالمدينة من اليهود، فلم تتجه سياسته - ﷺ - إلى مصادرهم، وطردهم

١- جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، ٣٨٥/٥.

٢- وهبة الزحيلي، الإسلام وغير المسلمين ص ١٣٩ - ١٤٠.

من المدينة، وإنما إلى موادعتهم ومعاهدتهم، على أن يكون له دينه ولهم دينهم<sup>(١)</sup>. يقول ابن القيم: "فصالح يهود المدينة، وكتب بينهم وبينه كتاب أمن، وكانوا ثلاث طوائف حول المدينة: بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة"<sup>(٢)</sup>.

وقد روت كتب التاريخ والسير نص هذا العهد الذي عاهد به النبي ﷺ - اليهود؛ يقول ابن إسحاق: "وَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِتَابًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَادَّعَى فِيهِ يَهُودَ وَعَاهَدَهُمْ، وَأَقْرَبَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَشَرَطَ لَهُمْ، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ﷺ، بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ، فَلِحَقِّ بِهِمْ، وَجَاهِدَ مَعَهُمْ، إِنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنْ لَا يُحَالَفَ مُؤْمِنٌ مَوْلَى مُؤْمِنٍ دُونَهُ، وَإِنَّ ذِمَّةَ اللَّهِ وَاحِدَةٌ، يُجْبِرُ عَلَيْهِمْ أَذْنَاهُمْ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مَوْلَى بَعْضٍ دُونَ النَّاسِ، وَإِنَّهُ مَنْ تَبَعَنَا مِنْ يَهُودٍ فَإِنَّ لَهُ النَّصَرَ وَالْأَسْوَدَ، غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصِرِينَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ، لَا يُسَالِمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ، وَإِنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ، وَإِنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ، وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ، مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثَمَ، فَإِنَّهُ لَا يُوتَغُ إِلَّا نَفْسَهُ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي النَّجَارِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي الْحَارِثِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي سَاعِدَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي جُشَمِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي الْأَوْسِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثَمَ، فَإِنَّهُ لَا يُوتَغُ إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَإِنَّ عَلَى الْيَهُودِ نَفَقَتَهُمْ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ نَفَقَتَهُمْ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصَرَ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ، وَالْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَأْتُمْ امْرُؤٌ بِجَلِيفَةٍ، وَإِنَّ النَّصَرَ لِلْمَظْلُومِ، وَإِنَّ الْجَارَ كَالنَّفْسِ غَيْرِ مُضَارٍّ وَلَا آثِمٍ، وَإِنَّهُ لَا بُحَارَ حُرْمَةً إِلَّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا، وَإِنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادَهُ، فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى أَتَقَى مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبْرَهُ. . . وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى أَصْدَقِ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبْرَهُ، وَإِنَّهُ لَا يُحُولُ هَذَا الْكِتَابُ دُونَ ظَالِمٍ وَأَثَمٍ، وَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنًا، وَمَنْ

١- ينظر: ابن شبة، تاريخ المدينة ٤٥٩/٢.

٢- ابن القيم: زاد المعاد ١٤٨/٢.

قَعَدَ آمِنٌ بِالْمَدِينَةِ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ أَثَمَ، وَإِنَّ اللَّهَ جَارٌ لِمَنْ بَرَّ وَاتَّقَى، وَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ" (١).

هذا العهد الذي وادع به النبي - ﷺ - اليهود يدل على مجموعة من القضايا المهمة في معاهدة الأطراف الخارجية، أذكر اثنتين منها:

١. إن اليهود بمقتضى هذه الوثيقة يصيرون رعية واحدة مع المسلمين، يسري عليهم ما يسري على المسلمين من النظم والأحكام، كما أن لهم الحق في ممارسة شعائرهم، والاحتفاظ بعقائدهم، وقد كفل لهم المصطفى - ﷺ - حقوقهم في أجلي صورة، من ذلك أن أبا حدر أحد الصحابة، كان ليهودي عليه أربعة دراهم، فاستعدى عليه النبي - ﷺ - فأمره النبي - ﷺ - أن يعطي لليهودي حقه (٢)، فاضطر أبو حدر إلى بيع برده ليسدد ما عليه لليهودي، فتساوى اليهودي والمسلم أمام عدل الإسلام.

٢. إقامته - ﷺ - النظام الاجتماعي على أساس التشارك والاختلاط، فلم ير حرجاً في أن يعمل مسلم عند يهودي أو العكس، لأن المجتمع قائم على نظام التشارك والتعاون، وقد روي عن علي بن أبي طالب ؓ أنه اشتغل عند يهودي فسقى له إبله كل دلو بتمرة (٣)، وقد أخبر النبي بذلك فلم ينكره.

وقد حافظ النبي - ﷺ - على هذا العهد، حتى نقضه اليهود، فكان بينه وبينهم ما هو معلوم في كتب السيرة.

فلم يلجأ النبي - صلى عليه وسلم - إلى الحرب والمواجهة، بل لجأ إلى المودعة والمهادنة، لأنها السبيل الأمثل إلى التعايش وبناء الأوطان، واستقرار المجتمعات.

فتبين مما سلف أن النبي - ﷺ - كان يعاهد مخالفه، ويضمن لهم بمقتضى ذلك العهد حقوقهم، وحث الأمة على احترام تلك العهود، وحذر ناقضها، وتوعده بأشد أنواع الوعيد، وما

١- ابن هشام، سيرة ابن هشام ١/٥٠١-٥٠٤.

٢- مسند الإمام أحمد حديث رقم ١٥٤٨٩.

٣- سنن ابن ماجه باب الرجل يستقي كل دلو بتمرة ويشترط جلدة حديث رقم ٢٤٤٦.

ذلك إلا محافظة على الأوطان واستقرارها.

وإن المتأمل في مختلف الأحكام التي شرعها الله تعالى في مجال العهود، وما حوته السيرة العطرة من مواقف تجاه المعاهدين، ليدرك أن الشرع يهدف من خلالها إلى تحقيق مجموعة من القيم الإنسانية، التي تعد الركائز الأساسية لبناء المجتمعات والأوطان، وهذا ما تكفل المبحث الرابع ببيانه:

### المبحث الرابع: القيم الإنسانية في أحاديث العهود ودورها في حماية الأوطان.

تهدّف الإسلام في تشريعاته وأحكامه تحقيق مجموعة من القيم التي تسعد البشرية جمعاء، من ذلك: تشريعاته المتعلقة بالعهود، فقد تقصّد الإسلام من وراء الأحكام التي شرعها في قضايا العهود، غرس مجموعة من القيم الإنسانية التي ينبغي أن يتشبع بها المسلمون في علاقتهم مع من ليس على دينهم، وسأكتفي في ذا المقام بعرض بعض من تلكم القيم المتضمنة في أحاديث العهود، ولعل أهمها:

**أولاً: الحرية:** لا شك أن من القيم التي ينشدها العالم اليوم، ويسعى إلى تحقيقها فيما يسنه من قوانين: جعل الفرد والمجتمع يتمتع بأوفر نصيب من الحرية، وإن المتأمل في أحاديث العهود، وما شرعته من أحكام، ليجد أنها تدعو إلى تحقيق نوع من الحرية التي يسعى إليها الفرد، وهي: حرية الاعتقاد.

فقد اتسم موقف الإسلام من الأمم والأديان الأخرى " بالتسامح، واحترام حرية عقائد هذه الأديان، وشعائرها. وعلى أساس هذا الموقف، أقام الإسلام جميع ما قرره من قواعد، وما سنه من مبادئ لتنظيم العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين"<sup>(١)</sup>.

وقد دلت الأحاديث السالفة في العهود، على أن المعاهد له كامل الحرية في ممارسة عقائده، وشعائره الدينية، دون أي تضيق أو منع، وهذا يتماشى مع قاعدة عامة في باب العقائد، وهي

القاعدة أصلتها الآية الكريمة ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة ٢٥٦]

وقد سار الصحابة على هدي النبي - ﷺ - في هذا المبدأ الرشيد في التعامل مع غير المسلمين، فهذا عمر بن الخطاب - ﷺ - جاءته امرأة مشركة في حاجة لها، فدعاها إلى الإسلام فرفضت،

١- علي عبد الواحد وافي، بحوث في الإسلام والاجتماع، ص ٦٣.

ثم قضى لها حاجتها، وخشي - ﷺ - أن يكون مسلكه هذا قد انطوى على إكراه، فاستغفر الله مما فعل، ثم قال: "اللهم إني أرشدت ولم أكره"<sup>(١)</sup>.

**ثانياً: المساواة والعدل:** الإسلام دين عدل وقسط، فلا يظلم في كنفه أحد؛ فلذلك سوى الشرع الحنيف في كثير من الأمور بين المسلمين وغيرهم، لهم ما للمسلمين من حقوق، وعليهم ما على المسلمين من واجبات، وقد ضرب النبي - ﷺ - أروع الأمثلة في هذه القضية، فقد مرت جنازة يهودي بالنبي - ﷺ - فقام لها، فقيل له: إنها جنازة يهودي فقال - ﷺ - : "أليست نفساً؟"<sup>(٢)</sup>.

أما الأحاديث الدالة على العدل والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين، فهي أكثر من أن تحصى، وقد سبقت الأحاديث الدالة على تحريم دماء المعاهدين، وأموالهم، وإذابتهم، لذا أكتفي في ذا المقام بحديث واحد، يبين هذا الأمر في أجلي صورة. فقد أتى زيد بن سعة النبي - ﷺ - وكان من أحابار اليهود قبل أن يسلم، فجدت ثوب النبي - ﷺ - عن منكبه، ثم قال: إنكم يا بني عبد المطلب أصحاب مطل، وإني بكم لعارف، فما كان من عمر بن الخطاب - ﷺ - إلا أن ثار لرسول الله - ﷺ - فانتهر زيدا، فقال النبي - ﷺ - : يا عمر أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج، أن تأمرني بحسن القضاء، وتأمره بحسن التقاضي، انطلق يا عمر أوفه حقه، أما إنه قد بقي من أجله ثلاث، فزده ثلاثين صاعاً لتزويرك عليه"<sup>(٣)</sup>.

هكذا صنع المسلمون بأهل الكتاب، وعلى هذه العدالة التامة قامت المعاهدات، لأن رعاية الحق، وإقامة العدل، هما أساس الصلة التي ينشئها المسلمون مع مخالفيهم في الدين، ومثل هذه الوقائع في زمن النبي - ﷺ - وفي زمن الخلفاء أكثر من أن تحصى، وقصة علي بن أبي طالب - ﷺ - مع شريح القاضي، أشهر من نار على علم<sup>(٤)</sup>. وهذا ما دفع بعض المستشرقين إلى أن يشيد بعظمة النبي - ﷺ - في تأسيس هذا المبدأ، فقال: "إن محمداً كان هو النبي والملهم والمؤسس، ولم

١- السيوطي، الدر المنثور ٣/١٩٩.

٢- صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي حديث رقم ١٣١٢.

٣- المستدرك على الصحيحين، كتاب البيوع، - إن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها، حديث رقم ٢٢٥٠.

٤- ابن كثير، البداية والنهاية ١١/١٠٨.

يستطع أحد أن ينازعه المكانة العليا. . . ومع ذلك فلم ينظر إلى نفسه كرجل من عنصر آخر، أو من طبقة أخرى غير طبقات بقية المسلمين، إن شعور المساواة والإخاء، الذي أسسه بين الجمعية الإسلامية، كان يطبق تطبيقاً عملياً حتى على النبي نفسه<sup>(١)</sup>.

**ثالثاً: التسامح:** من المبادئ العظيمة لهذا الدين مبدأ التسامح، خاصة ما يتعلق بالمعاهدات التي يعقدها المسلمون مع مَنْ ليسوا على دينهم، سواء أكانوا ذميين أو مستأمنين أو غيرهم. وقد كانت المعاهدات التي أبرمها النبي - ﷺ - مع المشركين، أو أهل الكتاب، أروع نموذج في تسامح الإسلام. ففي صلح الحديبية كان باستطاعة جيش المسلمين أن يدك بلاد المشركين دكاً، وأن يدخلها عليهم عنوة، لكن أثر النبي - ﷺ - حقق الدماء، ولما تم الاتفاق بين الطرفين كان ظاهر بعض بنوده الحيف ما دفع عمر بن الخطاب - ﷺ - إلى إبداء نوع من الاعتراض قائلاً: ففيم نعطي الدنية في ديننا<sup>(٢)</sup>؟ لكن النبي - صلى الله عليه - أثر التسامح والرفق، بدل الشدة والعنف، فقبل منهم هذا البند لأنه - ﷺ - يعلم العاقبة الحميدة للتسامح والرفق، ولذلك سمى الله تعالى ما وقع في صلح الحديبية: بالفتح المبين. وقد كان صلح الحديبية بصفة عامة، درساً عظيماً، ورؤية استراتيجية بعيدة المدى، لأنها تنسجم مع الأهداف التي تحققت في المستقبل.

فكان صلح الحديبية فتحاً للقلوب التي كانت مغلقة على الشرك؛ ففي أثناء هذه الهدنة، أسلم كثيرون من دهاة قريش وصناديدها، وما استطاعت بعد ذلك أن تشن حرباً على رسول الله - ﷺ - فكان هذا الصلح المتسامح فتحاً مبيئاً<sup>(٣)</sup>. هكذا عاش أهل الذمة في كنف الدولة الإسلامية في العهد النبوي، يتمتعون بكامل حريتهم، لا يروعهم أحد، ولا ينتقصهم أحد، وقد دلت أحداث السيرة النبوية، أنهم كانوا أحراراً حتى في تعاملاتهم مع النبي - ﷺ - على الرغم من مكانته ﷺ، ولا أدل على ذلك من حديث أبي رافع مولى رسول الله - ﷺ - حيث قال: "نزل برسول الله - ﷺ - ضيف، فأرسلني إلى يهودي بالمدينة يستسلفه، فأتيته فقال: لا أسلفه إلا برهن، فأخبرته بذلك، فقال: إني لأمين في أهل السماء وفي أهل الأرض، فاحمل درعي إليه، كما ثبت

١- نقلاً عن: محمد غلاب، هذا هو الإسلام ص ٧٨.

٢- صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، حديث رقم ١٧٨٥.

٣- محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام ص ٢٦٥

أيضا أنه - ﷺ - توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير. (١)

ولا شك أن هذا السلوك منه - صلى عليه وسلم - إنما فعله ليبين سماحة الإسلام في التعامل مع من ليس من أهل الإسلام، وأنه دين يدعو إلى التسامح والتعايش، لا إلى التنابد والتنافر، وإلا فقد كان من بين أصحاب النبي - ﷺ - أثرياء يعطون النبي - ﷺ - ما شاء برضى منهم، بل كانوا يتسابقون إلى ذلك، كما دلت على ذلك أحاديث كثيرة، ففعله - صلى الله عليه - كان القصد منه أن يبين بشكل عملي سمو الإسلام وسماحته في تعامله مع غير المسلمين.

**رابعاً: التعايش:** لا شك أن من المشكلات العويصة التي يعاني منه العالم اليوم: مسألة التعايش بين الديانات المختلفة في بلد واحد؛ إذ هناك مَنْ يرى بينها تناحراً، فيسعى إلى فرض نوع من العنصرية، والتضييق على معتقد ما، أو نحلة ما؛ وإن رمى إليه الشارع في أحاديث العهود: جعل أهل الديانات المختلفة يتعايشون في بلد واحد، يتمتع فيه المعاهد بكامل حقوقه، السياسية والمدنية، له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم، وقد كان العهد النبوي أمثل عهد على تحقيق ذا التعايش.

وقد سار الصحابة على سنن المصطفى - ﷺ - في معاملتهم للمخالفين في الدين، ولا أدل على ذلك من حديث أسماء بنت أبي بكر، قالت: "كُنْتُ مَرَّةً فِي أَرْضٍ قَطَعَهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَالزُّبَيْرِ مِنْ أَرْضِ النَّضِيرِ، فَخَرَجَ الزُّبَيْرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَنَا جَارٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَذَبَحَ شَاةً فَطُبِخَتْ فَوَجَدْتُ رِيحَهَا، فَدَخَلَنِي مِنْ رِيحِ اللَّحْمِ مَا لَمْ يُدْخِلْنِي مِنْ شَيْءٍ قَطُّ وَأَنَا حَامِلٌ بِابْنَةٍ لِي تُدْعَى خَدِيجَةَ، فَلَمْ أَصْبِرْ فَاَنْطَلَقْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى امْرَأَتِهِ أَقْتَبِسُ مِنْهَا نَارًا لَعَلَّهَا تُطْعِمُنِي، وَمَا لِي مِنْ حَاجَةٍ إِلَى النَّارِ، فَلَمَّا شَمَمْتُ رِيحَهُ، وَرَأَيْتُهُ اَزْدَدْتُ شَرًّا، فَأَطْفَأْتُهُ، ثُمَّ جِئْتُ الثَّانِيَةَ أَقْتَبِسُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ الثَّلَاثَةَ فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ قَعَدْتُ أَبْكِي وَأَدْعُو اللَّهَ، فَجَاءَ زَوْجُ الْيَهُودِيَّةِ فَقَالَ: أَدَخَلَ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ؟ قَالَتْ: لَا إِلَّا الْعَرَبِيَّةُ أَتَتْ تَقْتَبِسُ نَارًا، فَقَالَ: فَلَا أَكُلُ مِنْهَا أَبَدًا أَوْ تُرْسَلِي مِنْهَا إِلَيْهَا، فَأَرْسَلْتُ إِلَيَّ بِقَدْحَةٍ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ أَعْجَبُ إِلَيَّ مِنْ تِلْكَ الْأُكْلَةِ" (٢).

**خامساً: التعاون:** إن أحاديث العهود ترمي من بين ما ترمي إليه تحقيق التعاون بين الشعوب

١- صحيح البخاري، كتاب الرهن، باب ما قيل في درع النبي ﷺ، حديث رقم ٢٩١٦.  
٢- المعجم الكبير للطبراني - مسند النساء - باب الألف، من اسمها أسماء، أسماء بنت أبي بكر الصديق رقم ٢٧٨.

والأمم المختلفة، في المجالات المختلفة، سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وثقافياً؛ فالبلد المسلم لا ينبغي أن ينغلق على نفسه، بل يجب أن يستفيد من غيره من الأمم اقتصادياً وعلمياً، وهذا تحققه العهود التي تربط بين مختلف الدول والديانات، واحترام بنود تلك العهود، وقد كانت سيرة النبي - ﷺ - وسيرة الصحابة - ﷺ - أروع مثال على ذلك، فقد كان التجار من غير المسلمين يفدون على المدينة، فيبيعون ويشترون، ويستفيد منهم المجتمع اقتصادياً واجتماعياً.

**سادساً: التسامح:** لاشك أن دين الإسلام دين تسامح في شتى تشريعاته، فالإسلام الحنيف يرحب بالتسامح ويدعو إليه، من خلال الإحسان والبر والقسط، ولا يتنافى هذا مع النصوص الشرعية في النهي عن موالاة غير المسلمين.

ومن ثم لا ينبغي الخلط بين ما يجب للمعاهدين من البر والإحسان، وبين ما يوجبه الدين من عقيدة الولاء والبراء، وقد أدى الخلط بين الأمرين إلى تنامي عقائد وآراء تدعو إلى قطع التعامل مع غير المسلمين بصفة عامة، فرفضوا التعدد، وتنكبوا مهيع الإسلام في تعامله مع مَنْ ليس على دين الإسلام، ففتنوا الناس، وطعنوا في العلماء، وحرّفوا نصوص الشرع عن مقاصدها، وحملوها من المدلولات ما لا تحتل، فوجب نشر الفهم الصحيح لأحاديث الولاء والبراء، وأن مدلولها لا يعني ما يروج له عند بعض من لا يفهم النصوص الفهم الصحيح، وأن ثقافة الإسلام في التعامل مع مَنْ ليس من المسلمين تنبني على مجموعة من القيم، التي سنّها الشرع في كثير من الأحكام المتعلقة بمخالفيه.

وقد جاءت أحاديث عدة تدعو إلى التسامح، ونبذ العصبية والعنصرية، فقد جاء في صحيح مسلم، أن النبي - ﷺ - قال: "ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً"<sup>(١)</sup>.

فليس بدعا -إذاً- أن يُعامل المسلمون مَنْ يخالفهم في الدين معاملة كريمة حسنة، فذلك أمر طبيعي، وتطبيق عملي، لما جاء به الإسلام من مبادئ، وما حواه من قيم<sup>(٢)</sup>، وإن في روح

١- صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر، حديث رقم ٢٥٤٣.

٢- أبو هلاله يوسف، تعامل المسلمين مع غيرهم في مجتمع الدعوة ص ٦٥.

الإسلام من السماحة الإنسانية، ما لا يملك منصف أن ينكره، أو يرواغ فيه، وهي سماحة مبذولة للمجموعة البشرية كلها، لا لجنس فيها، ولا لأتباع عقيدة معينة، إنما هي للإنسان بوصفه إنساناً.

**سابعاً: الرأفة:** الرأفة بالمخالفين في العقيدة مبدأ من مبادئ الدين، ومقصد عام من مقاصده، وهو مظهر من مظاهر التسامح، وقد وردت أحاديث عدة، ووقائع كثيرة زمن النبوة، تؤصل هذا الأمر، وتدعو إلى تطبيقه، فعندما جاء وفد ثقيف إلى رسول الله - ﷺ - ضرب عليهم القبة في المسجد، فقال عمر - ﷺ - يا رسول الله إنهم لا يصلون، فقال النبي - ﷺ - دعهم يا عمر فَإِنَّهُمْ سَيَسْتَحْيُونَ أَلَّا يُصَلُّوا، فَمَكَّنُوا يَوْمَهُمْ لَا يُصَلُّونَ وَالْعَدَا، حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الْعَصْرِ صَلُّوا بِغَيْرِ وُضُوءٍ، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلُّوا بِلَا وُضُوءٍ، فَقَالَ ﷺ: "دَعُهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ سَيَتَوَضَّئُونَ"، حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثُ غَسَلُوا وُجُوهَهُمْ وَرُءُوسَهُمْ وَأَعْنَاقَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ إِلَى الْمَنَاكِبِ، وَتَرَكُوا الْأَرْجُلَ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُمْ فَعَلُوا كَذَا وَكَذَا فَقَالَ: "دَعُهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ سَيَتَوَضَّئُونَ"، وَغَدَا الْيَوْمَ الْخَامِسَ فَعَسَلُوا الْبُطُونَ وَالظُّهُورَ، فَآتَى عُمَرُ - ﷺ - النَّبِيَّ - ﷺ - فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: "دَعُهُمْ عَنْكَ"، فَلَمْ يَذْكُرْ شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِمْ بَعْدُ" (١).

وقد كانت عبارة النبي - ﷺ - في صلح الحديبية أروع مثل للرأفة بالمخالفين، حين قال عليه الصلاة والسلام: "والله لا تدعوني فُرَيْشُ الْيَوْمِ إِلَى خُطَّةٍ يَسْأَلُونِي فِيهَا صَلَاةَ الرَّحْمِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا" (٢). وإن من مظاهر الرأفة بالمعاهدين: أن الشرع الحنيف لم يحدد جنس الجزية التي تؤخذ منهم، بل ترك أمرها مطلقاً، فقد أخذها النَّبِيُّ ﷺ دراهم ودنانير، كما أخذها من الثياب، على حسب استطاعتهم وقدرتهم، مراعاة لخلّة التيسير والرأفة. ومظاهر الرحمة والرأفة بغير المسلمين في سيرة المصطفى - ﷺ - أكثر من أن تحصى، وقد صدق الله العظيم حين قال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [ الأنبياء ١٠٧ ].

فلم يقل للمسلمين، بل للعالمين؛ فرحمته - ﷺ - شاملة للإنسانية جمعاء، وقد طبق ذلك عليه الصلاة والسلام عملياً في حياته، فاستطاع بناء دولة إسلامية قوية، ودخل الناس في دين

١- ابن شبة، تاريخ المدينة ٥٠٠/٢.

٢- مسند الإمام أحمد، أول مسند الكوفيين رضي الله عنهم حديث رقم ١٩٢١٢.

الله أفواجًا، ومن ثم فحين تسود القيم الإنسانية التي دعا إليها الإسلام في التعامل مع مَنْ ليسوا بمسلمين، يشيع الأمن والأمان، وتُبنى الأوطان، ويعمّ السلام.

إن هذه القيم التي تهدف إليها أحاديث العهود، وترمي إلى تحقيقها في المجتمع، هي الكفيلة ببناء الأوطان، وحماتها، وازدهارها، وتقديمها؛ فالبلد التي تسود فيه قيم التسامح، والتعايش، والحرية، من شأنه أن يكون بلدًا قويًا، اقتصاديًا، واجتماعيًا، وسياسيًا، وصناعيًا.

وقد أثبت التاريخ أن الأمم التي تحافظ على عهودها، وترعى معاهداتها، هي الأمم التي تحقق لشعبها الأمن والاستقرار، وأن الأمم التي تنقض معاهداتها، ولا تكاد تستقر على ميثاق أو عهد، هي الأمم التي تخرب أوطانها، وتشرذ شعوبها، ولذلك كان الوفاء بالعهد - كما سلف - من مقاصد الدين، لأنه السبيل إلى حفظ النفوس، وأمنها واستقرارها.

**الخلاصة:** أسفر البحث في ذا الموضوع عن مجموعة من النتائج، أسجل في ذا المقام أهمها:

١. إن حفظ العهد من المقاصد العظمى لهذا الدين؛ إذ يتحقق به حفظ الناس وصيانتها وكرامتها، وبحفظه تُحفظ الأوطان من الخراب والدمار، ويتحقق لها من العيش أرغده، ومن الحياة أسعدها، اجتماعيًا، وسياسيًا، واقتصاديًا، وثقافيًا.
٢. حرّم الإسلام نقض العهد، سواء أكان بين الأفراد، أم بين الجماعات، وجعل المحافظة عليه سيماء المؤمنين، وفي المقابل جعل نقضه علامة النفاق، وجرمًا عظيمًا في الدين.
٣. ضمن الإسلام للمعاهدين مجموعة من الحقوق التي يتمتعون بها في بلاد المسلمين، في الأموال والأعراض؛ إذ بذلك يتحقق التعايش والسلام، ما يحفظ الأوطان، ويُسهّم في ازدهارها.
٤. تتضمن تشريعات الإسلام في قضية العهود مجموعة من القيم الإنسانية العظمى، نحو الحرية، والعدل، والتعاون، والتعايش، والرأفة. . . وهي أخلاق وقيم: ما من مجتمع يتمتع بها إلا وساد فيه التقدم والرقى على كافة الأصعدة. ولذلك فإن الإسلام حينما حثّ على المحافظة على العهود، إنما يرمي إلى تحقيق تلك القيم، التي من شأنها أن تجعل المجتمع الإسلامي مجتمعًا قويًا، متقدمًا مزدهرًا، يعيش فيه الناس في أمن وأمان، وطمأنينة واستقرار.

٥. إن فلسفة الإسلام في قضية العهود، إنما هي حماية الأوطان، وبنائها، وتقديمها وازدهارها، ولذلك أولها عناية فائقة، ورعاية بالغة.

٦. إن سيرة النبي - ﷺ - وسيرة صحابته سجلٌ حافل لمعرفة كيفية صيانة الأوطان، وحفظ العهود والمواثيق. ومن ثم ينبغي النظر في السيرة النبوية، واستحضار الأحداث التي تبين هذا الأمر، واستنباط الدروس والعبر التي من شأنها أن تكون نبراساً للمسلمين عامة في المحافظة على عهودهم ومواثيقهم، وجعلها لبنة أساسية في بناء أوطانهم وحمايتهم.

بعض التوصيات:

- ١ . العمل على نشر ثقافة الإسلام فيما يتعلق بمعاملته مع من ليس على دين الإسلام، لأن من شأن ذلك أن يصحح كثيرا من التصوّرات الخاطئة عن علاقة المسلمين بغيرهم.
- ٢ . العمل على بيان أهمية الأحكام التي شرعها الإسلام في علاقة دول الإسلام بغيرها في بناء الأوطان، وتقدمها وازدهارها.
- ٣ . العمل على إصدار مدونة شاملة للأحاديث التي يحدّد فيها الإسلام كيفية التعامل مع المخالفين، وترتيبها حسب المجالات، نحو أحاديث العهود، وأحاديث الولاء والبراء، وبيان دور تلك الأحاديث في حياة المسلمين العملية.
- ٤ . العمل على استنباط القيم الإنسانية، من الأحاديث النبوية، وتدوينها ونشرها، لأن من شأن ذلك، أن يبين دور السنة في نشر القيم الكونية لإسعاد البشرية جمعاء.
- ٥ . تخصيص ندوة لنظرة الإسلام للتعامل مع غير المسلمين، والتركيز على أهمية تلك الأحكام في حماية الأوطان وتقدمها.

### المصادر والمراجع:

- أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، الدارمي، البُستي، صحيح ابن حبان، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣.
- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، سسن أبي داود، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية.
- أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ١٤٢٢.
- أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، سنن الترمذي
- تحقيق، بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨.
- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق، أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار الحديث، ١٩٩٥.
- أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، المعجم الأوسط، تحقيق، طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة
- دار الحرمين.
- ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهيم محمد شلتوت، جدة، دار الأصفهاني للطباعة والنشر.
- ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ١٩٩٧.
- ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، دمشق، ١٩٦١.
- أبو هلاله يوسف محي الدين، تعامل المسلمين مع غيرهم في مجتمع الدعوة، عمان، دار الضياء، ٢٠٠١.
- ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، ١٩٨٦.
- أبو زهرة محمد، العلاقات الدولية في الإسلام، ضمن المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية، أكتوبر ١٩٦٦.

- محمد رجب البيومي، البيان النبوي، دار الوفاء، ١٩٨٧.
- علي عبد الواحد وافي، بحوث في الإسلام والاجتماع، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٧.
- عبد الله بن عبد المحسن التركي، الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله، السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨.
- السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ٢٠٠٣.
- علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، البيضاء، مكتبة الوحدة العربية.
- عز الدين بن عبد السلام: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١.
- وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دمشق، دار الفكر، ١٤١٨.
- محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق، محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية.
- مصطفى حلمي، الإسلام والأديان دراسة مقارنة، مكتبة الدعوة، ١٩٩٠.
- المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣.
- محمد الغزالي، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، مكتبة الأسرة، مصر، ٢٠٠٥.

النصيحة أصالة المفهوم وتجديده ودورها  
في حماية الوطن

الدكتور/ عبد الله بن عبد العزيز الباقي  
المملكة العربية السعودية





## المقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

الأوطان ركن من أركان الحياة، فيها يولد الإنسان وينمو، وفيها يتملك ويبنى وينشئ تاريخه الخاص وحضارة أمته.

الأرض هي الوطن العام الذي امتن الله به على خلقه في قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ "المرسلات: ٢٥ - ٢٦"، ثم لكل جنس وطنهم المندرج في الوطن الأم، وهكذا يكون لكل قبيلة أو قرية وطنهم الخاص...

وقد ركز الله حب الأوطان في فطرة الإنسان، ولذا كان الدفاع عنها وحماتها بمنزلة حماية الروح، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَا كَنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ "النساء: ٦٦".

ومن هنا، فإن عقد ندوة خاصة لمناقشة واجب حماية الأوطان من خلال السنة النبوية خطوة رائدة في هذا الباب؛ ذلك أن السنة النبوية تؤكد ما جاء في القرآن الكريم من توجيهات، وتشتمل على نماذج صادقة تطبيقية لحماية الأوطان، فهي مصدر تشريعي، وصورة واقعية لحماية الأوطان. جزى الله القائمين على هذه الندوة خير الجزاء ونفع بجهودهم.

وقد اخترت موضوعاً في صميم قضية حماية الوطن، وفي موضع القلب منها وهو: النصيحة للوطن ودورها الحمائي للأوطان من خلال سنة النبي ﷺ. وعنوانته بـ: "النصيحة أصالة المفهوم وتجديده ودورها في حماية الوطن".

### الدراسات السابقة:

من خلال إجراء بحث شامل عبر منصات البحث الإلكتروني في المحتوى الرقمي للمكتبات الرسمية لم أجد من كتب في موضوع النصيحة وعلاقتها بحماية الوطن لا من جهة دلالة القرآن

الكريم عليها أو السنة المطهرة، لكني وجدت مؤلفات حول موضوع النصيحة بعمومه، مثل:

- أهمية النصيحة في ضوء الكتاب والسنة. د. عدنان بن عبد الرزاق الحموي العليي.  
وباستعراض محتويات الكتاب لم يتطرق مؤلف الكتاب إلى ذكر علاقة النصيحة بحماية الوطن.

- كتاب فقه النصيحة تأليف د. محمد عبد الله أبو صعليك. وهو كتاب يكرس فهم النصيحة وتطبيقها على ما يتعلق بالنصح القولي. ولم يتطرق إلى علاقتها بحفظ أمن الوطن وحمايته.

وسائر ما كُتِبَ في هذا الباب لا يعدو أن يكون نقلاً لما قرره العلماء في تفسير الآيات القرآنية وشروح الأحاديث النبوية، دون البحث في الانعكاسات الإيجابية للنصيحة في حياة الناس عمومًا، وما يتعلق بحماية الوطن خصوصًا.

أسأل الله أن يوفقني لإنجاز هذه البحث بما يخدم هدف الندوة ويحقق النفع للإسلام والمسلمين.

وأن يوفق القائمين على إقامة هذه الندوة وأن يجزيهم خير الجزاء على استنهاض الهمم للبحث في هذه المسألة الخطيرة المتعلقة بأمن الأوطان وحمايتها من المفسدين.

## تمهيد

### مفهوم النصيحة

#### النصيحة في اللغة:

تقرر مصادر اللغة أن أصل هذه المادة النون والصاد والحاء وهو يدل على ملاءمة بين شيئين وإصلاح لهما. ومنه النصح والنصيحة: خلاف الغش. ونصحته أنصحته. وهو ناصح الجيب لمثل، إذا وصف بخلوص العمل، والتوبة النصوح منه، كأنها صحيحة ليس فيها خرق ولا ثلمة، وناصح العسل: ماذيه، كأنه الخالص الذي لا يتخلله ما يشوبه. ونصحت له ونصحته بمعنى<sup>(١)</sup>.

وصرحت المعاجم بأن التعدية باللام وتعدية فعل (نصح) بنفسه تؤدي الغرض نفسه وذات المعنى من الإخلاص وعدم الغش، ولذا قالوا: نصح الشيء: خلص. والناصح: الخالص من العسل وغيره. وكل شيء خلص، فقد نصح. قال الراغب: "والنصح: نقيض الغش مشتق منه نصحه وله نصحا ونصيحة ونصاحه ونصاحية ونصحًا، وهو باللام أفصح؛ قال الله تعالى: وأنصح لكم. ويقال: نصحت له نصيحتي نصوحًا أي أخلصت وصدقت، والاسم النصيحة"<sup>(٢)</sup>.

#### النصيحة اصطلاحًا:

من النصح وهو كل شيء خلص. قاله الكفوي<sup>(٣)</sup>، وهذا المعنى يتوافق مع الأصل اللغوي كما هو ظاهر.

**لكن المفهوم الشائع** في شرح حديث الدين النصيحة يعني: إسداء النصيحة من خلال عبارات -ملفوظة أو مكتوبة- إرشادية في قضايا أو حوادث معينة تستهدف التوجيه إلى ما يراه

١- ابن فارس، مقاييس اللغة (٥ / ٤٣٥)، الخليل بن أحمد، معجم العين (٣ / ١١٩)، ابن منظور، لسان العرب (٢ / ٦١٥)

٢- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص: ٨٠٨)

٣- الكفوي، الكليات (ص: ٨٨٧)، وهذا التعريف الذي ذكره الكفوي يعد أصلاً ينبغي أن يبنى عليه الاصطلاح، لكن التعريف الاصطلاحي الشائع قلص دلالة هذا المعنى العميق الدقيق في وسائل ظاهرة دون الحقيقة والجوهر.

الناصح أفضل للمنصوح.

وهذا المفهوم لا يتطابق مع المفهوم التأصيلي للنصيحة، لكنه يمثل تمظهرًا من مظاهر النصيحة بمعناها الصحيح، فهو بمنزلة بسمه فرح بنجاح المنصوح له، أو دمعة حزن على مصيبة حلت به، أو تشميرة ساعد في نصرته، أو خطوة سريعة في نخطته.

وقد أدى اختزال معنى النصيحة في هذا المعنى الشائع إلى اختزالات دلالية في فهم مفردة النصيحة في الكتاب والسنة، وكذلك أدى إلى إشكالات مفاهيمية في تفسير معنى النصيحة في حديث النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين منها:

أولاً: تفسير النصيحة بمظهر من مظاهرها، وجزء من ماهيتها، دون البيان لحقيقتها.

ثانياً: تعدد نواحي النصح في الحديث يضطر الشارح لمعنى النصيحة إلى الخروج عن دائرة الدلالة اللفظية المباشرة والتي توافق التعدية الواردة في الحديث الواردة باللام، ولكن الشراح لما استحضروا ذلك المفهوم الشائع؛ لم يمكنهم أن ينزلوه على كل هذه الجهات، فنجدهم يضطرون إلى تكييف المعنى بحسب الجهة.

ويتبين من خلال البحث في المعنيين أصالة المعنى الأول لسائياً واصطلاحياً، وله صفة الديمومة؛ فهو عقد قلبي لا يتعلق بالأحداث، ولكنه يتعلق بالاعتقادات والتوجهات.

أما النصيحة بالمعنى الشائع فهي فرع في أصله وفي استعماله؛ أما الأصل، فكما قررت سالفاً من أنه مظهر من مظاهر النصيحة، ولكونه مظهرًا قد يتطرق إليه الخداع؛ فليس كل من نصح بلسانه ناصحاً بقلبه، وأما الاستعمال فهو مرتبط بالمناسبات العارضة، ويتوقف أثره على مدى استحابة المنصوح وتقبله لها.

وهناك فرق بينهما في الأثر؛ حيث إن النصح المنافي للغش يجمع الإخلاص والصدق للمنصوح، ويُعدُّ بهذا المعنى سداً منيعاً، وحصناً حصيناً يحول بينه وبين ما يضر المنصوح من الأخطار، فهو أعظم فائدة للمنصوح من بعض كلمات تواسي أو ترضي ثم تنتهي.

## المبحث الأول: التأصيل الشرعي للنصيحة للوطن ودورها في حمايته

قد يعد هذا الملحظ غريبًا شيئًا ما بما أنه غير منصوص عليه في كتب الشروح، ويصعب أن تجد هذا المركب في أي محرك للبحث، ومع ذلك فهذا ما يميز هذا الجهد البحثي، وهنا تكمن الإضافة العلمية المطلوبة من المشاركات العلمية. وسوف أسعى لبيان الحقيقة الشرعية لهذه المسألة من خلال المطالب الخمسة الآتية:

- المطلب الأول: دلالة حديث "الدين النصيحة" على حماية الوطن.
- المطلب الثاني: النصيحة للوطن وعلاقتها بالهوية الشخصية والانتماء.
- المطلب الثالث: العلاقة بين النصيحة والبيعة لولي الأمر وأثرها في حماية الوطن.
- المطلب الرابع: تطبيقات من السنة النبوية لفريضة النصيحة للوطن.
- المطلب الخامس: عبودية النصح للوطن بين الراعي والرعية.

## المطلب الأول: دلالة حديث "الدين النصيحة" على حماية الوطن

الأصل في هذا الباب حديث تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "الدين النصيحة" قلنا: لمن؟ قال: "لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ".<sup>(١)</sup>

هذا حديث له دور كبير في بناء قيمة عظيمة من قيم الإسلام وهي قيمة النصيحة، فقد نقل ابن رجب الحنبلي عن الأئمة قيمة هذا الحديث في الشريعة فقال: "هذا الحديث أحد الأحاديث التي يدور عليها الفقه. وقال الحافظ أبو نعيم: هذا الحديث له شأن، ذكر محمد بن أسلم الطوسي أنه أحد أرباع الدين"<sup>(٢)</sup>.

يعتقد الباحث أن كل جهات النصيحة الواردة في هذا الحديث لها ارتباط وثيق بالوطن فكون "النصيحة لله ولكتابه ورسوله" يمثل الانتماء الديني والقيمي الذي على أساسه تبنى معايير الحياة في

١- أخرجه: مسلم في الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم الحديث (٥٥).

٢- ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم ت الأرئووط (١/ ٢١٥ - ٢١٦) ز

بقعة من الأرض، إذ إننا لا نجد مكاناً لا انتماء فيه لدين، حتى الذين يدينون بالإلحاد الذي ظاهره رفض الدين؛ إلا أنهم في الواقع لا ينفكون عن دين يدينون به، هو عبادتهم أنفسهم، وتأليههم لأهوائهم وآرائهم من دون أن يسموا ذلك ديناً.

وأما علاقة النصيح لأئمة المسلمين وعامتهم فهي ظاهرة، من حيث إن العبرة في الأوطان ليست بالأشباح ولكن بالأرواح، فالوطن الحقيقي ما يجمع مكاناً وإنساناً وتاريخاً. والأماكن من دون إنسان يعمرها عديمة التاريخ. فالإنسان يمنح المكان الحياة والتاريخ؛ ومن ثم فالوطن المكاني مفتقر افتقاراً وجودياً للوطن الإنساني.

ويعتقد الباحث أن اللبث المجرد والأحادي للشخص في مكان ما لا يكفي في عده وطناً إلا بضميمة الشراكة الإنسانية والتاريخية فيه؛ وإلا لعدت الأرحام والقبور أوطاناً وهذا غير وارد بإطلاق.

وعند الإجابة عن علاقة النصيحة بالحماية يمكن القول إن ذلك مرتبط بأصل معنى النصيحة الذي يعني الإخلاص للمنصوح له وعدم غشه، وهذا هو الخيط الدلالي الذي يجمع كل جهات النصيحة الواردة في هذا الحديث.

يظهر ذلك في الشرح الذي نقله محمد بن نصر عن بعض أهل العلم حيث قرّرَ عامة ما يترتب على النصيحة لكل تلك الجهات؛ فمما قال مما له علاقة بالحماية؛ حيث عرف مفهوم النصيحة بقوله: "جماع تفسير النصيحة هو عناية القلب للمنصوح له من كان"<sup>(١)</sup>، ولا شك أن العناية القلبية بالمنصوح له تتطلب ضرئاً من الحماية والذود والصيانة.

ويندرج في مدلول النصيحة لله حماية العقيدة الصحيحة من كل هجمات التلبيس والتدليس والتشويه التي قد تتعرض لها في آونة متفاوتة.

ويندرج في مدلولها فيما يتعلق ببقية الجهات كل مسالك الحماية لوجودها، وحياتها الكاملة؛ إما على سبيل الفرض، أو على سبيل النفل كما قرّره محمد بن نصر فيما نقله عن بعض أهل العلم

١- ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم ت الأرئووط (١/ ٢٢٠).

وأيده عليه ابن رجب<sup>(١)</sup>.

ويؤيد ذلك ما ورد في خبر صلح الحديبية في شأن خزاعة حيث قال المسور بن مخرمة ومروان: "فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ، وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصَحَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ تَهَامَةَ، فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَمَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ"<sup>(٢)</sup>.

إن موقف بديل بن ورقاء وكلامه ليعد أوضح تفسير لكونهم نصحاء لرسول الله وقائمين له بواجباتها، وهذا ظاهر في شرحه لموقف أعدائه وتحذيره من شرهم، فهذا تأويل قوله: "وكانوا عيبة نصح رسول الله"<sup>(٣)</sup>.

والناظر في سياق الاستعمال النبوي لكلمة عيبتي أن العيبة ليست فقط مستودع الثياب؛ بل الأمر كما قال المازري في شرح مسلم: "معناها في كلام العرب التي يجعل فيها الرجل أفضل ثيابه وحر متاعه وأنفسه عنده"<sup>(٤)</sup>. ومنه قول النبي ﷺ في شأن الأنصار: "الْأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي"<sup>(٥)</sup>.

### المطلب الثاني: النصيحة للوطن وعلاقتها بالهوية الشخصية والانتماء

عند تحقق النصيحة للوطن، وشيوعها اعتقاداً أصيلاً تجاه الوطن بمكوناته الدينية، ومقدساته، وشركاء العيش فيه من ولاة أمر وعامة، وسلوكاً قولياً وعملياً يصدق ذلك الاعتقاد ويعزز في الواقع؛

١- المرجع السابق ( ١ / ٢٢٣ ).

٢- أخرجه: البخاري في صحيحه ( ٢ / ٩٧٤ ) كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط. برقم (٢٥٨١).

٣- والعيبة، بفتح العين المهملة وسكون الياء آخر الحروف وفتح الباء الموحدة، وهي في الأصل ما يوضع فيه الثياب لحفظها، والمراد بها هنا: موضع سره وأمانته، شبه الإنسان الذي هو مستودع سره بالعيبة التي هي مستودع الثياب. انظر: العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ( ٤ / ٨ ) وانظر: الخطابي، معالم السنن ( ٢ / ٣٢٨ )، ابن فارس، مقاييس اللغة ( ٤ / ١٩٠ )

٤- أبو عبد الله المازري، المعلم بفوائد مسلم ( ٢ / ٢٠٠ ).

٥- أخرجه: البخاري في صحيحه ( ٧ / ٩١ - ٩٢ ) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول: النبي ﷺ: "اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم"، ومسلم رقم (٢٥١٠) في فضائل الصحابة، باب من فضائل الأنصار رضي الله عنهم. كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

عندما تتحقق تلك النصيحة على وجهها؛ فإن نسبة الخائنين للوطن تتضاءل لأدنى مستوياتها؛ ذلك أن المواطن الناصح يعد مصالح وطنه مصالح ذاتية شخصية بالنسبة إليه، ومن هنا فإن الوطن يعد هوية شخصية لكل المواطنين، نسبة انتمائهم لها كنسبة انتماء أجسادهم إلى أرواحهم.

وكما يذهل الشخص عن مصالح ذاته، ويصرف عن حقيقة انتمائه لهويته أحياناً، كذلك قد يذهل الشخص عن القيمة الهائلة في وجوده لانتمائه لهويته الوطنية، فيحتاج إلى أن يذكر بها ويدل على معاملها حتى لا يخدع عنها.

وهذه النصيحة للوطن هي في الواقع نصيحة للذات من حيث إن العناصر المشتركة بين أفراد الوطن الواحد تجعل منهم كياناً واحداً متعدد الأجساد، متحد السمات والأهداف.

إن أكبر خطر يهدد الأوطان هم الأفراد الطفيلون فيه، الذين لا يعدون انتماءهم للوطن انتماء للذات والهوية الشخصية؛ بل يعدون الوطن شيئاً خارجاً عنهم، ومن ثم يخضعون التعامل معه على مبدأ المصالح الخاصة والمصالح المشتركة، فيحدث شرخ في مفهوم الانتماء يتسم بالحيرة بين الانتماء للذات وبين الانتماء للوطن، ومن وصل إلى هذه المرحلة من صراع الهوية فالغالب أن تنتصر نزعات النفس والهوى والأناية على المصالح الوطنية، ومن هذه الجهة تنمو الكيانات الوطنية الخؤونة في جسد الوطن من حيث لا يشعر الوطن، كما تنمو الخلايا السرطانية في جسد الإنسان، حتى إذا قويت شوكتها آذت وربما قتلت. فمن خلال هذه الكيانات الخؤونة يتسلل العدو إلى نسيج الوطن فيمزقه، وإلى قوته فيوهنها، هؤلاء جعلوا الوطن ومصالحه سلعة تباع وتشتري.

**والسنة النبوية** تؤكد مبدأ الاتحاد بين الهوية الشخصية والهوية الوطنية في أحداث عدة فكما يجب بحكم الفطرة أن ينصح لذاته ونفسه ويحفظها من كل سوء كذلك يجب عليه أن يحفظ وطنه الإنساني والمكاني.

أما حفظ الوطن الإنساني فعن ابن شهاب أن سالماً أخبره أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أخبره: أن رسول الله ﷺ قال: "المُسلِمُ أخو المُسلِمِ، لا يظلمُهُ ولا يُسلِمُهُ، ومَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ

مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"<sup>(١)</sup>. عند أبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الْمُؤْمِنُ مِرَاةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكْفُ عَلَيْهِ ضَيْعَتُهُ وَيَحْوَطُهُ مِنْ وَرَائِهِ"<sup>(٢)</sup>.

فظاهر من هذا الحديث -ونظائره في السنة كثير - الدور الحمائي الذي يقوم به المسلم تجاه أخيه المسلم وأن الذود عنه واجب شرعي سواء في ماله أو بدنه أو عرضه.<sup>(٣)</sup>

وهذا الجانب من النصيحة للوطن الإنساني حظي بقدر كبير من التوجيهات النبوية إليه، والتأكيد عليه في أحاديث عدة تندرج تحت حق المسلم.

وأما حماية الوطن المكاني فجاءت السنة بعده واجبا بالضميمة مع بقية عناصر المواطنة؛ فعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ"<sup>(٤)</sup>.

ولقد آثرت إيراد هذا الحديث هنا لشموله لجوانب النصيحة الواردة في حديث تميم وبعض الزيادات، من خلال الآتي:

١- أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٨ / ٣) كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه رقم (٢٤٤٢)، وأخرجه مسلم (١٩٩٦/٤) في البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم رقم ٢٥٨٠.

٢- أخرجه: أبو داود (٢٨٠ / ٤) في الأدب، باب في النصيحة والحيطة رقم (٤٩١٨). وحسنه الألباني صحيح وضعيف سنن أبي داود (ص ٢)، وانظر: السلسلة الصحيحة (٩٢٦)، صحيح الجامع الصغير (٦٦٥٦).

٣- ولا أدل على ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". أخرجه الترمذي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. رقم (١٩٣٢) في البر، باب رقم (٢٠)، ورواه أيضا أحمد في "المسند" ٦ / ٤٤٩ و ٤٥٠، ورواه الطبراني عن أسماء بنت يزيد، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

٤- أخرجه: أبو داود (٢٣٦/٤) في السنة، باب في قتال اللصوص. والترمذي (٢٧/٤) في الديات، باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد. برقم (١٤٢١)، وقال هذا حديث حسن صحيح. وأوقال الألباني صحيح. انظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣ / ٤١٨)، وكذلك صحيح ابن ماجه برقم الحديث (٤٥٨٠).

- : شمل ما يتعلق بالنصيحة لله ولكتابه ورسوله في قوله: "ومن قتل دون دينه فهو شهيد".
- ثانيًا: شمل النصيحة للوطن المكاني في قوله: "ومن قتل دون ماله فهو شهيد"، لأن المال يشمل ما يتموله الشخص من منقول وعقار، وهو جزء من الوطن، والحماية له حماية للوطن كما أن حماية الوطن حماية له.
- ثالثًا: شمل النصيحة للنفس في قوله: "ومن قُتل دون دمه". وهي وإن لم ترد في حديث تميم إلا أنها مفهومة بطريق الأولى، وبضميمة هذا الحديث، وهذا يعني أن من النصيحة للدم أن يذود عنه ما بقي فيه روح، ولا يسلمه لأدنى رهبة.
- رابعًا: شمل عموم الوطن الإنساني في قوله: "ومن قتل دون أهله فهو شهيد". فهو يشمل بدلالته الواسعة: "أئمة المسلمين وعامتهم"، وإن كانت دلالته الخاصة على الأهل الأقربين، ولكننا بتتبع استعمال العرب لها نجدهم يتوسعون فيها لشمولوا بها العشيرة والقبيلة الجامعة.<sup>(١)</sup> ويُفاد من كل ما تقدم التلازم الشديد بين الهوية الوطنية والهوية الشخصية سواء في التكوين الروحي أو الواجب الشرعي، فالنصيحة للوطن بما تتضمنه من إخلاص في الحب والانتماء، وصدق في الحماية والذود؛ لا تنفك عن النصيحة للنفس لكون العلاقة بينهما تلازمية من حيث الجبلية الفطرية والشريعة الدينية.

### المطلب الثالث: العلاقة بين النصيحة والبيعة لولي الأمر وأثرها في حماية الوطن

قرر العلماء في شرح قول النبي ﷺ في النصيحة للأئمة المسلمين العلاقة بين النصيحة لولي الأمر والبيعة له؛ ومن خلال تقريراتهم نكتشف أثر ذلك في حماية الوطن.

نقل في جامع العلوم والحكم عن محمد بن نصر عن بعض أهل العلم قوله: "وأما النصيحة لأئمة المسلمين، فحب صلاحهم ورشدهم وعدلهم، وحب اجتماع الأمة عليهم، وكراهة افتراق

١- ابن منظور، لسان العرب (١١ / ٢٩)؛ ومما جاء فيه في التوسع في استعمال الأهل: "وقوله عز وجل لنوح، عليه السلام: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾" هود: ٤٦؛ قال الزجاج: أراد ليس من أهلك الذين وعدتهم أن أنجيهم، قال: ويجوز أن يكون ليس من أهل دينك. وأهل كل نبي: أمته. معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣ / ٥٦).

الأمة عليهم، والتدين بطاعتهم في طاعة الله عز وجل، والبغض لمن رأى الخروج عليهم، وحب إغزازهم في طاعة الله عز وجل"<sup>(١)</sup>.

وعن ابن الصلاح أنه قال: "والنصيحة لأئمة المسلمين: معاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وتذكيرهم به، وتنبههم في رفق ولطف، ومجانبة الوثوب عليهم، والدعاء لهم بالتوفيق وحث الأغيار على ذلك"<sup>(٢)</sup>.

وقد أخرج الإمام مالك في الموطأ حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا، يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَأَنْ تَنَاصِحُوا مَنْ وُلَّاهُ اللَّهُ أَمْرُكُمْ، وَيَسْخَطُ لَكُمْ قَيْلٌ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ"<sup>(٣)</sup>.

ففي هذا تنبيه على ما يرضاه الله تعالى وهو التوحيد، والتوحد، ومناصحة ولي الأمر الذي من شأنه أن يحفظ الله به التوحيد والوحدة.

وقد نَبَّه ابن عبد البر في هذا الموضوع إلى أن العجز الاختياري أو الاضطراري عن مناصحة ولي الأمر لا يلغي حقه في النصيحة، وصدق البيعة، والكينونة معه على السمع والطاعة.

قال ابن عبد البر -: "إن لم يكن يتمكن نصح السلطان فالصبر والدعاء فإنهم كانوا يهون عن سب الأمراء.. عن أنس بن مالك قال: "كان الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ يهوننا عن سب الأمراء"<sup>(٤)</sup>، ووقف أبو الدرداء على باب معاوية فحجبه لشغل كان فيه فكأن أبا الدرداء وجد

١- انظر: ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم ت الأرناؤوط (١/ ٢٢٢).

٢- المرجع السابق (١/ ٢٢٣).

٣- أخرجه: البخاري في الأدب المفرد (ص: ٢٢٦)، مالك في الموطأ ت عبد الباقي (٢/ ٩٩٠)، كتاب الكلام، باب ما جاء في إضاعة المال وذي الوجهين برقم (٢٠)، وأحمد في المسند ط الرسالة (٤٠٠/١٤)، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، برقم (٨٨٠٠). وصحح إسناده الأرناؤوط في التحقيق. والألباني في صحيح الأدب المفرد (ص: ١٧١).

٤- أخرجه اداني في السنن الواردة في الفتن (٢/ ٤٠٠)، وقوام السنة في كتاب الحجة في بيان المحجة (٤٣٥ / ٢)

في نفسه فقال: "...وإن أول نفاق المرء طعنه على إمامه"<sup>(١)</sup>، وعن أبي إسحاق قال: "ما سب قوم أميرهم إلا حرموا خيره"<sup>(٢)</sup>، وعن الأعمش قال: قال حذيفة: "إذا كان والي القوم خيراً منهم لم يزلوا في علياء، وإذا كان واليهم شراً منهم، أو قال شرهم لم يزدادوا إلا سفالاً"<sup>(٣)</sup>.

وتنبه ابن عبد البر إلى هذه المسألة يدل على فقه عميق بدقائق النصوص النبوية، فإنه ربما تطرق إلى بعض الأفهام شيء من الوهم حيال هذه المسألة فنبه إلى أن النصح للإمام أس راسخ من أسس الشريعة لا يسوغ تجاهله ولا مخالفته بسبب تعذر فرع من فروعها مثل بذل النصيحة القولية لولي الأمر لأي سبب.

ومن هنا يتقرر أن النصيحة لولي الأمر تعني عقد القلب على الوفاء له ببيعته والسمع له والطاعة، وعدم غشه أو خيانته.

ويظهر أثر هذا التلازم بين النصيحة والبيعة للإمام في بقاء العلاقة بين الإمام والرعية على الوفاق المحقق للوحدة والصلابة للأمة في وجه كل الأعداء، وهذا من شأنه ضمان مساحة آمنة للرعية من مخاوف النوازل الحربية أو الاقتصادية؛ بقوة الجبهة الداخلية للوطن التي تمثل الحماية الداخلية الأكثر فعالية.

#### المطلب الرابع: تطبيقات من السنة النبوية لفريضة النصيحة للوطن

حفلت دواوين السنة والسيرة بنماذج تطبيقية كثيرة ومتنوعة نلخص أنواعها إلى نوعين:

- الأول: نماذج الوفاء بفريضة النصيحة الوطنية.

- الثاني: نماذج تعددية مجالات النصيحة الوطنية.

وسوف أورد نموذجاً واحداً أو اثنين لكل نوع بما يناسب طبيعة هذا البحث.

١- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٠ / ١٢)

٢- أخرجه: الداني في السنن الواردة في الفتن (٤٠٥ / ٢)

٣- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢١ / ٢٨٧) مع حذف أسانيد الروايات.

## النوع الأول: الوفاء بفريضة النصيحة الوطنية

وفت كتب السير بنماذج من هذا النوع تشمل نوعين من البشر: الأول من وفوا بالنصيحة للوطن، والثاني من خانوا أمانة النصيحة لأوطانهم.

**الأول: نصيحة الأوفياء لأوطانهم؛** ومن أعظمهم نبينا محمد ﷺ حيث يعد قمة هرم النصحاء لأوطانهم عبر التاريخ. ومن الشواهد على ذلك:

جاء في خبر النبي ﷺ يوم العقبة لما رجع من الطائف: "فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمر بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين، قال رسول الله - ﷺ -: "بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"<sup>(١)</sup>.

وسأوكل للقارئ استدعاء حالة النبي ﷺ الشديدة والدم يسيل من قدميه وجراحات روحه تنزف، وهي حالة تجسدها جملة من دعائه الخاشع لربه تبارك وتعالى: "وهواني على الناس"<sup>(٢)</sup>، وبالشدة هذا الشعور لشخص عادي من عوام الناس فكيف بنبي كريم يوحى إليه!

ومع كل هذا الألم إلا أنه ﷺ لما علم بحق أن الخطر يحدق بوطنه المكاني والإنساني، وماذا يبقى بعد أن يطبق عليهم الأخشبان.. لا شيء إلا العدم والتأريخ المظلم..

لما علم ذلك تجاهل كل ذلك الألم، وقدم نصيحة وطنه على الانتصار لنفسه. وليس فوق هذا الموقف منزلة من منازل النصح للوطن والدفع عنه، فقد دفع عنه عقوبة رابية وشيكة الحدوث.

١- رواه البخاري ٦ / ٢٢٤ و ٢٢٥ في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، وفي التوحيد، باب ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ١٣٤، والنساء: ١٣٤، ومسلم رقم (١٧٩٥) في الجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين.

٢- نقله ابن كثير في "جامع المسانيد" (٥٣٠٨/قلعجي)، و (٣/٦٦٥-٦٦٦/ابن دهيث). وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٣٥/٦)، وقال: "رواه الطبراني، وفيه ابن إسحاق؛ وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات".

وهذا يفيدنا في أن العداوات الشخصية لا ينبغي أن تكون كارثة على الوطن بكامله، بل إذا وصل الأمر إلى بيضة الأمة ومجموعها فلا التفات للذات ولذاتها.

ومما يمكن الاستشهاد به في هذا الباب من مواقف النبي ﷺ؛ ما أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "إِنَّمَا كَانَ هَذَا، لِأَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دَعَا عَلَيْهِمْ بِسِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ، فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ حَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الْجَهْدِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾" الدخان: ١٠ - ١١ " قَالَ: فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَسْقَى اللَّهُ لِمُضَرَ، فَإِنَّهَا قَدْ هَلَكَتْ، قَالَ: لِمُضَرَ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ، فَاسْتَسْقَى فَسُقُوا" (١).

**الثاني: الخائنون لأوطانهم؛** فمثالهم موقف أبي رغال في خيانة البيت وأهله، وإيثاره نفسه على الوطن ومقدساته. (٢)

قال ابن إسحاق: "فبعثوا معه أبا رغال يدلّه على الطريق إلى مكة، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمس، فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك، فرجمت قبره العرب، فهو القبر الذي يرحم الناس بالمغمس" (٣).

وقد كان رجم قبر أبي رغال مشهوراً بين الصحابة ولذا نجد عمر يهدد أحدهم بقوله: "وَلَا مُرَنَّ

١- أخرجه: البخاري في صحيحه (٤٣٩ / ٨)، كتاب التفسير، في تفسير حم الدخان، باب ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ "الدخان: ١٠"، وفي الاستسقاء، باب دعاء النبي ﷺ "اجعلها عليهم سنين كسني يوسف"، وباب إذا استشفع المشركون بالمسلمين عند القحط، وفي تفسير سورة يوسف، باب ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ "يوسف: ٢٣"، وفي تفسير سورة الروم، وفي تفسير سورة ص، ومسلم رقم (٢٧٩٨) في صفات المنافقين، باب الدخان.

٢- هذا على أحد الأقوال في شخصية أبي رغال، والثاني أنه أحد قوم ثمود لاذ بالحرم لما هلك قومه فلما خرج أدركه العذاب، وقد ورد به حديث عند أبي داود ضعفه الألباني كما في الضعيفة (٤٧٣٦)، وضعيف الجامع الصغير (٦٠٨٢).

٣- ابن هشام، السيرة النبوية ت السقا (١ / ٤٧-٤٨).

بِقَبْرِكَ، فَيُرْجَمُ كَمَا رُجِمَ قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ"<sup>(١)</sup>.

فأبو رغال غدا مثلاً في خيانة وطنه، ونقض العهد الفطري والإنساني بالنصيحة له، وظن أنه يحرز نفسه بتلك الخيانة، فكان جزاؤه وصمة العار التي تلحقه في قبره إلى يوم يعثون؛ علاوة على ما حل به من ميتة غير سوية.

### النوع الثاني: مجالات النصيحة الوطنية:

مجالات النصيحة للوطن هي كل مجالات الحياة المتعلقة بالوطن، ومن ثم فإنني سوف أورد بعض الأمثلة على ذلك:

أ. مجال حفظ الدين الذي يدين به الوطن وساكنوه. وأعظم نماذج هذا المجال هم الأنبياء والمرسلون جميعاً عليهم الصلاة والسلام، ومن النماذج من غيرهم في هذا المجال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لما حمل عبء الأمة وترك الجهاد في الثغور وجاء إلى خليفة المسلمين عثمان بن عفان وحمله على جمع القرآن الجمع العثماني<sup>(٢)</sup> الذي باركه الله وكتب له البقاء واجتماع الأمة عليه؛ بعد أن كادت أن تفترق في كتاب رها. والمطلع على الخلافات المذهبية والفقهيّة في الأمة وهي مسائل ربما يسوغ فيها الخلاف من بعض الوجوه إلا أننا نرى في الأمة تمزقاً وتشردماً أضعف قوتها وأوهن أركانها، لما يطلع على ذلك يعلم- بحق- حجم المنقبة التي نالها حذيفة بحفظ الأمة في أصل تشريعها، وأدرك مدى نصحه لأمته في كتاب رها عز وجل.

١- أخرجه: ابن حبان في الإحسان ( ٤٦٣/٩ ) كتاب النكاح، باب نكاح الكفار برقم (٤١٥٦)، وأحمد في المسند ( ٢١٥ / ٨ )، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنه (٤٦٣١)، وصححه الألباني في الإرواء برقم حديث: (١٨٨٣)، وانظر: الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (٤٠٨ / ٣٥).

٢- انظر: صحيح ابن حبان - محققاً ( ٣٦٥ / ١٠ ) قال ابن شهاب: وأخبرني أنس بن مالك أنه اجتمع لغزوة أذربيجان وأرمينية أهل الشام وأهل العراق، فتذاكروا القرآن فاختلفوا فيه، حتى كاد يكون بينهم قتال، قال: فركب حذيفة بن اليمان لما رأى اختلافهم في القرآن إلى عثمان بن عفان، فقال: إن الناس قد اختلفوا في القرآن، حتى إنني والله لأخشى أن يصيبهم ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف، ففرع لذلك عثمان رضوان الله عليه فرعا شديداً، وأرسل إلى حفصة، فاستخرج الصحف التي كان أبو بكر أمر زيداً بجمعها، فنسخ منها المصاحف، فبعث بها إلى الآفاق، ثم لما كان مروان أمير المدينة أرسل إلى حفصة يسألها عن الصحف ليمزقها، وخشي أن يخالف بعض العام بعضاً، فمئنته إياها.

ب. الذب عن الرسول ﷺ الله وهو مجال خطير من مجالات النصح لرسول الله ﷺ وحماية عرضه الشريف من تطاول السفهاء والأعداء فعن عائشة، قالت: "كان رسول الله ﷺ يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ - أو قالت: ينافح عن رسول الله ﷺ - ويقول رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ حَسَانَ بَرُوحِ الْقُدْسِ، مَا يُفَاخِرُ أَوْ يُنَافِحُ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ" (١).

ت. مجال العلاقات الدولية وأبرز مثال لذلك تولي زيد بن ثابت ﷺ مهمة تعلم لغة اليهود حماية للنبي ﷺ ورسالته أخرج أبو داود عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَ يَهُودَ، وَقَالَ: "إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي"، فَتَعَلَّمْتُهُ فَلَمْ يَمُرَّ بِي إِلَّا نَصَفُ شَهْرٍ حَتَّى حَذَقْتُهُ، فَكُنْتُ أَكْتُبُ لَهُ إِذَا كَتَبَ، وَأَقْرَأُ لَهُ إِذَا كُتِبَ إِلَيْهِ (٢).

في هذا الحديث جملتان محوريتان:

- الأولى: قول النبي ﷺ: "إني والله ما آمن يهود على كتابي"، يدل خطورة الموقف وتعلقه بأصل الملة وأساس الشريعة (القرآن الكريم). وهذه الجملة لها أكبر الدور في نشاط زيد للتعلم وتفانيه فيه.

- الثاني: قوله ﷺ: "فلم يمر بي إلا نصف شهر حتى حذقته"، يدل على استشعار زيد لخطورة الموقف واستفراغ الجهد فيه، فكان ناصحاً في استجابته، وناصحاً للنبي ﷺ فيما كلف به من مهمة جسيمة، وإلا فكيف يحذق لسان قوم في نصف شهر قراءة وكتابة ومعاني؟!

---

١- أخرجه: الترمذي في سننه (١٣٨ / ٥) في الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر، برقم (٢٨٤٦)، وقال حديث حسن صحيح. وانظر: المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة (١٢ / ٢٠٥)

٢- أخرجه: أبو داود في سننه (٣١٨/٣) كتاب العلم، باب رواية حديث أهل الكتاب، برقم (٣٦٤٥)، والترمذي في سننه ت شاعر (٦٧/٥) في الاستئذان، باب ما جاء في تعليم السريانية، برقم (٢٩١٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

## المطلب الخامس: عبودية النصيحة للوطن بين الراعي والرعية

تقرر في السنة النبوية أن على طرفي الولاية السلطانية واجب النصح للآخر، وهي حقوق ظاهرة ومعروفة، لكنني في هذا المطلب أشير إلى الجانب العبادي من المسألة وهي: تعبد كلا الطرفين بالنصح للآخر وعدم غشه، وبما أننا قررنا فيما سبق أن النصيحة عمل قلبي بالأساس؛ فإن التعبد لله تعالى بما لأحد ما يعني في حده الأدنى: عدم انطواء القلب على أدنى شعور بالرغبة في غش الآخر أو إلحاق الضرر به، أو الرضى بالضرر اللاحق.

فولي الأمر الناصح لرعيته هو الإمام العادل الذي كافأه الله تعالى بأن يكون يوم القيامة في ظل عرشه، وجعله من خيار الناس، وهو من رعى حق النصح لرعيته؛ كما قال الحسن: عاد عبيد الله بن زياد معقل بن يسار في مرضه الذي مات فيه، فقال له معقل: إني محدثك حديثاً سمعته من رسول الله - ﷺ - : "مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رِعِيَّةً، فَلَمْ يُحْطَهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ"<sup>(١)</sup>.

فقوله عليه الصلاة والسلام: "فلم يحطها بنصيحة"، دلالة ظاهر على العلاقة بين النصيحة والحماية للرعية، فإن إحاطة نصيحة الناصح بالمنصوح سياج حماية من كل خطر داخلي أو خارجي.

ونصيحة ولي الأمر لرعيته تتطلب الرفق بهم والحنو عليهم، ويهاب كل الهيبة من مغبة غشهم بفرض المشقة عليهم في حياتهم أو أنفسهم؛ فقد روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت من رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: "اللَّهُمَّ مَنْ وُلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْتَقُّ عَلَيْهِ، وَمَنْ وُلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَزَقَّ بِهِمْ فَارْتُقُّ بِهِ"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن تيمية: "وهذا ظاهر الاعتبار؛ فإن الخلق عباد الله، والولاية نواب الله على عباده، وهم وكلاء العباد على نفوسهم؛ بمنزلة أحد الشريكين مع الآخر، ففيهم معنى الولاية والوكالة ثم

١- أخرجه: البخاري في صحيحه (٦ / ٢٦١٤)، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح، برقم (٦٧٣١).

٢- أخرجه: مسلم في صحيحه (٣ / ١٤٥٨)، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، برقم (١٨٢٨).

الولي... وإذا حقق الاجتهاد التام، وكان أحذه للولاية بحقها فقد أدى الأمانة، وقام بالواجب في هذا، وصار في هذا الموضوع من أئمة العدل والمقسطين عند الله<sup>(١)</sup>.

وفي مقابل هذا أكد الله تعالى ورسوله النصيحة لولاة الأمر؛ بالوفاء لهم ببيعتهم، وعدم غشهم في مشاهدتهم أو مغيبهم. وأكد على أن نصيحتهم واجبة من جهتين:

**الأولى:** من جهة كونهم مسلمين ومن الواجبات النصح لكل مسلم. وهي جهة عمومية.

**الثانية:** من جهة كونهم ولاة أمر وهي جهة خاصة. كما دلت عليه الأحاديث السابق ذكرها. وكونهم أئمة للمسلمين ولاة لأمرهم يجعلهم مخصوصين بضرب من النصيحة الخاصة، والخالصة، وارتبط بالنصيحة لهم الضلال والهدى عدماً ووجوداً. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "السلطان ظل الله في الأرض، فمن غشه ضل ومن نصحه اهتدى"<sup>(٢)</sup>، وعنه قال: "السلطان ظل الله في الأرض فمن غشه ضل و من نصحه اهتدى"<sup>(٣)</sup>.

وما كان ذلك إلا أن مقامهم مقام رعاية الأمة وحمائتها من العاديات، فهم يمثلون الوطن بكل أطيافه ومقدراته، فنصيحتهم نصيحة للوطن.

قال ابن تيمية: "وأما الحديث النبوي: "السلطان ظل الله في الأرض، يأوي إليه كل ضعيف وملهوف" وهذا صحيح، فإن الظل مفتقر إلى آو، وهو رفيق له مطابق له نوعاً من المطابقة، والآوي إلى الظل المكتنف بالمثل صاحب الظل، فالسلطان عبد الله، مخلوق، مفتقر إليه، لا يستغني عنه طرفة عين؛ وفيه من القدرة، والسلطان، والحفظ، والنصرة، وغير ذلك من معاني السؤدد والصمدية التي بها قوام الخلق ما يشبه أن يكون ظل الله في الأرض"<sup>(٤)</sup>.

وبهذا يتبين أن النصيحة عبادة لله تعالى من جهتي الولاية (الراعي والرعية)، والغاية منها حفظ

١- ابن تيمية الحراني، إصلاح الراعي والرعية (ص: ٢٥) بتصرف.

٢- شعب الإيمان للبيهقي (٩/ ٤٨١)

٣- شعب الإيمان للبيهقي (٦/ ١٨) موقوفاً على أنس، وحسنه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٢٢٤)

٤- ابن تيمية الحراني، الفتاوى الكبرى (٥/ ١٢٣)

الأمة وحماية مقدراتها، لأن تحقيقها في حياة الناس يعني مزيداً من التوحد، مزيداً من الوعي بأهمية الجماعة، وهذا كله يُبقي الوطن قوياً منيعاً بإذن الله.

والواقع يشهد أن هذا الجانب ربما غاب في بعض المجتمعات، وربما تشوش بفعل الدعايات المضلة، لتضخيم حظوظ النفس على المصلحة العامة.

### المبحث الثاني: برنامج عملي لتنفيذ النصيحة في حماية الوطن

في هذا المبحث سوف يحاول الباحث فتح نافذة على الواقع، يمكن من خلالها التفكير في خطط عملية لرفع مستوى الوعي بضرورة النصيحة للوطن، وأنها من الدين بمكان رفيع، هذا من جهة ومن جهة أخرى وضع آليات منهجية تقوي حضورها في سلوك المواطنين بصفة ذاتية؛ حيث يتبنى المواطن أدبيات النصيحة ويتفانى فيها كعبادة من العبادات الكبرى في الإسلام تستهدف استدامة البيئة الإسلامية الآمنة لإقامة الحياة وفق شريعة الله تعالى.

ويمكن أن نتناول هذا المبحث من خلال مطلبين:

الأول: مؤشرات الاحتياج المجتمعي لدور تأسيسي أو تأكيدي للوعي بشرعية النصيحة للوطن.

الثاني: برنامج مقترح لتنفيذ دور النصيحة للوطن في حمايته.

#### المطلب الأول:

مؤشرات الاحتياج المجتمعي لدور تأسيسي أو تأكيدي للوعي بشرعية النصيحة للوطن

مما لا شك فيه أن النصيحة للوطن لها حضور نسبي في كل المجتمعات المعاصرة، والملحوظ أن أكثر البلاد تمتعاً بمزيد من حضورها نجدها أكثر أمنًا واستقرارًا، وأقوى على دفع غوائل الفرقة والانكسار، وبعض المجتمعات التي تقل فيها نسبة النصيحة للوطن - بما تتضمنه من الولاء لكل مكونات الوطن من دين ومواطنين وأرض. ويمكن أن يرصد الباحث هنا بعض مؤشرات الحاجة للتأكيد على النصيحة الوطنية وأثرها في حماية الوطن، لأن الأوطان لا تحمي فقط بالبنادق والمدافع، فهناك أعداء لا يصلح معها هذا النوع. ومن تلك المؤشرات:

أولاً: الغياب الكلي - بحسب اطلاع الباحث- لمصطلح النصيحة الوطنية أو النصيحة للوطن، ولعل السبب في ذلك عدم وجود هذا المصطلح في التراث الإسلامي، ولكننا وإن لم نجد بلفظه فهو مقرر بمعناه - كما سبق في المبحث السابق-، ولعل الله تعالى جعل ما نراه من أحداث وحوادث سبباً في تنشيط هذا المعنى في حِسِنَا الذاتي والشعبي.

ثانياً: الجرأة على ثوابت الأوطان ومقدساتها من داخل الصف الوطني، واستخدام وسائل معاصرة نافذة في المجتمع المحلي، وربما الدولي، وهذا يسبب أذى للوطن من خلال زعزعة استقراره الثقافي والقيمي، ومن خلال تشويه صورته أمام الرأي العام العالمي حيث يظهره مجتمعا غير راسخ في مبادئه وثوابته.

ثالثاً: ومن أخطر أنواع الجرأة على ثوابت الأوطان الجرأة على ولاية الأمر في وسائل التواصل الاجتماعي، بنشر الشائعات عنهم، أو القوادح فيهم، وتضخيم أخطائهم، وتحقير إنجازاتهم، وهذه خطيئة كبرى حذر منها النبي ﷺ بقوله: "مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَهَانَهُ اللَّهُ"<sup>(١)</sup>.

ولهذا الحديث قصة ذات دلائل عميقة في توظيف هذا الحديث في حفظ مقام ولاية الأمر؛ فعن زياد بن كسيب العدوي، قال: كنت مع أبي بكر تحت منبر ابن عامر وهو يخطب وعليه ثياب رفاق، فقال أبو بلال<sup>(٢)</sup>: "انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق". فرد عليه أبو بكر بهذا الحديث.

وهذا يجعل الصورة واضحة تمام الوضوح بين أهل السنة وبين الخوارج؛ أهل السنة الذي يتعبدون الله تعالى بالنصح لولي الأمر من خلال حفظ مقامه في حضرته وغيبته تعبدًا لله تعالى لا تملقًا أو تزلفًا. ومنهج الخوارج إسقاط حرمة ولي الأمر لأتفه الأسباب، فلم يحفظوا حرمة كمسلم، ولم يحفظوا حرمة كإمام للمسلمين.

١- رواه الترمذي في السنن (٢٢٢٤) في الفتن، باب ما جاء في الخلفاء. باب ( بلا ترجمة ) وقال: هذا حديث حسن غريب. الحديث صححه الألباني صحيح وضعيف سنن الترمذي (٢٢٤ / ٥)، وفي تحقيق رياض الصالحين (ص: ٢٩٠)، وفي مشكاة المصابيح (٢ / ١٠٩٢).

٢- وهو مرداس بن أدية وهي جدته، وأبوه حدير، وهو أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، قال عمران بن حطان: لقد زاد الحياة إلى بغضًا، وجبًا للخروج أبو بلال. انظر: الكامل في اللغة والأدب (٣ / ١٢٤)

رابعاً: التحريض على التكتلات المعارضة التي تهدف إلى إسقاط ولاية الأمر الشرعيين، وفي هذا مخالفة صريحة لكل الأحاديث النبوية التي تؤكد وجوب الصبر على الإمام.

وهذا السلوك يدل على نقص الوعي بفريضة النصيحة للوطن عند هؤلاء، وتأثرهم بالفكر الغربي في تعامله مع ساسته وحكامه.

خامساً: وجود بعض الخيانات المدنية والعسكرية في بعض الأحيان إيثاراً للمال على الوطن، استجابة لداعي الأنانية الشخصية على حساب الفريضة الوطنية. ويؤدي ذلك إلى نيل العدو من الوطن وتوغله في حدوده السياسية والثقافية والمجتمعية.

سادساً: التقصير في واجب التعليم وتخرج أجيال من الطلاب يحملون الشهادات العلمية ويمثلون الخواء المعرفي والمهني بشكل مزر بهم وبالأمّة، لاسيما في التخصصات الشرعية والعسكرية والطبية والهندسية. وأصدق دليل على ذلك استمرار الحاجة في قضايا الأمة الجوهرية إلى خبراء من الخارج مع إمكانية منافسة القوى البشرية المحلية في كل مجالات المعرفة المدنية الأدبية والعسكرية. وهذا الخلل مخالف لمقتضى النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، وقد ورد عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال: "تَنَاصَحُوا فِي الْعِلْمِ، فَإِنَّ خِيَانَةَ أَحَدِكُمْ فِي عِلْمِهِ أَشَدُّ مِنْ خِيَانَتِهِ فِي مَالِهِ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَأَلَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"<sup>(١)</sup>.

وهذا حديث وإن كان فيه بعض كلام؛ لكن معناه مندرج في عموم حديث تميم بن أوس الداري الصحيح.

### المطلب الثاني: برنامج مقترح لتفعيل دور النصيحة للوطن في حمايته

تبقى كثير من الأطروحات العلمية - دينية أو أدبية أو علمية - عديمة الأثر في حياة الناس؛ مادامت حبيسة أوراقهم أو مواقعهم الإلكترونية، ويحيط بها هناك - في عالم الأفكار والمعارف المحضة - كل آفات المتعلمين من مفاخرات بسبق علمي، أو منافسة قرناء؛ بينما الواجب الإحيائي لتلك الأطروحات الرائعة يكون بوضع الخطط لتوطينها في الواقع المعيش بين الناس من خلال

١- المعجم الكبير للطبراني (١١ / ٢٧٠)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩ / ٢٠)، الفوائد لتمام الرازي (٢ / ١٩٨).

معارفهم المكتسبة، ومهاراتهم السلوكية. فأصبح لدينا واجبان معرفيان متلازمان:

أحدهما: الواجب التكويني للمعرفة، وهو ما يتعلق بتأسيس المعرفة وتقريرها، وحشد الشواهد لصحتها وحقيقتها، وهو ما قد يعبر عنه بـ"التنظير والتأصيل".

وثانيهما: الواجب الإحيائي، والواجب الإحيائي بمثابة الروح التي يهبها الله للأجساد الخاوية فتحيا وتعيش، وهو يتعلق بمهمة توظيف المعرفة في المجتمع وجعلها سلوكا ومبدءا. ومن هنا حاولت أن أضع برنامجاً مقترحاً لتفعيل دور النصيحة في حماية الوطن.

**توصيف المقترح:** هو عمل حملة وطنية شاملة تتميز بمحتوى علمي رصين ودقيق ومحكم من جهات الاختصاص، ويشترك في تفعيلها مؤسسات الدولة الرسمية والشعبية كافة مع تغطية إعلامية واسعة عبر القنوات التلفزيونية والإذاعية ووسائل التواصل الاجتماعي.

### من أهداف البرنامج المقترح:

1. تأصيل مفهوم النصيحة بمعناها الشامل، من خلال ورش الأبحاث العلمية، والدراسات المتخصصة.
2. نشر المفهوم الصحيح للنصيحة من خلال طباعة الكتب والنشرات والرسائل SMS القصيرة والوسائل المتاحة كافة للتواصل مع الجمهور.
3. تعزيز قيمة النصح للوطن بمستويها القلبي والسلوكي، والمتمثل في صدق الانتماء والمحافظة على مقدرات الوطن ومكتسباته بوصفها أولوية.

### من خطوات البرنامج العملية:

1. إدراج النصيحة في أبواب العقائد، وتفصيل مسائلها في فصول مرتبة بحسب الوارد في النصوص الشرعية، وتقرير دراستها متطلباً دراسياً في التخصصات الأكاديمية والعسكرية كافة؛ ذلك أن الخيانات التي تحصل من بعض الجنود إنما حصلت بسبب نقص الوعي بقيمة النصيحة للوطن من جهة، ومن جهة أخرى ضعف تحققها في اعتقاد القلب، وتنمر الذات والأنا لدى الجندي.

٢. توظيف هذا المعنى تربويًا بين فئات الطلاب عبر مراحل تعليمهم المتلاحقة، من خلال تضمين المقررات الدراسية شذرات من المقررات الشرعية والتاريخية في باب النصيحة، وتوظيف النشاطات المدرسية لترسيخ هذه المعاني. حتى يتبين لهم أن النصحاء لأوطانهم هم حماة الحقيقيون لأوطانهم.
٣. إبراز النماذج الوطنية الناصحة في المجالات الدينية والسياسية والعسكرية كافة، والنظر إليهم كأبطال وحماة حقيقيين لأوطانهم.
٤. عقد مؤتمر (النصيحة ودورها في حفظ هوية الوطن)، واستدعاء أبرز المتحدثين العالميين في هذا الشأن، لأنها قضية عالمية، ولها شواهد في كل الثقافات والأديان البشرية، ونؤكد على أسمی معانيها وغاياتها بما جاء في الكتاب والسنة من تشريعات حولها.

### خاتمة

- في ختام هذا البحث أحمد الله تعالى وأشكر لأهل الفضل تهيئتهم الفرصة للكتابة في هذا الموضوع الذي خلصت من خلاله إلى نتائج مهمة منها:
- أولاً: أهمية الفهم الصحيح للأحاديث النبوية عمومًا، وخصوصًا مفردة النصيحة حيث إن المحتوى البياني لدلالة هذه اللفظة يحتاج إلى مزيد من الدقة والتحرير.
  - ثانيًا: حديث تميم بن أوس الداري في دلالاته العامة يجمع مبدأ النصح لكل العناصر المتعلقة بالوطن؛ الدين وتتجسد في النصح لله ولكتابه ورسوله، والمجتمع ويتمثل في النصح لأئمة المسلمين وعامتهم.
  - ثالثًا: شدة العلاقة بين النصيحة للوطن والوفاء ببيعة ولي الأمر، لأن الوفاء ببيئته وعدم غشه أعظم مصدر لحماية الوطن بعد حفظ الله تعالى.
  - رابعًا: النصيحة لكل مسلم تتضمن حمايته في دينه وبدنه وعرضه ووطنه وأخلاقه. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ "النور: ١٩"، وإذا تحقق هذا في المجتمع المسلم كان أشد تماسكًا وتمتع بقوة هائلة تمنعه من التفكك والتحلل.

- خامساً: تبين للباحث من خلال البحث أن الدور الذي تؤديه النصيحة للوطن في حفظ الوطن وحمايته لا يقل عن دور الجيوش، لأنها تمثل الجبهة الداخلية لحماية الوطن في حين الجيوش يتولى الجهة الخارجية.  
ويوصي الباحث بعد هذه النتائج بالتوصيات الآتية:

- أولاً: تكثيف البحث في باب النصيحة تأصيلاً وتطبيقاً.
- ثانياً: التواصل مع جهات ومؤسسات بناء الرأي العام والثقافة الدينية الوطنية، لتحسين الناشئة من دعوات الكيد والتضليل من خلال ترسيخ فريضة النصح للوطن ديناً وولادة وعامة.
- هذا وأسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل، وأن ينفع به وأن يجعله خالصاً لوجهه، كما أسأله أن يجزي القائمين على هذه الندوة المباركة، وأن يقر أعينهم بتحقيق ما يصبون إليه من خدمة سنة النبي ﷺ. والله الموفق.

## ثبت المصادر والمراجع

- إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، ت: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، ت: عدنان درويش - محمد المصري
- أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ت: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، عام: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، جامع المسانيد والسُنن الهادي لأقوم سنن، ت: د عبد الملك بن عبد الله الدهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
- أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، بيروت، دار المعرفة
- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، دمشق بيروت، دار القلم، الدار الشامية - الأولى - ١٤١٢ هـ
- أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية، ١٩٨٣ م
- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، ت: محمد السعيد بسوي زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية.
- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ هـ، سنن أبي داود، ت: سعيد محمد اللحام، طبعة جديدة منقحة ومفهرسة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
- أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ) معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، حلب، المطبعة العلمية، الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م
- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) مسند الإمام أحمد بن

- حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
- أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري المالكي (المتوفى: ٥٣٦هـ)، المُعلم بفوائد مسلم، ت: فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر - المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر - المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقق والدراسات بيت الحكمة، الطبعة: الثانية، ١٩٨٨ م، والجزء الثالث صدر بتاريخ ١٩٩١ م.
- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ت: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ
- أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي
- أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) معجم مقاييس اللغة تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- بيروت، مؤسسة الرسالة - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الفتاوى الكبرى، ت: محمد عبدالقادر عطا - مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م
- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) السياسة الشرعية، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ
- صهيب عبد الجبار، المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة، عام النشر: ٢٠١٣ م غير مطبوع - واستفيد منه من خلال المكتبة الشاملة.

- الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.
- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣ هـ) السيرة النبوية، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م
- مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبجي المدني (المتوفى: ١٧٩ هـ)، الموطأ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، عام النشر: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م
- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، ت: د. مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير، اليمامة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧
- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦ هـ) صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، ت: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م
- محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤ هـ) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ت: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣
- محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩ هـ)، سنن الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م
- محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١ هـ) لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله + هاشم محمد الشاذلي، القاهرة، دار المعارف
- محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥ هـ)، الكامل في اللغة والأدب، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي، الطبعة: الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

- محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، إشراف: زهير الشاويش، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م
- محمد ناصر الدين الألباني، ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة: الثالثة - ١٤١٣-١٩٩٣ م
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

# المنهج النبوي في حماية الوطن والدفاع عنه

الدكتور / أنس سليمان المصري  
المملكة الأردنية الهاشمية





## مقدمة:

الحمد لله خالق الإنسان، ومعلم القرآن، وموطن الأوطان، والصلاة والسلام على النبي العدنان، سيد الهداية والبيان، وعلى صحابته أكمل الرضا ومسك الختام، ومن تبع سمتهم فأمن ثم استقام، ونشر دعوتهم من العلماء والأعلام، وبعد:

فإن الله ﷻ جعل الأرض موطن آدم -عليه السلام- وذريته، وتعبدهم بخلافتها وعمارتها والتوطن فيها بشرع الله وهدية، مصداقاً لقوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ﴾ [البقرة: ٣٠]، فجعل الناس من بعده شعوباً وقبائل مختلفة، فأرسل إليهم الرسل -عليهم السلام-، وأنزل عليهم الشرائع والكتب، وأمرهم باتباعها والعمل بها؛ مصداقاً لقوله ﷻ: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وابتلاهم بإقامتها واتباع أنبيائها؛ مصداقاً لقوله ﷻ: ﴿لِيَبْلُوكُمْ فِي مَاءِ آتَانَكُمْ فَاسْتَشِيقُوا الْخَيْرَاتِ ۗ﴾ [المائدة: ٤٨].

ومن هنا، كان لا بد لهذه الحضارات من سيادة تميمها، وقوة تدافع عنها؛ لضمان استمرارها وبقاء صلاحها، والحفاظ عليها من أية أنظمة ظالمة، أو مناهج مفسدة، أو مصالح مادية منحرفة، فأمر الله ﷻ بحماية أراضيه التي يُقام بها شرعه، والاستماتة من أجل مبادئه ودينه؛ فجاء الأمر في الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة بالموالجة الفكرية والمالية والعسكرية لاستدامة نظام الإسلام، والدفاع عن أراضيه وأوطانه، وترسيخ معنى الجهاد بالكلمة والمال والسلاح في نفس المؤمن وتبشيره بجزيل الجزاء الصالح عند الله ﷻ، بما يناسب تضحية المؤمن بروحه أو ماله في سبيل حماية الأرض التي تُطبق فيها شرائع الله، وتُعمَّر بما يشاء ويرضى.

وقد جاء دور المنهج النبوي، والشريعة الإسلامية التي قامت على ترسيخ مبادئ المسلم لتغرس في النفوس مبدأ حماية الأوطان، وتؤطره بالمنهج الرباني بعيداً عن الإفراط أو التفريط، وتوظيف ذلك المبدأ لنشر دين الله ﷻ وتطبيق شرعه في تعامل المسلمين فيما بينهم، وعلاقتهم مع الآخرين،

وتوطيد صلتهم بالله ﷻ، ومن ثم نشر الدعوة الإسلامية إلى الناس كافة؛ لتكون الدعوة الإسلامية هي دعوة الحق.

إنّ ما تنادي به الأنظمة المعاصرة، والقوانين الوضعية ومنظمات الحقوق الدولية من حماية للشعوب، واحترام الآخرين، وعدم الاعتداء عليهم، وإقامة العدالة الدولية، والبعد عن العنف والعصبية والغلو والتطرف ما هي إلا مصطلحات أخرى تحاكي الجوانب البشرية، إلا أنّها - في حقيقة الأمر - لم تُضف إلى المنهج النبوي في بناء القيم الخلقية والإنسانية إلا تسميات جديدة، توصل واضعوها إلى جزء من منظومة هذا المنهج الرباني، إضافة إلى ما ترجمه النبي ﷺ وأمر باتباعه من المنهج النبوي والقيم الإسلامية.

وسنعرض في هذا البحث أهم ركائز المنهج النبوي في حماية الأوطان، والطريقة القويمة التي وازنت بين الأمر بالدفاع عن الوطن والاستشهاد في سبيل ذلك من جهة، وعدم التطاول في ذلك واتخاذ ذريعة للاعتداء على الآخر، واستحلاله باسم الدفاع عن النفس وحماية الحدود، وضوابط ذلك المبدأ، وطرق تنميته وصقله، ومعالجة المشكلات والشبهات الموجودة عند العمل به، من خلال المواقف النبوية المختلفة، فضلاً عن اتصافه ﷺ بتلك الوسطية والعدالة بشكل واضح، ومدى حكيمته ﷺ في توظيفها في شتى مناحي حياته، مما جعله ﷺ أكمل الناس أوصافاً، وأكثرهم تأثيراً في الآخرين.

### مشكلة الدراسة وأهدافها:

تتراوح الدراسات السابقة للبحث بين مراجع قديمة أصيلة تتمحور حول الأحاديث الواردة في حماية الوطن والجهاد والدعوة دون جمع أو تحليل أو تصنيف أو تفعيد، وبين ما تفتقر إليه المكتبة المعاصرة من مراجع حديثة تعرض منهج النبي ﷺ في حماية الوطن وتتخذ ذلك المنهج أساساً لدراساتها؛ مما يعوز إلى دراسة معاصرة تربط بين المنهج النبوي بوصفه المرجع الأول والأكمل في الدعوة إلى حماية الوطن والعمل بها، وبين أحدث ما توصلت إليه المعرفة البشرية في تعميق ذلك المبدأ أو تعزيزه والتعامل معه.

ذلك أن هذا المفهوم وقع بين إشكالين؛ أولهما: اتخاذه من بعضهم ذريعة للعدوان واستباحة الأرواح والأعراض دون علم أو اتباع للمنهج النبوي القويم، وثانيهما: إهماله والتقاعس عنه بسبب انفصاله عن المفهوم العقدي والجزاء الأخروي، ولضعف مناهج ترسيخه، وعدم فاعلية آليات تعزيزه وتوظيفه.

ومن هنا كان لا بد من دراسة منهجية واضحة تميزه وتؤطر مفهومه وتقوّم آليات تطبيقه.

تمهيد:

### أولاً: في مفردات العنوان:

نعني بالمنهج النبوي في حماية الوطن؛ تلك الآليات والوسائل النظرية والتطبيقية للنبي ﷺ في غرس هذا المبدأ وتنميته وتطويره، معتمداً على المنهج الرباني؛ ولا يخرج عن إطار القرآن والسنة، سواء كان منطلقه الوحي الكريم أو اجتهاده ﷺ المعتمد على الوحي، ولا يخرج مفهوم المنهج النبوي عن أطر الشريعة الإسلامية.

"والمنهج: هو الطريق البين الواضح، وفي التنزيل: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] <sup>(١)</sup>.

وهو الطريقة التي يمكن استخلاصها من خلال استقراء أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته، وتصنيفها حسب الأسس والقواعد المشتركة بينها، ليعتمد إلى الاستفادة منها وتطبيقها. وقد اعتمد الصحابة ﷺ والعلماء هذا المنهج، وفرعوا منه وطبقوه.

والحماية: من حمى، والحماية: المنعة، والحامية: الرجل يحمي أصحابه في الحرب، وهم أيضاً، وأحمى المكان: جعله حمى لا يُقرب، وحمى فلان الأرض: يحميها حمى لا يُقرب <sup>(٢)</sup>؛ كما في قوله ﷺ: "أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حَمِيٍّ..."<sup>(٣)</sup>، ولا تقتصر الحماية على الدفاع العسكري فحسب، بل هي معنى شامل يدخل فيه الأمن الثقافي، والاجتماعي، والديني، والعقدي، والاقتصادي، والسياسي، وغيرها من أشكال الحماية للوطن، إذ إنها كلها ركائز لا غنى عنها في الاستقرار والاستقلال والمنعة.

وأما الوطن: فهو المنزل أو المكان أو البلد الذي تقيم فيه، وهو موطن الإنسان ومحله الذي يسكن فيه ويعتاش <sup>(٤)</sup>، أو ينتسب إليه ويرجع ويؤول، حتى لو لم يسكنه أو يقيم فيه؛ لأن فيه أهله

١- ينظر ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ٣٨٣.

٢- ينظر المرجع السابق، ١٤/ ١٩٧، بتصرف.

٣- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من استبرأ لدينه، ح(٥٢)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ح(٤١٧٨).

٤- ينظر ابن منظور، لسان العرب، ١٣/ ٤٥١، بتصرف.

وعشيرته وأهل ديانته، وإليه يكون ولاؤه وانتماؤه.

ويمكن الخلوص إلى أن هذه الدراسة مختصة في الطريقة الواضحة المتبعة الواردة عن النبي ﷺ سواء أكانت نظرية أم تطبيقية، والتي من خلالها عمل النبي ﷺ على ترسيخ وتطبيق مبدأ الدفاع عن بلاد الإسلام وحمايتها والحفاظة عليها؛ لتحقيق المقصد الرباني في عمارة الأرض وإقامة العدالة الإلهية بحسب ما نص عليه الشرع.

### ثانيًا: المفهوم الشرعي للوطن:

للوطن في معتقد المسلم مفهوم عام، ومفهوم خاص؛ فأما العام: فكل أرض يُقام فيها شرع الله ﷻ ودينه، وما يدخل في حوزة الإسلام والمسلمين، فهو مرتبط بعقيدته ودينه، وليس بحدود جغرافية أو مسميات سياسية، وهذا ما حضّ المنهج النبوي على حمايته والدفاع عنه، لأنه يعتمد على رابط الدين الذي عززه الشرع وجعله الأساس في التعامل كما وقع في قول النبي ﷺ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى"<sup>(١)</sup>، وهو ما يُفهم من قول الشيخ ابن عثيمين: "حب الوطن؛ إن كان إسلاميًا فهذا تحبه؛ لأنه إسلامية، ولا فرق بين وطنك الذي هو مسقط رأسك، والوطن البعيد عن بلاد المسلمين، كلها أوطان إسلامية، يجب علينا أن نحميها"<sup>(٢)</sup>. فبلاد المسلمين كلها وطن للمسلم في المعنى العام للكلمة.

وأما المعنى الخاص: فيقتصر على مفاهيم متعددة ومتباينة نسبيًا؛ فإما أن يكون مفهومه معتمدًا على البلد التي يؤول إليها الشخص نسبيًا، أو ولادة ونشأة، أو عيشًا وكسبًا وإقامة، أو لغة وثقافة، أو ما يحمله من جنسيتها؛ فكل ذلك يدخل في المعنى الخاص للوطن، إلا أن اعتباراته الشرعية غير مؤثرة، خاصة إن كانت تلك الأوطان ليس مسلمة، أو كانت مسلمة لكنها دفعت المسلم إلى العصبية أو الشعوبية أو دعوى الجاهلية مما ذمه الشرع، كما ورد عن النبي ﷺ: "مَا بَالُ

١- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ح(٥٦٦٥)،

ومسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، ح(٦٧٥١).

٢- ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين، ١/ ١٠.

دَعَوَى أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ" (١)، ولهذا المعنى أشار الألباني في قوله: "العبرة في البلاد إنما هي بالسكان، وليست بالحيطان...، كون الأرض دار كفر و دار إيمان، أو دار فاسقين ليست صفة لازمة لها: بل هي صفة عارضة بحسب سكانها، فكل أرض سكانها المؤمنون المتقون هي دار أولياء الله في ذلك الوقت، و كل أرض سكانها الكفار فهي دار كفر في ذلك الوقت، و كل أرض سكانها الفساق فهي دار فسوق في ذلك الوقت" (٢)، فالاعتبارات الشرعية تقوم على التعامل مع الأوطان من خلال سكانها وشرائعها.

لكن ذلك لا يمنع تفضيل بعض البقاع على بعضها فيما نص عليه الشرع؛ كالبلد الحرام، ومدينة رسول الله ﷺ، أو المسجد الأقصى؛ كما ورد في أحاديث مختلفة؛ كقوله ﷺ: "وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ" (٣)، أو ما حث على الدفاع عنه لاعتبارات خاصة؛ كالثغور والحدود ومواطن الرباط، والبلاد المسلمة المستضعفة؛ كما ورد عن النبي ﷺ: "رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا" (٤).

ومن لطيف ما ذكره الفقهاء في معنى الوطن؛ أن الرجل إذا تزوج ببلد، أو مَرَّ على بلد فيه زوجته أتم صلاته؛ لأنه الزوجة في حكم الوطن، وهذا هو مذهب مالك وأبي حنيفة وأصحابهما، وأحمد وبه قال ابن عباس ﷺ، وروي عن عثمان بن عفان ﷺ واحتج مَنْ قال بهذا القول بما رواه الإمام أحمد وعبد الله بن الزبير الحميدي في مسنديهما، عن عثمان بن عفان ﷺ أنه صلى بأهل منى أربعاً، وقال: أيها الناس لما قدمت تأهلت بها، وإني سمعت رسول الله ﷺ، قال: "إِذَا تَأَهَّلَ

١- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوى الجاهلية، ح(٣٣٣٠)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا، ح(٦٧٤٨).

٢- الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦ / ٣٥٦.

٣- رواه أحمد، المسند، ح(١٨٧٣٧)، وصححه شعيب الأرنؤوط في الهامش، وصححه الألباني، مشكاة المصابيح، ح(٢٧٢٥).

٤- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، ح(٢٧٣٥)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله، ح(٥٠٤٧)، بلفظ مقارب.

الرَّجُلُ فِي بَلَدٍ فَلْيَصِلْ بِهِ صَلَاةَ الْمُقِيمِ"<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: هل حماية الوطن والدفاع عنه مبدأ فطري أو مكتسب؟

تنسحب معرفة هذا التساؤل على جميع المبادئ والقيم الإنسانية التي يتحلى بها البشر - بل وغير البشر أحياناً-، ولا شك أن الإنسان لا يولد منعدم المبادئ والأخلاق ثم يكتسبها جميعاً بعد ذلك؛ وإنما يحوز أصولها ومبادئها ويكون مهيباً لاكتساب مزيد منها أو تقويمها وصقلها والعمل بها. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذه المبادئ قد تولد مع الإنسان بدرجة عالية دون تربية أو تعزيز مسبق، وهذا يفسر وجودها بشكل ملحوظ لدى بعض الأطفال أو صغار السن دون تربية أو توجيه، ومن ثم يمكن تعزيز تلك القيم وتنميتها واكتساب مزيد منها عن طريق التربية والتوجيه والتعزيز<sup>(٢)</sup>.

ويتجلى مبدأ الدفاع عن النفس والموطن بأشكاله الفطرية لدى البشر قبل إدراكهم وعند بعض المخلوقات غير العاقلة، مما يُثبت أن جزءاً من المبادئ والقيم يولد مع الإنسان بغض النظر عن دينه أو معتقده؛ ولذلك فإن مبدأ حماية الموطن قد يُولد فطرياً لدى بعض البشر أو غيرهم من المخلوقات، إلا أن تعزيزه وصقله وتوجيهه لدى الإنسان أوسع، مما يعوز إلى اتباع المنهج النبوي في ذلك لما يتميز به من ارتباط بالعقيدة التي لا تتغير بعيداً عن العصبية العرقية، أو المصالح المادية، أو المواقف السياسية.

ولذا فإن النبي ﷺ أطر هذا المبدأ بالشرعية الإسلامية بعدّ دين الإسلام دين الفطرة والحق؛ ذلك أن للدفاع عن الوطن دوافع عدة، منها ما هو حق ومنها ما هو غير ذلك، كما ثبت عنه ﷺ حين سئل: يقاتل الرجل حمية، ويقاثل الرجل شجاعة، ويقاثل رياء، فأى ذلك في سبيل الله؟

١- ينظر العاصمي، حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، ٢/ ٣٩٢، والحديث رواه البيهقي، معرفة السنن والآثار، باب الإتمام في السفر، ح (١٦٥٠)، وضعفه ابن حجر في الفتح، ٢/ ٥٧٠، بالانقطاع، وضعف بعض رواته، وضعفه الألباني، ضعيف الجامع، ح (١٤٣٦).

٢- جابر عبد الحميد، الذكاءات المتعددة والفهم، ص ١٣، بتصرف.

قال: "مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"<sup>(١)</sup>، فالقتال والحماية كثيراً ما تكون على غير منهج الحق.

ومن هنا، يمكن لأية شخصية مسلمة كانت أو غير مسلمة أن تمتلك مبدأ الدفاع عن الوطن وحمائته والتضحية في سبيله بشكل ملحوظ، كما يمكن لها أن تفتقر -طبيعة- لهذا المبدأ، وهذا يفسر وجود بعض الشخصيات غير المسلمة التي ظهرت في هذا المجال في حين قد نجد تدني وجودها عند بعض المسلمين، بوصف أية شخصية مهيأة لتعزيز هذا المبدأ وصقله، خاصة إن كانت تمتلك المقومات النفسية والخلقية التي تساعد عليه؛ كالشجاعة، والقوة، وحب الغلبة والظهور، إلا أن الشريعة الإسلامية امتازت بالمنهجية الثابتة المتوازنة المتنامية في غرس وتعزيزها المبادئ الإيجابية مما يضمن تأثيرها والعمل بها دون غلو أو انحراف أو مصلحة شخصية أو آنية، بل من منطلق العدل والمنهج الرباني الحكيم.

ويعتمد تعزيز مبدأ حماية الأوطان على عدد من الخطوات المتسلسلة منطقيًا، يتصدرها الكشف عن مدى وجوده عند المسلم ثم ترسيخ عقيدة الدفاع عن الأوطان والتضحية لذلك؛ ليتسنى بعد ذلك العمل على صقلها وتعزيزها من خلال وسائلها المتاحة، ثم الكشف عن الثغرات ونقاط الضعف ومعالجتها وتقويمها؛ ليتم توظيفها والعمل بها لخدمة الدين وعمارة الأرض.

- ويتضمن ذلك أربعة مباحث انضوت عليها الدراسة:
- المبحث الأول: المنهج النبوي في الكشف عن مبدأ حماية الوطن ودرجته.
- المبحث الثاني: المنهج النبوي في غرس مبدأ حماية الوطن وترسيخه.
- المبحث الثالث: المنهج النبوي في تعزيز مبدأ حماية الوطن وصقله.
- المبحث الرابع: المنهج النبوي في توظيف مبدأ حماية في خدمة الدين وعمارة الأرض.

١- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ح(٢٦٥٥)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ح(٥٠٢٩).

## المبحث الأول: المنهج النبوي في الكشف عن مبدأ حماية الوطن ودرجته

تعدُّ هذه الخطوة أولى خطوات بناء شخصية المسلم على الإقدام والتضحية في سبيل حماية الوطن بأشكالها كافة ، ليعمد بعد ذلك إلى تعزيزها وصلقلها وتصحيحها وإعداد صاحبها وتأهيله، والتي لا يمكن الوصول إليها دون المعرفة التامة بمدى تمتع الفرد المسلم بها.

وقد اعتمد المنهج النبوي في الكشف عن هذا المبدأ المحوري عدة طرق مختلفة؛ كالسؤال المباشر (العصف الذهني)، أو المراقبة الدقيقة (تحديد المؤشرات)، أو التحفيز والحث وإقامة المنافسات.

كل ذلك أعطى النبي ﷺ معرفة تامة بقدرات الصحابة رضي الله عنهم وإمكاناتهم المتعددة، الأمر الذي ساعد على توظيف قدرات كل منهم بحسب طاقاته.

وينضوي المنهج النبوي في الكشف عن مبدأ حماية الوطن على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: السؤال المباشر (العصف الذهني).

- المطلب الثاني: المراقبة والمتابعة (تحديد المؤشرات).

- المطلب الثالث: الحث والمنافسة.

### المطلب الأول: السؤال المباشر (العصف الذهني)

ورد أسلوب السؤال المباشر في الشريعة الإسلامية مؤشراً مباشراً لتحديد الدرجة التي يتمتع بها المؤمن من التضحية والفداء وحماية الوطن بوصفه أحد أقصر الوسائل المؤدية إلى ذلك؛ كما روي عن عاصم بن ثابت رضي الله عنه أنه قال - لما سأل النبي ﷺ - يوم بدر: "كَيْفَ تُقَاتِلُونَ الْقَوْمَ إِذَا لَقَيْتُمُوهُمْ؟" فَقَامَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا كَانَ الْقَوْمُ مِنَّا حَيْثُ يَنَالُهُمُ النَّبْلُ كَانَتْ الْمُرَامَةُ بِالنَّبْلِ، فَإِذَا اقْتَرَبُوا حَتَّى يَنَالَنَا وَإِيَّاهُمْ الْحِجَارَةُ كَانَتْ الْمُرَاضِحَةُ بِالْحِجَارَةِ، فَأَخَذَ ثَلَاثَةَ أَحْجَارٍ فِي يَدِهِ وَحَجَرَيْنِ فِي حِزْمَتِهِ، فَإِذَا اقْتَرَبُوا حَتَّى يَنَالَنَا وَإِيَّاهُمْ الرِّمَاحُ كَانَتْ الْمُدَاعِسَةُ بِالرِّمَاحِ، فَإِذَا انْقَضَتِ الرِّمَاحُ كَانَتْ الْجِلَادُ بِالسُّيُوفِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "بِهَذَا أُنزِلَتِ الْحَرْبُ، مَنْ قَاتَلَ فَيُقَاتِلَ قَاتَلَ عَاصِمٌ"<sup>(١)</sup>.

١- رواه الأصبهاني، معرفة الصحابة، ح(١٧٠٠)، وإسناده حسن، والمداعسة: المطاعنة، والمدافعة. والمراضحة: القذف والتكسير. انظر ابن منظور، لسان العرب، ٦/ ٨٣، و ٢/ ١٩.

ومن خلال ذلك استطاع النبي ﷺ أن يحدد درجة وجود هذا المبدأ عند الصحابة رضي الله عنهم، وما وصلت إليه حدود مهاراتهم العقلية والجسدية، فاستخدمها ووظفها ﷺ لخدمة الدعوة ونشر الإسلام.

وبمثله من المواقف استطاع النبي ﷺ أن يعرف ذلك، مما يُساعد على اكتشاف مواضع الخلل أو النقص ومن ثم العمل على استكمالها وتعزيزها.

### المطلب الثاني: المراقبة والمتابعة (تحديد المؤشرات)

تفيد المراقبة والمتابعة ملاحظة الدلالات المصاحبة للمواقف المختلفة، واستخراج المؤشرات القابلة للملاحظة؛ سواء أكانت مؤشرات سلبية أم إيجابية؛ ليُعمد إلى تقويم السلبية منها، ويُكشف عن المؤشرات الإيجابية لتعزيزها وفق استراتيجيات محددة، وذلك بعد تصنيفها وتحديد مستوياتها المختلفة<sup>(١)</sup>.

وهذا من أكثر الأساليب استخدامًا وكشفًا عن القيم والطبائع المختلفة بشكل عام، وعن مبدأ حماية الوطن ومفهومه عند المسلم بشكل خاص، ويعتمد على جمع المعلومات من خلال ملاحظة المواقف المتعددة؛ فكثيرًا ما كان النبي ﷺ يراقب أصحابه رضي الله عنهم أو غير أصحابه من المشركين أو غيرهم ليعرف مدى امتلاكهم لمبدأ الدفاع عن الوطن والإقدام والمبادرة في سبيل ذلك، ومن ثم توجيههم بناءً على هذه المعرفة التراكمية.

لذا نجد ﷺ كثيرًا ما يوكل مهامًا معينة لأشخاص بأعينهم؛ يصعب من خلالها معرفة سبب اختيار ذلك الشخص دون غيره، إلا ما كان عند النبي ﷺ عنه من المعرفة المسبقة الناتجة عن المراقبة والمتابعة؛ كما ثبت عنه ﷺ الاستعانة ببعض المشركين في بداية الدعوة؛ كعميه أبي طالب عند بداية الدعوة<sup>(٢)</sup> والعباس رضي الله عنهم في بيعة العقبة<sup>(٣)</sup> على الرغم من عدم إسلامهما آنذاك، وكما وجه الصحابة ﷺ إلى الهجرة إلى الحبشة لعلمه لما عند حاكمها من توفير مبدأ الحماية وما يملكه من مبدأ السيادة

١- الصمدي، القيم الإسلامية في المنظومة التربوية، ص ٧٣، بتصرف.

٢- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قصة أبي طالب، ح (٣٦٧٠)،

ومسلم، صحيح مسلم، الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيق عنه، ح (٥٣١).

٣- رواه أحمد، المسند، ح (١٥٨٣٦)، وحسنه شعيب الأرنؤوط.

والعدالة، وإبعاداً لهم عما وقع بهم عند قريش من اعتداءات؛ فكان ما أَرَادَهُ النبي ﷺ؛ ولهذا قالوا: "نزلنا خير دار إلى خير جار؛ آمنا على ديننا، وعبدنا الله لا نُؤذِي ولا نَسْمَعُ شَيْئاً نَكْرَهُه..."<sup>(١)</sup>، "...ولم نخش منه ظلماً"<sup>(٢)</sup>.

ومن خلال هذا المنهج -أيضاً- عرف النبي ﷺ مدى رسوخ مبدأ الوقاية الفكرية لدى حذيفة بن اليمان ؓ، وما كان يتصف به من قوة للشخصية، وحفظ للأمانة والسر، وحكمة في القرار، ورزانة في الرأي، فأسرَّ إليه كثيراً من أخبار الفتن والملاحم، وأسماء المنافقين وغيرهم، حتى كان صاحب سر النبي ﷺ حتى بعد وفاته<sup>(٣)</sup>.

وتكرَّر ذلك في توظيفه ﷺ صوت العباس ؓ لحماية الوطن عسكرياً خلال غزو الطائف، وفي أشد الظروف وأصعبها لجَهْورِيَّة صوته، لما أمره في حُنين أن ينادي في الناس وهم مؤلَّون، فقال: "أي عباس! نادِ أصحاب السُّمْرَةِ؟"<sup>(٤)</sup>، الأمر الذي ما كان أن يكون إلا بمعرفة ومراقبة مسبَّقة من النبي ﷺ لشخصيات أصحابه ؓ، وما يمتاز به كل منهم، فنادى العباس وكان رجلاً صَيِّئاً، فاجتمعوا حول النبي ﷺ حتى انتصروا.

### المطلب الثالث: الحث والمنافسة

من أشد الأساليب تأثيراً واستخراجاً للمهارات المختلفة؛ سواءً العقلية منها أو الجسدية زرع روح التنافس والتسابق على إحراز هدف ما؛ الأمر الذي يدفع الشخص إلى بذل أقصى جهده، سواءً كانت تلك المنافسة بين شخصين متنافسين، أو وضع الشخص في تحدٍّ مع نفسه، أو وعده بمكافأة أكبر من مهارته التي سيظهرها.

١- رواه أحمد، المسند، ح(١٧٤٠)، وحسنه شعيب الأرنؤوط في الهامش، وقال الألباني: إسناده جيد. انظر الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح(٣١٩٠).

٢- رواه البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ٩/٩، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح(٣١٩٠).

٣- رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عمار وحذيفة ؓ، ح(٣٤٥٩)، قول علقمة الليثي لأبي الدرداء ؓ: أو ليس فيكم صاحب سر النبي ﷺ.

٤- رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، ح(٤٧١٢)، السمره: الشجرة، والمقصود: أهل بيعة الشجرة.

وقد اعتمد المنهج الرباني -فضلاً عن المنهج النبوي- في كثير من مواقفه على زرع روح الآخرة والجزاء عند الله ﷻ في كثير من أعمال المسلم إضافة للثواب الدنيوي؛ إلا أن ذلك ظهر جلياً في بعض المواقف النبوية، من خلال أن يستحث النبي ﷺ شجاعة شخص بعينه وإقدامه وتصدره للمواقف؛ ليعلم ما يتمتع به من مبدأ حماية الوطن والدفاع عنه بإخضاعه لاختبار واقعي؛ كما في ليلة الأحزاب، حين أخذت المسلمين ریح شديدة وقر، وتطلب من النبي ﷺ أن يستحث القوم فقال: "ألا رجل يأتيني بخبر القوم؛ جعله الله معي يوم القيامة"، فتقدم أسامة بن زيد ﷺ، إلا أن النبي ﷺ أراد من ذلك أن يستحث ما كان عند حذيفة ﷺ وأمثاله من الحرص وسرعة البديهة وعمق الفهم، ورجاحة العقل المطلوبة لتلك المهمة، فقال: "قم يا حذيفة"<sup>(١)</sup>، فأتاه بخبر القوم دون أن يلحظه أحد، على الرغم من الفرصة التي لاحت له بقتل عدد منهم، إلا أن خبر القوم كان أولى لإنهاء الحرب بالكيفية، فكان ذلك نتيجة ما اكشفه النبي ﷺ من شخصيات أصحابه من دافعية لحماية الوطن وروح المبادرة والتضحية، فعلم -كذلك- ما كان عند أسامة بن زيد ﷺ من المنافسة.

### المبحث الثاني: المنهج النبوي في غرس مبدأ حماية الوطن وترسيخه

يعتمد هذا المنهج بشكل أساس على زيادة الترسخ النفسي والعقدي لمبدأ حماية الوطن بعد الكشف عن مدى تمتع المسلم به، وهو حلقة وصل تؤدي إلى تعزيز مبدأ حماية الوطن وترسيخه، وربطه بعقيدة المسلم ودينه.

ولا شك أن حماية الوطن تتطلب تضحية باهظة الثمن من المال أو الجهد أو النفس؛ ولذا فإن الشارع الحكيم قد جعل لها ما يناسبها من الجزاء والثبوة التي تعتمد على إيمان المسلم باليوم الآخر، وما سيلقاه عند الله ﷻ.

وبناءً على ذلك؛ فإن ترسيخ مبدأ حماية الوطن لا بد أن يعتمد على أركان الإيمان، بعيداً عن أية مصلحة آنية أو مادية.

١- رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة الأحزاب، ح(٣٣٤٣).

ولهذا، فقد اعتمد المنهج النبوي في ترسيخ مبدأ حماية الوطن في نفس المؤمن على عدة مقومات مختلفة، بحسب الآتي:

- المطلب الأول: الارتباط الوثيق بعقيدة المؤمن.
- المطلب الثاني: التعلق النفسي والعاطفي بالوطن.
- المطلب الثالث: تأطير مبدأ حماية الوطن بالمنهج الرباني.
- المطلب الرابع: تعليق العمل بها بالجزاء الأخروي.

### المطلب الأول: الارتباط الوثيق بعقيدة المؤمن

لا شك أن ارتباط مبدأ حماية الوطن بالعقيدة، يجعلها واحدة من الثوابت الشرعية التي لا تتغير ولا تُتخذ مطية لتحقيق غايات آنية أو مصالح شخصية أو استغلالية، وإنما تبقى منحصرة في حدود عمارة الأرض والمصلحة المطلقة، بحيث لا يُبالغ في استخدامها، ولا يُتقاعَس عن أدائها؛ ولهذا جعل مبدأ الدفاع عن الوطن وحمائته شعبة من شُعب الإيمان، والتخلي عنه خيانة لله ورسوله وللمؤمنين؛ كما ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال: "مَنْ استعمل رجلاً من عصابة وفي تلك العصابة مَنْ هو أرضى لله منه؛ فقد خان الله وخان رسوله، وخان المؤمنين"<sup>(١)</sup>، ومن هنا أصبحت حماية الأوطان واحدة من مبادئ العبادة، ودرء عداوة الظالمين عنها قُرى يتخذها المؤمن إرضاء لربه، وانتصاراً لعباده المستضعفين، فقد صح عن النبي ﷺ أنه دعا على شيبه بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وأمّية بن خلف لما تسبوه من اضطراب لأهل مكة وإخراج أهلها منها بغير حق بعيداً عن ديارهم وأموالهم وأولادهم<sup>(٢)</sup>، وهو أمر هدّد مبدأ المواطنة وألحق خللاً في الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والديني لأهل مكة المسلمين، فما دفعهم هذا الابتلاء إلى بُغضها أو التخلي عنها أو

١- رواه الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ح(٧٠٢٣)، وقال: صحيح الإسناد.

٢- رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة، ح(١٧٩٠)، كما في قوله ﷺ: "اللهم العن شيبه بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وأمّية بن خلف كما أخرجونا من ديارنا".

التأمر عليها، كذلك لم يجعل هزيمتهم عند جبل أحد أن تأنفه نفوسهم أو يتشاءموا بسبب ما وقع لهم عنده من الابتلاءات بل بقي جبلاً "يحبنا ونحبه"<sup>(١)</sup>، الأمر الذي عاجله المنهج النبوي ورسخه مع عقيدة المسلم.

### المطلب الثاني: التعلق النفسي والعاطفي بالوطن

لم يربط المنهج النبوي المؤمن بوطنه عقدياً فحسب، بل تعمق ذلك الارتباط عاطفياً ونفسياً إلى حد جعل فيه الإسلام حب الوطن من الفطرة، وابتغاء عزته حاجساً يراود كل مؤمن، والمساس به بسوء يفطر قلبه دون سبب مادي أو مصلحة خاصة.

ومن هنا، جاءت كثيرٌ من الأحاديث في الهدى النبوي مُشيرةً إلى تعلق النبي ﷺ بأرضه التي يحب ويهوى، وفيض العاطفة التي لم يستطع إخفاءها حين كان يطوف بالكعبة فقال: "ما أطيبك وأطيب ريحك..."<sup>(٢)</sup>، وكما ورد في حديث بدء الوحي حين سأل النبي ﷺ مستنكراً: "أو مخرجي هم؟"<sup>(٣)</sup> قال ابن حجر: "قال السهيلي: يؤخذ منه شدة مفارقة الوطن على النفس فإنه ﷺ سمع قول ورقة أنهم يؤذونه ويكذبونه فلم يظهر منه انزعاج لذلك، فلما ذكر له الإخراج تحركت نفسه لذلك لحب الوطن وإلفه فقال: "أو مخرجي هم؟!"، قال: ويؤيد ذلك إدخال الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الإخراج بالسؤال عنه فأشعر بأن الاستفهام على سبيل الإنكار أو التفجع"<sup>(٤)</sup>.

وامتد هذا الشوق والحب إلى مدينته النبوية المطهرة حين قال: "اللهم حبّب إلينا المدينة كحبنا

١- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أحد يحبنا ونحبه، ح(٣٨٥٥)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب جبل أحد يحبنا ونحبه، ح(٣٤٣٧).

٢- رواه الترمذي، سنن الترمذي، ح(٣٨٦١)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح(٣٤٢٠).

٣- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، ح(٣)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كيف كان بدء الوحي، ح(٤٢٢).

٤- ينظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٦٢١/٣.

مكة أو أشد"<sup>(١)</sup>، وقد روى البخاري في صحيحه ما يدل على شوقه وحنينه إلى وطنه ﷺ؛ لما كان يقدم من سفر فيرى دَرَجَاتِ المدينة، أَوْضِعَ ناقته"<sup>(٢)</sup>. قال ابن حجر: "فيه دلالة على مشروعية حب الوطن والحنين إليه"<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا كان الارتباط العاطفي بالوطن أمراً موافقاً للعقيدة والفطرة والعمل القويم، ما أدى إلى الارتباط النفسي الذي يجعل المسلم متعلقاً بوطنه، مؤمناً ومرتبطاً به هوية وواجباً ومسؤولية، وقد تجلّى هذا المفهوم في قول النبي ﷺ حين كان يرقى مريضاً بلُّ أصبعه بريقه، ثم وضعه على التراب، ثم مسح به المريض، ثم قال: "بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يُشْفَى سقيمنا، بإذن ربنا"<sup>(٤)</sup>، وهو دافع شرعي نفسي يجعل قلب المؤمن متعلقاً بتراب وطنه ويعلم أن ماله الروحي والجسدي إلى بلده؛ لذا فإن عليه أن يبني تلك الثقة ويصدقها، ويجعل من وطنه موثلاً صالحاً، بعيداً عن الإفساد الذي يُوقِعُ البغض والكراهية والنفور منه، قال القاضي والبيضاوي وابن حجر في الفتح: "شهدت المباحث الطبية على أن الريق له دخل في النضج وتبديل المزاج، ولتراب الوطن تأثير في حفظ المزاج الأصلي، ودفع نكايه المعيّرات، ولهذا ذكروا في تدبير المسافر أنه يستصحب معه تراب أرضه إن عجز عن استصحاب مائها، حتى إذا ورد غير الماء الذي تعود شربه ووافق مزاجه، جعل شيئاً منه في سقايته، ويشرب الماء من رأسه ليحفظ عنه مضرة الماء الغريب ويأمن تغيير مزاجه بسبب استنشاق الهواء المغاير للهواء المعتاد"<sup>(٥)</sup>.

فإذا كانت هذه المكانة المطلوبة للوطن في نفس المؤمن، تحققت الغاية التأديبية التي أرشد

١- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الفضائل، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ح(٣٧١١)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها، ح(٣٤٠٨).

٢- رواه البخاري، صحيح البخاري، أبواب العمرة، باب من أسرع ناقته إذا بلغ المدينة، ح(١٧٠٨)، والدرجات: جمع درجة، وهي الطرق المرتفعة، وأوضع ناقته: أي حملها على سرعة السير. انظر ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ٢٦٦، بتصرف، و٨/ ٣٩٦.

٣- انظر ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٢/ ٣٥٩.

٤- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ، ح(٥٤١٣)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة، ح(٥٨٤٨).

٥- انظر ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٠/ ٢٠٨.

إليها الحديث في جعل التغريب عن الوطن<sup>(١)</sup> من أشد العقوبات وأثقلها على نفس المؤمن والعقوبة لا تكون إلا فيما يكره، أما إن وصلت الحال إلى تمني الهجرة من الوطن فهذا فيه خلل إما في إيمان المسلم وحبه لوطنه، أو إيقاع فساد أو مضرة في الوطن تدفع المسلم إلى ذلك.

### المطلب الثالث: تأطير مبدأ حماية الوطن بالمنهج الرباني

يوازن المنهج النبوي بين حب الوطن إلى درجة الإيمان والتضحية وبذل المال والدم، وبين الامتناع عن العصبية أو اتخاذ حمايته ذريعة للعدوان أو التخلي عن رباط الدين والعقيدة، الأمر الذي جعل من المنهج النبوي وسيلة مثلى لتنظيم أولويات مبدأ حماية الوطن ووضعها في إطارها الصحيح المبني على الشريعة الإسلامية الربانية.

ومن هنا كانت أخوة الدين مقدمة على غيرها من الروابط الأخرى، كما في قوله ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضها بعضاً"<sup>(٢)</sup>، كما ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]؛ فكثير من المهاجرين حاربوا آباءهم أو إخوانهم أو أقرباءهم في المعارك، مما جعل رباط الدين والحق مقدماً عندهم على غيره، كما ورد عن حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث أنهم قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يوم بدر وهم أقرباؤهم<sup>(٣)</sup>.

١- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف والسارق والزاني، ح(٢٥٠٦)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، ح(٤٥٣١)، حديث أن النبي ﷺ أمر فيمن زنى ولم يحصن بجلد مئة وتغريب عام.

٢- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، أبواب المساجد، باب تشبيك الأصابع في المسجد، ح(٤٦٧)، ومسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ح(٦٧٥٠).

٣- رواه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ح(٢٢٨٧)، وصححه الألباني، صحيح ابن ماجه، ح(٢٨٢٥)، وفيه أن "هذه الآية: ﴿هَذَا خِطْمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رِجْمِهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ شِيَابٌ مِّن نَّارٍ...﴾، الآية [الحج: ١٩]، نزلت في حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة اختصموا في الحجج يوم بدر".

كذلك فإن الشريعة حرّمت إعانة الرجل قريبه على الظلم، بل الأصل الأخذ على يده وكفّه عنه<sup>(١)</sup>، على الرغم من أن حبه مقدم على حب الآخرين، وجعل نصرته هي الأخذ بيده - إن كان ظالمًا - إلى العدالة والحق، لكن بقيت مناصرة أولي القربى ومؤازرتهم على الخير، وحمائتهم من الضر؛ من حسن البر والصلة، لا من باب العصبية والظلم.

وهذا المنهج الوسطي جعل المسلم متوازنًا في أفعاله سواء مع أبناء جلدته أو أعدائه، فلا يُعين على ظلم يقوم به محبوه، أو عصبية ناتجة عن ذلك، كما أنه لا يُقدم عليهم في المكانة أحدًا، في الوقت الذي لا يظلم فيه أعداءه بغير حق، كما لا يواليهم على وطنه وبني عقيدته، الأمر الذي يحقق حماية للوطن من الاغتيال أو الاستغلال من قبل أبنائه، وحمائته من العدوان أو الطغيان من قبل أعدائه. وسيأتي مزيد من التفصيل في المطلب السادس من المبحث الثالث.

#### المطلب الرابع: تعليق العمل بها بالجزاء الأخروي

يتميز المنهج النبوي في حماية الوطن والمحافظة عليه بالمال والنفس والعرض والفكر، بالجزاء الأخروي المناسب لعظيم هذه التضحية والبذل؛ ولهذا كان مقدار الجزاء من عظيم درجة العمل، لكن دون حرمان خير الدنيا وثوابها.

ولا شك أن النفس والروح هي أعظم ما يمكن أن يُقدمه المؤمن من التضحية لقاء الجنة وعظيم الأجر عند الله ﷻ؛ ولهذا جاءت الأحاديث الصحيحة بأن "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ..."<sup>(٢)</sup> أو "...أهله فهو شهيد"<sup>(٣)</sup>، ومغفرة ذنوبه عند أو دفعة من دمه<sup>(٤)</sup>، وغيرها من حسن الجزاء، سواء

١- رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب عن أخاك ظالمًا أو مظلومًا، ح(٢٣١١)، قول النبي ﷺ: "انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا".

٢- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب من قاتل دون ماله، ح(٢٣٤٨)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب دليل على أن من قصد أخذ مال غيره...، ح(٣٧٨).

٣- رواه أبو داود، سنن أبي داود، ٥ / ٢٧٥، وصححه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، ح(١٤١١).

٤- رواه الترمذي، سنن الترمذي، ح(١٦٦٣)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني، صحيح الجامع الصغير، ح(٩٣١٣)، قول النبي ﷺ: "للشهيد عند الله ست خصال؛ يغفر له في أول دفعة...".

كان ذلك حماية له من اعتداء قادم، أو استردادًا لحقٍّ مأخوذ أو مظلمة واقعة<sup>(١)</sup>.

بل يتجاوز الأمر إلى وعد المؤمن بحسن العطاء لمجرد نيته حماية وطنه من احتمال شرٍّ قد يحيك به، ذلك أن النبي ﷺ وعد أهل بيعة العقبة برفيع المكانة في الجنة دون قتال<sup>(٢)</sup>، كما وعد النبي ﷺ مرافقته في الجنة لمجرد أن يقوم واحد من الصحابة ﷺ ويأتيه بخبر القوم يوم الأحزاب<sup>(٣)</sup>، وغيرها من أجور الرباط والحراسة في سبيل الله.

ومن الجدير بالملاحظة أن المجاهد بنفسه الحائز على الشهادة لم يقصر الله ﷻ همّه على الأجر الدنيوي كما في القوانين الدنيوية المعاصرة، ولا لورثته من الغنائم؛ لأن المنهج النبوي يقوم على تعليق المؤمن بالأجر الأخروي المضمون عند الله ﷻ، ولا يعدّه بالأجر الدنيوي لأنه أجر غير مضمون؛ فهذا مصعب بن عمير وحمزة وغيره من الصحابة ﷺ لم يأخذوا من متاع الدنيا شيئاً لقاء تضحيتهم بالمال والنفس في سبيل حماية أوطانهم، وإنما وعدهم النبي ﷺ بالجنة والرضوان من الله ﷻ، كما جاء في الصحيح أن عبد الرحمن بن عوف أتى بطعام وكان صائماً، فقال: "قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، كُفن في بردة إن غُطي رأسه بدت رجلاه وإن غُطي رجلاه بدا رأسه، -وأراه قال: - وقُتل حمزة وهو خير مني، ثم بُسط لنا من الدنيا ما بسط، - أو قال: - أعطينا من الدنيا ما أعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا"، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام<sup>(٤)</sup>.

١- رواه أحمد، المسند، ح(٢٧٨٠)، وصححه شعيب الأرنؤوط في الهامش، وصححه الألباني، انظر

صحيح الترغيب والترهيب، ح(١٤١٣)، قول النبي ﷺ: "من قتل دون مظلمته فهو شهيد".

٢- رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب وفود الأنصار وبيعة العقبة، ح(٣٦٨٠)، أن

عبادة بن الصامت ﷺ قال: "إني من النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ وقال: بايعناه على أن لا نشرك

بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا ننتهب ولا نعصي بالجنة"،

الحديث.

٣- رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة الأحزاب، ح(٣٣٤٣)، قول النبي ﷺ: "ألا رجل

يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة".

٤- رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، ح(٣٨١٩).

## المبحث الثالث: المنهج النبوي في تعزيز مبدأ حماية الوطن وصقل

يعتمد تعزيز مبدأ حماية الوطن في نفس المؤمن وعقيدته وفكره على معرفة مدى امتلاكه لهذه القيمة العظيمة، وأحياناً ما يعزز المنهج النبوي هذا المبدأ ويغرسه في قلوب المسلمين دون النظر إلى درجاته المتفاوتة لدى كل منهم؛ وعلى كلتا الحالتين فقد استخدم المنهج النبوي لذلك مناهج متعددة ومتكاملة توجه سلوك المسلم وتبني شخصيته بغض النظر عن الدافعية التي يمتلكها لحماية الوطن والدفاع عنه إن كانت قوية منذ ولادته أو أنه اكتسبها بسبب ظروف أو بيئة أو تربية لاحقاً.

وقام المنهج النبوي بتعزيز مبدأ حماية الوطن وتنميته من خلال طرق عدة، نلخصها فيما يأتي:

- المطلب الأول: الحماية الفكرية للفرد وتعزيز المفاهيم الصحيحة.
- المطلب الثاني: إبراز القدوة ورسم النموذج في حماية الوطن.
- المطلب الثالث: تحقيق العدالة ومحاربة العنصرية والفتوية والفساد.
- المطلب الرابع: حماية العمق الاستراتيجي وتضافر المجتمعات المسلمة.
- المطلب الخامس: الحماية العسكرية وتحصين المجتمع من أي اعتداء خارجي.
- المطلب السادس: الحماية من المبالغة أو الوقوع في الأخطاء التطبيقية في الدفاع عن الوطن.
- المطلب السابع: الدعاء وطلب الإعانة من الله ﷻ.

وفيما يلي تفصيل ذلك:

### المطلب الأول: الحماية الفكرية للفرد وتعزيز المفاهيم الصحيحة

تقوم حماية الوطن على تعزيز أفرادها فكرياً وأخلاقياً وتدريبهم مهارياً على أعلى المستويات؛ لأن كل واحد منهم على ثغرة من ثغور الوطن، يعمل على حمايته بكل المجالات سواء الفكرية أو العسكرية أو غيرها من أسس بناء المجتمع الإسلامي المتكامل، كما أن هذا التعزيز المتكامل للفرد يقيه من الأفكار الفاسدة والأخلاق المنحرفة التي يُؤتى الوطن من قبلها.

والتعزيز المتكامل للفرد المسلم يملأ فراغاً عقلياً وفكرياً وأخلاقياً يحميه من أية موجة فكرية ضالة ويُغنيه عن البحث، ويُرشده إلى طريق نبوي واضح، ولا يتركه هائماً أو تائهاً أو جاهلاً؛ ولهذا نجد أن المنهج النبوي اهتم - في مواضع يصعب حصرها - بتعزيز الفرد عقدياً وفكرياً ومهارياً ليحمي نفسه ويخدم مجتمعه.

وقد جاء المنهج النبوي بشمولية تامة، ومنهجية تطبيقية لتعزيز الفرد المسلم؛ فحدد له ركائز عقيدته، وتفصيلات شريعته، ومحددات أخلاقه؛ فحرم الدماء والأموال والأعراض بغير حق<sup>(١)</sup>، ووضح علاقة المسلم مع ربه ومع نفسه ومع غيره من المسلمين وغير المسلمين في قوله ﷺ: "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"<sup>(٢)</sup>، سواء في حالات السلم أو الحرب، والمعاهدات والوثائق سواء مع المشاركين في الوطن منهم أو غير المشاركين كما ورد في وثيقة المدينة<sup>(٣)</sup>؛ وغير ذلك من الأمور التي شكّلت شخصيات الصحابة ﷺ.

### المطلب الثاني: إبراز القدوة ورسم الأنموذج في حماية الوطن

تفاوت منهج النبي ﷺ في إبراز القدوة بين تمتله الشريف للجندى المدافع عن وطنه ودينه وعقيدته، إضافة إلى إبراز القدرات المكونة في نفوس أصحابه ﷺ، ذلك أنه ﷺ كان أكمل الناس خلقاً وعقلاً كما قال حسان بن ثابت ﷺ:

وأحسن منك لم تر قط عيني  
وأجمل منك لم تلد النساء  
خُلقت مبرراً من كل عيب  
كأنك قد خلقت كما تشاء<sup>(٤)</sup>

ذلك التمثل الذي ظهر جلياً في جميع مواقفه القتالية والقيادة في المعارك والحروب أو عند

١- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، ح(١٦٥٢)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض، ح(٤٤٧٨)، قول النبي ﷺ: "فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا...".  
٢- رواه الترمذي، سنن الترمذي، ح(١٩٨٧)، وقال: "حديث حسن صحيح"، وحسنه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، ح(٣١٦٠).

٣- ابن سلام، الأموال، ح(٣٩٢)، وابن زنجويه، الأموال، ح(٥١٥)، من عدة طرق وأسانيده حسنة لغيرها.

٤- حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، ١/ ٦٦.

الحاجة للثبات والرباط، كما قال المناوي: "لحيازته جميع المحاسن والمكارم وتكاملها فيه، ولما اجتمع فيه من خصال الكمال وصفات الجلال والجمال ما لا يحصره حدٌ ولا يحيط به عدٌ"<sup>(١)</sup>.

وقد تعددت أمثله وكثرت مواقف، الأمر الذي كان منشؤه شخصية النبي ﷺ، إضافة إلى ما حباه الله ﷻ من النبوة، فليس فيه مدخل لأهل التأويل أن يدعوا عجز الإنسانية عن التأسي به لخصوصية نبوته، كما لا يُنسب تفرده في تمام الأخلاق إلى ذاته ليسحب منه المغرضون نبوته فينسبون إنجازاته إلى بشريته؛ وإنما كلُّ منهما تمتعت به شخصيته الفذة ﷺ؛ ولهذا جعله الله ﷻ مثلاً للقوة والشجاعة والتضحية.

ومن أبرز ما جاء عنه ﷺ في ذلك قوله: "لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية، والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل"<sup>(٢)</sup>.

وقد ظهر تطبيق ذلك جلياً فيما رواه علي بن أبي طالب ﷺ قال: "لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً"<sup>(٣)</sup>، ومنها إقدامه ﷺ وشجاعته لما فرغ أهل المدينة من صوت ذات ليلة انطلقوا إليه، فاستقبلهم النبي ﷺ وهو عائد من قبل الصوت، راکب فرساً عربياً بلا سرج، يعدو به وفي عنقه السيف، وهو يقول: "لن تُراعوا، لن تُراعوا"<sup>(٤)</sup>، أي: ليس هناك ما تخافون منه.

وقد كان النبي ﷺ كذلك قدوة في استخدام القوة العقلية في المعارك والغزوات؛ كما ظهر ذلك جلياً في معرفة عدد المشركين في غزوة بدر لما أمسك المسلمون برجلين من موالي قريش، وأبيا أن يفصحا عن عدد المشركين، وجهد الصحابة ﷺ والنبي ﷺ أن يخبروهم، فسألهم النبي ﷺ: "كم

١- المناوي، فيض القدير، ٥/ ٩٠.

٢- رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، ح(٤٩٦٧).

٣- رواه أحمد، المسند، ح(٦٥٤)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

٤- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحمائل وتعليق السيف بالعنق،

ح(٢٥٩٢)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي ﷺ وتقدمه للحرب،

ح(٤٢٦٦).

ينحرون من الجزر؟" فقال: عشرًا كل يوم، فقال رسول الله ﷺ: "القوم ألف؛ كل جزور لمائة"<sup>(١)</sup>، فتعلّم الصحابة ﷺ من أمثال هذا التمييز العقلي الذي تحلّى به النبي ﷺ.

وتمثل منهجه ﷺ أيضًا في إبراز القدرات المكنونة في نفوس الصحابة ﷺ، وجعلهم قدوة لأقرانهم وأتباعهم؛ ولهذا أبرز شخصية عدد منهم في مجالاتهم التي يبرعون بها؛ كما علم ﷺ من حذيفة بن اليمان ﷺ ما كان يتصف به من قوة للشخصية، وحفظ للأمانة والسر، وحكمة في القرار، ورزانة في الرأي، فأسّر إليه كثيرًا من أخبار الفتن والملاحم، وأسماء المنافقين وغيرهم، حتى كان صاحب سر النبي ﷺ حتى بعد وفاته<sup>(٢)</sup>، ومثله سعد بن أبي وقاص ﷺ في الرماية<sup>(٣)</sup>، وخالد بن الوليد ﷺ في الشجاعة والإقدام<sup>(٤)</sup>، وعمر بن الخطاب ﷺ في الشدة<sup>(٥)</sup>، وعبيدة بن الجراح ﷺ من الأمانة في الأداء<sup>(٦)</sup>. وغيره العديد من الأمثلة.

### المطلب الثالث: تحقيق العدالة ومحاربة العنصرية والفئوية والفساد

لا شك أن أحد أهم أسباب قوة الحضارة الإسلامية، وتفوقها على نظيراتها اللواتي عاصرتها من الدول ارتفاع معيار حماية الحقوق، وانتشار العدالة الاجتماعية، وانتفاء التمايز العرقي أو

- ١- رواه أحمد، مسند أحمد، ٢/ ٢٥٩، ح(٩٤٨)، وصححه شعيب الأرنؤوط.
- ٢- رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عمار وحذيفة ﷺ، ح(٣٤٥٩)، قول علقمة الليثي لأبي الدرداء ﷺ: "أوليس فيكم صاحب سر النبي ﷺ".
- ٣- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب المعجن ومن يترس بترس صاحبه، ح(٢٦٩٠)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص ﷺ، ح(٤٤٢٩).
- ٤- رواه أحمد، المسند، ح(١٧٥٠)، وصححه شعيب الأرنؤوط على شرط مسلم في الهامش، في غزوة مؤتة حين أخذ خالد ﷺ الراية قال النبي ﷺ: "ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد، ففتح الله عليه".
- ٥- رواه الترمذي، سنن الترمذي، ح(٣٧٩٠)، وقال: "حديث حسن غريب"، صححه الألباني في الهامش، وفيه قول النبي ﷺ: "أشدهم في أمر الله عمر".
- ٦- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ح(٤١١٩)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي عبيدة بن الجراح، ح(٤٢٦٦)، وفيه أن النبي ﷺ أخذ بيد أبي عبيدة ﷺ فقال: "هذا أمين هذه الأمة".

الطبقي أو النَّسَبِي أو غيره.

هذا المبدأ الذي رسّخته الشريعة الإسلامية بقوة منذ اللحظة الأولى من الدعوة؛ حين طلب عليه القوم من قريش أن يجعل لهم مجلس مغاير عن مجالس عامة الناس في الدعوة فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام: ٥٢]، وتواترت النصوص على تدعيم هذا المعنى وترسيخه على جميع المستويات الشرعية والدينية، ومحاربة أية فكرة أو معتقد يعزز مبدأ العنصرية أو الفئوية أو الفساد؛ كما أنكروا النبي ﷺ على المهاجرين والأنصار دعواهم بدعوى الجاهلية وهو بين ظهرائهم؛ فقال: "دعواها فإنها منتنة" (١)، خاصة أنه ﷺ قد احتاط لذلك حينما آخى بين المهاجرين والأنصار على أعقاب هجرته مباشرة (٢)، الأمر الذي أغلق باب الفئوية والتفرقة؛ ولهذا فقد حذر النبي ﷺ من أن الشيطان قد أيس من إفساد عقائد المسلمين وإرجاعهم إلى الوثنية، لكنه اتخذ بدلاً عن ذلك استغلال العنصرية والإفساد والتحريش بينهم (٣).

كل ذلك وحد الصف الداخلي للمجتمع المسلم وجعل حمايته أمتن وأقوى من أن يكون مجتمعا طبقيا حقودا مفككا؛ ولهذا فقد ضمن المنهج النبوي تلك العدالة في كل جزئية وتحت أي ظرف؛ كما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: "مَنْ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ عَصَابَةِ وَفِي تِلْكَ الْعَصَابَةِ مِنْ هُوَ أَرْضَى اللَّهُ مِنْهُ؛ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَخَانَ رَسُولَهُ وَخَانَ الْمُؤْمِنِينَ" (٤)، حتى أضحي منهجا معمولاً به في

١- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوى الجاهلية، ح(٣٣٣٠)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما، ح(٦٧٤٨).

٢- رواه أحمد، المسند، ح(١٢٩٩٩)، وصححه شعيب الأرنؤوط على شرط الشيخين، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح(٣١٦٦).

٣- رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه، ح(٧٢٨١)، قول النبي ﷺ: "إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم".

٤- رواه الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ح(٧٠٢٣)، وقال: صحيح الإسناد.

الحرب والسلم، والشدة والرخاء؛ وقد ظهر ذلك يوم استشار النبي ﷺ أصحابه في أحد بين الخروج والقتال في المدينة؛ فقدم رأي المشورة على رأيه، والتزم به وأنفذه<sup>(١)</sup> دون أن يؤثر فيه؛ ليحمل صفة العدالة المطلقة في اتخاذ القرار، ويتحمل كل فرد منهم عواقب ذلك ومسئوليته.

وتكرر ذلك فيما كان يعرض غلمان الأنصار في كل عام فيلحق من أدرك منهم بالقتال، فألق غلاماً ورد سمرة، فقال سمرة: يا رسول الله! أحقته ورددتني ولو صارته لصرعته؛ فأراد النبي ﷺ أن يحقق العدالة التي طلبها سمرة؛ فقال له: "فصارعه"، فتصارعا أمام النبي ﷺ فصرعه سمرة؛ فألقه النبي ﷺ بالجيش<sup>(٢)</sup>، فكان لا يميّز بين مسلم وآخر، بل كان قدر كل امرئ ما كان يتقنه.

#### المطلب الرابع: حماية العمق الاستراتيجي وتضافر المجتمعات المسلمة

يقصد بالعمق الاستراتيجي ترابط الدول الإسلامية على اختلاف أنظمتها السياسية المستقلة أو تباعدها الجغرافي أو تعدد عروقها وأصولها ولغاتها، وتأزرها ودعم بعضها بعضاً في الحماية المشتركة بشتى أنواعها، وهذا المبدأ يعتمد على مفهوم الوطن في الشريعة الإسلامية، والذي يقوم على أن كل مجتمع إسلامي مهما كان موقعه أو لغته أو ثقافته فإنه وطن لكل مسلم، وله يوالي وعليه يُعادي، ولا فرق بين مسقط رأس المسلم أو مكان عيشه أو ما يحمل جنسيته وبين أية بقعة

١- ذكره البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله ﷻ وأمرهم شورى بينهم، في ترجمة الباب، ورواه أحمد، المسند، ح(١٤٨٢٩)، أن النبي ﷺ قال لأصحابه: "لو أنا أقمنا بالمدينة فإن دخلوا علينا فيها قاتلناهم"، فقالوا: يا رسول الله! والله ما دخل علينا فيها في الجاهلية فكيف يدخل علينا فيها في الإسلام؟ قال عفان في حديثه: فقال: "شأنكم إذا"، قال: فلبس لامته، قال: فقالت الأنصار: رددنا على رسول الله ﷺ رأيه، فجاؤوا فقالوا: يا نبي الله شأنك إذا، فقال: "إنه ليس لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل".

٢- رواه الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ٢ / ٦٩، والبيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ٩ / ٢٢، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في "التلخيص": صحيح.

يُقام فيها شرع الله؛ فكلها أوطان إسلامية يجب على الجميع حمايتها، كلٌ حسب جهده، فالأرض ليست بالحدود، وإنما بالدين والشريعة، حتى لو لم يكن دستورها إسلامياً صرفاً.

وبهذا يتشكل مفهوم العمق الاستراتيجي وحماية المجتمعات المسلمة بعضها بعضاً، بل يتوسع ذلك إلى حماية المسلمين، وموالاتهم والدفاع عنهم بشتى الوسائل المتاحة، سواء أكانوا يعيشون في بلد مسلمة أم غير مسلمة.

وبهذا جاءت أحاديث كثيرة، وتضافر معناها ليشكل منهجاً نبوياً لحماية العمق الاستراتيجي للمجتمعات المسلمة على اختلاف مواقعها الجغرافية أو تحت أية دولة تخضع؛ كما جاء عن النبي ﷺ قوله: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحُمى والسهر"<sup>(١)</sup>، وغيرها من الأحاديث كقوله ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان؛ يشد بعضه بعضاً"<sup>(٢)</sup>؛ فالجسد وحدة واحدة مع انقسام أماكنه ووظائفه وأشكاله ومهامه، إلا أنه إذا أصيب إصبعه قامت له القدم، وفكر العقل، ونظرت العين، وتكلم اللسان، وانشغلت الحواس والأطراف؛ عزيزها وصغيرها، بانقضاء الألم ورفع المعاناة حتى ينجلي.

### المطلب الخامس: الحماية العسكرية وتحصين المجتمع من أي اعتداء خارجي

تتراوح سيادة الدولة الإسلامية بين القوة الفكرية والعقدية الثابتة، التي يعتمد عليها الفرد في تعزيز شخصيته وكيانه، ومنها تنبثق المؤسسات والدساتير والدول، وبين الهيبة العسكرية التي تحفظ أمن الدول الإسلامية من أية جهات تحاول الإساءة أو العدوان العسكري، الأمر الذي جعله الإسلام من باب جهاد النفس والمال جنباً إلى جنب مع جهاد العلم والكلمة والفكر.

وقد حصّن الإسلام نظامه ودولته وحماها بما عزّزه في فكر المسلم وعقيدته من أهمية الحماية العسكرية وكل ما يبني أو يترتب عليها؛ ولهذا فقد جاء عدد غير قليل من الأحاديث التي تبيّن مكانة الجهاد وأثره، وموفور جزائه في الدنيا قبل الآخرة.

١- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ح(٥٦٦٥)،

ومسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، ح(٦٧٥١).

٢- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب نصر المظلوم، ح(٢٣١٤)، ومسلم،

صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاوضهم، ح(٦٧٥٠).

ففي فضائل الأعمال التي سُئِلَ عنها النبي ﷺ كان الجهاد في مراتبه الأولى بعد الصلاة وبر الوالدين<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ أنه "من قُتِل دون ماله..."<sup>(٢)</sup> أو "...أهله فهو شهيد"<sup>(٣)</sup>، كما حَثَّ الإسلام على الرباط والحراسة لثغور المسلمين وحمائيتها من أي اعتداء سواء في حالات السلم أو الحرب كما في قوله ﷺ: "لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً"<sup>(٤)</sup>.

ولم يتوقف الأمر على التعزيز العقدي لمعنى الجهاد والرباط لحماية الوطن، بل كان أعمق من ذلك في الحث على اكتساب مهارة القتال والعمل عليها كما في قوله ﷺ: "ألا إن القوة الرمي -كررها ثلاثاً-"<sup>(٥)</sup>، والثناء على مَنْ برع بها كما في قوله ﷺ: "ارم سعد، فذاك أبي وأمي"<sup>(٦)</sup>.

ويمتد ذلك إلى تعزيز الحرب النفسية والقوة الذاتية لِيُبْرز عزة المسلم وكبرياءه بمهارة قيادية فذة من خلال موقف استثنائي، وظَّف به النبي ﷺ الشخصية الحادة لدى أبي دجانة ؓ لِيُخيف به أعداء الله<sup>(٧)</sup>.

١- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من قال أن الإيمان هو العمل، ح(٢٦)، ومسلم، صحيح مسلم، الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله أفضل الأعمال، ح(٢٦٢)، لما سئل النبي ﷺ عن أي الأعمال أفضل...، قال -بعد الإيمان وبر والوالدين-: "الجهاد في سبيل الله".

٢- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب من قاتل دون ماله، ح(٢٣٤٨)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب دليل على أن من قصد أخذ مال غيره...، ح(٣٧٨).

٣- رواه أبو داود، سنن أبي داود، ٥ / ٢٧٥، وصححه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، ح(١٤١١).

٤- رواه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ح(٢٧٦٤) وصححه الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، ح(٢٢٣٨).

٥- رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، ح(٣٥٤١).

٦- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب المحن ومن يترس بترس صاحبه، ح(٢٦٩٠)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص ؓ، ح(٤٤٢٩).

٧- رواه أحمد، المسند، ح(١٢٢٥٧)، وصححه شعيب الأرنؤوط على شرط مسلم، ورواه الحاكم، المستدرک على الصحيحین، ح(٥٠١٩)، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الذهبي في التعليق، أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد فقال: "من يأخذ هذا السيف؟" فأخذه قوم فجعلوا ينظرون إليه، فقال: "من يأخذه بحقه؟"، فأحجم القوم، فقال أبو دجانة سماك: أنا آخذه بحقه، فأخذه، ففلق هام المشركين.

ولذلك نجد أن المنهج النبوي كان شاملاً لجميع الجوانب التي تساعد على حماية الوطن، وتعزيز كل جزئية من الجوانب المذكورة، وتطبيقها والعمل فيها كما سيأتي في المبحث الآتي.

### المطلب السادس:

#### الحماية من المبالغة أو الوقوع في الأخطاء التطبيقية في الدفاع عن الوطن

وهذه خطوة وقائية مكتملة للمطالب الآتية، ذلك أن التعزيز الصحيح للفرد المسلم على المنهج النبوي قد يقع فيه خطأ في الفهم أو التطبيق، فإن الأحاديث النبوية جاءت لتصحيح وترسخ المفاهيم الصحيحة عن طريق إنكار المفاهيم السلبية أو الممارسات المنافية للمنهج الرباني، سواء كانت تمس الحماية المدنية؛ كقوله ﷺ: "لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق"<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: "لا ترجعوا كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض"<sup>(٢)</sup>، أو قتل معاهد؛ كقوله ﷺ: "مَنْ قَتَلَ مَعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تَوْجِدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا"<sup>(٣)</sup>، أو حتى قتل غير المقاتل حتى لو كان في معسكر الكفار حين غضب النبي ﷺ لما رأى امرأة مقتولة في غزوة وقال: "ما كانت هذه لثقاتل"، ثم بعث إلى خالد بن الوليد ﷺ رجلاً فقال: "قل لخالد: لا يقتلن امرأة ولا عسيفاً"<sup>(٤)</sup>، كما أوصى بالعمل بأدنى ذريعة لحماية الأرواح والدماء؛ ولهذا عاتب النبي ﷺ أسامة بن زيد ﷺ - وهو حبه - عتاباً شديداً لما طعن رجلاً بعد أن نطق الشهادتين وكان متعوداً بها من القتل، فما زال يعاتبه ﷺ حتى قال أسامة ﷺ: "تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم"<sup>(٥)</sup>. كل ذلك يؤطر مفاهيم المسلم وأفعاله بالمنهج النبوي ويعزز معنى حماية الوطن ويزيل عنه أية شوائب.

ولم يقتصر ذلك على وقاية مفهوم حماية الوطن بحماية الأرواح، بل امتد ذلك إلى الحماية

- ١- رواه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ح(٢٦٠٩) وصححه الألباني، صحيح ابن ماجه، ح(٢١٢١).
- ٢- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ لا ترجعوا بعدي كفاراً، ح(٦٦٦٦)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب لا ترجعوا بعدي كفاراً...، ح(٢٣٢).
- ٣- رواه البخاري، صحيح البخاري، أبواب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم، ح(٢٩٩٥).
- ٤- رواه أبو داود، سنن أبي داود، ١ / ٤١٦، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح(٧٠١)، والعسيف: الخادم أو العبد أو الأجير المستهان. انظر ابن منظور، لسان العرب، ٩ / ٢٤٥، بتصرف.
- ٥- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ، ح(٤٠٢١)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، ح(٢٨٨).

المعنوية والاقتصادية والسياسية؛ ولهذا قال النبي ﷺ - وهو يطوف بالكعبة: "مَا أَطْيَبَ وَأَطْيَبَ رِيْحِكَ، وَمَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لِحُرْمَةِ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكَ؛ مَالِهِ وَدَمِهِ"<sup>(١)</sup>، فجعل حرمة المؤمن أعظم من حرمة الكعبة - على عظمها-، ثم حرم الهدية التي يجنيها الرجل بموجب منصبه، ولو قعد في بيته ما أتته<sup>(٢)</sup>، كما أنكر على تولية رجل من عصابة، وفي تلك العصابة من هو أرضى لله، وجعله خائناً لله ولرسوله وللمؤمنين<sup>(٣)</sup>، كل تلك الثغرات - وغيرها - نبه عليها المنهج النبوي، وعدّها من مهددات حماية الوطن، وأسباباً تمنع استقراره وتخل موازينه.

### المطلب السابع: الدعاء وطلب الإعانة من الله ﷻ

لقد تميّز المنهج النبوي عن غيره من المناهج الأخرى - سواء أكانت مناهج ذوات مراجع دينية أم مادية - بالعامل الروحي المتمثل بسؤال الله ﷻ وحده الأمن والسلامة والبركة والمحبة؛ كما ثبت عنه ﷺ حين قال: "اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا..."<sup>(٤)</sup>، وقوله ﷺ: "اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد"، ثم دعا لها بالبركة<sup>(٥)</sup>.

وكذلك الدعاء على المفسدين في مقدرات الأمة، والمهددين لاستقرار الأوطان؛ كما في قوله

١- رواه الترمذي، سنن الترمذي، ح(٣٨٦١)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح(٣٤٢٠).

٢- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها، باب من لم يقبل الهدية لعله، ح(٢٤٥٧)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال، ح(٤٨٤٣) قول النبي ﷺ: "مَا بَالُ عَامِلٍ أْبَعُثَهُ فَيَقُولُ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدَى لِي. أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ حَتَّى يَنْظُرَ أَيُّهُدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقْرَةٌ لَهَا حُوَارٌ أَوْ شَاةٌ تَبْعِرُ".

٣- رواه الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ح(٧٠٢٣)، وقال: صحيح الإسناد.

٤- رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآفات، ح(٩٩٠).

٥- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الفضائل، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ح(٣٧١١)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها، ح(٣٤٠٨).

ﷺ: "اللهم العن شيبه بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وأميه بن خلف كما أخرجونا من ديارنا"<sup>(١)</sup>. وأمثال ذلك كثيرة.

إضافة إلى دعاء النبي ﷺ - في غير موضع - دوام الأمن والسلامة في الأوطان كما في قوله ﷺ: "اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام"<sup>(٢)</sup>، واستعاذته مما يُخل بشيء من أمن الوطن واستقراره كما في دعائه ﷺ: "اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نعمتك، وجميع سخطك"<sup>(٣)</sup>، وقوله ﷺ: "ولا تسلط علينا من لا يرحمنا"<sup>(٤)</sup>، وأمثال ذلك كثيرة.

وهذا يؤكد تكامل المنهج النبوي في حماية الوطن بين المادية والروحانية والعقدية والمهارية وغيرها، ويربط الحماية العقدية مع الفكرية مع الاستعداد العسكري وغيره من مقومات الحماية للوطن.

### المبحث الرابع:

## المنهج النبوي في توظيف مبدأ حماية الوطن في خدمة الدين وعمارته الأرض

يعتمد المنهج النبوي في توظيف مبدأ حماية الوطن واستغلاله لخدمة الدين وعمارته الدنيا على سلسلة متقدمة من الخطوات التي يعتمد بعضها على الآخر؛ حتى تشكل منظومة متكاملة تؤخذ ثمرتها من الكشف عن ذلك المبدأ العظيم في نفوس الصحابة ﷺ بالطرق المذكورة آنفاً، ومن ثم غرسها وجعلها عقيدة في مبادئهم، ثم تعزيزها وتنميتها ومعالجة ما لا يصلح منها، وإعدادها بشكل متكامل؛ ليُعمد بعدها إلى توظيفها والعمل بها، ويكون هذا التوظيف من خلال ما يأتي:

١- رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة، ح(١٧٩٠).

٢- رواه الترمذي، سنن الترمذي، ح(٣٤٥١)، وقال: حديث حسن غريب، وحسنه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح(١٨١٦).

٣- رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، ح(٧١٢٠).

٤- رواه الترمذي، سنن الترمذي، ح(٢٧٨٣)، وقال: حديث حسن غريب، وحسنه الألباني، انظر صحيح الترمذي، ح(٣٥٠٢).

- المطلب الأول: تحمل جميع أفراد المجتمع مسؤولية حماية الوطن والمحافظة عليه.
- المطلب الثاني: وضع أنظمة وقوانين تنظم العمل بمبدأ حماية الوطن وتراقبه.
- المطلب الثالث: استغلال القدرات وتوظيف المهارات الفردية والطاقات الفعالة.
- المطلب الرابع: التعزيز الإيجابي.
- المطلب الخامس: التعليم المتبادل. وتفصيل ذلك كالآتي:

### المطلب الأول: تحمل جميع أفراد المجتمع مسؤولية حماية الوطن والمحافظة عليه

تتميز الدول والمجتمعات في الرقي والتقدم الحضاري بناء على مدى الاستقرار والحماية التي يتمتع به الأفراد جميعاً وعلى حد سواء، والعدالة بينهم في خدمة الوطن وتحملهم المسؤولية في ذلك، وكلما شملت المسؤولية أفراد المجتمع بشكل أكبر، وتساووا في مستوى الحماية والأمن؛ زاد الاستقرار المجتمعي، وأصبحت الدولة في مصافِّ الدول المتقدمة.

ومن هنا كان المجتمع النبوي مجتمعاً راقياً ومتقدماً يحفظ لجميع أفراده حق الأمن والحماية مهما كانت عروقتهم أو دياناتهم أو طبقاتهم الاجتماعية، ولا يسمح لأصحاب السلطة والمال، أو النفوذ والجاه بالاستعداد على هذا الحق مهما كانت سطوتهم؛ وقد قعدت السنة النبوية لهذه المبادئ جميعها ابتداءً من مسألة المسلمين؛ كما في قوله ﷺ: "المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه ولا يسلمه... كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه"<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: "لا يحل مسلم أن يروِّع أخاه المسلم"<sup>(٢)</sup>، إلى مسألة غير المسلمين؛ كقوله ﷺ: "مَنْ قَتَلَ مُعَاهِداً لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ"<sup>(٣)</sup>، حتى لو كان المعتدي ذا شأن أو منصب أو مال فلا يحل له أن يخوف غيره، أو أن يتعرض لمخارمه؛ فلو "أن فاطمة بنت محمد سُرقت" لُقِّطعت يدها<sup>(٤)</sup>، ولهذا كان المبدأ عادلاً والقانون شاملاً لكل

١- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، ح(٢٣١٠)، ومسلم، صحيح مسلم، البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم، ح(٦٧٤٣)، واللفظ له.  
٢- رواه أبو داود، سنن أبي داود، ح(٥٠٠٤) وغيره، وصححه الألباني، غاية المرام، ح(٤٤٧).  
٣- رواه البخاري، صحيح البخاري، أبواب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم، ح(٢٩٩٥).  
٤- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم، ح(٣٢٨٨)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، ح(٤٥٠٥).

فرد في المجتمع المسلم، وقد توعد الله ﷻ مَنْ يُخِلُّ بِأَمْنِ الْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ بِعَذَابٍ شَدِيدٍ؛ كما في قوله ﷻ: "إن الله يعذب الذي يعذبون الناس في الدنيا"<sup>(١)</sup>.

كما وقرّ المنهج النبوي العدالة في تحمّل مسؤولية حماية الوطن والدفاع عنه؛ ابتداء من الشخصية الأولى في المجتمع المتمثلة بالقائد الأعلى حين قال ﷻ: "لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية..."<sup>(٢)</sup>، إلى أصغر جنديّ يمكن له أن يُسهم في توفير الحماية للوطن، كإجازته للغلمان الذين كانوا يعرضون أنفسهم عليه ليجيز إشراكهم في الدفاع عن الوطن<sup>(٣)</sup>، فتساوى كل أفرادها في هذه المهمة، وتحمل كل مسلم مسؤولية الحماية والوقاية.

### المطلب الثاني: وضع أنظمة وقوانين تنظم العمل بمبدأ حماية الوطن وتراقبه:

لقد اهتم الإسلام بسن قوانين راسخة تؤمن حماية رصينة للوطن وأفراده وجماعته ومؤسساته وجميع جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية؛ ولهذا كانت هناك دساتير وتشريعات إسلامية تفرض عقوبة على من يتعدى على أمن الناس وسلامتهم، وقد أنزل الله ﷻ في كتابه العزيز وسنة نبيه ﷺ حد الحراية<sup>(٤)</sup>؛ في قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ

١- رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق، ح(٦٨٢٤).

٢- رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، ح(٤٩٦٧).  
٣- رواه الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ٢/ ٦٩، والبيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ٩/ ٢٢، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجه، وقال الذهبي في "التلخيص": صحيح، حديث سمرة بن جندب ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يعرض غلمان الأنصار في كل عام فيلحق من أدرك منهم، قال: وعُرضت عامًا فألحق غلامًا ورتني، فقلت: يا رسول الله! لقد ألحقته ورددتني ولو صارته لصرته، قال: "فصارعه"، فصارعه فصرته، فألحقني.

٤- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المحاربين من أهل الردة والكفر، باب، ح(٦٤١٧)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب القسامة، باب حكم المحاربين والمرتدين، ح(٤٤٤٥)، أَنَّ نَاسًا مِنْ عُرَيْبَةَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- الْمَدِينَةَ فَاجْتَوَوْهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- " إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ فَتَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا ". فَفَعَلُوا فَصَحُّوا ثُمَّ مَالُوا عَلَى الرَّعَاءِ فَفَقَتَلُوهُمْ وَأَرْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ وَسَاقُوا دَوْدَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَلَبَّغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ -ﷺ- فَبَعَثَ فِي آثَرِهِمْ فَأَتَى بِهِمْ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ وَتَرَكَهُمْ فِي الْحَرِّ حَتَّى مَاتُوا.

فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ... ﴿المائدة: ٣٣﴾؛ ليحمي بذلك المجتمع من تبعات الإرهاب والترويع، وجعل جزاء المعتدين فيه مُعلنًا وصارمًا.

وقد أسس المنهج النبوي ذلك بأن وُحِدَ الناس تحت أمير واحد حتى لو "خرج ثلاثة في سفر؛ فليؤمروا أحدهم"<sup>(١)</sup>، الأمر الذي يحفظ أمنهم، ويحميهم من شق العصا، ووقاهم من ذلك أن إذا اجتمعوا على رجل أمره، ثم جاء من يريد نقض ذلك، فإن مصير هذا المعتدي القتل<sup>(٢)</sup>؛ لأن تفريق الجماعة والإخلال بأمنهم، وإدخال التهيب في حياتهم أعظم عند الله وأخطر من قتل رجل واحد ولو كان مسلمًا.

ولهذا كان للمنهج النبوي التقعيد الثابت والطريق الواضحة لوضع سياسة للدول ومؤسساتها تحمي سلامتهم، وتحقق أمنهم وتحفظ مجتمعاتهم، إضافة إلى ما رسّخه القرآن من الآيات الكثيرة في ذلك، ولا شك أن في ذلك توفيرًا لجميع الوسائل الممكنة والإجراءات المطلوبة لتأمين الحماية وخطوط الدفاع الداخلية، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فقد وضع الإسلام قوانين لحماية الوطن من أية اعتداءات خارجية؛ كوجوب الجهاد في حالات الدفاع، وعظيم أجر الشهداء، وغير ذلك من الأحاديث الواردة في المطلب الخامس من المبحث الثالث.

### المطلب الثالث: استغلال القدرات وتوظيف المهارات الفردية والطاقات الفعالة

لقد أفاد الصحابة رضي الله عنهم من شخصية النبي صلى الله عليه وسلم كثيرًا من المبادئ والصفات والقيم، وعلى رأس تلك المبادئ؛ شجاعته وتضحيته في حماية وطنه والدفاع عنه صلى الله عليه وسلم، كما قال صلى الله عليه وسلم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]؛ ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم مثلهم الأعلى؛ اتخذوا هديه منهجًا حرصوا على تطبيقه في حياته وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

١- رواه أبو داود، سنن أبي داود ح(٢٦٠٨)، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح(١٣٢٢).  
٢- رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب إذا بويع لخليفتين، ح(٤٩٠٥)، قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما".

وقد كان النبي ﷺ أسوة لأصحابه في مواقف عدة ظهرت جلياً في قول علي بن أبي طالب ﷺ: "لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً"<sup>(١)</sup>، ولما فرغ أهل المدينة من صوت ذات ليلة انطلقوا إليه، فاستقبلهم النبي ﷺ وهو عائد من قبل الصوت، راكباً فرساً عربياً بلا سرج، يعدو به وفي عنقه السيف، وهو يقول: "لن تراعوا، لن تراعوا"<sup>(٢)</sup>، -أي: ليس هناك ما تخافون منه-.

هذا بالإضافة إلى ما وُظّفه النبي ﷺ من مهارات الصحابة ﷺ التي يمتاز بها كل منهم للإفادة منها في خدمة الدين، وجعلهم قدوة لغيرهم في ذلك، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً ومتنوعة؛ فقد أبرز مهارة سعد بن أبي وقاص ﷺ في الحرب بقوة الرمي ودقته<sup>(٣)</sup>، ودفع الناس إلى الاقتداء بشخصية أبي دجانة ﷺ في إخافة أعداء الله<sup>(٤)</sup>، إلى غير ذلك مما يمتاز به شخصية كل صحابي ﷺ ليجعلها سبباً في حماية الوطن وقدوة لغيره في ذلك حتى في أقل المواقف وأدقها، نحو توظيفه ﷺ صوت العباس ﷺ في أشد الظروف وأصعبها لجهرية صوته، لما أمره في حنين أن ينادي في الناس وهم مولّون، فقال: "أي عباس! ناد أصحاب السّمرّة؟"<sup>(٥)</sup>، فأفاد من صوته لتحفيز القتال والدفاع.

١- رواه أحمد، المسند، ح(٦٥٤)، وصحّحه شعيب الأرنؤوط.

٢- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحمائل وتعليق السيف بالعنق، ح(٢٥٩٢)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي ﷺ وتقدمه للحرب، ح(٤٢٦٦).

٣- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب المحن ومن يترس بترس صاحبه، ح(٢٦٩٠)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص ﷺ، ح(٤٤٢٩)، قول النبي ﷺ: "ارم سعد، فذاك أبي وأمي".

٤- رواه أحمد، المسند، ح(١٢٢٥٧)، وصحّحه شعيب الأرنؤوط على شرط مسلم، ورواه الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ح(٥٠١٩)، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصحّحه الذهبي في التعليق، أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد فقال: "من يأخذ هذا السيف؟" فأخذه قوم فجعلوا ينظرون إليه، فقال: "من يأخذه بحقه؟"، فأحجم القوم، فقال أبو دجانة سماك: أنا آخذه بحقه، فأخذه، ففلق هام المشركين.

٥- رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، ح(٤٧١٢)، السمرّة: الشجرة، والمقصود: بيعة الشجرة.

إضافة إلى استغلال قوة بعض الصحابة رضي الله عنهم في رجاحة العقل وسرعة البديهة، وقوة الشخصية حين جعل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه درعًا واقياً لحفظ الأمانة وسر النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup>. وأمثال ذلك كثيرة.

### المطلب الرابع: التعزيز الإيجابي

اتفق علماء التربية وعلم النفس على أن التعزيز الإيجابي عامل مهم لتفعيل المبادئ وتوظيفها، كما الحال في أهميته لغرسها وتنميتها، وهو منهج نبوي متبع، أسس له القرآن الكريم والشريعة الإلهية بالترغيب وفضائل الأعمال.

وجاء في السنة النبوية عدد من المواقف التي عزز فيها النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم في كيفية حماية الوطن والدفاع عنه؛ سواء حماية وقائية قبل وجود أي اعتداء، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "ألا إن القوة الرمي" - كررها ثلاثاً- <sup>(٢)</sup>، أم حماية دفاعية عند الحاجة إلى ذلك، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "للشهيد عند الله ست خصال؛ يُغفر له في أول دفعة... <sup>(٣)</sup>". سواء أكانت الحماية من عدوٍ داخلي كما قال صلى الله عليه وسلم - عند وقوع الفتنة بين الصحابة -: "دعوها فإنها منتنة" <sup>(٤)</sup>، أم خارجي، كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: "أفضل الجهاد من عُقر جواده وأهريق دمه" <sup>(٥)</sup>. وأمثال ذلك من الأحاديث.

ولا شك أن التعزيز الإيجابي يعتمد على المعرفة المسبقة أو معاينة موقف أو ملاحظة عمل شجاع ومسؤول صادر من أحد الصحابة رضي الله عنهم، وهو دافع بشري يستجيب له كل ذي فطرة سليمة.

١- رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عمار وحذيفة رضي الله عنهم، ح(٣٤٥٩)، قول علقمة

لأبي الدرداء رضي الله عنه: أو ليس فيكم صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه ودم من علمه ثم نسيه، ح(٣٥٤١).

٣- رواه الترمذي، سنن الترمذي، ح(١٦٦٣)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني، صحيح الجامع الصغير، ح(٩٣١٣).

٤- متفق عليه. رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوى الجاهلية، ح(٣٣٣٠)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا، ح(٦٧٤٨).

٥- رواه أحمد، المسند، ح(١٤٧٦٩)، وحسنه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح(٥٥٢).

### المطلب الخامس: التعلم المتبادل:

تقوم المجتمعات سواء الإسلامية أو غيرها على ما يملكه أفرادها ومؤسساتها وقوانينها من القيم والمبادئ؛ وكلما كانت تلك المبادئ ذات مستويات عليا؛ ارتفعت سوية المجتمع، مما يجعله مجتمعاً مؤثراً يسهل اقتناع الآخرين بمبادئه بمجرد معاشته؛ الأمر الذي جعل كثيراً من الأفراد والشعوب يعترفون بالإسلام بمجرد معانيتهم لأخلاق المسلمين والتزامهم وانضباطهم بالمبادئ الإسلامية المختلفة، إضافة إلى ما يكتسبه المسلمون أنفسهم من بعضها بعضاً. كل ذلك يدخل في مفهوم التعلم المتبادل.

وقد ورد في السيرة النبوية مواقف عدة؛ وظف فيها النبي ﷺ التعلّم المتبادل لمبدأ حماية الوطن وأمنه والدفاع عنه؛ منها حديث عاصم بن ثابت رضي الله عنه أنه قال -لما سأل النبي ﷺ- يوم بدر: "كيف تقاتلون القوم إذا لقيتموهم؟"، فقام عاصم بن ثابت رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، إذا كان القوم منا حيث ينالهم النبل كانت المرامة بالنبل، فإذا اقتربوا حتى ينالنا وإياهم الحجارة كانت المراضحة بالحجارة، فأخذ ثلاثة أحجار في يده وحجرين في حزمته، فإذا اقتربوا حتى ينالنا وإياهم الرماح كانت المداعسة بالرمح، فإذا انقضت الرماح كانت الجلاذ بالسيوف، فقال رسول الله ﷺ: "بهذا أنزلت الحرب، من قاتل فليقاتل قتال عاصم"<sup>(١)</sup>، إضافة إلى ترسيخ هذا المبدأ من خلال المشورة الدائمة التي أبرزها يوم استشار أصحابه في أحد بين الخروج والقتال في المدينة؛ فقدّم رأي المشورة على رأيه، والتزم به وأنفذه<sup>(٢)</sup>. وغيرها من المواقف.

هذا، وصلّ اللهم تعالى على سيد الخلق، وناطق الحق، وعلى آله وصحبه وسلم.

١- رواه الأصبهاني، معرفة الصحابة، ح(١٧٠٠)، وإسناده حسن، والمداعسة: المطاعنة، والمدافعة. والمراضحة: القذف والتكسير. انظر ابن منظور، لسان العرب، ٦/ ٨٣، و٢/ ١٩.

٢- ذكره البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله ﷻ وأمرهم شورى بينهم، في ترجمة الباب، ورواه أحمد، المسند، ح(١٤٨٢٩)، أن النبي ﷺ قال لأصحابه: "لو أنا أقمنا بالمدينة فإن دخلوا علينا فيها قاتلناهم"، فقالوا: يا رسول الله! والله ما دخل علينا فيها في الجاهلية فكيف يدخل علينا فيها في الإسلام؟ قال عفان في حديثه: فقال: "شأنكم إذا"، قال: فلبس لامته، قال: فقالت الأنصار: ردنا على رسول الله ﷺ رأيه، فجاؤوا فقالوا: يا نبي الله شأنك إذا، فقال: "إنه ليس لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل".

**التوصيات:** من خلال الدراسة المتأنية لكثير من المواقف النبوية المهداة، واستنطاق أحداثها، والنظر في المناهج الحديثة وما قدّمت في تعزيز هذا المبدأ، نجد أن المنهج النبوي كان رائدًا في تأسيس المبادئ وتعزيزها وتوظيفها، بشكل أكثر عمقًا وتفصيلاً، والتي يمكن الاستفادة منها ضمن التوصيات والمقترحات الآتية:

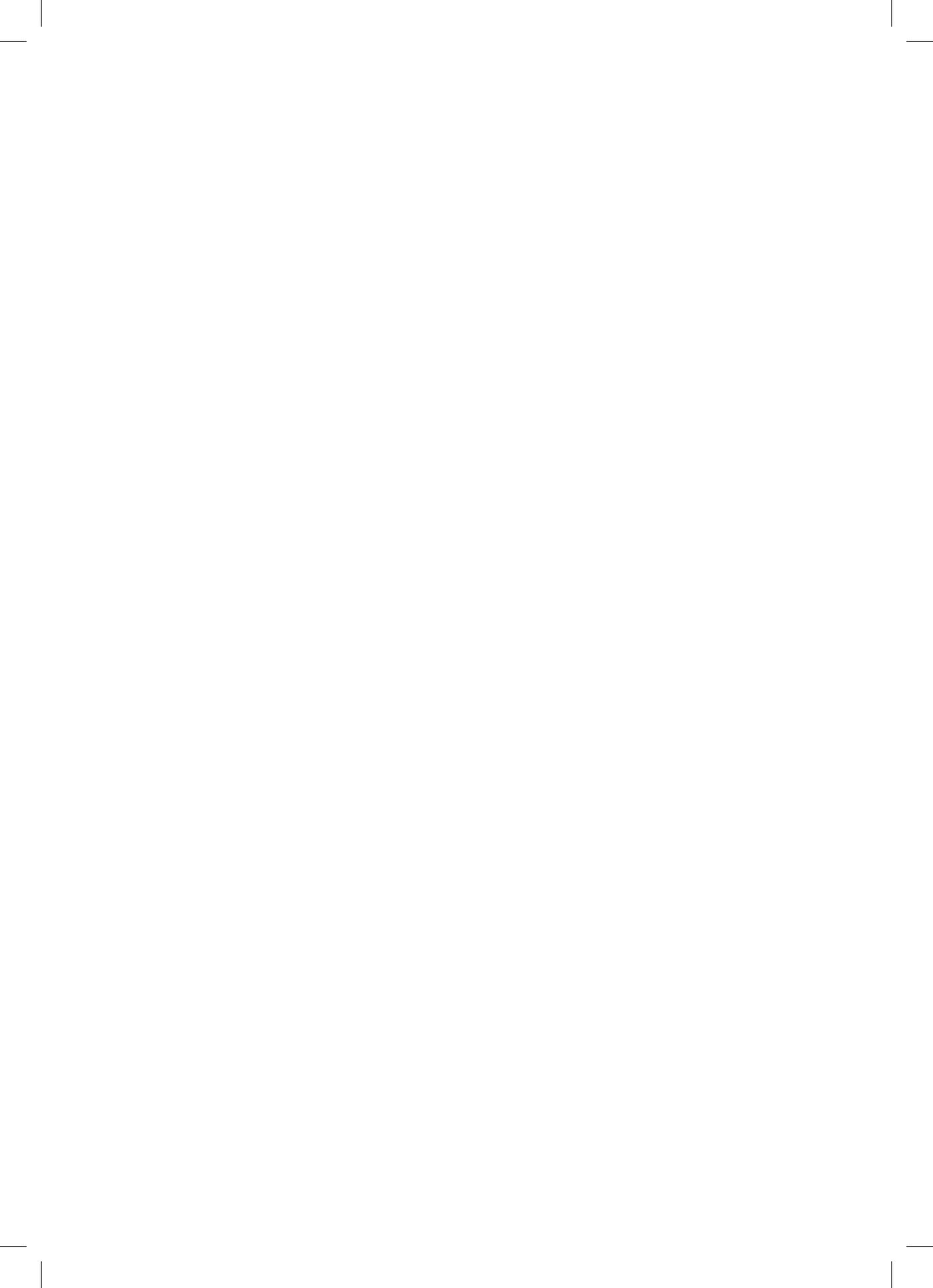
١. استقراء القرآن الكريم والسيرة النبوية بشكل كامل، واستنطاقها؛ لاستكمال منظومة مبادئ الدفاع عن الوطن وحمانيته، ضمن آلية علمية منضبطة، ودون مبالغة أو تفرّيع غير مجدٍ.
٢. توطيد المنهج النبوي في حماية الوطن لدى المرين وعلماء النفس، وربطها مع الجهات العسكرية والمدنية المختصة بذلك.
٣. التوسع في دراسة مبدأ حماية الوطن والدفاع عنه عند الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين، والسلف الصالح من العلماء والمجاهدين، وإبراز جوانبها وآلياتها وطرق الاستفادة منها.
٤. تدريب الدعاة والوعاظ وأئمة المساجد والخطباء لتجلية أهمية هذا المبدأ وترسيخه من خلال السيرة النبوية.
٥. تعميم ما سبق ذكره من المناهج على جميع المؤسسات التربوية والجمعيات والتخصصات الجامعية والمعاهد العليا.
٦. توظيف وسائل الإعلام المختلفة لترسيخ هذا المنهج، وإعداد البرامج لخدمتها، وإبراز أهمية المنهج النبوي في ذلك ووسطيته وواقعيته، ومدى تميّز الإسلام به، وسبقه لتطبيقه، ودرء ما يُفتري عليه من العنف والإرهاب.
٧. إنشاء قنوات التواصل بين مؤسسات المجتمع المدني والباحثين والمفكرين والمؤسسات التربوية والتعليمية والثقافية والإعلامية لبلورة مضامين هذا المبدأ، ومكانته في الإسلام، وعمقه في المنهج النبوي، من خلال مشاريع عمل مشتركة وهادفة.
٨. عمل المؤتمرات والندوات وورش العمل التدريسية ودعوة الباحثين والدارسين ورجال الثقافة وأصحاب القرار التربوي والتعليمي؛ لدعم مفهوم حماية الوطن وآليات الدفاع عنه، والعمل على تطبيقه وتفعيله.

### فهرس المصادر والمراجع:

- ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار، السيرة النبوية، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، شرح رياض الصالحين، ط ١، دار السلام، السعودية، ١٤٢٣هـ، تحقيق عبد الحميد مذكور.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الإفريقي، لسان العرب، ط ٣، ١٥م، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
- ابن هشام، عبد الملك المعافري الحميري، السيرة النبوية، ط ١، دار الجليل، بيروت، ١٤١١هـ.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، ٤م، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، معرفة الصحابة، ط ١، دار الوطن، السعودية، ١٤١٩هـ.
- الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٧م، مكتبة المعارف، الرياض.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، ط ١، ٢م، مكتبة المعارف، الرياض.
- ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم، ط ٣، المكتبة الإسلامي، بيروت، ١٤١٣هـ.
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله الجعفي، الجامع الصحيح المختصر من حديث الرسول ﷺ وسننه وأيامه، ط ٣، ٦م، دار ابن كثير واليمامة، بيروت، ١٩٨٧م، تحقيق مصطفى البغا.
- البرقوقي، عبد الرحمن، شرح ديوان حسان بن ثابت، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩١م.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، دلائل النبوة معرفة أحوال صاحب الشريعة، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ. وسنن البيهقي الكبرى، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ، تحقيق محمد عبد القادر عطا.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الصحيح المسمى بسنن الترمذي، ٥م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون.
- جابر، جابر عبد الحميد، الذكاءات المتعددة والفهم تنمية وتعميق، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
- الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرک على الصحيحين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

- الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل، المسند، ٥٠م، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩م، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون.
- الصمدي، خالد، القيم الإسلامية في المنظومة التربوية، ١م، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، ٢٠٠٨م.
- الطبراني، أحمد بن سليمان، المعجم الكبير، ط٢، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤هـ.
- العاصمي، عبد الرحمن بن محمد النجدي، حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، ط١، ١٣٩٧هـ.
- العسقلاني، أحمد بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- القزويني، محمد بن يزيد بن ماجة، سنن ابن ماجة، ط١، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- المناوي، زين الدين محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط١، ٦م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.
- النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، الجامع الصحيح المسمى بصحيح مسلم، ٨م، دار الجيل ودار الآفاق، بيروت.

## توصيات الندوة التاسعة



## التوصيات

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الصادق الأمين واله وصحبه والتابعين،  
وبعد،

فمن خلال ما تم عرضه ومناقشته من أبحاث علمية متخصصة، وبعد اجتماع الأمانة العامة  
لندوة الحديث الشريف في دورتها التاسعة، والموسومة بـ:

"حِمَايَةُ الْوَطَنِ فِي السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ مَقْصِدٌ شَرْعِيٌّ وَضُرُورَةٌ مُجْتَمَعِيَّةٌ"

تم الانتهاء إلى جملة توصيات هي:

**أولاً:** ضرورة إعداد مناهج دراسية في المؤسسات التعليمية والتربوية تُسهم في تعزيز ثقافة حماية  
الوطن، وتُسَلِّمهم فيها من الشريعة الغراء.

**ثانياً:** إنشاء موسوعة علمية في السنة النبوية والسيرة العطرة متعلقة بحماية الوطن، تُسهم في  
ترسيخ دعائم استقراره، وحفظه من المهددات.

**ثالثاً:** العمل على رفع الوعي العام إلى مستوى الإدراك بأن حماية الأوطان ليست مسؤولية  
الجهات الرسمية وحدها، بل هي مسؤولية مشتركة تتحملها كافة أطراف المجتمع.

**رابعاً:** تفعيل الخطاب الديني الراشد في المؤسسات الإعلامية والشرعية والتعليمية في التوعية  
بضرورة حماية الأوطان، وحفظ أمنها، واستقرارها.

**خامساً:** الدعوة إلى إجراء البحوث والدراسات الكفيلة بالنهوض بأسر الشهداء.

**سادساً:** الدعوة إلى بناء منهجية سليمة في تداول الأخبار والإشاعات في وسائل الإعلام، والتواصل  
الاجتماعي.

وختاماً؛ فإن الأمانة العامة تتقدم بالشكر الوافر والامتنان للسيد جمعة الماجد، رئيس مجلس أمناء جامعة الوصل ومؤسسها، وراعي الندوة المباركة على جهوده المبذولة في خدمة السنة النبوية.

كما تتقدم بشكرها الجزيل إلى سعادة مدير الجامعة الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن على اهتمامه ومتابعته الدؤوبة لسير أعمال الندوة، وتذليل الصعاب التي واجهتها في جميع مراحل الإعداد لها.

والشكر موصول إلى جميع اللجان العاملة: أساتذة وإداريين وطلاباً على جهودهم المميزة في التنظيم والإعداد لهذه الندوة.

ولا يفوتنا أن نشيد بحكومة دبي الرائدة على التسهيلات المقدمة وكرم الضيافة، وبالرعاة الذين أسهموا في رعاية الندوة وإنجاحها، بدعمهم المادي والمعنوي.

**والحمد لله رب العالمين**

## الفهرس

٨٢٩	- "السنة النبوية وحماية الوطن من خلال تأمين النشاط الاقتصادي للمجتمع". د.عزالدين بن زغبية (الجزائر).
٨٦١	- "حماية الدخل القومي في السنة النبوية وأثر ذلك في حماية الوطن". د. محمود فهد أحمد مهيدات (الأردن).
٨٨٧	- "مكانة حماة الوطن والشهداء وحقوقهم في السنة النبوية وأثر ذلك في حماية الوطن". د. باسم حسن وردة (الأردن).
٩١٩	- "الرباط فضله وأثره في حماية الوطن في ضوء السنة النبوية". أ.عمران محمد المزوري (العراق).
٩٥٣	- "أثر الأسرة في حماية الوطن في ضوء السنة النبوية". أ.د. مفرح بن سليمان القوسي (السعودية).
٩٩١	- "تقصيد وسائل التواصل الاجتماعي، نحو خدمة القيم النبوية؛ قيمة حماية الوطن نموذجاً". أ.يونس الخمليشي (المغرب).
١٠٣٥	- "أخلاقيات القائم بالاتصال والدور المفترض في حماية الوطن". د.رقية بوسنان (الجزائر).
١٠٦٩	- "أثر الشائعات في تهديد الوطن ودور السنة النبوية في مواجهتها". د.عماد حمدي إبراهيم (مصر).
١١٠٧	- "مجالات حماية الوطن في السنّة النبويّة ومنهج الإدارة النبويّة في بنائها". د. محمد شريف مُشوّح (سوريا).

١١٣٧	- "أحاديث العهود وأثرها في حماية الأوطان". أ.د. عادل فائز(المغرب).
١١٦٥	- "النصيحة (أصالة المفهوم وتجديده، وأثرها في حماية الوطن)". د. عبد الله بن عبد العزيز الباقي (السعودية).
١١٩٥	- "المنهج النبوي في حماية الوطن والدفاع عنه". د.أنس سليمان المصري (الأردن).